۱۰۴۴

...ت کرکن الباب احیاسابها
...السها واسمسهن



ابو الرکوب وابن العاصفات

کیت کرکن الباب احبابها
معالسها واستحسن

[illegible]
دو افرقت [illegible]
[illegible] از [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
شه از [illegible]
[illegible]

۱۰۴۴

الرکوب وابن العاصفات

کمیت کر کن الباب اجیاسها
مغالیسها واسمسهن

خدایا خداوندا ابر بیچاره گی من رحم کن الهی مرادر دنیا رسوا مکن
در آخرت عذابم مفرما سی ره ام بیچاره ام بیچاره ام
مرد بخلق از تو محجوب ام از برای کمال بیسی بکام ابر زبان
الهی رحم بیچاره گی منم منم منم منم منم
محروم و ذلیلم علیلم بیچاره ام رحم کن رحم کن
یا دلیل المتحیرین یا ارحم الراحمین
اخا کننده محی عنوان بیچاره گناه کار
امید است هر کسی برای عبادت میخواند
از خدا و ند طلب کند غفران مرا
ادعی لسیار لکی جم بدعا



۱۷۵ ۱۲ مثقال

محاسبه این جانب با استاد ابراهیم زرگر

آنچه نقره داده بودم

آنچه از ایشان داده ۸۱

دفعه ۲ ۴۷ مثقال

دفعه ۱۱۵

سر و بهای کار اول ۱۳۸

ایضاً سر و بهای کار ۶ سیر ۱۵ مثقال

سر شبیه ۳۸

ایضاً سر شبیه ۲۳ سیر ۲ مثقال

حق النار ۱۷ سیر ۱ مثقال

مجموع ۱۷۱ مثقال

مجموع ~~۱۷۵~~ ۱۸۲

۱۹ مثقال

زیادتی بوده استاد محمد ابراهیم بعد از تفریق ۱۸۵ مثقال

ایضاً ۱۱ مثقال

تفاوت دانگ ۱۱ مثقال

تفاوت نقره زنجیر

پول نقاش ۱۱ مثقال

پول چوب

تفاوت نقره‌ها قیمت

مزد

داده‌ام

بعد از وضع یکی ... محمد ابراهیم



فهرست السؤالات والجوابات
في هذا الكتاب
المستطاب

تاويل
وغشيهم من اليم ما غشيهم
تاويل
ان هذا القرآن [illegible]
تاويل
الم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم
تاويل
والى الله ترجع الامور
تاويل
اولئك لهم نصيب مما كسبوا
تاويل
[illegible]
تاويل
خير الصدقة ما انفقت
تاويل
لو كان القرآن في اهاب
تاويل
ولقد همت به وهم بها
تاويل
من سمع [illegible] سمع الله به
تاويل
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم

تاويل
فخر عليهم السقف
تاويل
وقالت اليهود عزير ابن الله
تاويل
ولا تاس وان امسيت
تاويل
وليس البر بان تأتوا البيوت
تاويل
يرزق من يشاء بغير حساب
تاويل
[illegible]
تاويل
[illegible]
تاويل
[illegible] ريح
تاويل
خلق الانسان من عجل
تاويل
[illegible]
تاويل
ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني

تاويل
يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
تاويل
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
تاويل
نحن اعلم بما يستمعون به
تاويل
واذا سألك عبادي عني
تاويل
ليس لك من الامر شيء
تاويل
وقالت اليهود يد الله مغلولة
تاويل
[illegible]
تاويل
واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا
تاويل
[illegible]
تاويل
وعلم آدم الاسماء كلها
تاويل
[illegible]

تاويل
فاين تذهبون ان هو الا ذكر
تاويل
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
تاويل
كل شيء هالك الا وجهه
تاويل
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب
تاويل
لا تناجشوا ولا تنابذوا
تاويل
لعن السارق
تاويل
ربنا لا تزغ قلوبنا
تاويل
لئن بسطت الي يدك
تاويل
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
تاويل
واسئل من ارسلنا من قبلك
تاويل
فاما الذين شقوا ففي النار

تأويل

اسمع بهم وابصر

تأويل

ولا تقولن لشيء اني فاعل

تأويل

الله يستهزئ بهم

تأويل

كيف يدعون من خلقكم اذ يعلق بقوله

انظر كيف ضربوا لك الامثال

تأويل

حتى اذا جاء امرنا وفار التنور

تأويل

الذي جعل لكم الارض فراشا

تأويل

لا عدوى ولا طيرة ولا هامة

تأويل

ولما جاء موسى لميقاتنا

تأويل

هو الذي خلقكم من نفس واحدة

تأويل

ولا ينفعكم نصحي

تأويل

واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان

تأويل

واذ نجيناكم من آل فرعون

تأويل

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا

تأويل

وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض

تأويل

يا رسول الله كانت لي جارية

تأويل

هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة

تأويل

يا اخت هرون ما كان ابوك

تأويل

وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

تأويل

واذ قتلتم نفسا فادارأتم

تأويل

قال اتعبدون ما تنحتون

تأويل

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن

تأويل

قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم

لا يكذبونك



ورد كوفه [illegible]

ورد كوفه على السيد كاظم [illegible]
وهي [illegible] وانا [illegible]
[illegible] محمد على

هو المالك المتعال
قد انتقل الي هذا الكتاب في اوائل شهر شعبان المعظم من شهور
سنة ١٢٥٥ في مدينة زنجان
حرست بالامن والامان



[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشريف الأجل المرتضى ذو المجدين أبو القسم علي بن الحسين الموسوي
رضي الله عنه **مجلس تأويل آية** قال الله تعالى جل من قائل وإذا أردنا أن نهلك
قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا في هذه الآية
وجوه من التأويل كل منها يبطل الشبهة [الداخلة] على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه
وصرفوه عن بابه أولها أن الإهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فإذا كان مستحقا
أو على سبيل الامتحان كان حسنا وإنما يكون قبيحا إذا كان ظلما فتعلق الإرادة به لا
يقتضي تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر للآية [illegible] إذا علمنا بالأدلة تنزه
القديم تعالى عن القبيح علمنا أن الإرادة لم تتعلق [illegible] الحسن وقوله أمرنا مترفيها
المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور [illegible] بعده الفسق وإنما
يجري هذا مجرى قولك أمرته فعصى و[illegible] ودعوته
إلى الإجابة والقبول ويمكن أن يقال على [illegible] عليه وإنما
موضعها أن يقال أي معنى لتعلق لتقدم الإرادة [illegible] بغير الفسق المذكور
في الآية ولا معنى لقوله إذا [illegible] العقاب [illegible] بما
تقدم من الأفعال وإن كانت الإرادة [illegible] لفسق الأمر المذكور في
الآية فهذا الذي يأبونه لأنه يقتضي أنه تعالى يريد [illegible] العقاب **الجواب**
عن ذلك أنه تعالى تعلق الإرادة إلا بإهلاك مستحق بما تقدم [illegible] الذنوب والذي حسن قوله
إذا أردنا أمرنا هو أن في تكرير الأمر بالطاعة والإيمان [illegible] وإنذارا لهم و
إيجابا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد دور الوعظ

الداخلة

والإنذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد لصحة هذا التأويل قوله تعالى
قبل الآية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والوجه الثاني في تأويلها
أن يكون قوله أمرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله
تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون
إذا على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه ويشهد لصحة هذا
الجواب قول الهذلي حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا
فحذف جواب إذا ولم يأت به لأن هذا البيت آخر القصيدة والوجه الثالث أن
يكون ذكر الإرادة في الآية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم
وعاقبة أمرهم وأنهم متى أمروا فسقوا وخالفوا ويجري ذكر الإرادة ههنا مجرى
إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق
وقولهم إذا أراد العليل [illegible] خلط في مأكله وتسرع إلى كل ما يتوق
إليه نفسه ومعلوم [illegible] يريد في الحقيقة شيئا ولا العليل أيضا ولكن
لما كان المعلوم من حال [illegible] هذا الهلاك حسن هذا الكلام و
استعمل ذكر الإرادة [illegible] ونحو إشارات واستعارات
ومجازات [illegible] العليا من الفصاحة فإن الكلام
متى خلا من [illegible] كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بريا
من [illegible] وكلام [illegible] الكلام والوجه الرابع أن يحمل الآية
على التقديم والتأخير [illegible] تقديرها إذا [illegible] في قرية بالطاعة فعصوا
واستحقوا العقاب [illegible] التقديم والتأخير في الشعر وكلام
العرب كثير ومما [illegible] شاهد لصحة هذا التأويل من القرآن قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم والطهارة إنما
تجب قبل القيام إلى الصلوة وقوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم

طائفة منهم معك وقيام الطايفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلوة لان بالاقامة
هي الاسباب بجميعها على الكمال فاما قراءة من قرأ بالتشديد فقال امّرنا
وقراءة من قرأ بالتخفيف والمد فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتيهما عن الوجوه
التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا بان يكون ما تضمنته
الاية هو الامر الذي يستدعى به الى الفعل

تأويل خبر

روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى وهو
اجذم قال ابو عبيد القسم بن سلام مفسرا لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث
الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس شعر وما كنت
الا مثل قاطع كفه . بكف له اخرى فاصبح اجذما . وقد خطأ عبد الله
بن مسلم بن قتيبة ابا عبيد في تاويله هذا الخبر وقال الاجذم وان كان
المقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات
من الله تعالى لا يكون الا وفقا للذنوب وبحسبها [illegible] لا مدخل لها في نسيان
القرآن فكيف يعاقب بها واستشهد [illegible] يكون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان [illegible] الآية ان الربا اذا
اكلوه ثقل في بطونهم وربا فيها [illegible] من يتخبطه
الشيطان تعثرا وتخبلا واستشهد ايضا بما روي عن [illegible] صلى الله عليه وآله
من قوله رايت ليلة اسري بي قوما تقرض شفاههم [illegible] وقال
لجبرئيل هؤلاء خطباء امتك تقرض شفاههم لانهم يقولون [illegible] قال
فالاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما [illegible] المجذوم [illegible] اعضاؤه
وتتشذبها والجذم هو القطع قال سيدنا رحمه الله وقد اخطأ الرجلان جميعا
وذهبا عن الصواب ذهابا بعيدا وان كان غلط ابن قتيبة افحش واقبح
لانه علل غلطه فاخرجه الى اغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما

اوردناه

اوردناه اما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له ادنى معرفة بمذاهب العرب وكلامها و
انما اراد عليه السلم بقوله يحشر اجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن
الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن
التشبيه وعجيبه لان اليد من الاعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل
الى كثير من المنافع الا بها فاذا فقدها بفقد ما كان عليه من الكمال بفوته المنافع والمرافق
التي كان يحصل بها بذريعة الدنيا وكذا وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد حفظه
لانه فقد ما كان لابسا له من الجمال ومستحقا من الثواب وهذه عادة العرب
في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان اجذع وقد
بقي بعده اجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع تضعضع طودا وائل بعد ما
واصبح منها معطس العز اجذما وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن
في كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويسرع الى
الفطنة بها من تعاطى [illegible] مرادهم وتاويل خطابهم كان ظالما لنفسه ومتعديا
طوره ونعود الى [illegible] فاما ابو عبيدة فانه اخطاه من حيث
لم يفطن الغرض في [illegible] الا ان الاجذم هو الاقطع لا محالة
كما قال الا انه [illegible] عليه لم يفد شيئا فان كان شبهته التي
اوقعته في [illegible] ان ذلك يجري على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن
فليس كما ظن لان [illegible] عقوبة لان الله تعالى قد يجذم اوليائه
والصالحين من عبيده ويقطع اعضاءهم بالامراض وقد يبتدي خلق من
هو ناقص الاعضاء فليس يلزم في الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان ناسي
القرآن يستحق عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن باسره فرضا واجبا
وحتما لازما لان العقوبة لا يستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع
القرآن كذلك واما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر

الجذم

الذي ذكرناه ومن حيث ظن ان العقوبة لا تكون الا في محل الذنب وهذا القول يوجب
عليه الا يجلد الزاني ويخص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف لا يجب
ان يعاقب في لسانه دون سائر اعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم
ان اللسان اقوى حظا في باب الكلام من الشفة فلم لم يخص بالعقوبة وحلت بالشفة
دونه ثم غلط في تاويل الآية التي اوردها اقبح من كلما تقدم لانه توهم ان ما تضمنته الآية
من تخبط اكل الربا وتعثره عند القيام انما هو في الدنيا من حيث يثقل ما اكله في معدته
فيمنعه من نهوضه ونحن نعلم خلاف ذلك لانا نجد كثيرا من اكلي الربا اخف نهوضا واسرع
قياما ونهوضا من غيرهم ممن لم ياكل الربا قط والمعنى في الآية ما ذكره المفسرون من ان ما
وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار والزلل والتخبل على
سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك ايضا امارة لمن يعاينهم من الملائكة والحور على الفرق
بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف والظاهر ان الاجذم
هو المجذوم ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى القطع يجب عليه ان يكون كل داء
يقطع الجسد ويفرقه [illegible] كالجدري و[illegible] جذاما وبيني من كان [illegible]
اجذم وهذا باطل فاما قول الشاعر [illegible] حتى اذا اضطرمت اجذما
فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع وكأنه قال لما اضطرمت
اسرع عني وتباعد مني والاجذام بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جميعا الاسراع فاما
قول غيره في وصف الذباب شعر فرحا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم
فهو من هذا الباب لان الاجذام من صفة المكب لا من صفة الزناد وكأنه قال قدح
المكب الاجذم على الزناد وهذا من حسن التشبيه وواقعه مسألة كان بعض
الشيوخ المتقدمين يقول ليس يمتنع ان يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم انه يرد القيامة
غير مستحق لشيء من الاعواض اذا لم يوازيه القدر المستحق عليه منها فاذا اراد الانتصاف منه
تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل

٤

لان العوض ليس يختص بصفة يمتنع من التفضل بمثله ولا يجري ذلك مجرى الثواب
فالمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز ان يكون موقوفا على ما
يتفضل به لان الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين عباده وبين الظلم و
لا يجوز ان يعلق الامر الواجب بالتفضل لفاعله ان لا يفعله فيؤول الحال الى تعذر
الانتصاف وقالوا من يعلم الله تعالى انه يرد القيامة فلا اعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه
منه لهذه العلة وجوزوا ان يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض وغير
مستحق للقدر الذي يوازي الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله انه يرد
القيامة وقد استحق من الاعواض ما يوازي ما عليه منها قال سيدنا رحمه الله وهذا القول
يقتضي تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض فيبطل بالعلة التي ابطلنا
بها قول من اجاز الانتصاف بالتفضل لانا نعلم ان تبقية المكلف وغير المكلف لا يجب
وللقديم تعالى ان لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان
الانتصاف منه غير ممكن و[illegible] تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب
كما علقه من قدمنا حكايته [illegible] وليس لهم ان يقولوا ان ذلك يحسن لان
الله تعالى يعلم انه يبقيه [illegible] لان علمه بمثل ذلك فاذا قيل لهم فاجيزوا
ايضا ان يرد القيامة و[illegible] عوض ويعلم الله تعالى انه يتفضل عليه بما يقع به
الانتصاف فاذا قالوا لو علم الله تعالى انه سيتفضل لا يخرج التفضل عن ان يكون غير واجب
قيل لهم وعلم الله تعالى بانه يبقي من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية من ان تكون
غير واجبة فاستوى الامران والصحيح انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال
ليستقيم الكلام ويطرد مجلس آخر تأويل آية قال الله تعالى ويسألونك
عن الروح الآية وقد ظن قوم من غفلة المخالفين وجهالهم ان الجواب عما سئل عنه في هذه
الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى وما اوتيتم من العلم
الا قليلا تبكيت وتقريع لم يعلما موضعهما وانما هما على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب



وفي هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما توهّموه ويدل على ما جهلوه اولها انه تعالى
انما عدل عن جوابهم لعلمه بان ذلك ادعى لهم الى الصلاح وان الجواب لو صدر
منه اليهم لازدادوا فسادا وعنادا اذ كانوا في مسألتهم متعنتين لا مستفيدين وليس
ذلك بمنكر لانا نعلم في كثير من الاحوال ممن يسألنا عن الشيء ان العدول عن جوابه اولى
واصلح في تدبيره وقد قيل ان اليهود قالت لقريش سلوا محمدا عن الروح فان
اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذلك فامر الله تعالى
بالعدول عن ذلك ليكون علما له ودلالة عليه وعلى صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه
وهذا جواب ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي وثانيها ان القوم انما سألوا عن الروح
هل هي محدثة مخلوقة او ليست كذلك فاجابهم بانها من امر ربي وهو جوابهم
عما سألوا عنه بعينه لانه لا فرق بين ان يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله
انها من امر ربي لانه انما ارادوا بها قوام الجسد ام عيسى عليه السلم ام جبرئيل صلى الله
عليه وقد سمى الله تعالى جبرئيل روحا وعيسى ايضا سماه بذلك في القرآن وثالثها
انهم انما سألوا عن الروح الذي هو القرآن [illegible] الله تعالى القرآن روحا في
مواضع من الكتاب فاذا كان السؤال عن القرآن [illegible] وقع الجواب موقعه لانه قال
لهم ان الروح الذي هو القرآن من امر ربي ومما انزله على نبيه صلى الله عليه وآله وجعله
دلالة وعلما على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وهذا جواب
الحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك ثم لا تجد لك علينا وكيلا فكانه قال ان القرآن من امري ومن فعلي ومما انزلته
علما على نبوة رسول ولو شئت لرفعته وازلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله

فصل قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني في قوله تعالى والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون قال انما خص الموزون دون المكيل

بالذكر لوجهين احدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما
دخلت في باب الوزن وخرجت عن الكيل فكان الوزن اعم من الكيل والوجه الآخر ان في الوزن
معنى الكيل لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى
ثابت في الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول ابي مسلم وانما اراد
الله بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة
مضرة او داخلة في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون و
افعاله موزونة مقدرة وانما يريدوا ما اشرنا اليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر
الموازين في القرآن على احد التأويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب
قال الشاعر لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر الهراء
الكثير والنزر القليل فكانه قال ان حديثها لا يقصر عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى
ان يقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري وحديث الذه هو مما ينعت
الناعتون يوزن وزنا منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا وهذا
الوجه الذي ذكرناه اشبه [illegible] المذهب بمراد الله تعالى في الآية واليق بفصاحة
القرآن وبلاغة الموثقين بما [illegible] باب الفصحاء وبلغائهم فاما قول الشاعر الذي استشهدنا
بشعره وتلحن احيانا فلم يرد اللحن الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما اراد به الكناية
عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم
في لحن القول وقول الشاعر ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب
وقد قيل ان اللحن الذي عنى به في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعل احدكم ان يكون الحن بحجته اي افطن لها واغوص عليها
ومما يشهد لما ذكرناه ما اخبرنا به ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال
حدثنا احمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا اسمعيل البريدي قال
اخبرنا اسحق بن ابرهيم قال كلمت هند بنت اسماء بن خارجة الحجاج وهي عند

الحجاج فقالت لها لحنت وانت شريفة في قومك وفي بيت قيس قالت اما سمعت قول اخي
مالك لامراته الانصارية قال وما هو قالت قال **شعر** منطق صايب وتلحن احيانا
وخير الحديث ما كان لحنا. فقال الحجاج انما عني اخوك اللحن في القول اذا كنى المحدث
عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فاصلحي لسانك وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذه
الظنة وقال ان اللحن يستحسن في النساء الغرائر وليس يستحب منهن كل الصواب والتشبه
بفحول الرجال واستشهد بابيات مالك المقدم ذكرها وظن انه اراد باللحن ما يجانب الصواب
وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف
بعيون الاخبار ابيات الفزاري واعتذر بهما من لحن ان اصيب في كتابه **واخبرنا** ابو
عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني ابي قال
قلت للجاحظ مثلك في علمك بالادب ينشد قول الفزاري ويفسر على انه اراد اللحن في الاعراب
وانما اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح به فقال قد فطنت
لذلك بعد قلت فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه
على خطائه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن علي
بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد الازدي ان رجلا من بني
العنبر حصل اسيرا في بكر بن وائل فسالهم رسولا الى قومه فقالوا له لا
ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم
فجيء بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم اني لعاقل قال ما اراك عاقلا ثم اشار
بيده الى الليل فقال ما هذا قال هذا الليل قال اراك عاقلا ثم ملا كفه من الرمل
فقال كم هذا قال لا ادري وانه لكثير قال ايما اكثر النجوم ام النيران قال
كل كثير قال ابلغ قومي التحية وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النساء وامرهم
ان يعروا ناقتي الحمراء فقد اطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب باية ما اكلت
معكم حيسا واسالوا عن خبري اخي الحارث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا

لقد

لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد و
دعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال لقد انذركم اما قوله ادبى العرفج
يريد ان الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء اي
اتخذت الشكا للسفر وقوله الناقة الحمراء اي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا
الصمان وهو الجمل الاصهب وقوله اكلت معكم حيسا يريد اخلاطا
من الناس قد غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا
ما قال وعرفوا لحن كلامه **تاويل خبر** روى ابو عبيد القسم بن
سلام في كتاب غريب الحديث عن امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلم
انه قال من احبنا اهل البيت فليعد للفقر جلبابا او تجفافا قال
ابو عبيد وقد تاول بعض الناس هذا الخبر على انه اراد الفقر في الدنيا
قال وليس كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في ساير الناس من الغنى
والفقر فلا ميزة بينهما قال والصحيح انه اراد فقر يوم القيامة واخرج
الكلام مخرج الوعظ والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد
من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب الى
الله تعالى والزلفة عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
وجه الحديث خلاف ما قال ابو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى
الخبر ان من احبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع بها وليأخذ نفسه
بالكف عن احوال الدنيا واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف
او الجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب والتجفاف البدن قال
ويشهد لصحة هذا التاويل ما روي عنه عليه السلم انه راى قوما على
بابه فقال يا قنبر من هولاء فقال له قنبر هولاء شيعتك فقال ما لي
لا ارى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس

الشفاء من الضنا عمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان جميعا
حسنان وان كان الوجه الذي ذكره ابن قتيبة احسن واوضح ويمكن ان يكون
في الخبر وجه ثالث يشترك لصحته اللغة وهو ان احد وجوه معنى لفظة
الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه حبل
يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقرا اذا فعل ذلك به وبعير مفقور
وبه فقرة وكل شيء حززته فقد فقرته تفقيرا ومنه سميت الفاقرة وقيل
سيف مفقر فيحتمل القول على ان يكون عليه السلام اراد من احبنا اهل البيت
فليلزم نفسه وليحفظها وليقدها الى الطاعات وليصرفها عما تميل بطباعها اليه
من الشهوات وليذللها بالصبر على ما كره منها ومشقة ما يتحمل منها كما يفعل ذلك بالبعير
الصعب وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر وليس يجب ان يستبعد حمل الكلام على
ما يحتمله اذا كان له ظاهر من اللغة وكلام العرب لان الواجب على من يتعاطى
تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كلما يحتمل الكلام من وجوه المعاني ويجوز ان يكون
اراد المخاطب كل واحد منهما منفردا وليس عليه السلام العلم بمراده بعينه فان
مراده مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر احتمال وجوه الكلام **فصل**
قال الشريف الاجل المرتضى رحمه الله وممن كان من مشهوري الشعراء متقدمهم
على مذاهب اهل العدل ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحرث و
ذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله في وصف الوتد **شعر** اشعث باقي رمة
التقليد والرمة القطعة البالية من الحبل يقال حبل ارمام اذا كان ضعيفا
باليا وقيل انه انما لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام يتفزع فجاءت امه بمن كتب
له كتابا وعلقته عليه برمة حبل فسمي ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله
المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرني ابو عثمن الاشنانداني عن التوزي عن ابي عبيدة قال
اختصم ذو الرمة ورؤبة عند بلال بن ابي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص

سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدره فقال ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب ان ياكل
حلوبة عيايل ضرايك فقال رؤبة افبقدرته اكلها هذا كذب على الذئب فقال ذو الرمة الكذب
على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه
عليه وبصيرته فيه واما العيايل فهو جمع عيل وهو ذو العيال والضرايك جمع ضريك وهو
الفقير اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي عن ابي العيناء عن الاصمعي
عن اسحق بن سويد قال انشدني ذو الرمة وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب
ما يفعل الخمر فقلت له فعولين خبر يكون قال لو سبحت ربحت انما قلت وعينان فعولان وصفتهما
بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا
الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن خالد النحاس قال حدثنا محمد بن القسم ابو العينا
قال حدثنا الاصمعي قال لما انشد ذو الرمة قوله وعينان قال الله كونا فكانتا فعولين خبر كانتا قال
له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما فقل فعولان بالالباب فقال ذو الرمة ما ابالي قلت هذا ام سبحت
فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت لست جاهلا وممن روي انه كان
على مذاهب اهل العدل من شعراء الطبقة الاولى اعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله استأثر
الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا وممن قيل انه كان على مذهب الجبر من المشهورين
ايضا لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي
والعجل من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء اضل احمد الله فلا ند له
بيديه الخير ما شاء فعل قال وكان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان
فليس فيهما دلالة على ذلك اما قوله وباذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يريد بعلمه كما يتأول
عليه تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بعلمه كان قيل في هذه الآية انه اراد
بتخليته وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك في اللغة امكن مثله في قول لبيد فاما قوله
من هداه اهتدى ومن شاء اضل فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التي تتأول عليها
الضلال والهدى المذكورين في القران مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار الهم

الا ان يكون مذهب لبيد معروفا في الايجاد بغير هذه الابيات فلانا ولهذا التأويل
ولا يحتمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه **مسألة** اعلموا ان اصحابنا لما
استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله تعالى بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية
البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية له في
وقت من الاوقات نقص وذم قال لهم مخالفوهم كيف تمدح بانه لا يرى وقد
شاركه في الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم
لم يتمدح بنفي الرؤية فقط انما تمدح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدح بمجموع الامرين
وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات على ضروب فمنها
ما لا يرى ولا يرى كالاعتقادات والارادات ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما
يرى ويرى كالانسان وضروب الحيوان وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبت التمدح لله تعالى بمقتضى
الآية فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان يكون صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم
يصير مقتضيا مع غيرها ولان جاز هذا ليجوزن ان يمدح ممتدح بانه شيء عالم وموجود
وقادر فاذا كان لا مدح في وصف الذات بانها شيء وموجود وان انضمت الى صفة
مدح من حيث كانت بانفراده لا تقتضي مدحا فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عمن تثبت
له من كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا
ليس يمتنع في الصفتين ان يكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت
الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم وان نفي السنة والنوم
ههنا انما يكون مدحا اذا انضم الى ما هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا
لمشاركة ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود وبين ما ذكروا
من حيث لا تأثير لها بين الصفتين في المدح واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ما يكاد
يفتقر الى شرط وكونها مدحا وصفات النفي اذا كان مدحا فلا بد فيها من شرط وانما افترق الامران

من حيث

من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا
الا ترى ان ما ليس بحي من الذوات وليس بموجود اكثر مما يثبت له العلم والوجود فيهما
لان الاول لا يكون الا غير متناه والثاني لا بد ان يكون متناهيا فلما شملت صفات النفي
الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها وانها اذا اعتبرت بشرط بصفات النفي
حتى يكون مدحا ان يكون ايضا اثباتا وجاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا له لانه
ان كان نفيا لم يتخصص وساوى فيه الممدوح وما ليس بممدوح مثال ذلك انا اذا مدحنا
غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدع داع الى الظلم لم يحصل المدحة لانه
قد شاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات
وهو ان يقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صحت هذه
الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة في الآية انما تتعلق في نفي الادراك عن القديم تعالى لكن
بشرط ان يكون مدركا ويجعل كل واحد من الصفتين يقتضي المدح مجتمعا مع الآخر لان كل واحدة لا
يقتضيه على سبيل الانفراد وليس يمكن ان يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى
واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى انما كان
مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا الحيض في هذا الموضع اولى واحسن الشبهة مما
تقدم ذكره **مجلس ثالث** ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى
عليه السلم فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع آخر وان الق عصاك فلما رآها
تهتز ولى مدبرا ولم يعقب والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيات — كأنها جان
فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان يكون العصا في حالة واحدة
بصفة اعظم خلقة من الحيات وبصفة اصغر منها وباي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام
والجواب اول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل
بل الحالتان مختلفتان فالحال التي اخبر عن العصا فيها بذكر الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى
الى فرعون والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة

تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسالة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب
عن هذا السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز
ان تنقلب في حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل الاستظهار في
الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه احسن مما تكلفوا
الجواب لاجله لان الاولين لا يكونا الا عن غلط او غفلة وذكروا وجهين يزول بكل واحد منهما
الشبهة في تاويلهما احدهما انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى الآيتين لعظم خلقها وكبر
جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها
مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقته نشاط الجان وسرعة حركته وهذا ابهر في باب الاعجاز وابلغ
في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين وليس يجب اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته
ولا اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان وقد قال الله تعالى
ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة ولم يرد ان الفضة
قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها
مع انها ليست من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض الصفات جوهرهم فيشبهون
المراة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم ان في الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في
النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة من وجه دون آخر والجواب الثاني انه تعالى لم
يرد بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما اراد احد الجن فكانه تعالى اخبر بان العصا صارت
ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها
ولهذا قال الله تعالى فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ويمكن ان يكون في
الآية تاويل آخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما
بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي يتوهم زايل على كل وجه وسببه هو ان يكون
العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان على صورته ثم صارت بصفة الثعبان على
تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الآيتان على هذا التاويل ولا تختلف احكامهما ويكون

الآية

الآية الاولى التي تتضمن الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا ويكون الآية الثانية تتضمن
ذكر الحال التي ولى موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت
بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكر
مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا
فصل قلنا ليس يفيد الآية ما ظن وانما فايدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي
صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجري هذا
مجرى قولهم ركب زيد من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من اعلا الحايط فاذا هو في
الارض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصر اليها الا على
تدريج وكذلك الهابط من الحايط وانما فايدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه
لم يطل ولم يمتد ولقد قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
مبين وبين كونه نطفة وبين كونه خصيما زمان ممتد **تاويل آية اخرى** قال الله تعالى واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الآيتين وقد ظن بعض قالوا بلى
من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان تاويل هذه الآية ان الله تعالى استخرج من ظهر آدم
جميع ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته واشهدهم على انفسهم وهذا التاويل
مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لان الله تعالى قال واذ
اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره ذريتهم ولم يقل
ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا من ذلك غافلين ويعتذروا باشراك آبائهم
وانهم نشوا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضي ان الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه وانها انما تناولت
من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية ولد آدم فهذه شهادة الظاهر
ببطلان تاويلهم فاما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم
عليه السلام فخوطبت وقررت من ان تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف او لا تكون
كذلك فان كانت بالصفة الاولى وجب ان يذكر هولاء بعد خلقهم وانشائهم واكمال عقولهم

ماكانوا عليه في تلك الحال وما مرّ وراوه واستشهدوا عليه لان العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى
وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان يتصرف احدنا في بلد من البلدان وهو
عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وساير احواله وليس ايضا لتخلل الموت
بين الحالين تاثير لانه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون و
الاغماء بين احوال العقلاء يزيل الذكر لما مضى من احوالهم لان ساير ما عددناه مما ينفي
العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز في العاقل الكامل
ان ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انا انما اوجبنا ذكر العقلاء
لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا بصفة الاطفال
في تلك الاحوال لما اوجبناه على انه يجوز النسيان عليهم ينقض الغرض في الاية وذلك ان الله
تعالى اخبر انه انما قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجة عليهم
معه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة عليهم وزوالها وان كانوا على الصفة
الثانية من فقد العقل وشرايط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك
عبثا قبيحا تعالى الله عنه فان قيل قد ابطلتم تاويل مخالفيكم فما تاويلها الصحيح عندكم قلنا
في الاية وجهان احدهما ان يكون تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية ادم خلقهم وبلغهم
واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلم بمعرفته وما يجب من طاعته فاقروا بذلك
واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك
اباىٔهم وانما اتي من اشتبه عليه تاويل الاية من حيث ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لا
يكون عاقلا وليس الامر كما ظن لانا نسمي جميع البشر بانهم ذرية ادم وان دخل فيهم العقلاء
الكاملون وقد قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من اباىٔهم
وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان عاقلا كاملا فان استبعدوا تاويلنا
وحملنا الاية على البالغين المكلفين فهذا الجواب يحجهم والجواب الثاني انه تعالى لما خلقهم
وركبهم تركيبا يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والايات و

لم يوجب عليهم م

الدلائل في انفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره
فيهم على الوجه الذي اراده تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف
وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ثم استوى الى السماء
وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وان لم يكن منه تعالى قول على
ملك محمد بن صادق الحسيني ... في ذي القعدة ١٣٣٣
الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا
بانفسهم بالكفر وانما ذلك لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل
هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك وما روي عن بعض الحكماء والخطباء من قوله
سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا
وهذا باب كبير وله نظاير كثيرة في النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها
تاويل خبر قال ابو عبيد القسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى الله عليه واله ليس منا من لم
يتغن بالقران قال انه اذ يستغني به واحتج بقولهم تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا واستشهد
لاعشى وكنت امرا زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغن وقول الاخر كلانا غني عن اخيه
حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا واحتج ايضا بقول ابن مسعود من قرا سورة ال عمران فهو
غني اي مستغن وبالحديث الاخر نعم كنز الصعلوك سورة ال عمران يقوم بها في اخر الليل
فالصعلوك الفقير واحتج بحديث اخر يروى عن النبي صلى الله عليه واله وهو انه قال لا ينبغي لحامل
القران ان يظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي لانه لو ملك الدنيا باسرها لكان القران افضل
مما ملكه واحتج ايضا بخبر يرفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد في بيته فاذا مثال رث
ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه واله ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال ابو عبيد فذكره
المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان التغني بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال و
المثال هو الفراش قال الشاعر بكل طويل الساعدين كانما يرى بسرى الليل المثال الممهد يعني
الفراش قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقران
فليس منه عليه السلم وذكر عن غير ابي عبيد جواب اخر وهو انه عليه السلم اراد من لم يحسن صوته

التغني بالقران

بالقرآن ويرجع فيه واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال اتيت
سعدًا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك
حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان هذا القرآن نزل
بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا فقوله
فابكوا او تباكوا دليل على ان التغني والترجيع وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتغني
انه قال لا يأذن الله لشيء من اهل الارض الا لاصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقرآن
معنى قوله يأذن يستمع يقال اذنت للشيء اذن اذنا اذا استمعت له قال الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا قال عدي بن زيد
العبادي ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن والاذن هو السماع
وانما حسن تكرير المعنى اختلاف اللفظ وللعرب في هذا المعنى مذهب معروف ومثله و
هذا اي من دونها النأي والبعد فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلاث دد
على مثال دم وددا على مثال قفا وددن على مثال حزن ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله و سلم
ما انا من دد ولا الدد مني فان قيل فكيف يحمل قوله لا يأذن الله لشيء كاذنه لكذا
وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع فاي معنى للاختصاص قلنا ليس المراد
بالسماع ههنا مجرد الادراك وانما اراد به القبول وكانه عليه السلم قال ان الله تعالى
لا يتقبل او يثيب على شيء من اهل الارض تقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا
الكلام هل سمعه وخاطبت فلانا الامير فلم يسمعه وانما يريد نفي القبول لا الادراك
والبيت الذي انشدناه يشهد بذلك لانه قال وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ونحن
نعلم انهم يسمعون الذكر بالخير والشر معا من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد
ذكر ابو بكر محمد بن القسم الانباري وجها ثالثا في الخبر قال اراد عليه السلم من لم يتلذذ
بالقرآن ويستحليه ويستعذب تلاوته كاستحلاء ارباب الطرب للغناء والتذاذهم
وسمى ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغني بالغناء وذكر ان ذلك نظير

قولهم

قولهم العمائم تيجان العرب والحبى حيطان العرب والشمس حمامات العرب وانشد بيت النابغة
بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغني فشبه صوتها لما الطرب اطربها الغنا
بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك القول في الحبى والشمس
وجواب ابي عبيد احسن الاجوبة واسلمها وجواب ابي بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا
في المشتهيات وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من
الاعمال الشاقة فكيف يكون ملتذا مشتهيا فان عاد الى ان يقول قد يستحلى التلاوة
من الصوت الحسن قلنا هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عنه
نفسك عما يخالفه ويمكن ان يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو ان يكون قوله عليه السلم
يتغن من غني الرجل بالمكان اذا اطال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى
كان لم يغنوا فيها اي لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة
في ظل ملك ثابت الاوتاد وقول الاعشى الذي انشده ابو عبيد وهو كنت امرأ زمنا
بالعراق عفيف المناخ طويل التغن بطول المقام اشبه منه بالاستغناء لان
المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى اراد اني كنت
ملازما للوطن ومقيما بين اهلي لا اسافر للانتجاع والطلب ويجري هذا مجرى قول
حسان بن ثابت الانصاري اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم واوطانهم
فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يتجاوزه الى غيره ولا يتعداه
الى سواه ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا فان قيل ليس يتعدى القرآن الى السنة و
الاجماع وسائر ادلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه قلنا ليس في ذلك تعد للقرآن
لان القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شيء
من الاحكام لا يكون متجاوزا للقرآن فاما قوله عليه السلم ليس منا فقد قيل انه لا يكون على اخلاقنا
واستشهد ببيت النابغة اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني وقيل

انما اراد ليس على ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا الذي اخترناه وهو بعد ذلك بجواب ابي عبيد
اليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي عليه السلام وملته من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع
فيه او من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها مسئلة اعلم ان اصحابنا قد اعتمدوا في ابطال
ما ظنه اصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة على وجوه معروفة لانهم
بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم الى
اقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة في جهة المرئي طلبا لرؤيته ومنها النظر الذي هو الانتظار
ومنها النظر الذي هو التعطف والرحمة ومنها النظر هو الفكر والتأمل وقالوا اذا
لم يكن في اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعا الى طلب
تاويل الاية من غير جهة الرؤية وتاولها بعضهم على الانتظار للثواب وان كان المنتظر
في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة العرب معروفة وسلم بعضهم ان النظر
يكون الرؤية بالبصر وحمل الاية على رؤية اهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي
في الحقيقة وهذا كلام مشروح في موضعه بينا ما يرد عليه وما يجاب به عن الشبه المعترضة فيه
في مواضع كثيرة وههنا وجه غريب في الاية حكي عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده
الى العدول عن الظاهر او الى تقدير محذوف ولا يحتاج الى منازعتهم في ان النظر يحتمل الرؤية
او لا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الاية هو الانتظار او بالقلب او الرؤية بالعين
وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها على انه اراد نعمة ربها لان الآلاء النعم وفي واحدها اربع
لغات الى مثل قفا والى مثل رمى والى مثل معا والى مثل حسى قال الاعشى بكر بن وائل ابيض
لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الى اراد لا يخون نعمة فاراد الى ربها نعمة ربها
واسقط التنوين للاضافة فان قيل اي فرق بين هذا الوجه وبين تاويل من حمل الاية على انه اراد بها
الى ثواب ربها ناظرة بمعنى رائية لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه
اذا جعل الى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف لانه اذا جعل الى حرفا وفي
الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان فيه الى اسم يتعلق به الرؤية فلا يحتاج الى

تقدير غيره مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن تاويل قوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا
باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان
انما كان لهم فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن هنا على الارادة اقتضى ان
من لم يقع منه الايمان لم يرده الله تعالى منه وهذا ايضا بخلاف مذهبكم ثم جعل الرجس
الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقدا عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق
العذاب وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اكثر اهل الجنة البله
الجواب يقال له في قوله تعالى الا باذن الله وجوه منها ان يكون الاذن الامر ويكون
معنى الكلام ان الايمان لا يقع من احد الا بعد ان يأذن الله فيه ويامر به ولا يكون معناه
ما ظنه السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى قوله لنفس ههنا في هذه الاية هو ما ذكرناه وان
كان لا اشتباه في الاية التي فيها ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن العلم ومنها ان يكون الاذن
هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في ان الله تعالى موفق لفعل الايمان ويلطف فيه
ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم اذنت لكذا وكذا اذا سمعته
وعلمته واذنت فلانا بكذا وكذا اذا اعلمته فيكون فائدة الاية الاخبار عن علمه تعالى بسائر
الكائنات وانه ممن لا يخفى عليه الخفيات وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن
بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم ان الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد
بقول الشاعر ان همي في سماع واذن وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو
المصدر والاذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في انه مصدر والحذر هو الاسم بالتسكين
على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مثل ومثل وشبه وشبه
ونظائر ذلك كثيرة ومنها ان يكون الاذن العلم ومعناه اعلام الله تعالى المكلفين بفضل
الايمان وما يدعو الى فعله فيكون معنى الاية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله تعالى
لها ما يبعثها على الايمان ويدعوها الى فعله فاما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ

باطل لأن الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة ولو احتملها أيضاً لوجب ما توهمه لأنه إذا قال إن
الإيمان لا يقع إلا وأنا له مريد لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلالته
شيء من ذلك وأما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون لم يعن به الناقصي العقول
وإنما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف
بنبوة رسله عليهم السلام والانقياد إلى طاعتهم ووصفهم بأنهم لا يعقلون شيئاً كما قال تعالى
صم بكم عمي وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأمور ولم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون و
العقل فأما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل إنه صلى الله عليه وآله لم يرد بالبله
ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلهاً عن ذلك
من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله
بالأبله ظاهر فإن الأبله عن الشيء هو الذي لا يعرفه ولا يقصد إليه فإن كان المتنزه عن الشيء
معرضاً عنه جارياً مجرى الغافل جاز أن يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا
التأويل قول الشاعر ولقد لهوت بطفلة ميادة بلهاء تطلعني على أسرارها أراد أنها بلهاء
عن الشر والخنا وإن كانت فطنة لغيرها قال أبو النجم العجلي من كل عجزاء سقوط البرقع بلهاء لم
تحفظ ولم تضيع أراد بالبلهاء ما ذكرناه وأما قوله سقوط البرقع فأراد أنها تبرز وجهها
ولا تستره ثقة بحسنها وإدلالاً بجمالها وقوله لم تحفظ أراد أن استقامة طرائقها تغني عن حفظها
وأنها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدد وموقف وقوله ولم تضيع أراد أنها لم تهمل
في أغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشعث ومثل سقوط البرقع قول الشاعر فلما تواقفنا و
سلمت أقبلت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا ومثله يباشرن من نعمان وعنبر الطاد
من الحسن الرداء المحبر أي رمت برقعها ثقة بالجمال والكمال ومثله وهو مليح لهونا بنجل
البراقع حقبة فما بال دهر لزنا بالوصاوص أراد بنجل البراقع اللواتي توسع عيون
براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال فما بال دهر أحوجنا فنظرنا إلى
القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار في البرقع ومما

يحمد

يحمد المعنى الأول الذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة **شعر** أهلن
وما لي من إذا عرضوا له ∴ ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب ∴ ولم يعتذر عذر البري
ولم تزل ∴ به صعقة حتى يقال مريب **ومثله لآخر** يكبين النجوج في كبة المشتا وبله
أحلامهن وسام **ومثله** أحب اللواتي في صباهن غرة وفيهن عن أزواجهن طماح ح
مسرات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح أما قوله يكبين فمأخوذ
من لفظ الكبا وهو العود أراد يتبخرن به والنجوج هو العود أيضاً وفيه ست لغات
يلنجوج وألنجوج ويلنجج وألنجج ويلنج والنجج فأما كبة المشتا فهو صعقه وشدته ومنه قوله
تعالى لقد خلقنا الإنسان في كبد ويروى في كبة المشتا والمعنى متقارب لأن الكبد هي
الصدمة والحملة مأخوذة من كبة الخيل فأما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهو
الحسن ويمكن أن يكون في البله جواب آخر وهو أن يحمل على معنى البله الذي هو الغفلة و
النقصان في الحقيقة ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلهاء في الدنيا
نعتقد أن الله تعالى ينعم الأطفال في الجنة والمجانين والبهائم وإنما لم يجعلهم بلهاء في
الجنة لأنه كان ما يصل إليهم من النعم على سبيل العوض أو التفضل لا يفتقر إلى كمال العقل لأن
الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا دخلوا الجنة لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات و
أكملها فلهذا صرفنا عنهم البله في الجنة ورددناه إلى أحوال الدنيا وإلا فالعقل لا يمنع من
ذلك كمنعه إياه في دار الثواب والعقاب **تأويل آية أخرى** قال الله مخبراً عن يوم
القيامة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم
يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه وقال في موضع آخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم وفي
موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف لأن
بعضها ينبئ عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبئ عن
خلافه وقال قوم من المفسرين في تأويل هذه الآيات إن يوم القيامة يوم طويل ممتد وقد يجوز أن
يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر وهذا الجواب يضعف لأن الإشارة في قوله

الغيبة بطوله فكيف يجوز ان تجعل الحالات مختلفة وعلى هذا التاويل يجب ان يكون قوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والنطق بخلاف ذلك والجواب السديد عن هذا
ان يقال انما اراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون
لهم في مثله عذر او حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجري هذا
مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئا وان كان
الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفي عنه القول قد تكلم بكلام كثير الا انه
من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز اطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثل
هذا قول الشاعر اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر ويصم عما
كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر وقول الآخر لقد طال كتمانيك حتى كانني برد
جواب السائلي عنك اعجم وعلى هذا التاويل قد زال الاختلاف لان السؤال والكلام
لا حجة فيه فاما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل انهم غير مأمورين بالا عذار
فكيف يعتذرون ويحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث ان تلك الحال لا
تكليف فيها والعباد ملجؤون عند مشاهدة اهوالها الى الاعتراف والاقرار واحسن من
هذا التاويل ان يحمل يؤذن لهم على معنى انه لا يسمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في اسقاط
قبول عذرهم هي التي ذكرناها تاويل خبر روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقد ذكر في تاويل هذا الخبر ان المراد لا تسبوا الدهر
فان الدهر لا فعل له وان الله هو مصرفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر
وقال هو الدهر وفي هذا الخبر وجه احسن من الذي ذكرناه وهو ان الملحدين ومن نفى
الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من افعال الله تعالى كالمرض والعافية و
الجدب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون
الدهر ويسبونه في كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا انه الفاعل بهم هذه الافعال فنهاهم
النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون

انه هو الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لهذه الافعال وانما قال الله تعالى انه هو الدهر
من حيث نسبوا الى الدهر افعال الله وقد حكى الله عنهم قولهم ما هي الا حياتنا
الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقال لبيد في قوم سادة من قومه •
نظر الدهر اليهم فابتهل • اي دعا عليهم وقال ابن قميئة رفيق امرئ القيس كأني
وقد جاوزت تسعين حجة • خلعت بها عني عذار لجامي • على الراحتين مرة وعلى العصا
انوء ثلاثا بعدهن قيامي • رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى • فكيف بمن يرمى
وليس براي • فلو انها نبل اذا لاتقيتها • ولكنني ارمى بغير سهام • وافنى وما افنى من
الدهر ليلة • ولم يغن ما افنيت سلك نظام • واهلكني تأميل يوم وليلة • وتأميل
عام بعد ذاك وعام • اذا ما رآني الناس قالوا الم تكن • حديثا جديد الطرف غير تمام
وقال الاصمعي ذم اعرابي رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وانشد الفراء حنتني
حانيات الدهر حتى كاني خاتل ادنو لصيد قصير الخطو يحسب من رآني ولست
مقيدا انني بقيد وقال كثير وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها
الزمان فشلت ولآخر فاسات الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما ارمي
يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم وسلبتنا ما لست تعقبنا يا دهر ما
انصفت في الحكم اما قوله ووقرت في العظم فانما اراد اتخذت فيه وقرا والوقرة والوقر
هي الحفيرة العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها الماء المطر والوقب ايضا كذلك والوقبة
هي الحفيرة الا انها دون الاوليين في الكبر وكل هؤلاء الذين روينا اشعارهم كانوا ينسبون افعال
الله تعالى التي لا يشاركه فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التاويل الذي ذكرناه مسئلة
اعلم ان المنافع التي عرض الله تعالى لها الاحياء ثلاث منفعة تفضل ومنفعة ثواب و
منفعة عوض فاما المنفعة على سبيل التفضل فهي التي ابتدا بها من غير سبب استحقاق
ولفاعلها ان يفعلها وان لا يفعلها واما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير
مقارنة لشيء من التعظيم والتبجيل فاما المنفعة التي هي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل

التفضل

فمنفعة العوض يتبين من الاستحقاق والثواب يتبين من العوض بالتعظيم والتبجيل
المصاحبين له فكان التفضل اصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه
وتأخر ما عداه لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشيء دون ان يكون حيا
له شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح انه لا سبيل الى
النفع بمنفعة العوض والثواب الا بعد تقدم التفضل واما المنفعة بالثواب
فهي الاصل للمنفعة بالعوض لان الالام وما جرى مجرى الالام مما يستحق به العوض
متى لم يكن فيها اعتبار يفضي الى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى
عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله تعالى لو لم يكلف احدا من المكلفين
ما كان يحسن منه ان يبتدي بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم
من عرض لواجبه والمكلف المعرض للثواب لا بد ان يكون منتفعا بالتفضل من الوجه
الذي قلنا لانه اذا خلق حيا وخلق له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكن قد
ينتفع بالتفضل وليس يجب فيه في هذه حاله ان يكون منتفعا بالعوض لانه لا يمتنع ان
يخلو المكلف مما من الم يبتديه الله به فلا يكون معرضا للعوض فمتى عرض له صح تكاملت
في المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضه لا شيء من المنافع ويجوز تكامل
له واما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على احدى المنافع وهي التفضل من حيث خلق
حيا ومكن من كثير من المنافع ومشكوك في تعريضه للعوض من الوجه الذي قلنا وكنا
قطعنا على احدى المنافع فيمن قاطعون ايضا على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما
يوصل اليه وهو التكليف ولا يدخل في كل حي محدث ان يكون معرضا لاحدى هذه المنافع
او لجميعها واما ايجاب ذلك من جهة حكمة الله تعالى لا من جهة انه يحسن في نفسه وانما
قلنا ليس يحسن في نفسه لان كونه حيا عاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة وانما
يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للنفع فاما اذا فعل تعريضا للضرر او لا لوجه من الوجوه
فانه لا يكون نعمة ولا منفعة واجبا من جهة حكمة القديم تعالى لانه اذا خلق الحي فعله الصفات

فلا يخلو من ان يكون اراد بها نفعا او ضررا او لم يرد شيئا فان كان اراد نفعا فهو الذي اوجبناه وان كان
الثاني والثالث فالقديم منزه والقديم تعالى منزه عنهما لان احدهما يجري مجرى الظلم والاخر
هو العبث بعينه وقد يشارك القديم في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون
ولا يصح ان يشاركوه في النفع بالثواب لان الصفة التي يستحق عليها الثواب هي كون الفعل
شاقا عليه لا يكون الا من قبله تعالى وليس لاحد ان يظن فيمن يهدي الى الدين ويرشد الى
الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب وذلك لان المكلف قد يكون معرضا للثواب
ويصح ان يستحقه من دون كل هداية وارشاد تقع معه ولولا الصفة التي جعلها الله تعالى عليها
لم يصح ان يستحقه فان التفضل من الامرين على ان احدنا وان نفع غيره بالتفضل وبالعوض
للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله تعالى ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم
تكن هذه منافع ونعما الا ترى انه لو لم يخلق الحيوة والشهوة لم يكن ما يوصل اليه مما ذكرناه
منفعة لا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذ لم يكن لنا سبيل الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة
ما قصدناه **مجلس آخر تأويل آية** ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى مخبرا
عن هلاك قوم فرعون وتوريثه نعمهم كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين فقال كيف يجوز ان يضيف البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما
الجواب قيل في هذه الآية وجوه اربعة من التأويل اولها انه تعالى اراد اهل السماء واهل
الارض فحذف كما حذف في قوله تعالى واسأل القرية وفي قوله حتى تضع الحرب اوزارها واراد
اهل القرية واهل الحرب ويجري مجرى قولهم السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال الحطيئة
وشر المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره اراد وشر المنايا منية ميت وقال
الآخر قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور وقال ذو الرمة لهم مجلس صهب السبال
اذلة سواسية احرارها وعبيدها اراد اهل المجلس فاما قوله صهب السبال وانما اراد الاعداء
والعرب تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الاسبلة وقوله سواسية يريد انهم مستوون
متشابهون ولا يقع هذا الا في الذم وثانيها انه تعالى اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر

وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت عن عظم المصائب والهالك قالت كسفت الشمس لفقده واظلم القمر
وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره قال
اخبرنا عمر بن عبد العزيز الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا قال
يزيد بن مفرغ الحميري الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة وهذا صنيعهم في كل
خطب وعظم موقعه فيصفون النهار بالاظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس و
ضوءها قال النابغة تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام لطرفة
ان تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر ومن هذا قولهم لاريناك الكواكب بالنهار
اي اورد عليك ما تظلم له في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير فقد قيل في انتصاب
النجوم والقمر وجوه ثلثة احدها اراد ان الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل
والقمر لان عظم الرزء قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب والوجه الثاني ان يكون
انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر وطول المسند وما جرى مجرى ذلك كانه
اخبر ان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر ونجوم الليل باكين
على هذا المفقود فكسبهن اي غلبتهن بالبكاء كما تقول باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته اي
غلبته وفضلت عليه وثانيها ان يكون معنى الآية الاخبار عن عظم انه لا احد اخذ بثاره ولا
انتصر لهم لان العرب كانت لا تبكي على قتيل الا بعد الاخذ بثاره وقتل من كان بواءه من عشيرة القاتل
فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن
ورابعها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا
التاويل ما روي عن ابن عباس رحمة الله عليه في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قيل له
ايبكيان على احد فقال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروي عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا
مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده قال ابن
مقبل لعمر ابيك لقد شاقني مكان حزنت له او حزن وقال مزاحم العقيلي بكت دارهم من

اجلهم

اجلهم فهللت دموعي فاي الجازعين الوم امستعبرا يبكي من الهول والبلى وآخر يبكي
شجوه ويهيم فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين اخبر الله تعالى عن مواريثهم مقام صالح في
الارض ولا عمل كريم يرفع الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن
في الآية وجه خامس وهو ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه
المطر بالبكاء ويكون معنى الآية ان السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب
العرب المعروف في ذلك لانهم كانوا يستسقون السحائب لقبور من فقدوا من اعزائهم
ويستنبتون لمواضع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة ولا زال قبر بين بصرى وجاسم
عليه من الوسمي طل ووابل فينبت حوذانا وعوفا منورا سأتبعه من خير ما قال قائل وكانوا
يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسألة الله تعالى لهم الرضوان والفعل الذي
اضيف الى السماء والارض وان كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض
على السماء بان يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل ذلك قال الشاعر
يا ليت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد
لا يجوز فيه لكنه اراد وحاملا رمحا ومثل هذا يقدر في الآية فكانه تعالى اراد ان
السماء لم تسق قبورهم وان الارض لم تعشب عليهم وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه
تأويل خبر روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان
قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي وصفه عليه السلام الله تعالى بالملل
وجوه اربعة اولها انه اراد نفي الملل عنه وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد
كما قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال الشاعر فانك سوف تحكم
او تباهي اذا ما شبت او شاب الغراب اراد انك لا تحكم ابدا فان قيل فمن اين قلتم
ان ما علقه لا يقع حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التأبيد قلنا معلوم ان الملل لا
يشمل البشر في جميع اراداتهم واوطارهم وانهم لا يعرون من حرص ورغبة وامل وطمع فلهذا جاز
ان يعلق ما علم عليه السلام انه لا يكون بمللهم والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم

ويبطئكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين ملالاً وان
لم يكونا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض
الوجوه قال عدي بن زيد العبادي ثم اضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال
وقال عبيد بن الابرص مقامل باحرين ام قطام اذا اظلت به الشمس الذوابل تلعب فنسب
اللعب الى الدهر والقنا تشبيهاً قال ذو الرمة وابيض موشي القميص نصبته على خصر مقلاة
سفيه جديلها فسمى اضطراب زمامها وتنزعه عن يده سفهاً لان السفه في الاصل هو الخفة لطيش
وسرعة الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط واما قوله وابيض موشي القميص
فانما عنى به سيفه وقميصه جفنه والمقلات الناقة التي لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان
يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله ففعلهم ملل على الحقيقة
وسمى فعله تعالى ملالاً وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة وان
اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء
سيئة سيئة ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي الا لا يجهلن احد علينا فنجهل
فوق جهل الجاهلينا وانما اراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفتخر بالجهل ولا يتمدح به
والوجه الرابع ان يكون الراوي وهم وغلط من الفتح والضم وان يكون قوله يمل بالضم لا بالفتح على
هذا يكون له معنيان احدهما انه لا يعاقبكم بالملة حتى تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان
الملة هي مستوى الخبز تقول مل الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها في الملة وقيل ان الخبز لا يقال
له مل حتى يخالطه رماد والمعنى الثاني ان يكون اراد انه لا يسرع الى عقابكم بل يحلم عنكم ويتأنى بكم
حتى تملوا طاعته وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم وتتابعكم المآثم وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت
احداً على شيء من الشعر قال لم احسد على شيء منه الا ليلى الاخيلية في قولها ومخرق عنه القميص تخاله
وسط البيوت من الحياء سقيما حتى اذا برز اللواء رايته تحت اللواء على الخميس زعيما لا يغرمن الدهر
آل مطرف لا ظالماً ابداً ولا مظلوما قال على اني قلت وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة
من جذبها بالعصائب سروا يخبطون الريح وهي تلفهم الى شعب الاكوار من كل جانب اذا

ابصروا ناراً يقولون ليتها وقد خصرت ايديهم نار غالب وليس ابيات الفرزدق مع حسنها بمثل ابيات ليلى
بل بينهما في جزل الالفاظ واتساقها الا ان ابيات ليلى اطبع وانصع وقد كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على
الشعر والاستكثار لقليله والافراط في استحسان مستحسنه وقد روي ان الكميت بن زيد الاسدي
لما عرض على الفرزدق ابياتاً من قصيدته التي اولها اتصرم الحبل حبل البيض ام تصل وكيف و الشيب
في فوديك يشتعل لما عبأت لقوس المجد اسهمها حيث الجدود على الاحساب تنتضل احرزت من
عشرها تسعاً وواحدة فلا العمى لك من كعبهم ولا الشلل اشعر ذلك الا انها امرأة والبدر
اذاك الا انه رجل حسدك الفرزدق وقال انما انت خطيب وانما سلم له الخطابة ليخرجه عن اسلوب
الشعر وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه بجيده من اول دليل على حسن معرفته وقوة بصيرته
وانه كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويتعجب منه فضل عجب ويدل ايضاً على انصافه فيه وانه
يستقل الكثير الصادر من جهته فان كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الاعجاب والاستحسان
لما يظهر منهم في شعر او فضل الى ان يعموا من محاسن غيرهم فيستقلوا منه الكثير ويستصغروا
الكبير والابيات للفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا
ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال اخبرنا ابو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك
ومعه نصيب الشاعر فقال له سليمان انشدني فانشده الابيات التي تقدم ذكرها فاسود وجه سليمان
وغاظه فعله وكان ظن انه ينشده مديحاً له فلما راى نصيب ذلك قال الا انشدك فانشده اقول
لركب قافلين لقيتهم قفا ذات اوشال ومولاك قارب قفوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه
من اهل ودان طالب فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
فقال سليمان انت اشعر اهل جلدتك وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال في نصيب لما
سأله عنه سليمان وروي انه لما انشد نصيب فقال له سليمان احسنت ووصله ولم يصل
الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول وخير الشعر اشرفه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد
ولا شبهة ان ابيات الفرزدق وجاءت في غيرها متقدمة في الجزالة والرصانة على ابيات نصيب و
ان كان نصيب قد غرب وابدع في قوله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب الا ان ابيات نصيب وقف

موقعها وردت في حال يليق بها وابيات الفرزدق جاءت في غير موقعها وعلى غير وجهها فلهذا قدمت ابيات
نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الذروة العليا والغاية القصوى شريف الآباء
كريم القبيلة ولابائه مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد والفرزدق لقب لقب به ولم يكن باسمه والغالب
بذلك لجهامته وغلظه لان الفرزدق هي القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التي
تجففها النساء للفتوت واسمه همام بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل انه كان يكنى في شبابه بابي مكية
وهي اغرب كنية وكان متشيعا مائلا الى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق
وراجع طريقة الدين على انه لم يكن في خلال فسقه منسلخا من الدين ولا مهملا لامره اصلا ويشهد
بذلك ما اخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عن ابي حفص العلاس عن عبد الله
بن سوار عن معوية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت احادثه فسمعت صوت
حديد يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو مقيد الرجلين فسالته عن السبب في ذلك فقال اني آليت على نفسي
الا انزع القيد من رجلي حتى احفظ القرآن واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال اخبرنا ابو ذر
القراطيسي قال حدثنا ابن ابي الدنيا قال حدثني ابو يحيى عن الاصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق
علام تقذف المحصنات فقال والله لله احب الي من عيني هاتين افتراه يعذبني بعدها وروي انه
تعلق باستار الكعبة وعاهد الله تعالى على ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما وقال الم ترني عاهدت
ربي وانني لبين رتاج قائما ومقام على حلفة لا اشتم الدهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام
اطعتك يا ابليس تسعين حجة فلما انقضى عمري وتم تمامي فزعت الى ربي وايقنت انني ملاق لايام الحتوف
حمامي وروى الصولي عن الحسين بن العباس عن ادريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله
وسعتها فكان اوثقنا بالله فقال له رجل الك هذا الرجاء والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل
ما تفعل فقال اتروني لو اذنبت الى ابوي اكانا يقذفاني في تنور وتطيب انفسهما بذلك قلنا لا بل كانا
يرحمانك قال فانا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن محمد
بن سليمان الطفاوي قال حدثني ابي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امراة الفرزدق
وكان الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وكان عند القبر يا ابا فراس ما اعددت لهذا المضجع قال شهادة

ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت
ثم قال الفرزدق في الحال اخاف وراء القبر ان لم يعافني اشد من القبر التهابا واضيقا اذا جاءني
يوم القيمة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار مغلول القلادة
ازرقا يقاد الى نار الجحيم مسربلا سرابيل قطران لباسا محرقا قال فرايت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم
قال حسبك ويروى ان رجلا راى الفرزدق بعد موته في منامه فقال له ما فعل بك ربك قال عفى عني بتلك
الابيات فاما ما يدل على تشيعه وميله الى بني هاشم ما اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود
العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا ابو الوليد قال جاء الكميت الى
الفرزدق فقال يا عم اني قلت قصيدة اريد ان اعرضها عليك قال قل فقال طربت وما شوقا الى
البيض اطرب فقال له الفرزدق ثكلتك امك والى من طربت فقال ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب فقال له الى من طربت فقال الي

ولا انا ممن يزجر الطير همه اصاح غراب ام تعرض ثعلب ولا السانحات البارحات عشية امر سليم القرن
ام مر اعضب ولكن الى اهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب فقال الفرزدق ومن هولاء
ويحك فقال الكميت الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني اتقرب فقال الفرزدق هولا بني
هاشم فقال الكميت بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب فقال الفرزدق والله
لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا ومما يشهد بذلك ما اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابو الحسين
بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من اهل الادب ان علي بن الحسين عليهما السلام حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا
له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطاته والبيت يعرفه والحل والحرم اذا راته قريش قال قائلها الى مكارم هذا
ينتهي الكرم يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم يغضي حياء ويغضى من مهابته فما
يكلم الا حين يبتسم اي القبائل ليست في رقابهم لاولية هذا اوله نعم من يشكر الله يشكر اولية ذا
والدين من بيت هذا ناله الامم وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك او
الوليد وهو حدث السن فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة

فاقبل علي بن الحسين عليهما السلم وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها واطيبهم ريحا بين عينيه سجادة
كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الى الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك
هشاما فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه فقال
الفرزدق وكان حاضرا لكني اعرفه وذكر الابيات وهي اكثر مما رويناه وانما تركناها لانها معروفة قال
فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة وبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلم فبعث
الى الفرزدق باثني عشر الف درهم وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر
منها لوصلناك بها فردها الفرزدق فقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا
لله ولرسوله وما كنت لارزا عليه شيئا فردها اليه واقسم عليه في قبولها وقال له قد راى الله
مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيئا لم نرجع فيه فقبلها وجعل
الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس فمما هجاه به قوله   ايحبسني بين المدينة والتي
اليها قلوب الناس يهوى منيبها   يقلب راسا لم يكن راس سيد   وعينا له حولاء باد عيوبها

مجلس آخر تأويل آية ان سال سائل فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فظاهر الآية
يقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا امة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف ما تذهبون
اليه ثم قال ولذلك خلقهم ولا يخلو ان يكون عنى انه للاختلاف خلقهم او للرحمة فلا يجوز
ان يعني الرحمة لان الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظ ذلك ولو ارادها لقال ولتلك خلقهم
فلما قال ولذلك كان رجوعها الى الاختلاف اولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث
لم يكن مذكورا فيها لان الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله الا من رحم دالا على
الرحمة فكذلك قوله مختلفين دليلا على الاختلاف على ان الرحمة هي رقة القلب والشفقة ولا
وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعدى بها ما ذكرناه لم يعن بها ما ذكرناه الا العقوبة واسقاط
الضرر وما جرى مجراه من منفعة وهذا ما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لانه لو خلقهم
للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومواخذة المستحقين
يقال له اما قوله تعالى و

لو شاء ربك

ولو شاء ربك فانما عنى المشيئة التي ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار وانما اراد الله تعالى
ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد
واكراههم على ما اراده منهم واما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الاختلاف
بدليل العقل وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه تعالى كره الاختلاف
والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه وكيف يجوز ان يكون شيئا يأباه ومحرما اليه يخلق
العباد واما شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ
على اقرب المذكورين اليها اولى في لسان العرب فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير
الكناية وان الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا كانت
بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو التفضل والانعام كما قالوا سرني كلمتك
يريدون سرني كلامك قال الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه وانما اراد هذا فضل من
ربي وقالت الخنساء   فذلك يا هند الرزية فاعلمي   ونيران حرب حين شب وقودها   اراد
الرزء وقال امرؤ القيس   برهرهة رودة رخصة   كخرعوبة البانة المنفطر   فقال المنفطر
ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال الآخر   هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي
بناقة سعد والعشية بارد   فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الآخر   قامت تبكيه على
قبره   من لي من بعدك يا عامر   تركتني في الدار ذا غربة   قد ذل من ليس له ناصر   فقال ذا
غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم   ان الشجاعة والسماحة
ضمنا   قبرا بمرو على الطريق الواضح   وروى السماحة والشجاعة وهكذا كان في الاملاء فقال ضمنا
ولم يقل ضمنتا قال الفراء لانه ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارة
الثوب يعجبني لان تانيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر قال الفرزدق   يجوب بنا
الفلاة الى سعيد   اذا ما الشاة في الارطاة قالا   فذكر الوصف لانه اراد التيس والارطاة واحدة
الارطى وهو شجر الرمل قال   اذا الارطى توسد ابرديه   خدود جوازئ بالرمل عين   وقوله
قالا من القيلولة لا من القول على انه قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على انه

فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن ان يرحم كان التذكير في موضعه لان الفعل مذكر ويجوز ايضا ان يكون
قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد قال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة في ادخالهم الجنة اجمعين فيكونوا في الوصول الى النعيم امة واحدة واجرى هذه الاية
مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه اراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التاويل
ايضا يمكن ان يرجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها
والوصول الى نعيمها فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب
عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم بن بحر في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون
معناه ان خلف هؤلاء الكفار يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا واختلفوا
ومنه قولهم لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة
فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنها فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من احسن الى غيره
وانعم عليه يوصف بانه رحيم به وان لم يعلم منه رقة قلبه عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه
رقة القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان شفقة النعمة والتفضل بالاحسان على من
لا رقة له عنده اكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان ولا
لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك فوجب ان يكون معناها ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون
معنى الرحمة في الاصل ما ذكروه ثم انتقل بالتعارف الى ما ذكرناه كنظائره وقد وصف الله تعالى
القرآن بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يأتي في القرآن ما ظنوه وانما وصف رقة
القلب بانها رحمة لانها مما يجاوره الرحمة التي هي النعمة في الاكثر ويوجد عنده فتحل محل وصف الشيء
بما يصحبه لما كانت توجد عنده كالمحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم
وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضررا ولا
يتجاوز له عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط
الضرر يجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الاية وبطلان ما ضمنه السائل
سؤاله فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم ان نعم الله شاملة للخلق اجمعين فاي معنى

لاستثناء

لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت الرحمة هي النعمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم
وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة في ان نعم الله تعالى شاملة للخلق اجمعين غير ان في نعمه ما
يختص بها بعض العباد اما للاستحقاق ولسبب يقتضي الاختصاص واذا حملنا قوله تعالى الا من
رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة به لا تكون الا مستحقة فمن استحق
الثواب باعماله وصل الى هذه ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الاية على النعمة
بالتوفيق للايمان واللطف الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه
تعالى انما لم يعم بها سائر المكلفين بها من حيث لم يكن من معلومه ان لهم توفيقا وان في الافعال
ما يختارون عنده الايمان واختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم اخر لهم
كما ان شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه **تأويل خبر** روى ابو مسعود البدري
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال مما ادرك من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
وفي هذا الخبر وجوه من التاويل احدها ان يكون معناه اذا عملت العمل لله تعالى واتيت لا
تستحي من الناظرين اليك ولا تخف منهم ان يحسبوك فالى الرياء فاصنع ما شئت لان فكرك فيهم
ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه واذا
اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك والوجه الثاني ان من لم يستحي من المعايب والمخازي و
الفضائح يصنع ما شاء والظاهر ظاهر امر والمعنى معنى تغليظ وانكار ومثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم
وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذا نهاية التغليظ والزجر والايعاد عن ورد الذ
في اطراح الحياء ويجري مجرى قولهم لعبد ان فعل فلان كذا فليفعل ما شاء وبعيدا ان اقدم على كذا
فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه وقبح ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى الخبر
اذا لم تفعل فعلا قبيحا فافعل ما شئت لانه قبيح من ضروب القبائح الا والحياء يصاحبه ومن شان
فاعله ان قبح به ان يستحي منه فهو جانب الانسان ما يستحيي منه من افعاله فقد جانب سائر القبائح
وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن ويجري هذا مجرى خبر يروى فيما اظن عن نبي عليه السلام ان رجلا
جاءه واسترشده الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال له عليه السلام اشترط عليك ان لا تكذب

اسأل ما قدر ذلك يهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط
على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح فكر ويقول أرأيت لو سألني النبي صلى الله عليه وآله
ما كنت قائلا له ألاني إن صدقته افتضحت وإن كذبته نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك
سببا لاجتناب القبائح وهكذا معنى الخبر الذي أولناه لأن في اجتنابه ما يستحي منه اجتنابا لسائر القبائح

تأويل خبر روي عن محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال كان قد كثر على
مارية القبطية أم إبراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف إليها فقال لي النبي صلى الله عليه وآله
خذ هذا السيف وانطلق فإن وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله أكون في أمرك كالسكة المحماة
إذا أرسلتني أمضي لما أمرتني به أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب
فأقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه عرف أني أريده فأتى نخلة
فرقى إليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا به أجب ممسوح ما له مما للرجال قليل ولا
كثير فأغمدت السيف ورجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف
عنا أهل البيت قال سيدنا الشريف رحمه الله في هذا الخبر أحكام وغريب نحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه
بغريبه فأول ما فيه أن لقائل أن يقول كيف يجوز أن يأمر النبي صلى الله عليه وآله بقتل رجل على التهمة
بغير بينة وما يجري مجراها الجواب عن ذلك أن القبطي جاز أن يكون من أهل العهد الذين أخذ
عليهم أن تجري فيهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول تقدم إليه بالانتهاء عن الدخول إلى مارية فخالف
وأقام على ذلك وهذا ناقض للعهد وناقض العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن بالمحاربة
مستحق للقتل فأما قوله بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا
معنى في هذا الموضع لرؤية البصر فكأنه عليه السلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي والتدبير ما لا يصح
الغائب ولو لم يكن يعلم بقبيل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وإنما جاز منه عليه السلام أن يحجم عن قتله والكف عنه
وتفويض الأمر في ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن في قتله من الحدود التي لا يجوز عنها العفو ولا
تسع إلا إقامتها لأن ناقض العهد إلى الإمام القائم بأمور المسلمين إذا قدر عليه قبل التوبة إن شاء قتله وإن
شاء من عليه وتمام فيما بقي من الأحكام اقتضى أن نحو أمر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضي الوجوب لأنه

لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه وفي حسنها ووقوعها موقعهما دلالة على أنه لا يقتضي ذلك ومما
فيه أيضا من الكلام دلالة على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الأمر ينزل ولا يوجد من النظر إليها بد لحكم
يقام أو لعقوبة تسقط لأن العلم بأنه أجب ممسوح لم يكن إلا بعد تأمل وإنما جاز التأمل والنظر ليتبين هل
هو ممن يكون منه ما قرف به أو لا والواجب على الإمام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى أنه مجبوب أن يأمر
بالنظر إليه وتبين أمره ومثله أمر النبي صلى الله عليه وآله في قتل مقاتلة بني قريظة لأنه أمر أن ينظر
إلى مؤتزر كل من أشكل عليهم أمره فمن وجدوه قد أنبت قتلوه ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة
لما تمت شهادة الزنا لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها متى لم يتأمل أمرهما حتى يتأمل لم يصح شهادته
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله لسعد بن عبادة وقد قال له عمن وجد مع امرأته رجلا أيقتله فقال صلى الله عليه وآله
حتى يأتي بأربعة شهداء فلو لم يكن للشهداء إذا حضروا أن يتعمدوا النظر إلى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم
كغيبتهم ولم يتم شهادة الزنا لأن من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة فإن قيل كيف
جاز لأمير المؤمنين عليه السلام الكف عن القتل ومن أي جهة أثم ولما وجده أجب وأي تأثير لكونه أجب في استحقاق
به القتل وهو ينقض العهد قلنا عليه السلام لما فوض إليه الأمر في القتل كان له أن يقتله على كل حال وإن
وجده أجب لأن كونه بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهد وإنما آثر الكف الذي كان إليه ومفوضا
إلى رأيه لإزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ولأنه أشفق من أن يقتله فيحقق الظن ويلحق
بذلك العار فرأى عليه السلام أن الكف أولى لما ذكرناه وأما غريب الحديث فقوله شغر برجليه يريد رفعهما وأصله
في وصف الكلب إذا رفع رجله للبول فأما نكاح الشغار بالكسر وقد قيل الشغار بالفتح فهو أن يزوج الرجل
من هو وليها من بنت أو أخت غيره على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب في الجاهلية
يقول للآخر شاغرني أي زوجني وأظنه مأخوذا من الشغر الذي هو رفع الرجل لأن النكاح فيه معنى الشغر
فسمي هذا العقد شغارا ومشاغرة لاقتضائه في كل واحد منهما إفضاء المتزوجين إلى معنى الشغر وصار اسما
لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لأن الزانيين يتسافحان الماء أي يتكافيانه والماء هو النطفة
ويمكن أن يكون أيضا الماء الذي يغتسلان به فكنى بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلما عليه ومن الشغر
الذي هو رفع الرجل قول زياد لابنة معوية وكانت عنده ابنه فافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها

الى ابنه زياد فيدخل عليهما بالدرة يضربهما ويقول لهما أشعرا وفخرا فاما قول الفرزدق
شغارة تقذ الفصيل برجلها   فطارة لقوادم الابكار   فان من غريب شعره ومرح قال معنى شغارة
انها ترفع برجلها للبول فقوله تقذ الفصيل برجلها اى بركلة وتدفعه عن الدنو اليها والرضاع لتوفر
اللبن على الحلب واراد بتقذ اى تبالغ فى ايلامه وضربه ومنه الموقوذة فاما قوله فطارة لقوادم
الابكار فالفطر هو الحلب بثلث اصابع والقوادم هى الاخلاف وانما خص الابكار بذلك
لان صغر اخلافها يمنع من حلبها ضبا والضب هو الحلب بالاصابع الاربع فكانه لا يمكن
فيها لقصر اخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعيير نساء جرير بانهن راعيات وذلك
مما يعير به العرب للنساء الا ترى الى قوله قبل هذا البيت   كم عمة لك يا جرير وخالة
فدعاء قد حلبت على عشارى   كنا نحاذر ان يضيع لقاحها   ولها اذا سمعت دعاء يسار
نبه لذلك بقوله شغارة قال رحمه الله وعندى ان قوله شغارة كناية عن رفع رجلها
للزنا وهو اشبه بان يكون مراده فى هذا الموضع الا ترى انه قد وصفها بالوله و
ترك حفظ اللقاح عندما سمعها دعاء يسار ويسار اسم راع فكانه وصفها بالوله
الى الزنا والاسراع اليه وبذل حفظها ما استحفظته من اللقاح فلا اشبه ان يكون قوله
شغارة مع كونه عقيب البيت الذى ذكرناه محمولا على ما اشرنا اليه فاما قولهم ذهبوا
شغر بغر فليس من هذا فى شىء وانما يراد به انهم ذهبوا متفرقين متشتتين ومثله ذهبوا
عباديد وعبابيد وشعاليل وشغاريرة ايادى سبا كل ذلك بمعنى واحد فاما قوله فاذا به
فيعنى انه مقطوع الذكر لان الجب هو القطع لانه ومنه بعير اجب اذا كان مقطوع السنام وقد
ظن بعض من تاول هذا الخبر ان الاسجح ههنا هو القليل لحم الاليتين كالارضع والارسح والازل
وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له فى الخبر وانما اراد تاكيد الوصف له بانه اجب والمبالغة
فيه لان قوله اسجح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى اجب فايدة ظاهرة اخبرنا ابو عبد الله
المرزبانى قال حدثنا القسم بن الحسن الوراق قال حدثنى سليمان بن داود الطوسى قال حدثنا سوار
بن عبد الله القاضى عن الاصمعى قال دخلت على الرشيد فى الليل فتذاكرنا احوال القمر فقلت العرب

تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل اهلها برميلة قيل ما انت
ابن ليلتين قال حديث امتين بكذب ومين قال ما انت ابن ثلث قال قليل اللباث و
قيل ابن ثلث حديث فتيات غير جد مؤتلفات قيل فما انت ابن اربع قال عتمة ام ربع غير جائع
ولا مرضع قال ما انت ابن خمس قال عشا خلفات قعس ويقال حديث وانس سر ومس
قيل فما انت ابن ست قال سر وبت وقيل تحدث وبت وقيل وما انت ابن سبع قال دلجة
ضبع وقيل هدى لانس ذى الجمع وقيل حديث جمع وقيل لمبصر فى السبع وقيل يلتقط فى
الجزع وقيل عشاء اهل جمع قيل ما انت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل اؤدى بك
الى الفجر وقيل انا ودونك الفجر قيل ما انت ابن احدى عشرة قال اطلع عشا وارى بكرة وقيل و
اكتب بسحر قيل ما انت ابن اثنتى عشرة قال مونق للبشر بالبدو والحضر قيل ما انت ابن
ثلث عشرة قال قمر باهر يعشى له الناظر قيل ما انت ابن اربع عشرة قال مقتبل الشباب اضيء
مدجنات الشباب وقيل مضيء للسحاب قيل ما انت ابن خمس عشرة قال نقص الخلق بالغرب و
الشرق قيل ما انت ابن سبع عشرة قال املت المنتقر الفقرة قيل ما انت ابن ثمانى عشرة
قال قليل البقاء سريع الفناء قيل ما انت ابن تسع عشرة قال بطئ الطلوع بين الخشوع قيل
ما انت ابن عشرين قال اطلع بسحرة واضيء بالبهرة قيل ما انت ابن احدى وعشرين قال
كالقبس يرى بالغلس قيل ما انت ابن اثنين وعشرين قال لا اطلع الا ريث ما ارى قيل
ما انت ابن ثلث وعشرين قال اطلع فى قتمة ولا اجلو الظلمة قيل ما انت ابن اربع وعشرين
قال لا قمر ولا هلال قيل ما انت ابن خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل ما انت
ابن ست وعشرين قال دنا ما دنا فلا يرى منى الا سنا قيل ما انت ابن سبع وعشرين قال لا
قمر ولا هلال اطلع بكرا ولا ارى ظهرا قيل ما انت ابن ثمان وعشرين قال اسبق شعاع الشمس
قيل ما انت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير لا يرانى الا البصير قيل ما انت ابن ثلثين
قال هلال مستبين قال الاصمعى قلت للرشيد بها انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا
قال احفظه على قلت هات قال فاعاد حتى بلغ قيل ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان اما قوله رضاع

سخيلة حلّ اهلها برميلة اراد تصغير سخلة والمعنى ان العمر يبقى بمقدار ما ينزل قوم فيرضع
شاتهم سخلة ثم يرضعها ويرتحلون فبقاؤها في الافق مقدار هذا الزمان وقوله حل
اهلها برميلة اظن ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللبث وسرعة الانتقال لان الرمل ليس
بمنزل مقام القوم لانهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الارض وخشنها ولاماكن التي لا
يستولي السيول عليها فخص الرميلة بهذا المعنى وقوله حديث امتين بكذب ومين يريد
ان بقاءه قليل بمقدار ما تلتقي الامة بالامة فتكذب لها حديثا ثم تفترقان وقوله حذف
خذمت فيات تغير جذ موتلفات اراد انه يبقى بقاء فيات اجتمعن على غير ميعاد فيجاذبن ساعة
ثم انصرفن غير موتلفات وقوله عتمة ام ربع هبل العتمة ابله اذا تاخرت عن العشاء ومن
هذا سميت صلوة العتمة لانها آخر الوقت في العشاء وقوله ام ربع يعني الناقة وهي
تاخير حلبها يريد ان بقاءه مقدار ما يحلب ناقتها ولدها والربعة في اول الربيع وهو اول
النتاج والولد في هذا الوقت يسمى ربعا اذا كان ذكرا وربعة ان كانت انثى فان كان
في اخر النتاج قيل هبع للذكر وللانثى هبعة وقوله عشيه خلفات تعس والخلفات اللواتي في
اسنان حملها واحدتها خلفة وهي واحدة المخاض لا واحد للمخاض من لفظها وانما قال
عشاء خلفات لانها لا تعشو الى ان يغيب القمر في هذه الليلة والعشاء الداخلة الظلمة
الخارجة النظر وقوله سربت يريد انه لا يبقى الا بمقدار ما يسبت الانسان ثم ينتبه وقوله صحر
اي صاح ما رد ويقال قمر اضحيان بالتنوين فيهما جميعا وقمر ضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة
اضحيانة اذا كانت نقية البياض وقوله منقطع الشسع اراد انه يبقى بمقدار ما يمشي شسع
من قد يمشي به حتى ينقطع وقوله وقوله يلتقط في الجزع اي انه مقدار ما انقطعت مخنقة
فتاه فيها شذور مفصلة بالجزع ماضاع منها شي لصيانته ونفاسته وقوله اهوم الليل يعني
وسط الليل لان بهرة الشي وسطه وقوله امكنت المفقر الفقرة والفقر الذي يتبع الاثار وفقرانه
مواضعه التي يقصدها مجلس آخر ان سال سائل عن قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو
في الآخرة اعمى واضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا في الآخرة عميا وقد تظاهرت الخبر عن الرسول

صلى الله عليه وآله ان الخلق يحشرون كما بدؤا سالمين من الآفات والعاهات قال الله تعالى كما بدانا
اول خلق نعيده وقال تعالى فبصرك اليوم حديد الجواب قلنا في هذه الآية وجوه منها
ان يكون العمى الاول انما هو عن تامل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي اراها الله تعالى المكلفين
في انفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان بالآخرة ولا اقرار بما يجازى به المكلفون
فيها من ثواب وعقاب وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذي
يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى ممن خلقنا تفضيلا ثم قال تعالى ومن
كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى يعني عن هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة اعمى اي هو
عما غيب عنه من امر الآخرة اعمى ويكون قوله في هذه الاشارة الى النعم لا عن الدنيا وقيل
ان ابن عباس رحمه الله سأله سائل عن هذه الآية فقال له اتدري ما قبلها ونبهه على التاويل الذي
ذكرناه والجواب الثاني ان من كان في هذه يعني الدنيا اعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما اوجبه عليه
المعرفة به فهو في الآخرة اعمى عن الجنة والثواب بمعنى انه لا يهتدي الى طريقها ولا يوصل اليها
او عن الحجة اذا سئل ووقف ومعلوم انه من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون في
القيامة منقطع الحجة مفقود المعاذير والجواب الثالث ان يكون العمى الاول عن المعرفة
والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظم ما يناله هولاء الكفار الجهال به تعالى
من الخوف والحزن والغم الذي ازاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوي حزنه انه اعمى سخين العين ويصفون
المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا
يعملون والجواب الرابع ان العمى الاول عن الايمان والثاني هو آفة في العين على سبيل العقوبة
كما قال الله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك
آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومن يجب بهذا الجواب يتاول قوله تعالى كما بدانا اول
خلق نعيده على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما انها مفقودة في
الابتداء ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه و

قوله تعالى فبصرك اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله يكون في الدنيا
عارفا به في الآخرة والعرب يقول فلان بصير بهذا الامر يريدون انه ابصر بكذا من عمرو ولا يريدون
ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد لهذا التاويل قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا عما انت عليه الآن عارفا به فلما
كشفنا عنك الغطاء بان اعلمناك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت واما الخبر الذي يدعي رواية
فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما امكن تاويله على مطابق هذا الجواب ومن
ذهب الى الاجوبة الاول يجعل العمى الاول والثاني معناه غير آفة في العين فان عورض بقوله تعالى
ونحشره يوم القيمة اعمى اوله على العمى عن الثواب او عن الحجة وقال في قوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
في اعتقادي وطرق حججي كنت ارجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز
ان يراد بالعمى الثاني والاول جميعا الآفة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان معروف البصر
في الدنيا من مؤمن وكافر وطايع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل وبذا يبطل ان يراد بمثله
بلفظة اعمى الثانية المبالغة بمعنى افضل من فلان ويبطل بها ايضا ان العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة
افعل وانما يقال ما اشد عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والثاني العمى عن الثواب و
او الجنة لانا نعلم ان من عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز ان يراد بالاول و
الثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غيره لانا نعلم ان الجهال بالله
تعالى المعرضين في الدنيا عن معرفته لا يجوز ان يكونوا في الآخرة كذلك فضلا عن ان يكونوا على ابلغ
من هذه الحال لان المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق بعد الذي ابطلناه
الا ما دخل في الاجوبة على الاجوبة الثلثة لانه اذا اريد بالعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه
لان عمى القلب يصلح ان يتعجب منه بلفظ افعل وان تعذر ذلك في عمى الجارحة ولمن اجاب الجواب الرابع
ان يجعل تعالى فهو في الآخرة اعمى لفظة تعجب بل يجعله اخبارا عن عماه من غير تعجب وان يعطف عليه قوله
تعالى واضل سبيلا ويكون تقدير الآية ومن كان في هذه فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا كما قال
لم انكرتم التعجب من الخلق بلفظة افعل قلنا قد قال النحويون في ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب

[illegible]

منها بلفظة التعجب وانما يعدل فيها الى اشد واظهر وما يجري مجراهما لان الالوان والعيوب قد صارت
كالاسماء وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقولوا ما اسوده واعوره كما لا يقال ما ايداه
وارجله وقالوا ما اشد سواده وما اشد عوره كما يقال ما اشد يده ورجله واعتلوا بعلة اخرى قالوا
لان الفعل من الالوان والعيوب على افعل وافعال مثل احمر واحمار واعور واحول واحوال
والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلثة احرف فان عمل لهم قد قالوا اعورت عينه وحولت قالوا
هذا منقول من افعل وهو في الحكم زايد على ثلثة احرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسود
وابيض ولولا انه منقول لاعتلت الواو وقلبت حارت وحالت كما قيل خاف وهاب وحكي عن الفراء في
ذلك جوابان ان افعل التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذا قال القائل افضل واجمل فهو زايد في
الوصف جميل وفاضل فلو يقولوا ما ابيض زيدا لانه لا يسقط التزيد ولا يكون مثل ابيض وكيف
يزيد ابيض عليه بخلاف لفظه كما خالف افضل واجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم في ابيض واحمر
علم التزيد ادخلوا عليه ما يبين الزيادة فيه فقالوا ما اظهر حمرة زيد وما اشد سواد عمرو ولان
اظهر يزيد على ظاهر واشد يزيد على شديد والجواب الآخر ان التعجب مبني على زيادة تصلح ان يعقد بعدها
نقص وتقصر عن بلوغ التناهي فقالوا ما اعلم زيدا ليدلوا على زيادة علمه لانهم في قولهم عالم
وعليم لم يبلغوا في التناهي مبلغ اعلم ولم يقولوا ما ابيض زيدا لان البياض لا يأتي منه زيادة
بعد نقص فعدلوا الى التعجب باشد وابين وما يجري مجراهما وهذا الجواب ليس بشيء لان الالوان قد
يأتي فيها الزيادة بعد نقص وقد تدخل عليه المفاضلة الا ترى ان ما حله قليل اجزاء البياض
يكون انقص حالا في البياض مما حله الكثير من الاجزاء والجواب الاول الذي حكيناه عن الفراء
اصوب وان كان ما قدمناه من التفسير هو المعتمد وقد انشد بعضهم على ما ذكرناه قول الشاعر
شعر: اما الملوك فانت اليوم الامهم · لوما وابيضهم ثوب الطباخ · اما البيت الاول
فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ وكذلك الشاذ النادر ولا يطعن في المعول عليه المتفق
على صحته ويجوز ايضا ان يقول في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان ابيض فيه ليس هو
الذي للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولك ابيض وبيضاء ويجري ذلك مجرى قولهم

هو حسن القوم وجهًا وشريفهم خلقًا فكان الشاعر قال وسيضهم فلما اضاف انتصب ما بعده لتمام الاسم
وهذا الحسن من حمله على الشذوذ ويكرهه وحجاجه وهو ان ابيض في البيت وان كان في اللفظ
عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللوم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ
لو انه اراد بابيضهم بياض الثوب ونقاه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظة افعل الذي هو
يتعجب بهذه اللفظة ما ذكرناه فاما قول المتنبي ابعد بعدت بياضًا لا بياض له لانت اسود في
عيني من الظلم فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم اي من جملة الظلم
كما يقول حر من الاحرار ولئيم من اللئام اي من جملتهم وقال الشاعر وابيض من ماء الحديد كانه
شهاب بدا والليل داج عساكره كانه قال وابيض من ماء الحديد فقوله كائن من ماء الحديد وصف
لابيض وليس متصل به كاتصال من بافعل في قولك هذا افضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي
مرفوعة الموضع لانها وصف لاسود واذا اريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع
كما تقول زيد خير منك فمنك في موضع نصب بخير كانه قال قد جاز زيد خيرًا اي فضلك في الخير
وهذا التأويل المذكور في بيت المتنبي يمكن ان يتأول في قول الشاعر ابيض من اخت بني اباض ويحمل على
اراد من جملتها ومن نحوها ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي
ابعد بعدت بياضًا لا بياض له والمعنى الظاهر البين انه اراد لا اضاءة ولا اشراق ولا نور من حيث كانت
حلوله محزنًا ومؤذيًا بنقص الاجل وهذا المعنى صحيح ظاهر الا انه يمكن فيه معنى اخر وهو ان يريد انك
بياض لا لون بعدك وانما يسوغ ذلك له لان البياض هو الآتي بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض
كان نفيًا لان يكون بعده لون وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله ومن كان في
هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح الميمين معًا وقرأ عاصم في رواية ابي
بكر وحمزة والكسائي بكسرهما جميعًا وفي رواية حفص عن عاصم لا يكسرها وكسر ابو عمرو الاولى
وفتح الآخرة ولكل وجه اما من ترك الامالة الجميع فان قوله حسن لان كثيرًا من العرب لا يميلون هذه
الفتحة ومن امال الجميع فوجه قوله انه ينحو بالالف نحو الياء ليعلم انها تنقلب الى الياء وانما قرأ
ابو عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل من كذا مثل افضل من فلان

فاذا

واذا جعلها كذلك لم يجتمع الالف في آخر الكلمة لان آخرها انما هو من كذا وانما يحسن الامالة
في الاواخر وقد حذف من افعل الذي هو للمفضل الجار والمجرور جميعًا وهما مرادان في المعنى مع الحذف
وذلك نحو قوله تعالى وهو في الآخرة اعمى اي اعمى منه في الدنيا واعمى من غيره ويقوي هذا التأويل
ما عطف عليه من قوله تعالى واضل سبيلًا فكان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك المعطوف
عليه **تأويل خبر** روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تقيء الارض افلاذ كبدها
مثل الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجيء قاطع الرحم فيقول
في مثل هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في مثل هذا سرقت ثم يتركونه فلا ياخذون منه شيئًا
ومعنى تقيء تخرج ما فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة ومعنى تقيء اي
تخرج تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجًا واظهارًا وكذلك تسميته ما في الارض من الكنوز
تشبيه بالكبد التي في بطن البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب معروف قال مرة بن محكان السعدي
يضيف قد نصبنا للاضياف تشعر لها ازيز يزيل اللحم ازمله عن العظام اذا ما استحمشت غضبا
ترمي الصلاة بنبل غير طائشة وفقًا اذا آنست من تحتها لهبا فوصفها بالغضب تشبيهًا با
ستعارة فاما الازيز فهو الغليان والعرب تقول للجوف ازيز مثل ازيز المرجل والازمل الصوت واستحمشت
اي غضبت وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة سألتني عن اناس هلكوا شرب الدهر عليهم
واكل فوصف الدهر بالاكل والشرب تشبيهًا وقال ابو عمرو معنى البيت شرب اهل الدهر عليهم بعدهم و
اكلوا واختلف اهل اللغة في الافلاذ فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون الا للبعير وهو قطعة من كبده
ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال اعطه فلذًا من الكبد وفلذة قال الاعشى واهله تكفيه حزة فلذ ان الم بها
من الشواء ويكفي شربه الغمر والغمر القدح الصغير قال يعقوب ويقال اعطني حزة من سنام ولا من
لحم وانما الحزة في الكبد خاصة فاذا ارادوا ذلك من السنام واللحم قالوا اعطني حزة من لحم وهي القطعة
الصغيرة وفلقة من سنام وقال الطوسي عن ابي عبيد يقال اعطه حزة من لحم وحزة من سنام اذا كانت
مقطوعة طولًا فاذا كانت مجتمعة قلت بضعة من لحم وهبرة من لحم ووذرة ومثل هذا الحديث قوله تعالى
واخرجت الارض اثقالها معناها اخرجت ما فيها من الكنوز وقال قوم عنى به الموتى وانها اخرجت

موتاها فشبه ما على الموتى ثقلاً تشبيهاً بالحمل الذي يكون في البطن لأن الحمل يسمى ثقلاً قال الله تعالى فلما
أثقلت دعوا الله ربهما والعرب تقول إن للسيد الشجاع ثقلاً على الأرض فإذا مات سقط عنها ثقل
قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها
معناه أنه لما مات حل عنها ثقيل سؤدده وشرفه وقال قوم معنى حلت زينت موتاها به وهو
مأخوذ من الحلية قال الشمردل اليربوعي يرثي أخاه فحلت به أثقالها الأرض وانتهى لمثواه منها
وهو عف شمائله وروى هشام بن المنذر قال قال زهير بن أبي سلمى بيتاً ثم أكدى فمر به النابغة الذبياني
فقال له يا أبا أمامة أجز قال وما ذاك قال تزال الأرض إما مت خفاً وتحيا ما حييت بها ثقيلا نزلت بمستقر
العرض منها فماذا قال فأكدى والله النابغة وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجز يا بني
فقال وما ذاك فأنشده البيت الأول ومن الثاني نزلت بمستقر العرض منها فقال كعب فتمنع جانبيها
أن تزولا فقال له زهير أنت والله ابني وإنما خص الكبد من بين ما يشتمل البطن لأنه من أطايب
الجزور والعرب تقول أطايب الجزور السنام والكبد قال السيد رحمه الله وإني لأستحسن قول
الخنساء وقد قيل لها مدحت أخاك حتى هجوت أباك فقالت جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران
ملاءة الحضر حتى إذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعذر وعلا هتاف الناس
أيهما قال المجيب هناك لا أدري برقت صفيحة وجه والده ومضى على غلوائه يجري أولى
فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر وهما كأنهما وقد برزا صقران قد حطا إلى
وكر وبعد أن قيل لأبي عبيدة ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيدة العامة
أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك ولعمري إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير إزراء على أبيها
لأنها جعلت تقدم أبيها له عن تقدم منه على المساواة من غير تقصير منه وإنما أفرج له عن
السبق معرفة بحقه وتسليماً لكبره وسنه وكأن الخنساء نظرت في هذا المعنى إلى قول زهير
يشج بها الأماعز وهي تهوي هوي الدلو أسلمها الرشاء فليس لحاقه كلحاق إلف ولا كنجائها
منه نجاء تقدمه إذا اختلفت عليه تمام السن منه والذكاء ويشبه أن يكون الكلام أخذ من الخنساء
قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب ما إن أرى كأبيك أدرك شأوه أحد ومثلك طالباً لم يلحق

يتجاريان له فضيلة سنه وبيت مجد مصلياً لم يسبق أن يرتقى فله فضيلة سبقه فمثلنا وأبيك
لم يتعلق ولئن لحقت به على ما قد مضى من عهد غايته فأجود أخلق ويشبه هذا المعنى قول الكومد
بن أسيل الكوفي الحارثي يمدح المهدي في حجر المنصور لئن فت الملوك وقد توافوا إليك من
المهولة والوعور لقد فات الملوك أبوك حتى بقوا من بين راز وحسير وجئت وراءه تجري
حثيثاً وما بك حين تجري من فتور فقال الناس ما هذان إلا بمنزلة الخليق من الجدير فإن يسبق
الكبير فأهل سبق له فضل الكبير على الصغير وإن بلغ الصغير مدى الكبير فقد خلق الصغير من الكبير
ومن هذا المعنى قول الشاعر جاءا حرت في حلبة وتفاضلا على قدر الإنسان العمر واحد في
حماله بهذا المعنى بعض شبه وإن لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول زهير هو الجواد فإن يلحق
بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح
سبقا وروي أنها عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فأراد أن يبلوها
فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت بلغت وكد يحيى ولحقت به قبلما
خالد فيسانا وسبق لكن نموت تلي يحيى وأنت له تال وأتلك دون الكهف بالعنق ومن خرج ما
في المساواة والمقاربة وهو داخل في هذا الباب ما أنشد له لعباد بن سبيل إذا أخرجت من
قوم جياد خيارهم فكل بني عبد المدان خيار جروا بعنان واحد فضل بينهم بأن قيل
قد فات العذار عذار وقال الكميت مصل أبوه له سابق بأن قيل فات العذار العذار ومثله
قول العتابي وهو مليح جداً كأنهما إذ ضمجرد في أصتهما سبقا بإذنيهما أو بالعذر وأول
ما سبق إلى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطاردة البازي والقطاة ومقاربته لها
دون السماء وفوق الأرض قدرهما عند الذنابى فلا فوت ولا درك وقد أخذ أبو نواس
هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لأبيه في المجد والسودد ثم
جرى الفضل فاستوى قدماً دون مداه من غير ترهيق فقيل إن سابقيهما أراد بين الغاية
الفضل سابق الغوق وبيناك في ذلك قول البحتري في أبي سعيد الثغري حين نجيد
أبي سعيد إنه ترك السماك كأنه لم يخترق فأتمه أخلاقه وهي الذي للعبدي ومحي

الذي يلحقني فاذا جرى من غاية وجريت عن اخرى التقينا وكما في المضعف وشبيه ايضا قوله
فاذا رايت شمايل ابني صاعد ادت اليك شمايل ابني مخلد كالفرقدين اذا تامل ناظر لم يعد
موضع فرقد عن فرقد واما قول الخنساء يتعاوران ملاءة الحضر فهو يعني بالملاءة الغبار وقال
عدي بن زيد العبادي الرقاع نظر اليها في قوله يصف حمارا واتانا يتعاوران من الغبار ملاءة
بيضاء محدثة هما نسجاها يطوى اذا قطعا مكانا حاسرا فاذا السنابك اسهلت نشراها فهذا المعنى وان
كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليه زيادة ظاهرة صار بها احق بالمعنى
منها وابتدا بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة شعر سيران من نسج التراب عليهما
قميصين اسمالا ويرتديان **مجلس اخر** ان سال سائل عن قوله تعالى وجاؤوا على قميصه
بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون فقال كيف
وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام واي معنى لوصفه
الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب عليه السلم على فقد يوسف لا يكون الا جميلا ولم
ارتفع الصبر وما المقتضي لرفعه **الجواب** يقال له اما كذب فمعناه مكذوب عليه ومثله قولهم
هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مصبوبا ومسكوبا ومثله ماء غور ورجل صوم وامراة
نوح قال الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اراد نائحة عليهم ومثله
ما لفلان معقول يريدون ماله عقل وما له على هذا الامر مجلود اي جلد وقال الشاعر
اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا وانشد ابو العباس ثعلب قد والذي سمك السماء
بعيده بلغ العزاء وادرك المجلود وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذبا بالنصب على المصدر
ولم جاؤوا منه معنى يكذبوا كذبا كما قال تعالى والعاديات ضبحا فنصب ضبحا على المصدر ولان
العاديات بمعنى الضابحات وانما كان دما مكذوبا فيه لان اخوة يوسف ذبحوا سخلة ولطخوا
قميص يوسف عليه السلم بدمها وجاؤوا اباهم بالقميص وادعوا اكل الذيب له فقال لهم يعقوب عليه السلم
يا بني لقد كان هذا الذيب رفيقا حين اكل ابني ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص قال
كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه احوج منهم الى قتله وقد قيل انه كان في قميص يوسف

عليه السلم

عليه السلم ثلاث ايات حين قد قميصه من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاؤوا عليه
بدم كذب فتنبه ابوه على ان الذيب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر بانه جميل فلان
الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وفعل
على الوجه الذي يجب فلما كان في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك
وقد قيل انه اراد صبرا لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى
او الجزع له واما ارتفاع قوله تعالى فصبر جميل فقد قيل ان المعنى فشاني صبر جميل والذي اعتمده
صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل وانشد شكا الي جملي طول السرى يا جملي ليس
الى المشتكى صبرا جميلا وكلانا مبتلى وقد روي في قراءة اي فصبرا جميلا بالنصب وفي ذلك
يكون على الاغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة الا انما مي فصبرا بليه وقد
يبتلى دون الحبيب فيصبر وقال اخر ابى الله ان يبقى لحي بشاشة فصبرا على ما شاء الله لي
تاويل خبر في الحديث ان قيس بن عاصم قال اتيت النبي صلى الله عليه واله فقال هذا سيد اهل الوبر
فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليست علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه السلم نعم المال
اربعون والاكثر ستون وويل لاصحاب المئين الا من اعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة واكل
واطعم القانع وفي رواية اخرى الا من اعطى من رسلها واطرق فحلها وافقر ظهرها ومنح غزيرتها
واطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق واحسنها انه لا يحل بالوادي
الذي انا فيه من كثرة نعمي قال كيف تصنع في العطية قلت اعطي البكر واعطي الناب قال وكيف
تصنع بالمنيحة قلت اني لامنح المائة قال فكيف تصنع في الطروقة قلت يغدو الناس بحبالهم فلا
يوزع رجل عن جمل يختطمه فيمسكه ما بدا له حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الاخرى قال
فكيف تصنع في الاطراق قلت يغدو الناس فمن شاء ان ياخذ براس بعير ذهب به قال فكيف تصنع
الافقار قلت اني لافقر الناب المدبرة والضرع الصغير قال فكيف تصنع في المنحة قلت لامنح في السنة المائة
قال فمالك احب اليك ام مال مواليك قلت بل مالي قال فانما لك من مالك ما اكلت فافنيت او اعطيت فامضيت
وفي الرواية الاخرى او لبست فابليت وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت لاقلن عددها

فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني احفظوا عني فانكم لن تأخذوا عن احد هو انصح لكم مني لا تنوحوا علي
فان رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينح عليه وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي
كنت اصلي فيها وسودوا اكابركم فانكم اذا سودتم اكابركم لم يزل فيكم خليفة واذا سودتم اصاغركم
هان اكابركم على الناس وزهدوا فيكم واصلحوا من عيشكم فان فيه غنى عن طلب الى الناس واياكم
والمسألة فانها آخر كسب المرء واذا دفنتموني فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا حماشات
في الجاهلية فلا آمن سفيها ان يأتي امرا يدخل عليكم عيبا في دينكم اما قوله الكثير يسئلون فمعناه الكثير
يقول العرب نسأل الله الكثير ونعوذ به من القل اي نسأله الكثير ونعوذ به من القليل قال الشاعر
فان الكثر اعياني قديما وان اقتر لدن انا غلام وقال آخر وقد يقصر القل الفتى دون همه وقد
كان لولا القل طلاع انجد والكريمة يعني فيها كريم ماله والمنح العزيزة اي اعطيها من يحلبها ويردها في
ذلك الحديث العارية مؤداة والمنحة مردودة والزعيم غارم والدين مقضي فالمنحة الناقة والشاة
يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له ايضا القبيل والصبير
والحميل ومنه قوله تعالى وانا به زعيم وقال الشاعر فلست بآمر فيها بسلم ولكني على نفسي زعيم
وقال آخر وقلت كفيل لك رهن بالرضا وازعم يا هند فقالت قد وجب معناه اكفل ويروى اقبل من
القبيل الذي هو الكفيل ايضا وقال آخر القانع هو الذي يسألك ان تعطيه قبل والمعتر الذي
يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السؤال لكنه يتعرض عن المسئلة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة
اي دنا وقنع قنوعا اذا سأل واما قوله لا جرم قال قوم معنى جرم كسب وقالوا في معنى قوله تعالى لا جرم
ان لهم النار قال الشاعر نصبنا راسه في راس جذع بما جرمت يداه وما اعتدينا اي بما كسبت وقال
آخرون معنى جرم حق وتأويله لا بد يعني حق قولهم ان لهم النار واستشهدوا ولقد طعنت ابا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اراد حقت فزارة وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى كسبت
الطعنة فزارة الغضب وقال الفراء لا جرم في الاصل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حقا و
جاز في جواب الايمان فقال لا جرم لآتينك كما قالوا والله لآتينك وفيها لغات يقولون لا جرم ولا جرم بضم الجيم
وتسكين الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر ان كلانا والذي لا ذا جرم لا هدان اليوم هدرا

في

في النعم هذا يعني في الشتاء ضيق النهم الذي يلهم كل شئ والناب الناقة الهرمة وجمعها نيب
ومثلها الشارف قال الشاعر لا يقتل الدهر ان كيهم بادعة ما اضرت النيب وحنت الى
جلد ويقال للبعير اذا كبر عود والانثى عودة قال الشاعر عود على عود من القدم الاول
يموت بالترك ويحيى بالعمل اراد انه اذا سلك طريقا وطرقت اعلامه وصحت طرقه واهتدى
سالكه بسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحيوة له واذا ترك طمست اعلامه ومحيت
معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصده وكان ذلك كالموت له فاما الحماشات فهي الجنايات والجراحات
قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن رباع لها مذ اورق العود عنده حماشات حول ما يراد امتنالها
يريد بقوله ما يراد امتنالها اي ما يراد اقتصاصها بفصال ⁂ من هذا الاجل وامدحي
والنضي يعني واحد لا ورع دخل اي لا جبن ولا يمنع يقال ورع الرجل يورع ورعا اذا
جبن وكف نفسه والورع هو المتحرج المانع نفسه مما تدعو اليه يقال ورع ورعا وورعه قال
لبيد اكل يوم هامتي مقزعة لا يمنع الفتيان من حسن الرعة ويقال اما ورع ان قيل كذا و
كذا اي ما كذب فاما الورع بالفتح هو الجبان فاما الطروقة فهي التي قد حان لها ان تطرق
وهي الحقة وقوله في الرواية الاخرى لا امر اعطى من رسلها كرسل اللبون لا افتاد هوما ان
يركبها الناس ويحملهم على ظهرها ماخوذ من قفا الظهر والاطراق المحول ههنا يدل بها من يبرها
على انه ابله ذكر الاطراق في هذه الرواية احب الي من الطروقة لانه قد تقدم من قوله انه يعطي
الناب والبكر والمنيح والناقة فلا معنى لاعادته وذكر الطروقة وقوله في الجواب ويعزو النابر
بالبلهم فلا يورع رجل عن حمل خطيئه فيمسكه ما بدا له ثم يرده لا يحمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة
وكان قيس بن عاصم شريفا في قومه حليما ويكنى ابا علي وكان الاحنف بن قيس يقول تعلمت الحلم من
قيس بن عاصم اتي بقاتل ابنه فقال ذعرتم الفتى ثم اقبل عليه فقال يا بني لقد نقصت عددك و
اوهنت ركنك وفت في عضدك واشمت عدوك واسأت بقومك خلوا سبيله وما حل حبوته
ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بما ذا سدت قومك قال ببذل الندى وكف الاذى
ونصر المولى وذكر المدايني قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فانه ما بغى قوم قط

الا تكلوا وذلوا وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى اخوته ان ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان
بن شريك الشيباني بطعنة يوم جدود فسمي الحوفزان الحوفزان قال سوار بن حيان المنقري ونحن حفزنا
الحوفزان بطعنة سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا وحمران قسرا انزلته رماحنا يعالج غلا في ذراعيه
مثقلا وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم شعرا جزى الله يربوعا باسوء سعيها اذا ذكرت في
النائبات امورها ويوم جدود قد فضحتم ذماركم وسالمتم والخيل تدمى نحورها ستحطم سعد
والرباب انوفكم كما حز في انف القضيب جريرها القضيب الناقة المقتضبة الصعبة وفي قيس يقول
عبدة بن الطبيب عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما سلام امرئ جللته
منك رحمة (نعمة) اذا زار عن شحط بلادك سلما فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما قال
سيدنا رحمه الله ذاكرني بعض الاصدقاء بقول ابي دهبل الجمحي وهو يعني ناقة وابرزتها من بطن مكة
بعدما اصات المنادي بالصلوة واعتما وسألني اجازة هذا البيت بابيات تضم اليه وجعل الكلام
فيها كانها عن امرأة لا عن ناقة فقلت في الحال فهبت رياها الحطيم وصوّات باشرافها بين الحطيم و
زمزما فيا رب ان الغيث وجها مجيئة فحيّ وجوها بالمدينة منهما تجافين عن مس الدهان وطالما
عصمن عن الحناء كفا ومعصما وكم من جليد لا يخامره الهوى شنن عليه الوجد حتى تتيما اهان لهن
الحذر ربي كمه والقى اليهن الحديث المكتما تسفهن لما ان مررت بدارها وعوجلت دون الحلم
ان يحلما فعجت تقرى دارس الربع منكرا ومثلك مصروف عن النطق اعجما ويوم وقفنا للوداع وكلنا يعده
مطيع الشوق من كان اجرما بصرت بقلب لا يجيب عن الهوى وعين متى استمطرتها امطرت دما وكان
ابو دهبل الجمحي من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه وهب بن معد بن اسد بن احيحة بن خلف
بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي بن غالب وكان اسم جمح تيما واسم اخيه
زيدا وهما ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا الى غاية فجمح تيم عن الغاية فقيل جمح تيم اي جمح وقصر عنها زيد
فقيل سهم زيد فسمي سهما واما كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة
اذا مشى مشيا ثقيلا اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال اخبرنا احمد
بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قلت لابي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر ابي دهبل الجمحي فقال

قوله يا عمرو جم فراقكم عمرا وعززت منا النأي والهجرا يا عمرو شيخك وهو ذو شرف يحمي الذمار ويكرم
الفقرا والله ما احببت حبكم لا ثيبا خلقت ولا بكرا ان كان هذا السحر منك فلا ترعى علي وجدد
ذي سحرا احدى بني اود كلفت بها حملت بلا ترة لنا وترا وترى لها دلا اذا نظرت تركت بنات
فؤاده صعرا كتساقط العقد من الا فنا لا ابرا ولا نزرا ومقالها فيكم عركت لها جنبا يديمها
لك العذرا ومريد سركم عصيت به عاصيا وليس مقتلا وعرا قالت تقيم لنا لغربته يوما فقيم عندها
شهرا ما ان اقيم لحاجة عرضت الا لابلي فيكم عذرا فاذا هممت برحلة جزعت واذا اقمنا
لم تعط نفرا اني لا اعني بما رضيته واري لحسن حديثكم شكرا وروى ابو عمرو الشيباني لابي
دهبل الجمحي شعر يا ليت من يمنع المعروف يمنعه حتى يذوق رجال غب ما صنعوا وليت رزق
رجال مثل نائلهم قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا ويروى ضيقا كضيقهم ووسعا كالذي
وسعوا وليت للناس حظا في وجوههم تبين اخلاقهم فيه اذا اجتمعوا وليت ذا الفحش لاقى
فاحشا ابدا ووافق الحلم اهل الحلم فارتدعوا ولابي دهبل في قتل الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام
تبيت النشاوى من امية نوما وبالطف قتلى ما ينام حميمها وما ضيع الاسلام الا عصابة تأمر
نوكاها ودام نعيمها فاضحت قناة الدين في كف ظالم اذا اعوج منها جانب لا يقيمها واخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال روى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل فقال
يا ليت اني باثوابي وراحلتي عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر ان كان ذا قدرا يعطيك نافلة
منا ويحرمنا ما انصف القدر وقال ايضا المجنون يوله الا ترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة اني
اذا لصبور هبوني امرأ منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير وللصاحب المتروك اعظم ذمة
على صاحب من ان يضل بعير عفا الله عن ليلى الغداة فانها اذا وليت حكما علي تجور وروى
ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقد رواه ابو تمام في الحماسة اقول والركب قد مالت عمائمهم وقد سقى
القوم كاس النعسة السهر يا ليت اني البيتين واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى
الصولي قال امثل ما قال ابو دهبل ولو تركوا لاهل الشام رأيهم فلم يحلوا قولا من السر ينجح لاوشك
صرف الدهر يفرق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر اعوج قول الحجاج لابنه رويد فنكبه لنا اسطا

عمرو وقناموة لما رآني ارعشت اطرافي استعجل الدهر وفيه كاف يخترم الالف عن آلاف ومثله
عدمت ابن عم لا يزال كانه وان لم اتم سطوى لي على وتر يعين على الدهر والدهر مكتف وان
استعنه لا يعين على الدهر قال سيدنا رحمه الله ومثل الجميع قول ابي احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
الى كم يكون العتب في كل ساعة ولم لا تملين القطيعة والهجرا رويدك ان الدهر فيه كفاية
لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا **مجلس آخر** ان سأل سائل فقال اما وجه التكرار في سورة الكافرين
وما الذي حسن اعادة النفي لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبد وذكر ذلك مرة
واحدة يغني عما وجه التكرار ايضا في سورة الرحمن بقوله فباي آلاء ربكما تكذبان **والجواب**
يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين وجها وهو ان قال ان القرآن لم ينزل دفعة واحدة
وانما كان نزوله شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر فكان المشركون اتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له
استلم بعض اصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك وامره الله تعالى ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون
ولا انتم عابدون ما اعبد ثم عبروا مدة من الزمان وجاؤوه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض
اصنامنا يوما او شهرا او حولا لنفعل مثل ذلك بآلهتك فامره الله تعالى ان يقول لهم ولا انا عابد ما
عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ان كنتم لا تعبدون الهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابدا وقد
طعن بعض الناس على هذا التاويل بان قال انه يقتضي شرطا محذوفا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو
ما شرطه في قوله ولا انتم عابدون ما اعبد قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادة ما يعبدون
مطلقا غير مشروط فكذلك ما عطف عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط بدليل وان لم
يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق ويصح ويجب وعن هذا السؤال اجوبة كل واحد
منها مما ذكره ابن قتيبة اولها ما حكي عن ثعلب انه قال انما حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو
تحت الاخرى وتلخيص الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا
انتم عابدون في هذه الحال لاختص افعال الاستقبال منه ومنهم الحال وقال من بعد ولا انا عابد ما عبدتم
في المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد بما تستقبلون فاختلفت المعاني وحسن التكرار لاختلافها
ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة عن المعلوم من حاله انه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره انها نزلت

اوضح اجود

وجه آخر

في ابي جهل

في ابي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم احد والمستهزئون هم العاص بن وائل
السهمي والوليد بن المغيرة والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والعدي بن قيس والجواب
الثاني وهو جواب الفراء ان يكون التكرار للتاكيد كقول المجيب بكذا بلى بلى والممتنع
من كذا لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد الفراء وكائن
بكم عندي لكم من صنيعة ايادي ثنوها علي واوجبوا وانشد ايضا كم نعمة كانت لكم كم كم
وكم وقال آخر اردت لنفسي بعض الامور فاولى لنفسي اولى لها وقال آخر تعوق الغراب
بين لبنى مرة كم كم وكم بفراق لبنى ينعق والجواب الثالث وهو اعجبها الي لا اعبد الاصنام
التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم غير عابدين الله تعالى الذي انا عابده اذا اشركتم
به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه ومعه وانما يكون عابدا له من اخلص له العبادة
دون غيره وافرده بها ولا انا عابد ما عبدتم اي لست اعبد عبادتكم وما في قوله عبدتم في موضع
المصدر كما قال تعالى والارض وما طحاها ونفس وما سواها اي وطحيه اياها وتسويته لها وقوله
تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون يريد بفرحكم ومرحكم قال الشاعر
يا ربع سلامة بالمنحنى بخيف سلع جادك الوابل ان تمس وحشا فبما قد ترى وانت معمور بها آهل
اراد فبكونك معمورا آهلا ومعنى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اي لستم عابدين جاحدين على
ما ذكرته ولم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني ويخلص ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله قال للكفار
لا اعبد آلهتكم وما تدعونه من دون الله ولا انتم عابدون الهي فان زعمتم انكم عابدون الهي فانتم
كاذبون اذ كنتم عن الجهة التي تقربكم بها تعبدونه فانا لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على
ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي فان قيل اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف
العبادة قلنا انه صلى الله عليه وآله كان يعبد من يخلص العبادة ولا يشرك به شيئا ومن خالف فكان
عبادتهم ايضا لانهم جحدوا انه كان يتقرب الى معبوده بالافعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة
وهم لا يفعلون تلك الافعال ويتقربون بافعال غيرها ما يعتقدون جهلا انها عبادة وقربة
فان قيل فما معنى قوله تعالى لكم دينكم ولي دين وظاهر هذا الكلام امر يقتضي اباحة المقام على ادیانهم

قلت فهذه ثلثة اجوبة اولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهره الاباحة فهو وعيد ومبالغة في الزجر كما قال
تعالى اعملوا ما شئتم وثانيها ان المراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام
عليه وثالثها ان المراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء قال الشاعر اذا ما لقونا
لقيناهم ودناهم مثل ما يقرضونا فاما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم
المعدودة فكلما ذكر نعمة انعم تعالى بها قررها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره
الم احسن اليك ان خولتك الاموال الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره الم احسن اليك
ان فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرر به وهذا كثير في كلام العرب
واشعارهم قال المهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا على ان ليس عدلا من كليب اذا خيف
العضاه من الدبور على ان ليس عدلا من كليب اذا خرجت مخباة الخدور على ان ليس عدلا
من كليب اذا خيف المخوف من الثغور على ان ليس عدلا من كليب غداة بلابل الامر الكبير
على ان ليس عدلا من كليب اذا ما ضيم جار المستجير وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير
لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت صدور العوالي واستشال الاسافل ونعم الفتى يا توب كنت
ولم تكن لتسبق يوما كنت فيه تحاول ونعم الفتى يا توب كنت لخائف اتاك لكي تحمي ونعم المجامل
ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ونعم الفتى يا توب حين تفاضل لعمري لانت المرء ابكي لفقده
ولو لام فيه ناقص الراي جاهل لعمري لانت المرء ابكي لفقده اذا كثرت بالجاهلين العواذل ابى لك
ذم الناس يا توب كلما ذكرت امور محكمات كوامل ابى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت سماح
حين تعزى الاوامل فلا يبعدنك الله يا توب انما لقيت حمام الموت والموت عاجل ولا يبعدنك
الله يا توب انها كذاك المنايا عاجلات واجل ولا يبعدنك الله يا توب والتقت عليك الغوادي
المرجحنات الهواطل فخرجت من هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التي عددناها
على نحو ما ذكرناه وقال الحرث بن عباد : قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
ثم كرر قربا مربط النعامة مني في ابيات كثيرة من القصيدة للمعاني التي ذكرناها وقالت عمرة بنت
عمرو بن النعمان بن بشير ترثي زوجها وحدثني اصحابه ان مالكا جوادا ابيا في الاهل غير بخيل

في بيان التكرار

صح

وحدثني اصحابه ان مالكا خفيف على الحادثات غير ثقيل وحدثني اصحابه ان مالكا صروم كماضي
الشفرتين صقيل وهذا المعنى اكثر من ان نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات
بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده
من الائه ونعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان
فكيف يحسن ان يقول بعقب هذه فباي الاء ربكما تكذبان وليس هذا من الالاء والنعم لان في
ذلك جزاء عما يستحق به العقاب وبقاء على ما يستحق به الثواب وانما اشار بقوله تعالى فباي الاء
ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى نعمه بوصفها والانذار بعقابها وهذا مما
لا شبهة في كونها نعمة قال سيدنا الشريف المرتضى رحمه الله وكما انه كان في الجاهلية وفي وقبل الاسلام
ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع واخرون مشركون يعبدون غيره آلهتهم ويستنزلون
الرزق من غيره فهم اخبر الله تعالى في كتابه وضرب لهم الامثال وكرر عليهم البينات والاعلام فقد
نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعاره والدخول في جملة اهله
دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنهم الاسلام عن الظاهرة والجاه خوف القتل
الى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام واهله اعظم لانهم يدخلون في الدين ويموهون على المستضعفين
بجأش رابط وراي جامع فعل من قد امن الوحشة ووثق بالانسة على ما يظهره من لباس الدين الذي هو منه
على الحقيقة عار وباثوابه غير متوار كما يحكى عن عبد الكريم بن ابي العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان
وهو والي الكوفة من قبل المنصور فاحضر للقتل وايقن بمفارقة الحيوة لئن قتلتموني لقد وضعت
في دينكم اربعة الاف حديث مصنوعا والمشهورون من هؤلاء هم الوليد بن يزيد بن عبد الملك و
الجادون حماد الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن ابي
العوجا وبشار بن برد ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس
الازدي وعلي بن الخليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكرهم وان كان عددهم قليلا فقد
الهمهم الله واذلهم بما شهدت به الدلالة الواضحة والحجة اللائحة على عقولهم من الضعف وادلهم

ابو الوليد

من السخف ونحن نذكر من اخبار كل واحد ممن ذكرناه ما يقتضي التهمة في دينه وتبذله ونومي فيها الى الحيلة التي
دعانا الى الاشتغال بذلك ولو كانت عنايتنا بغيره اقوى ومسألة من يرى اجابته ومتى رمنا
تكلفناه لمن طلبه مع انه غير خالٍ من فائدة ينتفع بعلمها ويتأدب بروايتها وحفظها
اما ابو الوليد فكان مشهوراً بالالحاد متظاهراً بالعناد غير محتشم في اطراح الدين احداً ولا
مراقب فيه بشراً وفي الحديث انه ولد لاخي ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله غلام فسماه
الوليد فقال النبي صلى الله عليه وآله تسمونه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال
له الوليد لهو شر على هذه الامة من فرعون على قومه قال الاوزاعي فسألت الزهري عنه فقال ان استخلف الوليد
بن يزيد والا فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني
محمد بن ابرهيم قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على
ان يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض المجان لقد رأيت
المجوسي البناء فوق الكعبة وهو يقدر مواضع اركان القبة فلم يمس تلك الليلة حتى وافاه
الخبر بقتل الوليد واخبرنا المرزباني قال اخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن ابي اسحق الطلحي قال
اخبرني احمد بن ابرهيم بن اسمعيل عن ابي العالية عن بعض اهل العلم قال قال يزيد بن الوليد الملقب
بالناقص لما ولي انشد الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد الا اخبره فقام ثور بن يزيد فقال اشهد
لقد سمعته يقول اسقياني وابن حرب واستراني بازار واتركا من طلب الجنة يسعى في خسار
سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني احمد بن خالد الكاتب
قال حدثنا محمد بن مخلد قال نشر الوليد بن عبد الملك المصحف وكان كانه اصابع وجعل يرميه
بالسهام ويقول تذكرني الحساب ولست ادري احقاً ما تقول من الحساب فقل لله يمنعني
طعامي وقل لله يمنعني شرابي قال السيد رضي الله عنه ويله من هذه الجرأة على الله وويلاً طويلاً وما اقدر
الله ان يمنعه طعامه وشرابه وحوبته وما اولاه اللعين باليم العقاب وشديد العذاب لولا
ما تتم به المحنة وينتظم به التكليف من تأخير المستحق من الثواب والعقاب ومعيدهما من احوال
الطاعات والمعاصي اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد

اخبار حماد

زنديقاً وانه فتح المصحف يوماً فرأى فيه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف ورماه غرضاً
بالنبل حتى خرقه وهو يقول اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد اذا لاقيت ربك يوم حشر
فقل يا رب خرقني الوليد واما حماد الراوية فكان متهماً في الدين زارياً على اهله مدمناً لشرب الخمور
وارتكاب الفجور قال عمرو بن بحر الجاحظ كان سعد بن زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد
وحفص بن ابي بردة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن ابي فروة وحماد عجرد وعلي بن الخليل
وحماد بن ابي ليلى الراوية وحماد بن الزبرقان والمنذر بن الحرث وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد
بن الفيض وجميل بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون على الشراب وقول الشعر
ويهجو بعضهم بعضاً وكلهم كان زنديقاً متهماً في دينه وعمل يونس بن ابي فروة كتاباً سماه مثالب
العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار به الى ملك الروم فاخذ به مالاً جليلاً وقال احمد بن يحيى
النحوي قال رجل يهجو حماداً نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد هدلت مشافره
الشمول فانفه مثل القدوم يسنها الحداد وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم
الحساب سواد لا يعجبنك بره ولسانه ان المجوس يرى لها اسناد وكان حماد مشهوراً بالكذب
في الرواية وعمل الشعر لانه كان رجلاً يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته
فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه وان لم يكن دالاً على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب
في الرواية واما حماد الزبرقان فكان طريقته في المجون والهزل اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد قال اخبرنا ابن
دريد قال اخبرنا الاشنانداني قال دعا حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا يتقارضان
فاجهره ابو الغول فلم يزل ابو المفضل به حتى اجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال ما صنعت
وحماد قال اصطلحنا على ان لا آمره بالصلوة ولا يدعوني الى شرب الخمر ثم انشد المفضل قوله
نعم الفتى لو كان يعرف ربه وذكر الابيات التي تقدمت في الرواية الاولى منسوبة الى هجاء
حماد الراوية واما حماد عجرد فشهرته في الضلال كشهرة الحمادين وكان يرمى مع ذلك بالابنة
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال اخبرني بن
مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني البشري بن الصباح الكوفي قال دخلت على

بشار بالبصرة فقال لي يا علي اما اني قد اوحشت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد قلت بماذا يا معاذ قال بقولي
فيه يا ابن نهيا رأس علي ثقيل واحتمال الرأسين خطب جليل فادع غيري الى عبادة ربين
فاني بواحد مشغول فقلت قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما ذا يقول
قلت فادع غيري الى عبادة ربين فاني عن واحد مشغول فلما سمعه اطرق ساعة وقال احسن والله
ابن الفاعلة ثم قال الحاني لاحسنهن فلا انشد احد هذين البيتين وكان اذا سئل بعد ذلك عنهما قال
ما هما لي واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون عن عمه يحيى بن علي بن عمر بن شبه قال حدثني خلاد الارقط
قال قال بشار بلغوا ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد علي ما
تجمعون فوالله لما اقول احسن مما يقول فغمته الناس على هذا وروى ابن شبة عن ابي عبد الله قال كان
حماد بن عجرد يعير بشارا بالقبح لانه كان عظيم الجسم مجدورا طويلا جاحظ العينين قد تغشاهما
لحم احمر فلما قال حماد فيه والله ما الخنزير في نتنه بربعه في النتن او خمسه بل ريحه اطيب من ريحه
ومسه الين من مسه ووجهه احسن من وجهه وجنسه اكرم من جنسه فقال بشار ويلي
على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف قال ما اراد الزنديق الا قول الله تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فاخرج الجحود بها مخرج هجاي وهذا
من بشار وتغلغل شديد لطيف واول من جعل نفي الاحاد تاكيدا للوصف به واخرج ذلك
مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد عجرد فقال لو ان ماني وديصانا وعصبتهم جاؤوا اليك
لما قلناك زنديقا انت العبادة والتوحيد مذ خلقا وذا التزندق نيرنجا مخاريقا واما ابن المقفع
فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجد كتاب زندقة الا واصله ابن المقفع وروى
ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار المجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل بقول
الاحوص بن محمد الانصاري يا بيت عاتكة الذي اتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل اني
لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل وروى احمد بن يحيى بن زياد قال قال
ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد قال الاخفش والصحيح انه يرثي بها ابن ابي العوجاء رزينا ابا عمرو
ولا حي مثله فلله ريب الحادثات بمن وقع فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوي خلة ما في السداد

من الطمع فقد جر نفعا فقدنا لك اننا امنا على كل الرزايا من الجزع قال تغلب البيت الاخير يدل
على ان مذهبكم فان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير واخبرني علي بن محمد الكاتب قال حدثني
محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حنظله قال حدثنا خالد بن خداش قال كان
الخليل بن احمد يحب ان يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد
المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن فقيل للخليل كيف رأيت ابا عبد الله فقال ما رأيت مثله و
علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع وكيف رأيت الخليل فقال ما رأيت مثله وعقله اكثر من
علمه قال المغيرة فصدقا اذى عقل الخليل الى ان مات ازهد الناس وجهل ابن المقفع اداه الى ان كتب
امانا لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس
وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة امر البيعة وكتب
الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه
جيد الكتابة فصيح العبارة له حكم وامثال يستفاد من ذلك ما روي ان يحيى بن زياد الحارثي
كتب اليه يلتمس معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة والصفاء فاخر جوابه فكتب اليه كانا اخو
يسترثيه فكتب اليه عبد الله ان الاخاء رق وكرهت ان املكك رقي قبل ان اعرف حسن ملكتك
وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على جار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك مما لا يكاد
يخطيك وكان يقول اذا نزل بك امر فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة
فيه فلا تجزع ودعاه عيسى بن علي الى الغداء فقال اعز الله الامير لست يومي للكرام اكيلا قال ولم
قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار وكتب اليه بعض اخوانه اما بعد فعلم
العلم ممن هو اعلم به منك وعلمه من انت اعلم به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت
ما علمت وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر
وقال لآخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا
سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه ولا
تعد ما لا تقدر على انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على

ماتخاف الهجر عنه وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم قد يخيسون الى قله الوفاء فلا تشعرن
قلبك بسطا فانه لم يشعر احد قلبه شيئا الا ظهر على لسانه انه كان سخيفا وعلى وجهه اذ كان مليما و
يقول يحيى بفضل العالم عن الدنيا علمه بان لا دوام لها ولم تقسم فيها على قدر الخطار واما ابن ابي
العوجاء فقد ذكرنا ما روي من اعترافه بذنبه في احاديث النبي صلى الله عليه وآله احاديث مكذوبة
وروي انه راى مصحفا وقد كتب عليه اية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت عليه هذا فقال لئلا يسرق فقال
قد رايا مصحفا سرق وللنبارق قل لعبد الكريم يا ابن العوجاء بعث السلام بالدين يوما لا
تصلي ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما وفيها لا تبالي اذا اصبت من الخمر عتيقا ان لا
يكون عتيقا ليت شعري غداه في الحد حين تخليت ام زنديقا فاما بشار بن برد فروي لنا انه
قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوي فقال ان هذا اللحم يدفع
عني شر هذه الظلمة قال المبرد ويروي ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب راي ابليس
في الامتناع من السجود وروي له النار مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار
وروى بعض اصحابنا قال كنا اذا حضرت الصلوة نقوم اليها ويقعد فيجعل بشار حواليه ثوبه ترابا
لينظر هل يصلي معود والتراب بحاله لم يقم الى الصلوة واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال اخبرنا ابي قال حدثني ابن مهرويه عن احمد بن خلاد قال حدثني ابي
قال كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد وكان يقول ما اعرف الا ما عاينت
او ما عاينت معاينته وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما اظن الامر يا ابا محمد الا كما يقال انه خذلان
ولذلك قال طبعت على ما فيّ غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا اريد فلا اعطى واعطى
ولم ارد وقصر علمي ان انال المغيبا واصرف عن قصدي وعلمي مقصر امسي وما اعقبت الا
التعجبا قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطا الغزال قبل ان يظهر مذاهبه المكروهة
وكان بشار مدح واصل بن عطا وذكر خطبته التي نزع فيها الراء وكانت على البديهة فقال
تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا وحبروا لخطيبا ناهيك من خطب فقام مرتجلا تغلي بداهته
كمرجل القين لما حف بالتهب وجانب الراء لم يشعر به احد قبل التصفح والاغراق في الطلب

ومثل هذا قول بعضهم في واصل ويجعل البر قمحا في تكلمه وجانب الراء حتى احتال في الشعر ولم
يطق مطرا والقول يعجله فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر فلما اظهر بشار مذاهبه هتف به
واصل وقام بذكره وبكفره فقال ما لي اشايع غزالا له عنق كنقنق الدو ان ولى وان
مثلا عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا فلما تابع على واصل ما يشهد
به الحاده قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا المشنف المكنى بابي معاذ من يقتله اما — المشنف
والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على
فراشه او في يوم حفلة ثم كان لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فعدل واصل من الغزل
الى الاعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى ابي معاذ ومن الفراش الى
المضجع وقال لهم فقال لو دس اليه وارسلت الى دست ومن بقر الى بعج ومن داره الى منزله ومن — زاد
المغيرية الى الغالية ولا اعلم شيئا ان يكون مقصودا وكما ذكرناه فقد تحقق اسقاطه من غير صد ول
عن الراء واما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي لان بشارا كان مولى لهم وذكر بني سدوس لان
بشارا كان ينزل فيهم فاما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلثة اقوال احدها انه لقب
ببيت قاله وهو قال الذي مرعث قاتل الطرف والنظر لست والله تاليا قلت وغلب القد
والقول الثاني انه كان لبشار ثوبان لهما جيبان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان اذا اراد لبسه
ضمه عليه ضما من غير ان يدخل راسه فيه فشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرعاث وهي
القرطة فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمي المرعث لانه كان يلبس في صباه رعاثا وهذا
هو القول الثالث وكان بشار مقدما في الشعر جدا حتى ان كثيرا من الرواة يقدمه على من تقدم
عصره عليه من المحدثين اخبرنا المرزباني عن احمد بن محمد الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن السكري — بعجم
قال قيل لابي حاتم من اشعر الناس فقال الذي يقول ولها مبسم كغر الاقاحي وحديث كالوشي
وشي البرود نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد عندها الصبر عن
لقائي وعندي زفرات يأكلن صبر الجليد يعني بشارا وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال
بشار بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود ضاعت خلافتكم يا قوم

فالقوا خليفة الله بين الناي والعود • فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه فكان سبب قتله مجلس
آخر واما مطيع بن اياس الكاتب فاخبرنا ابو عبد الله المرزباني عن علي بن هرون عن عمه يحيى
بن علي بن ابي ايوب المدائني عن احمد بن ابرهيم الكاتب قال اخبرني ابي قال رايت ابنة المطيع بن
اياس وقد اتي بها في اول ايام الرشيد واقرت بالزندقة واعترفت بها وتابت وقالت هذا شي علمنيه
ابي فقبل الرشيد توبتها وردها الى اهلها وقال محمد بن داود بن الجراح فاخاف مطيعا انه كان
يرمى به وروي انه لما حضرته الوفاة فاحاط به اهل بيته فاقبلوا يقولون قل يا مطيع لا اله الا الله فلا
يقول حتى اذا انقطعت نفسه في غرغرة تنفس ثم اهوى الى الكلام فقال له قل لا اله الا الله فتكلم
كلاما ضعيفا فتسمعوا له فاذا هو يقول لهف نفسي على الزمان وفي اي زمان دهتني الازمان
حين جاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحان فاما يحيى بن زياد الحارثي
فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال
ابي العباس ويكنى ابا الفضل ويعرف بالزنديق ويعتقد يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى يقصده
ابو نواس بقوله بيته متن وظرف زنديق قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لا يمتنع
عن شي ولا يمنع مما يدعو اليه نفسه الى الظرف ولمساعدته على كل شي وقد خلا من قبل يحيى بن
زياد وهو يجود بنفسه قل لا اله الا الله فقال الوثيق لا الا القرط والخلاخل ثم اغمي عليه فلما افاق
اعيد عليه القول فقال وباني تعلو به المراجل وروى محمد بن يزيد المبرد قال كان مطيع بن اياس
يرثي يحيى بن زياد وكانا جميعا مرميين بالخروج عن الملة يا اهل بكوا لقلبي القرح والدمع
السواكب السفح راحوا بيحيى الى مغيبه في القبر بين التراب والصفح راحوا بيحيى ولو تطاوعني
الاقدار لم يبتكر ولم يرح فقطع الحزن بالسرور وعاد بل بكرهما من الاذى ايا خير من القرح
يحسن البكاء له اليوم ومن كان بالامس للمدح والمطيع يرثيه انظر الى الموت كيف نادمه و
الموت معتاد على النعم لو قد تذكرت ما صنعت به قرعت سنا علي من ندم فاذهب من
شئت ذهبت به ما بعد يحيى للرزء من الم فاما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذاهب
الثنوية وقيل ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على اي شي تعزم يا صالح قال استخير الله

فاقول بالاثنين قال ابو الهذيل فما استخرت لا ام لك وروي ان ابا الهذيل ناظره في مسئلة معروفة
في الامتزاج الذي ادعوه بين النور والظلمة فاقام عليه الحجة وانقطع فانشد يقول ابا الهذيل
هداك الله يا رجل فانت حقا لعمري معضل جدل وروي انه راى رجلا يصلي صلوة تامة الركوع
والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الاهل
والولد وقيل انه لما اراد المهدي قتله على الزندقة دعا اليه بكتاب وقال له اقرا هذا فقال
وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح اوتعرفه انت يا امير المؤمنين اذا قراته قال لا قال افتقطع
علي بما لا تعرف قال فانا اعرفه قال صالح قد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقراه ولست بزنديق
وذكر محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما وقف به من الزندقة بحضرة المهدي
قال له المهدي الست القائل في حفظك ما انت عليه رب سر كتمته فكاني اخرس او ثنى لساني
جبل ولو اني ابديت للناس علمي لم يكن لي في غير حبسي اكل فقال صالح فاني اتوب وارجع
فقال له هيهات الست القائل والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه اذا ارعوى
عاوده جهله كذي الضنى عاد الى نكسه ثم قدمه فقتل وروي انه صلبه على الجسر ببغداد ومن
شعره وهو في الحبس خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا فيها ولا الموتى اذا دخل السجان من الاحياء
يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا اذا نحن اصبحنا
الحديث عن الرؤيا فان حسنت لم تات عجلى وابطات وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى
طوى دوننا الاخبار سجن ممتنع له حارس تهدا العيون ولا يهدا قبرنا فلم ندفن فنحن بمعزل
من الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى الا احد يا ويح لاهل محلة مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الكل
قال سيدنا الشريف رحمه الله ان ابن ابي الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله
يصف الحبس بيت يجدد للكريم كرامة ويزار فيه ولا يزور ويحفل فاما علي بن الخليل الشيباني
فذكر محمد بن داود قال كان علي بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى ابا الحسن وهو كوفي
متهما بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد
فمدحه ومدح الفضل بن الربيع وروي انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة جهر بشيخ حسن الهيئة

حسن الصحابة جمة فقصيدة فأنشدها هارون الرشيد فاخذها منه فقال يا امير المؤمنين احسن قراءة
لها من غيري فأذن لي في قراءتها فقال افعل فقال اني شيخ كبير ولا آمن الاضطراب لي اذا انشدت فان
رايت ان تأذن لي في الجلوس فعلت فقال اجلس فأنشأ يقول يا خير من وجدت بارحله
نحو الركاب بمهمه جلس نطوي السباسب في ازمتها طي التجار عمائم البرسي لما رأتك الشمس
طالعة سجدت لوجهك طلعة الشمس خير الخلائق انت كلهم في يومك الماضي وفي امس و
كذاك لا شك في غدهم زيدوا بفضل فوق ما عبقي من عصبة طابت ارومتها اهل العفاف
وشموخ المقدس فوق النجوم فروع نبعتهم ومع الحضيض منابت الغرس اني رحلت اليك من
فرح كان المتوكل عنده التوبيس ما ذاك الا ان جعل اسمى لي غرس لا انس بقرا وقس
لا تقرون حلها نقلن بالتطويل الحبس واجاذب الفتيان بينهم صهباء مثل مجاجة الورس
لما في حافاتها حبب مثل كطي صحائف العرس والله يعلم في بقيته ما ان اضعت الا من النحس
فقال له من انت قال علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق قال انت آمن وكتب الى جدوبك
يعرفه ومن يركبا ذكره من هؤلاء اكثر ممن ذكرناه وانما اعتمدنا من كان بهذه الصفة اشهر
وامره فيها اظهر فاوردنا من ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل واذ قد ذكرنا جملة من اخبار اهل
الضلالة والمعاندين للجهالة حسبما سألنا فنحن نتبعها بشيء من اخبار اهل التوحيد والعدل وملح
حكاياتهم ومستحسن الفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت تجارته وخسرت صفقته فقد سألنا ايضا
ذلك اعلم ان اصول التوحيد والعدل ماخوذ من كلام امير المؤمنين صلوات الله عليه وخطبه فانها
تتضمن من ذلك ما لا مزيد عليه ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع
ما اسهب فيه المتكلمون من بعد وفي تصنيفه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول
وروي عن الائمة من ولده عليهم السلم من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة ومن احب الوقوف عليه وطلبه من
مظانها اصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج العقول العقيمة
ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما روي عنهم في هذا الباب فمن ذلك ما روي عن امير المؤمنين
عليه السلم وهو يصف الله تعالى بمضادته بين الاشياء علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم

ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين
متعادياتها مفرق بين متدانياتها وما روي عنه عليه السلم وقد قيل له بم عرفت ربك قال
بما عرفني به نفسه قيل وكيف عرفك قال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس وقيل
له عليه السلم كيف يحاسب الله الخلق قال كما يرزقهم قيل كيف يحاسبهم ولا يرونه قال
كما يرزقهم ولا يرونه وساله رجل فقال اين كان ربك قبل ان يخلق السماء والارض فقال
عليه السلم اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابي عبد الله الصادق عليه السلم
انه سأله محمد الحلبي فقال هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه قال نعم رآه بقلبه واما
ربنا جل جلاله فلا تدركه ابصار حدق الناظرين ولا يحيط به اسماع السامعين وروي صفوان
بن يحيى قال ادخل ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا عليه السلم فساله عن اشياء من الحلال والحرام
والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا عن النبي صلى الله عليه وآله
ان الله قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى صلى الله عليه الكلام ولمحمد صلى الله عليه وآله
الرؤية فقال الرضا عليه السلم فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه
الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء اليس محمد صلى الله عليه وآله نبيا صادقا قال بلى قال
فكيف يجيء رجل الى الخلق فيخبرهم انه جاء من عند الله تعالى يدعوهم اليه بامره ويقول لا تدركه
الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء ثم يقول انا رأيته بعيني واحطت به علما والله ما قدرت
الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر قال ابو قرة
فانه يقول ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال عليه السلم ان بعد هذه الآية ما يدل على
ما رأى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم اخبر تعالى بما
رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله قال تعالى لا يحيطون به علما فاذا
رأته الابصار فقد احاط به العلم قال ابو قرة افأكذب بالرواية فقال الرضا عليه السلم اذا
القرآن كذبها وما اجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء
واتى اعرابي ابا جعفر محمد بن علي الصادق عليه السلم فقال له هل رأيت ربك حين عبدته قال لم اكن

اعبد شيئا لم اره قال كيف رايته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل راته القلوب بحقائق الايمان
لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته هو الله
الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي الله اعلم حيث يجعل رسالته وروي ان شيخا حضر صفين مع امير
المؤمنين عليه السلم فقال اخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام هل كان بقضاء من الله وقدر
قال نعم يا اخا اهل الشام والذي فلق الحبة وبرئ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا
علونا تلعة الا بقضاء الله وقدره فقال الشامي عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين وما اظن ان لي
اجرا في سعيي اذ كان الله قضاه علي وقدره فقال له عليه السلم ان الله قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم
سائرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا
عليها مجبرين فقال الشامي كيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال
له ويحك يا اخا اهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ولو كان ذلك كذلك لبطل
الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي ولو كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسيء
والمسيء بعقوبة المذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن اولحم
وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تعالى امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا و
كلف يسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء
لعبا ولم ينزل الكتب الى العباد عبثا ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار قال الشامي فما القضاء والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما
قال الامر من الله بذلك والحكم ثم تلا وكان امر الله قدرا مقدورا قال فقام الشامي فرحا مسرورا لما
سمع هذا المقال وقال فرجت عني فرج الله عنك يا امير المؤمنين ثم انشا يقول انت الامام
الذي نرجو بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفرانا اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك
ربك بالاحسان احسانا وروي ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة واتيت ابا عبد الله
عليه السلم فسلمت عليه وخرجت من عنده فرايت ابنه موسى عليه السلم في دهليزه قاعدا في مكتبه
وهو صغير السن فقلت له اين يحدث الغريب عندكم اذا اراد ذلك فنظر الي ثم قال يجتنب شطوط

الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ويرفع بعد ذلك ويضع حيث شاء
فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي فقلت جعلت فداك فممن المعصية فنظر الي
ثم قال اجلس حتى اخبرك ان المعصية لا بد ان تكون من العبد او من ربه او منهما جميعا فان كانت من الله
تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله وان كانت منهما جميعا فهو شريكه
والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه
النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية
بعضها من بعض والله سميع عليم وقد نظم هذا المعنى شعرا فقيل لم تخل افعالنا اللاتي نذم بها
احدى ثلاث خلال حين ناتيها اما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
او كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها او لم يكن لالهي في جنايتها
ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها واحد ممن تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل
الحسن بن ابي الحسن البصري واسم ابيه يسار من اهل ميسان قرية بالبصرة مولى لبعض الانصار
وكان اسم امه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وكان يقال ان الحكمة التي
اوتيها الحسن من ذلك ان ام سلمة كانت تاخذ الحسن اذا بكى فتسليه بثديها فكان يدر عليه
وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة وكان ولد سنة ست وثلثين ومائة فمن تصريحه
بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيمة مسودا
ثم قرا ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال داود بن ابي هند سمعت
الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي وكان الحسن نادرة الفصاحة بليغ النصاحة
كثير العلم وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا انما جله ماخوذ لفظا ومعنى او معنى دون لفظ
كلام امير المؤمنين عليه السلم فهو في ذلك القدوة والغاية فمن ذلك قوله عليه السلم هما شيئان لا بد
ماخوذ من اخذهما احدهما اكبر شيء في الدنيا ولا تحزن على شيء في الدنيا فالعبرة ولا عنا وقوله عليه السلم مثل
الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من احدهما قربا ازددت من الاخرى بعدا وقوله عليه
شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره وقوله في وصف

الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح
فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقوله في كلام له فيها ايها
اللائم للدنيا المغتر بغرورها متى استذمت اليك ام متى غرتك ابمضاجع آبائك من البلى
ام بمنازل امهاتك من البلا كم مرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء و
تستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك قال سيدنا رحمه الله
وهذا باب ان ولجناه اعرضنا من شرح ما نحن بسبيله عن تمام ما طلبناه وكل قول في هذا الباب
لقائل اذا اضيف اليه او قورن به كان كاضافة القطرة الى الغمرة والحصاة الى الجمرة وانما
اشرنا اليه اشارة واومانا ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه روي ان اعرابيا سمع كلام الحسن
المصري فقال المومن فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ وروي ان الحسن قال يوما انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ثم قال قوما غدوا في المطارف
العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم منه
في عافية حتى اذا اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم من اهل الذمة اهزلوا
دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم الم ترهم قد جددوا الثياب واخلقوا الدين
يتكي احدهم على شماله ياكل من غير ماله طعامه غصب وخدمه سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار
بعد بارد ورطب بعد يابس حتى اذا اخذته الكظة تجشى من البشم ثم قال يا جارية هات
هاضوما يهضم الطعام يا احمق لا والله ان تهضم الا دينك اين جارك اين يتيمك
اين مسكينك اين ما اوصاك الله به وذكر يوما الحجاج فقال اتانا اخيفش اعمش له جميمة
يرجلها اخرج الينا بنانا قصارا والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه
ثم رقى هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا
عن المنكر ويركبه وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فانكم
ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر
فحدثت بذلك ابا عمرو بن العلا فعجب من فصاحته وكان يقول في بعض كلامه ما شاء ان يروى احدهم

اشر بطرا يلح في الباطل ملحا ينفض مذرويه ويقول ها انا ذا فاعرفوني قال اللحم هو الرخص
وليس هو البائض على ما يظنه قوم لانه قد تكون الرخاصة مع الادمة واما قوله ملح فان الملح هو
النتف والكثير يقال ملح الفرس اذا لعب وقال رؤبة يصف الجياد معترم الحلبة ملاح الملق
والمذروان فرع الاليتين قال عنترة احولي تنفض مذرويها لتقتلني فها انا ذا عمارا هذا
قول ابي عبيد وقال ابن قتيبة رادا عليه ليس المذروان فرع الاليتين حسب بل هما الجانبان
من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب اصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما
منكباه وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنع الشيب مذرويه يريد جانبي راسه
وهما فوداه وانما سميت بذلك لانهما يذريان اي يشيبان قال وهذا اصل الحرف ثم استعير
للمنكبين وللاليتين والطرفين من كل شيء وقال امية بن ابي عائذ الهذلي يذكر قوما على
عجب هنا مر المذروين ... اراد قوما سقط رماها قال فلا معنى لوصف
الرجل الذي ذكره الحسن انه يحرك اليتيه وانما اراد به يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به
المرح المختال وربما قالوا جاء فلان ينفض مذرويه اذا تهدد وتوعد لانه اذا تكلم وحرك راسه
نغض قرون فوديه وهما مذرواه قال سيدنا الشريف رحمه الله ليس الذي ذكره ابو عبيدة ببعيد
لان من شان المختال الذي يعجب بنفسه ان يهتز ويتثنى فتتحرك اعطافه واعضاؤه ومذرواه
من جملة ما يهتز ويتحرك لانها بارزان من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروين بالذكر
مع ان غيرهما يتحرك على طريق التقبيح على هذا المختال والمنقص لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شان
من يمدح اي يحرك اليتيه ليس بشيء لانه لا اغلب من شان المرح المختال الا الاهتزاز وتحريك
الاعطاف وعلى ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شان كل متوعد ان يحرك راسه وينفض مذرويه
فاذا قيل ان ذلك في الاكثر قيل له مثله وكان الحسن يقول يا ابن آدم جمعا جمعا شدا شدا في
وعاء وشدا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل مات فافضى والله الى الآخرة فطال حسابه
وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل اسير جوع وصريع شبع ان من بولة
البقة وتقتله الشرقة لبادي الضعف قريب الحتف وكان يقول ما اطال احد الامل الا

انما العمل وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول البقاء الى فناء فخذ من فنائك الذي لا يبقى
لبقائك الذي لا يفنى والسلام وكان يقول اذا رايت رجلا ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة
وسأله رجل فقال له ما حالك فقال يا شديد حال ما حال من اصبح وامسى ينتظر الموت ولا يدري
ما يفعل الله به وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفتان ووكل بك ملكان كريمان يكتبان
عملك فاقلل ما شئت واكثر ما قلل وفي خبر آخر وكل بك ملكان كريمان ريقك مدادهما ولسانك
قلمهما وروى ابو بكر الهذلي قال لما وفد عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا فبعث
الى الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد اخذ الله ميثاقه انتجبه
بخلافة وقد اخذ بنواصينا واعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة ايدينا فوجب علينا السمع
والطاعة وانه يبعث الي عن امركم غير ما يلي اياه الا انه لا يزال الكتاب الينا في القوم بقتلهم وفي
الضياع بنقضها وفي العقد بعبد تعهدها فيقع به من ذلك ما ولاه الله فما تريان فاما الشعبي فقال
قولا فيه بعض اللين واما الحسن فانه قال له يا عمر اني انهاك عن الله ان تتعرض له ان الله يمنعك
من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله اوشك ان ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك
ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا يضيعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل
ناصرا لدين الله فلا تتركوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم به فانه لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرما عليه من بعد وروى
ابو بكر بن عياش انه قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني قال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به
قال عظني قال وليت قط قال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فأته الى من وليته وعن ثابت البناني
قال قال رجل للحسن اخذ عطائي ام ادعه حتى اخذه من حسناتهم يوم القيمة فقال له قم ويحك خذ عطاءك
فان القوم مفالسين من الحسنات يوم القيمة وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه فقال الحسن الحمد لله
على هبته وشكر يد من نعمه ولا مرحبا ان كنت غنيا اذهلني وان كنت فقيرا اتعبني لا ارضى بسعي
له سعيا ولا بكد له كدا في الحيوة اشفق عليه من الفاقة وانا فيحال لا يصل الي من همه حزن ولا من
فرحه سرور وكان الحسن يقول لو لم يكن في التراب الا انه ذهاب الى الحج علو الله الى الله وهو العقل
نحسن

لكان للعاقل ان يجتنبه وعزى جار له يهوديا فقال له جزاك الله على مصيبتك باعظم ما جازى به احدا
من قبلك وهذا تخلص منه مليح لانه لم يدع له بالثواب التي لا يستحقه الكفار واراد الجزاء العوض
الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب وكان يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا
لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا السلطان الجائر غيبة وقال في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة
قال العلم وفي الآخرة حسنة قال الجنة وخرج الحسن في جنازة معها نوائح فقال له رجل اما ترى يا ابا
سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رايت قبيحا تركت له حسنا اسرع
ذلك في دينك وذكر هذه الدنيا فقال احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع
وكان يمثل اليوم عندك دلها وحديثها وعند العيرة كفها والمعصم وحكى ابو عبيدة
لما فرغ الحجاج من خضرا واسط نادى في الناس ان يخرجوا يدعوا له بالبركة فخرج الناس و
خرج الحسن فاجتمع عليه الناس مخافة اهل الشام على نفسه ان يقتلوه فجعل وهو يقول قد نظرنا
يا اخبث الاخبثين فاما اهل السماء فمقتوك واما اهل الارض فغروك ثم قال ان الله اخذ الميثاق
اخذ على اهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم انصرف وبلغ الحجاج ذلك فقال يا اهل الشام
وهم حوله الله الله ليقوم عبد من عبيد البصرة فيتكلم فينا بما تكلم ثم لا يكون عند احد منكم تغيير
ولا نكير قالوا ومن ذلك اصلحك الله استنادهم فقال علي به وامر بالسيف والنطع فاحضر ووجه
اليه فلما دنا من الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا واجلسه قريبا
من فراشه وقال له ما تقول في علي وعثمان قال اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك
قال موسى لفرعون اذ سأله ما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي و
لا ينسى علم علي وعثمان عند الله تعالى فقال له الحجاج انت سيد العلماء ثم دعا بغالية فغلف
بها لحيته فلما خرج اتبعه الحاجب فقال يا ابا سعيد والله لقد دعا لغير ما فعل بك ولقد احضر
السيف والنطع فلما اقبلت رايتك حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت يا عدتي عند كربتي
ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي وربا الهي واله آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
ارزقني مودته واصرف عني اذاه ومعرته ففعل ربي عز وجل ذلك وكان الحسن يقول ان ذلك

المنافق معروفاً حتى عمم هذا عمامة وقلده سيفاً يعني الحجاج وروى أبو بكر الهذلي قال ان رجلاً قال للحسن
البصري يا أبا سعيد ان الشيعة تزعم انك تبغض علياً فقال فأكب يبكي طويلاً ثم رفع رأسه فقال
لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهماً من مرامي الله على عدوه رباني هذه الأمة ذو شرفها وفضلها
وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله قريبة لم يكن بالنؤمة عن أمر الله تعالى ولا بالغافل عن حق الله
ولا بالسروقة من مال الله تعالى أعطى القرآن عزائمه فيما له وما عليه وأشرف منها على رياض مونقة واعلام
بينة ذاك علي بن أبي طالب عليه السلام يا لكع وكان الحسن إذا أراد أن يحدث في زمن بني أمية عن أمير
المؤمنين عليه السلام قال أبو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان أمراً هذا آخره لينبغي أن يزهد فيه
وان أمراً هذا أوله لينبغي أن يحذر منه وعن حميد الطويل قال خطب رجل إلى الحسن بنته وكنت السفير
بينهما فرضيه فأراد أن يزوجه فأثنيت عليه ذات يوم وقلت وأزيدك يا أبا سعيد ان له خمسين
ألفاً قال ألفاً قلت له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال قلت يا أبا سعيد انه والله عفيف ورع مسلم
فقال ان كان جمعها من حلال فقد ضن بها عن حق لا أجرى والله بيني وبينه صهراً أبداً وقيل لعلي بن
الحسين عليه السلام قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا فقال
عليه السلام بل أنا أقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا إنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله
تعالى ورأى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يعظ عند الحجر الأسود فقال يا حسن أترضى لنفسك
الموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار العمل غير هذه قال لا قال فلله في أرضه معاذ
غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف مجلس آخر ومن تظاهر بالقول بالعدل
واشتهر به واصل بن عطاء الغزال ويكنى أبا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم
وقيل مولى بني هاشم وروي انه لم يكن غزالاً وإنما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في الغزالين عند
صديق له يعرف بأبي عبد الله الغزال وذكر المبرد ان واصلاً كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات
من النساء فيصرف نفقته إليهن فلقب بذلك كما لقب أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو وزير
أبي العباس السفاح ولم يكن خلالاً وإنما كان منزله في الكوفة بقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي
خلالاً ومثله أبو علي الحرمازي مولى بني هاشم وإنما لقب بذلك لأنه كان ينزل في بني الحرماز وهم

بن يزيد الجوزي وليس بجوزي ولكنه ينزل بمكة شعب الجوز وأبو سعيد المقبري لأنه ينزل المقابر وكان
واصل ألثغ في الراء قبيح اللثغة وكان يخلص كلامه من الراء ويعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا
طرفاً منها في أخبار بشار بن برد وذكر أبو الحسن البردعي المتكلم ان انساناً سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن
شيء في القدر بحضرة واصل فتكلم السائل بشيء أغضب عمرواً فأجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال
له واصل إياك وأجوبة الغضب فإنها مقدمة ما الشيطان يكون معها وله في بعضها عليها عون وقد
أوجب الله على نبيه صلى الله عليه وآله أن يستعيذ من همزات الشياطين الخاتمة لآية وقل ما
شاهدت آداب فتثبت في جوابه وما يطابق به لسانه فحمده يوم وقال البردعي انظر إلى واصل كيف
كلم عمرواً فأخرج الآية من كلامه فقال في موضع والشيطان يحضرها يكون معها وقال إذ أوجب الله
على نبيه ولم يقل وأمر وقال وإن يكونوا معه بدلاً من قوله أن يحضروه ثم قال الخاتمة لآية وقال رب
ومما لم يذكره البردعي انه عدل عن افتتاح الآية من أجل الراء أيضاً لأن أولها وقل رب أعوذ بك من
همزات الشياطين ولولا قصده إلى العدول لكان ذكرها داعياً من ابتدائها لا ختمها وفي ابتدائها تعليم
وتوقيف على كيفية الاستعاذة والاستعاذة به وقيل ان رجلاً قال له كيف تقول أسرج الفرس فقال ألبد الجواد
فقال له كيف تقول ركب فرسه وجر رمحه فقال استوى على جواده وسحب عامله وذكر أبو الحسين
الخياط ان واصلاً كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ومولده سنة ثمانين ومات سنة
إحدى وثلاثين ومائة وكان واصل ممن لقي أبا هاشم عبد الله بن علي بن محمد بن الحنفية وصحبه وأخذ عنه
وقال قوم انه لقي أباه محمداً رضي الله عنه وهذا غلط لأن محمداً توفي في سنة ثمانين أو إحدى وثمانين
وواصل ولد في سنة ثمانين وواصل هو الذي أظهر المنزلة بين المنزلتين لأن الناس كانوا في أسماء
أهل الكبائر من أهل الصلاة على أقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجئة تسميهم بالإيمان
وكان الحسن وأصحابه يسمونهم بالنفاق فأظهر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ولا كفار
ولا منافقين وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلامذته فجمع بينه وبين واصل للمناظرة
فيما أظهره من القول بالمنزلتين فلما وقفوا على الاجتماع ذكر ان واصلاً أقبل ومعه جماعة من أصحابه
إلى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر إلى واصل وكان في عنقه طول قال أرى

عنقًا لا يفلح صاحبها وسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يا ابن اخي ان من عاب الصنعة عاب صانعها
الصانع المتعلق الذي بين الصانع والمصنوع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد وعظت
فابلغت واحسنت ولن اعود الى الذي كان مني وجلس واصل في الحلقة وسئل ان يكلم عمروًا
فقال له واصل لم قلت ان من اتى كبيرة من اهل الصلوة يستحق اسم النفاق فقال عمرو
لقول الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدًا واولئك هم الفاسقون وقال في موضع ان المنافقين هم الفاسقون
فكان كل فاسق منافقًا اذا كانت لام الالف ولام المعرفة موجودة في الفساق فقال له واصل اليس
قد وجدت الله تعالى يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون واجمع اهل العلم
على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة لقول الله تعالى والكافرون هم الظالمون يعرف بالالف واللام
التعريف الذي في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون كما قال في القاذف فاولئك
هم الفاسقون فسميته منافقًا لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو ثم قال
واصل له يا ابا عثمان ايما اولى ان يستعمل في اسماء المحدثين من اهل ما اتفق عليه اهل الفرق من اهل
القبلة وما اختلفوا فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه اولى فقال له واصل الست تجد اهل الفرق
على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقًا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه لان الخوارج تسميه
مشركًا فاسقًا والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقًا قال سيدنا رحمه الله يعني الشيعة الزيدية ونحن
نسميه منافقًا فاسقًا والمرجئة تسميه مؤمنًا فاسقًا فاجتمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك
من اسمائه فالواجب ان يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك
من الاسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقًا ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق ولا
مشرك ولا كافر فهذا اشبه باهل الدين فقال له عمرو ما بيني وبين الحق من عداوة والقول قولك
فليشهد علي من حضر اني تارك للمذهب الذي ذهبت اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل الصلوة
قائل بقول ابي حذيفة في ذلك واني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب فيستحسن هذا من عمرو وقد قيل
ان اسم الاعتزال اختصت بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن ابي الحسن في تسميته بذلك الكبيرة

من اهل الصلوة بالنفاق وحكى غيره ذلك وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان
هو وعمرو بن عبيد جميعًا رئيسين متقدمين في اصحاب الحسن فجرى بينهما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة
واجتمع اليه جماعة من اصحاب الحسن فكان اذا جلس قتادة سال عن عمرو واصحابه فيقول ما فعل المعتزلة
فسموا بذلك قال سيدنا الشريف رحمه الله اماما الائمة واصل بن عطا وعمرو بن عبيد ولا اقتدى به لا ادري
واما ما كلمه به فيا عمرو واجب لا ادري لان الاجماع وان لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق او
غيره من الاسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع ان يسمى بذلك لدليل غير الاجماع ووجود الاجماع
في الشيء وان كان دليلًا على صحته فليس فقده دليلًا على فساده وواصل انما الزم عمروًا ان
يعدل بالتسمية عن النفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا
غلط ولو لزم ما ذكره للزم ان يوجد اتفق اهل الصلوة على استحقاق صاحب الكبيرة من اهل
القبلة بالذم والعقاب ولم يتفقوا على التخليد في العقاب ويقول انهم اجمعوا على استحقاق
العقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب ان يقول بما اتفقوا عليه وينفي ما اختلفوا فيه فاذا
كان استحقاقه للخلود او فعل المستحق به للعقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بذلك غير الاجماع
قبل لمثل ذلك ثم اعمل عليه بطل على كل حال ان يكون الاختلاف في القول دليلًا على وجوب الامتناع
منه وهذا ينتقض بمسائل كثيرة يطول ذكرها على ان المقدمة التي قدمها لا يثبته ما الزم عليها
من الاجماع اولى من الاختلاف فهما متقابل ومتعارض ولا اجماع ولا اختلاف في الموضع الذي تكلم
عليه واصل عمرًا فيه وكانا فيه لان الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته بما عدا
من الاسماء فلا يعارض بينهما وله ان ياخذ بالاجماع في موضعه ويقول فيما الاختلاف فيه على دلالة غير
الاجماع لانه فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه وحكي ان واصلًا كان يقول اراد الله تعالى
من العباد ان يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى انني انا الله فعرفه نفسه ثم امره بالعمل قال
والدليل على ذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و
تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر علموا وعملوا وروى المبرد قال حدثنا واصل بن عطا كان في فتية
فاحسوا بالخوارج وكان قد اشرفوا على العطب فقال لهم واصل للفتية ان هذا ليس من شانكم فدعوني

واياهم فقال واصل ذلك فقالوا الخوارج لهم ما انت واصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله
حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا الاحكام فجعلوا يعلمونهم احكامهم وجعل يقول قد قبلت
انا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ما لكم ذلك قال الله تعالى وان احد
من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه فابلغونا مامننا فساروا باجمعهم
حتى بلغوهم المامن ويحكى ان محمدا وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهم واصل الى القول
بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة ويحكى ابو القاسم البلخي
ان عبد الله بن الحسن قال لابنه محمد كل خصالك محمودة يا بني الا قولك بالقدر فقال له يا ابه
افتى اقدر على تركه او لا اقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبتك عليه ابدا
وقال سيدنا رحمه الله وقال ابو القاسم البلخي يقول ان كنت اقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا اقدر
على تركه فلم تعاتبني على شيء لا اقدر على تركه **واما عمرو بن عبيد** فيكنى ابا عثمان مولى لبني العد
من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبي كابل من بني عبد الرحمن بن سمرة
وكان باب مولى لبني العدوية وكان ابو عبيد شرطيا وكان عمرو متزهدا فكانا اذا اجتازا على
الناس قالوا هذا شر الناس ابو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابرهيم وانا آزر بن ناحور وقال
علي بن الجعد هو عبيد بن باب وكان نوابا للحكم بن ايوب وكان باب مكاريا له وكان معروف
قوله وكان باب فارسيا وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وللفحش فيه وذكر ابو الحسين
الخياط ان مولد عمرو بن عبيد جميعا في سنة اثنين · قال ومات عمرو بن عبيد في سنة اربع واربعين
ومائة وهو ابن اربع وستين سنة روي ان عمروا استاذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال
له بالباب رجل قال انه عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية محشوة فقال ويلك يا ربيع
عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصا ابيض فاتي به فالقاه عليه ثم قال له ادن من خلفي فحط الجبة
قال الربيع ولم اكن ارى احدا يوقر المنصور حتى رايت عمرو بن عبيد قال فدخل عليه رجل بوجه الكل بين
عينيه اثر السجود حسن الادب حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة واعظامه اياه
قال فلم فاجتذبه المنصور ليجلس معه فابى وطرح نفسه بين يديه فسائله واحتفى به فلما اراد عمرو القيام

قال عظني يا ابا عثمان واوجز فقال ان ما في يدك لست بوارثه من احد وانما هو شيء صار اليك وقد
كان في يد غيرك قبلك ولو دام له لم يصل اليك والسلام وعن الاصمعي قال قال مطر الوراق
لعمرو بن عبيد اني لارحمك مما يقول الناس فيك قال عمرو ويسمعني اقول فيهم شيئا قال لا قال اياهم فارحم
وكان خالد بن صفوان يقول لعمرو بن عبيد لم لا تاخذ مني فتقضي دينا ان كان عليك وتصل رحما فقال
عمرو اما الدين فليس علي واما صلة رحمي فلا يجب علي ولا هو عندي قال فما يمنعك ان تاخذ مني
قال يمنعني انه لم ياخذ احد من احد شيئا الا ذل له وانا اكره ان اذل لك وروي ان ابن ابي ربيعة اتى عمرو بن
عبيد في المسجد فسلم وجلس اليه فقال يا ابا عثمان ما تقول في قول الله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فقال له ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم
يكلفها فاما العدل بينهن في القسمة من النفقة والقسمة فهو مطيق لذلك وقد كلفه الله تعالى بقوله
فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايما ولا ذات بعل فقال ابن ابي ربيعة هذا
والله هو الحق وقيل ان عمرو بن عبيد اتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان اباك كان اصلك
وان ابنك كان فرعك وان امرا ذهب اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه ثم فضل ان عبد الله بن عبد الاعلى
اخذ هذا المعنى فقال · صحبت قبل الروح اذ انا نطفة · تصان بما تبدو العين صونها
ارى المرء ادنى المنايا وما لها · سطا الاذاعات تعترض دونها · فماذا بقاء الفرع من بعد اصله
يبقى البذور لا في لا صول غصونها · واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله فبعض اللوم عاذلتي
فاني · ستكفيني التجارب وانتسابي · الى عرق الثرى وشجت عروقي · وهذا الموت يسلبني شبابي
فاخذ ذلك لبيد في قوله · فان انت لم تصدق لك نفسك فانتسب · لعلك تهديك القرون الاوائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا · ودون معد فلتزعك العواذل · واخذه ايضا من قوله
تود ابنتاي ان يعيش ابوهما · وهل انا الا من ربيعة او مضر · وينظر اليه محمود الوراق وابرهيم بن
العباس الصولي فاما محمود ففي قوله اذا ما انتسبت الى آدم · ولم يك بينكما من اب · وجاوز
سنوك بك الاربعين · وصرت الى جانب الاجنب · وحل البياض محل السواد · فاصبحت في
شبه الاشهب · فكيف تؤمل طول الحياة · اذا كان حملك لم يعزب · واما ابرهيم ففي قوله

نعى نفسي إليّ أبي   وخبر ابن منقلي بموعظة راها في ابنه كما رايت في ابي   وكان ابو نواس لحظ
هذا المعنى بقوله   وما الناس الا هالك وابن هالك   وذو نسب في الهالكين عريق   اذا امتحن
الدنيا لبيب تكشفت   له عن عدو في ثياب صديق   **مجلس آخر**   قال روي ان عمرو بن عبيد
دخل على معوية بن عمرو الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك
وقلبك ووضع عنك في هذه الحال العمل على الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما
يجب له عليك   وروي ان قوما اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخاء فاكثروا في وصفه وعمرو
ساكت فسالوه عما عنده فقال ما اصبتم ان السخاء من جاد بماله تبرعا وعف عن اموال الناس تورعا
وذكر اسحق بن الفضل الهاشمي قال اني لعلى باب المنصور يوما والى جنبي عمارة بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد
على حمار له فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت الى عمارة فقال ان الذي
استحققته قد دخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال اللبث ثم خرج الربيع وهو يتكئ على الربيع
يقول يا غلام حمار ابي عثمان فما برح حتى اتي بالحمار فاقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فاقبل
عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب
عنك مما فعل به اكثر واعجب قال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان سمع الخليفة بمكانه
فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي معه وعليه سواده وسيفه ثم اذن له فلما
دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكأه فخذه وتحفى به ثم ساله عن نفسه وعن عياله
يسميهم رجلا رجلا وامراة امراة ثم قال له يا ابا عثمان عظنا فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر وقراها الى آخرها وقال ان ربك يا ابا جعفر لبالمرصاد قال
فبكى كانه لم يسمع تلك الآية الا تلك الساعة ثم قال زدني فقال ان الله تعالى اعطاك الدنيا باسرها
فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم افضى
اليك وكذلك لن يخرج منك الى من هو بعدك واني احذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيمة قال فبكى
بكاء اشد من بكائه الاول حتى رجف جنباه   وفي رواية اخرى انه لما انتهى الى آخر السورة قال ان
ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ان ينزل به ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء ذلك نيرانا

تاجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا ابا عثمان اما
تكتب اليهم في الطوامير تامرهم بالعمل بالكتاب والسنة فان لم يفعلوا فماذا ان نصنع بهم فقال
له مثل اذن الفارة يجزيك من الطوامير لا والله تكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها
وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذ وبما انك والله لو لم ترض من عمالك الا بالعدل اذ
لتقرب اليك به من لا نية له فيه قال سيدنا رحمه الله رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان بن
مجالد رفقا يا امير المؤمنين فقد اتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الامر وانتشر لا ام لك
وماذا خفت على امير المؤمنين ان بكى من خشية الله   وفي رواية اخرى ان سليمان بن مجالد لما قال
ذلك رفع راسه فقال من انت قال ابو جعفر او لا تعرفه يا ابا عثمان قال لا ولا ابالي ان لا اعرفه
قال هذا اخوك سليمان بن ام مجالد قال هذا اخو الشيطان ويلك يا بن ام مجالد خزنت نصيحتك عن
امير المؤمنين واردت ان تحول بينه وبين من اراد نصيحته يا امير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلما
لشهواتهم فانت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك ومبعوث وحدك
ومحاسب وحدك ولن يغنوا عنك هؤلاء من الله شيئا فقال له المنصور اعني باصحابك استعن بهم
فقال له اظهر الحق يتبعك اهله فقال له بلغني ان محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك كتابا قال قد جاءني
كتاب يشبه ان يكون كتابه قال له فما اجبته قال او ليس قد عرفت رايي ايام كنت تختلف الينا في السيف
واني لا اراه الآن قال اجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال له لئن كذبتك تقية لاحلفن لك تقية
قال له انت الصادق البار وقد امرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على وقتك قال لا حاجة لي
فيها قال والله لتاخذنها قال والله لا آخذها فقال له المهدي يحلف امير المؤمنين وتحلف انت
المهدي واقبل على المنصور وقال من هذا الفتى قال ابني محمد وهو المهدي وهو ولي العهد فقال
والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل والبسته لبوسا ما هو من لباس الابرار ولقد مهدت له امرا
امتع ما يكون به اشغل ما يكون عنه ثم التفت الى المهدي فقال نعم يا بن اخي يحلف ابوك وتحلف
عمك لان اباك اقدر على الكفارة من عمك فقال المنصور يا ابا عثمان هل من حاجة قال نعم قال وما هي
قال ان لا تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا تلقاني قال عن حاجتي سالتني ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه

بصيرة وانشأ يقول كلكم طالب صيد كلكم يمشي رويد غير عمرو بن عبيد ⁂ وروي ان هشام بن الحكم ورد البصرة
وفيها حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو اوليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم
قال لانظر بهما في ملكوت السموات والارض فاعتبر قال وجعل لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق الطعام
واجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وقد جعل لك قلبا قال نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس
ما ادركته فيميز بينها قال فانت لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماما ترجع اليه
اترضى لهذا الخلق الذي جشا بهم العالم ان لا يجعل لهم اماما يرجعون اليه قال له عمرو ارتفع حتى ننظر
في مسألتك ثم دار في حلق الكوفة فما امسى حتى اختلفوا ⁂ وروى ابو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان
بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان اخبرني عن صاحبك يعني الحسن حين يزعم ان عليا
عليه السلم قال اني وددت اني اكل الحشف بالمدينة ولم اشهد مشاهدي هذه يعني يوم صفين فقال له
عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن ان امير المؤمنين شك ولكنه يقول وددت ان يكون ياكل الحشف ولم
تكن هذه الفتنة قال فقوله في عبد الله بن العباس يعنيها في الغيلة والعيلة وطار باموال في ليلة
فقال له كيف يقول هذا وابن العباس لم يفارق عليا عليه السلم حتى قتل وشهد صلح الحسن واي مال يجتمع
في بيت مال البصرة مع حاجة علي عليه السلم الى الاموال وهو يفرغ بيت المال بالكوفة في كل خميس ويرشه
وقالوا انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل قال الجاحظ نازع رجل عمرو
بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك من قلوب المؤمنين في
القضاء والقدر قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل لنسألنهم عما
قضيت عليهم او قدرته فيهم او شيته لهم او اردته منهم وليس بعد هذا الا الاقرار بالعدل او السكوت
عن الجور الذي لا يجوز عليه تعالى قال خلاد الارقط حدثني رجل بن عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة
التي مات فيها يقول اللهم انك تعلم انه لم يعرض لي امران قط احدهما لك رضا وفيه ولي في الاخر
فيه هوى الا اخترت رضاك على هواي فاغفر لي ⁂ ورثاه ابو جعفر المنصور على قبره بمران وهو موضع
على ليلة بمكة على طريق البصرة فانشأ يقول صلى الاله عليك من متوسد ⁂ قبرا مررت به على مران
قبرا تضمن مؤمنا متخشعا ⁂ عبد الاله ودان بالقرآن ⁂ فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا ⁂ ابقى لنا عمروا

اباعثمان فاما ابا الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي وقال ابو القسم البلخي
هو من موالي عبد القيس وولد في سنة اربع وثلثين ومائة وقال ابو الحسن الخياط انه ولد في سنة
احدى وثلثين ومائة وقيل انه توفي في ايام المتوكل سنة خمسة وثلثين وماتين وكان سنه مائة
سنة قال المبرد عمي لحق ابا الهذيل في آخره جنف الا انه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقبلة بحجة
وقيل كف بصره قبل وفاته واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء و
قيل ان ابا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة فقطع جماعة من متكلميها
فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودي حتى اكلمه فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد عرفت
خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد من ان تمضي بي اليه فمضى به قال فوجدته
يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلم فاذا اعترفوا بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى
ان يجمع على ما تدعونه فتقدمت اليه فقلت له اسألك ام تسألني قال بل اسألك فقلت ذلك
اليك فقال اتعترف بان موسى نبي صادق ام تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى
الذي تسألني عنه الذي بشر بنبيي عليه السلم وشهد بنبوته عليه السلم وصدقه فهو نبي صادق
وان كان غير من وصفت لك فذلك شيطان لا اعترف بنبوته فورد على اليهودي ما لم يكن
في حسابه ثم قال لي اتقول ان التورية حق فقلت له هذه المسألة تجري مجرى الاولى ان كانت هذه التورية
التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيي عليه السلم فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق
ولا اقر بها فبهت وافحم ولم يدر ما يقوله ثم قال لي احتاج الى ان اقول لك شيا بيني وبينك
فظننت انه يقول شيا من الخير فتقدمت اليه فسارني فقال امك كذا وكذا وام من علمك لا يكني
وقدر ان اثب به فيقول وثبوا وشغبوا علي فاقبلت على من كان في المجلس فقلت اعزكم الله الستم
قد وقفتم على مسألته اياي وجوابي اياه قالوا بلى قلت اوليس عليه ان يرد جوابي ايضا قالوا بلى
قلت فانه لما سارني شتمني الشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني ولعله قدر اني اثب عليه فيدعي
اننا واثبناه وشغبنا عليه وقد عرفتكم شانه بعد الانقطاع فانصروني فاخذته الايدي
من كل جهة وخرج هاربا من البصرة ⁂ وعن ابي العيناء قال قال ابو الهذيل امعنى الحسن فقلت

ان تنقلب أرضٌ اعلاها اسفلها فقال ان لم يكن هذا اليوم فانه لبا الناس ثم قال ابو الهذيل قال لي
المعدل بن عبد العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجمع اليه اهل النظر يا ابا الهذيل ان في
نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما مذهب بالربع فقلت خبرني عن قول الله
سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون هل يخلو
من ان يكون كذبهم لانهم يستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو
استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله على هذا الوجه او يكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون اي
ان اعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فيكون معهم الاستطاعة على الخروج وهم لا يخرجون فعلى كل
حال كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج فلا يعقل للاية معنى ثالث غير الوجهين الذي
وصفنا وحكى سليمان ان ابا الهذيل لما ورد سر من راى نزل في غرفة الى ان يطلب له دار تصلح له سليمان
قال فمررت به فقلت يا ابا الهذيل مثلك يسكن مثل هذا المنزل وانشدني يقولون دبر الرجل يا مي ركبه
الا ان دبر الرجل يا مي ركبه وعن ابي العيناء قال رايت رجلا وقد سال ابا الهذيل وهو في الوراقين
وصاح وقال له من جمع بين الزانيين يا ابا الهذيل فقال له يا ابن اخي اما بالبصرة فانهم يقولون
القوادون ولا احسب اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول فما تقول انت فخجل الرجل وسكت
قال ابو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة لم يحسه وزعم قوم انه لا اصم خبرني عن قول الله تعالى الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وذكر القاذف فقال فاجلدوهم ثمانين جلدة ما تنكر
قال حد الزاني قلت بكم قال بعشرين قلت فحدثني عن الجلد اهو يد الجلاد قال لا قلت افهو السوط
قال لا قلت فظهر المجلود قال لا قلت افهو الانفراج الذي هو بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت
افثم شيء غير هذا الجلد قال لا قلت فانما يقول الاحمق اكثر من لا شيء بعشرين فانقطع وقال ابو الهذيل
قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص اجنحتها وحطها الى الارض
يحرث عليها قلت فالماء قال نور الله قلت فالجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل
الارض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شر من المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها
بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على راس بهمن اعز

ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه ودخل ابو الهذيل العلاف يوما على الحسن بن سهل بفم الصلح
وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي رفعه الامير ليرفعه فقال
رجل من اهل النجوم قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام قال الاحكام قال فاني اسالك عن مسئلة افتاتيك
اقسا له قال اسال فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال اكل هذه ام لا قال لا كلها فوضعها ابو الهذيل
فقال لست اكلها قال فعيدها الى يدك واعيد النظر فوضعها واخذ غيرها فقال الحسن لم اخذ
غيرها قال لئلا يقول لي لا تاكلها فاكلها خلافا عليه فيقول لي قد اصبت في المسالة لا وجه
وقال النعمان الثنوي لابي الهذيل دل على حدوث العالم غير الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك
مثل رجل قال لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينتك وذكر محمد بن الجهم صاحب الغزاء قال
رايت ابا الهذيل وقد جاء الى الديوان في ايام المامون فسال سهل بن هرون ان يكتب له كتابا في حاجة
الى الحفصوية صاحب الجيش ونهض ابو الهذيل واملى علي سهل بن هرون ان الصغير اذا سالك
حاجة لابي الهذيل خلاف ما ابدي فاذا اتاك بحاجة فامدد له حبل الرجاء بحلف الوعد
وان لم تكن ما يحفظه في غير منفعة ولا جدوى حتى اذا طالت شقاوة جلده ورجا الفتى
قتله في الردى وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بابلغ الجهد وانظر كلامي فيه
وادم به خلف الثريا منك في البعد وكذلك فاعمل غير محتشم ان شئت ان اسال في ابي الهذيل
قال سيدنا رحمه الله ويشبه هذا المعنى ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي
الازهر قال حدثنا ابو العينا قال كان لي صديق فجاءني يوما فقال اريد الخروج الى فلان العامل
واحببت ان يكون معي اليه وسيلة وقد سالت من صديقه فقيل لي ابو عثمان الجاحظ وهو صديقك
فاحب ان تاخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرنا الى الجاحظ فقال له في اي شيء جاء ابو عبد الله
فقلت مسلما وقاضيا للحق وفي حاجة لبعض اصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة
عن المحادثة فاني في غد اوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب فقلت لابني وجه
بهذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان ابا عثمان بعيد الغور فينبغي ان تفضه وتنظر
فيه ففعل فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا اعرفه وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه فان

قضيت حاجة لم احمدك وان رددته لم اذممك فلما قرات الكتاب مضيت من فوري الى الجاحظ
فقال يا ابا عبد الله قد علمت انك انكرت ما في الكتاب فقلت اليس هو موضع نكرة قال لا هذه
علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله ما رايت رجلا اعلم بطبعك وما جبلت
عليه من هذا الرجل اعني صاحب الحاجة اعلمت انه لما قرا الكتاب قال ام الجاحظ عشرة الاف
وام من يسأل له فقلت له يا هذا اكنتم صديقا قال هذه علامتي فيمن اشكره وفي دعاء
اخرى ان ابا العينا سلم الكتاب الى صاحب قال له فض الكتاب فانه مختوم فقال له ابو العينا فقال م
طينته اهون من طينته قال سيدنا رحمه الله واظن ان ابا العينا نبه على فض الكتاب وقراته
بخبر طرفة بن العبد والمتلمس لقضي المشهور وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه و
احظيا به ثم افضى الامر الى ان هجاه كل واحد منهما وعرض به بالشعر المشهور في الديوان فحنق
عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة اخوف فعلم
ان قبله هجاء المتلمس وكتب لهما كتابا الى البحرين وقال لهما اني قد كتبت لكما بصلة فاقبضاها
فقبضا بها فخرجا من عنده وكلاهما في ايديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق متكشفا يتبرز
ومعه كسرة خبز ياكل منها ويتناول القمل من ثيابه ويقصعه قال احدهما لصاحبه هل رايت
اعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته قال ما ترى من عجبي ادخل طيبا واخرج خبيثا واقتل عدوا
وان اعجب مني من يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه ولقيه
غلام من اهل الحيرة فقال له اتقرا يا غلام قال نعم ففض خاتم الكتاب فدفعه الى الغلام فقراه واذا فيه
اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه فاقبل على طرفة فقال تعلمن والله لقد كتب بمثل
هذا فادفع كتابك الى الغلام يقراه فقال كلا ما كان ليجترئ على قومي بمثل هذا ولم يلتفت الى قول
المتلمس فالقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال قذفت بها بالثني من جانب كافر كذلك اقنو كل
قط مضلل رضيت لها بالماء لما رايتها يجول بها التيار في كل جدول كافر نهر بالحيرة
واقنو اقنى والقط الكتاب والتيار معظم الماء وكثرته وقال ايضا المتلمس من مبلغ الشعراء
عن اخويهم نبأ فتصدقهم بذاك الانفس اودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار

حباءه المتلمس الفتي صحيفته ونجت كوره ونجا حجرة المناسم عرمس عيرانة طبخ الهواجر لحمها
فكان نقبتها اديم املس اطريف بن العبد انك حاين اسباحة الملك الهمام تمرس الق الصحيفة
لا ابا لك انه يخشى عليك من الحبا النقرس النقرس هاهنا الداهية ومعنى طرفة بكتابه الى
البحرين فامر به المعلى بن حنش العبدي فقتل فقال المتلمس شعر عصاني فلم يلق الرشاد
وانما تبين في امر الغوي عواقبه واصبح محمولا على ظهر آلة يمج نجيع الجوف منه ترائبه
وكيف ترى طرفة ما انت راكبه تلحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمروا و
ان عمروا يقول لئن وجدناه بالعراق لنقتله آليت حب العراق الدهر اطعمه والحب ياكله
بالقرية السوس وجرى المثل بصحيفة المتلمس وقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين افدتهم شعرهم
وهب القصايد لي النوابغ اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجرول واخو بني قيس وهن
قتلنه ومهلهل الشعراء ذاك الاول يعني النوابغ النابغة الجعدي والذبياني ونابغة بني
شيبان ويعني بابي يزيد المخبل السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس واخو بني
قيس هو طرفة ومعنى قوله وهن قتلنه يعني القصايد التي هجا بها عمرو بن هند وقول صاحب
المتلمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر وذلك اشبه بقول طرفة ابا منذر كانت غرورا
صحيفتي ولم اعطكم بالطوع مالي ولا عرضي ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك
بعض الشر اهون من بعض وابو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند
وقد مدح طرفة النعمان ولا يجوز ان يكون قبله ويشبه ان يكون القصة مع النعمان
وكان ابو سهل بن المعتمر من وجوه اهل الكلام ويقال ان معتزلة بغداد كانوا
وقال ابو القسم البلخي انه من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان ابرص فحكي انه
كان يوما في مجلسه وعنده اصحابه وسمعهم يخبر كيالهم ويقول انتم تحمدون الله على ايمانكم و
هم يقولون نعم فيقول لهم فكانه يجب ان يحمد عما لم يفعله وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون له
انما ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعل ما لم يعين عليه ولم يدع اليه وهو اصعب اذا قيل عامر بن
اشرس فقال الخبر للمخبر قد سالت القوم واجابوك في هذا ابو معن فسأله عن المسالة فقال هل

يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو يحمدني عليه لانه امرني به ففعلته
وانا احمده على الامر به والتقوية عليه والدعاء اليه فانقطع المجبر فقال
بشر سئلت فسهلت وكان الجاحظ وكان بشر يقع في ابي الهذيل
وينسبه الى النفاق فقال وهو يصفه ابو الهذيل لان يكون لا يعلم وهو
عند الناس احب اليه من ان يعلم وهو عند الناس لا يعلم ولان يكون من
اهل السفلة وهو عند الناس من العلية احب اليه من ان يكون من العلية
وهو عند الناس من السفلة ولان يكون نبيل المنظر سخيف المخبر احب
اليه من ان يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق اشد عجبا منه بالاخلاص
ولباطل احب اليه من حق مدفوع ولبشر اشعار كثيرة يحتج فيها على اصحاب
المقالات وذكر الجاحظ انه لم يرا احدا اقوى على المخمس والمزدوج ما قوي
عليه بشر وانه كان اقصد من الراجز وهو القايل ان كنت تعلم ما اقول
وما تقول فانت عالم اوكنت تجهل ذا وذاك فكن لاهل العلم لازم اهل
الرياسة من ينازعهم رياستهم مظالم سهرت عيونهم وانت عن الذي
قاسوه حالم لا تطلبن رياسة بالجهل انت لها مخاصم لولا مقامهم رايت
الدين مضطرب الدعايم فاما ابو اسحق ابرهيم بن سيار النظام فانه كان متقدما
في العلم والكلام وحسن الخاطر السديد الغوص على المعاني وانما اداه الى
المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله و
قيل انه مولى لزياد بن ولد العبيد وان الرق جرى على احد ابائه في قبيله

للنظام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فساد وقال لرجل اتعرف فلان
المجوسي فقال نعم ذلك الذي حلق وسط راسه كما يفعل اليهودي و
قال النظام لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا وصفته قال الجاحظ
وذكر النظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو احلى من امن بعد خوف وبرء
بعد سقم وخصب بعد جدب وغناء بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج
المكروب ومن الوصل الدايم مع الشباب الناعم وللنظام شعر كثير صالح
منه يا تاركي جسدا بغير فوادي اسرفت في الهجران والابعاد ان
كان يمنعك الزيارة اعين فادخل الي بعلة العواد ان العيون على
القلوب اذا جنت كانت بليتها على الاجساد كما اراك وتلك
اعظم منة ملكت يداك بها منيع قيادي وله توهمه
طرفي فالم خده فصار مكان الوهم من نظري اثر وصافحه
قلبي فالم كفه فمن صفح قلبي في انامله عقر يمر فمن لين وحسن
تعطف يقال به سكر وليس به سكر ومر بقلبي خاطرا فجرحته ولم
ار شيا قط يجرحه الفكر ويقال ان ابا العتاهية قال انشدت النظام
اذا هم النديم له بلحظ تمشت في مفاصله الكلوم قال ينبغي ان يكون ندماوه
هذا عمي قال سيدنا رحمه الله وابيات النظام تتضمن معنى
بيت ابي العتاهية ولسنا ندري ايهما اخذها من صاحبه والنظام يكرر

هذا المعنى كثيراً في شعره فمن ذلك قوله   رق فلو مرت سرابيله
علقت الجو من اللطف   يجرحه اللحظ بتكراره   ويشتكي الايماء با
لطرف   وحكى ان النظام جاء به ابوه وهو حدث الى الخليل بن احمد
ليعلمه فقال له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لنا
هذه الزجاجة فقال أبمدح ام بذم فقال بمدح قال نعم تريك القذى ولا
تقبل الاذى ولا تستر ما ورا قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرها قال
فصف هذه النخلة واومى الى نخلة في داره قال بمدح ام ذم قال هي حلو
مجتناها باسق منتهاها ناضر اعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى
بعيدة المجتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم اليك
احوج قال سيدنا رحمه الله هذه بلاغة من النظام حسنة لان
البلاغة هي وصف الشيء مدحا وذما باقصى ما يقال فيه وشبيه بهذا
المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه للبقلة التي امتحن بهجائها واخبر
بذمها فقال فيها ابلغ ما يقال في مثلها وذلك ان عمارة وانسا وقيسا
والربيع بن زياد العبسي وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون
بنو ام البنين وعليهم ابو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو ملاعب
الاسنة وكان العامريون ثلثين رجلا وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن

جعفر بن كلاب وهو ملاعب الاسنة وهو يومئذ غلام له ذوابة وكان الربيع
بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكرم عليه ويتقدم على من سواه
وكان يدعى الكامل لبسطته وكماله وبياضه فضرب النعمان قبة
على البراء واجرى عليه وعلى من معه النزل وكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم
فافتخروا يوما بحضرته وكان العبسيون يغلبون العامريين وكان
الربيع اذا خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مرارا لعداوته
لبني جعفر بن كلاب لانهم كانوا اسروه فصد النعمان عنهم حتى نزع القبة
عن ابي براء وقطع النزل فدخلوا عليه يوما فرأوا منه جفاء وقد كان قبل
ذلك اليوم يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالانصراف
ولبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى
انصرف بها فاتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون امر الربيع فقال لهم ما لكم
تتناجون فكتموه وقالوا له اليك عنا فقال اخبروني فلعل لكم عندي فرجا
فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعا ولا اسرح لكم بعيرا او تخبروني وكانت
ام لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا له خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا
وجهه فقال لهم هل تقدرون ان تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فارجز
به رجزا ممضا مولما لا يلتفت النعمان اليه بعدها ابدا قالوا له وهل عندك ذلك

قالوا نعم قالوا له فانا نبلوك بذم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة
الورق لاصقة فروعها بالارض تدعى التربة فاقتلعها من الارض واخذها
بيده وقال هذه البقلة التربة البقلة الذلة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا
تسر جارا عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها
خاشع واكلها جائع والمقيم عليها قانع اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى واشدها
قلعا فخزيا لجارها وجدعا القوني اخا عبس ارجعه عنكم بتعس ونكس و
اتركه من امره في لبس قالوا نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى
غلامكم هذا فان رأيتموه نائما فليس امره بشيء وانما تكلم بما جرى على لسانه
وان رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه بابصاركم فوجدوه قد ركب رحلا
يكدم واسطته حتى اصبح فلما اصبحوا قالوا له انت والله صاحبنا فحلقوا راسه
وتركوا له ذؤابتين والبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمان وهو
يتغدى ومعه الربيع ليس معه غيره والدار والمجالس مملوءة بالوفود فلما
فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمان
حاجتهم فاعترضهم الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن احدى شقي راسه
وارخى ازاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك كانت تفعل الشعراء في الجاهلية اذا
ارادوا الهجاء فمثل بين يديه ثم قال يا رب هيجا هي خير من دعه اكل يوم هامتي مقزعه
نحن بنو ام البنين الاربعه الضاربون الهام تحت الخيضعه ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يواري اشجعه كانما يطلب شيئا ضيعه فلما فرغ
لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزرا فقال اكذلك انت قال كذب والله ابن الاحمق
اللئيم فقال النعمان اف لهذا الطعام لقد خبثت علي طعامي فقال الربيع ابيت اللعن اما اني

لقد فعلت بامه لا يكني وكانت في حجره فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما انها من نسوة
غير فعل وانت المرء وقال هذا في يتيمه قال سيدنا الاجل المرتضى رضي الله عنه
ووجدت في رواية اخرى انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع
فنسبها الى القبيح وصدقه عليه تهجينا له ولقومه فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا وقال
علي بذا القبيح وانفرد الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره
بالانصراف الى اهله فكتب اليه اني قد تخوفت ان يكون قد وقع في صدرك ما
قال لبيد ولست برارح حتى تبعث الى من يجردني ليعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال
فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على رد ما زلت به
الالسن فالحق باهلك ثم كتب اليه النعمان في جملة ابيات جوابا عن ابيات كتبها الربيع
اليه مشهورة قد قيل ان حقا وان كذبا فما اعتذارك عن شيء اذا قيلا واخبرنا بهذا
الخبر ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي
عبيدة واخبرنا المرزباني ايضا قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال اخبرنا احمد بن عبيد
بن ناصح النحوي قال اخبرنا محمد بن زياد بن زبان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكاوي
وكان قد ادرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم يكن يأتي بجميع الخبر على
وجهه بل اسقطنا منه ما لم نحتج اليه واوردنا ما اوردنا منه بالفاظه قال سيدنا ادام الله
اما قوله نحن بنو ام البنين الاربعه فانه نصبه على المدح والعرب تنصب على المدح والذم
جميعا وام البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن
جعفر بن كلاب فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل
وهو ابو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له وربيعة بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين
ومعوذ بن مالك معود الحكما وانما سمي معود الحكما بقوله اعود مثلها الحكما
بعدي اذا ما الحق في الاشياع نابا وولدت عبيدة الوضاح فهؤلاء خمسة وقال
لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه من غير ذلك فاما الجفنة المدعدعة فهي

المملوءة فاما الخضعة قال الاصمعي يذكر ان لبيدا قال ان الخضعة يعني
الجلبة فسوته الرواة وقد قيل الخضعة اصوات السيوف والخضعة ايضا
البيضة التي تلبس على الرأس والخضعة العباء والكلام يحتمل كل ذلك فاما ا
اللعن قال ابو حاتم سألت الاصمعي عنه فقال معناه ابيت ان تأتي من الامور ما تلعن
فاما الاشاجع فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكف وقد روي ادلا يزال هاتجي
مقرعة والقرع هو اسقاط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه يقال كبش اقرع ونعجة
قرعاء فاما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لابي القلمس عمرو بن قلع الكناني
ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما رأى احرص على العلم من ثلثة الجاحظ والفتح بن خاقان و
اسمعيل بن اسحق القاضي فاما الجاحظ فانه اذا وقع في يده كتاب قرأه من اوله الى
آخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام من بين يدي
المتوكل للبول وللصلوة اخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الى الموضع الذي
يريد ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى ان ياخذ مجلسه واما اسمعيل بن اسحق فما دخلت عليه
قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه قال البلخي تفرد
الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العباد على الحقيقة وكان يقول
في سائر الافعال انما تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت
بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين
معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به والفه وعصبيته
فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك
الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابي داود والعداوة التي بين احمد وبين محمد فلما
قبض على محمد بن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني
اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من ادخاله التنور كان فيه
مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب فيه حتى مات

وروي انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات اتي وفي عنقه سلسلة وهو مقيد
في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي داود قال والله ما علمتك متناسيا للصنيعة كفورا
للنعمة معددا للمساوي وما فتي باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك لفساد
نيتك ورداءة جبلتك وخبث نيتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال
الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون
لي عليك ولان اسيء وتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان احسن وتسيء ولئن
تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال له ابن ابي داود قبحك الله ملتك
فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اصطفيت فيه
الكفر والنفاق يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذ عنه السلسلة والقيد
وادخله الحمام وخلع عليه تخت من الثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم اتاه
فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه فقال هات الآن حديثك يا ابا عثمان وقال
المبرد سمعت الجاحظ يقول قلت لابي يعقوب الخريمي الشاعر من خلق المعاصي
قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا ادري والله وكان
الجاحظ يقول ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه
اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى وقال لا يكلم العامة بكلام الخاصة
ولا الخاصة بكلام العامة وقال سوار بن ابي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني اكتب
خطا دقيقا في ورق متقارب السطور فقال لي ما احسبك تحب ورثتك فقلت
وكيف ذلك قال لانك تبخس بهم فيما تخلفه لهم وذكر ابو العباس المبرد قال سمعت
الجاحظ يقول لرجل آذاه انت والله احوج الى هوان من كريم الى اكرام ومن علم
الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر وقال المبرد قال
الجاحظ يوما اتعرف مثل قول اسمعيل بن القسم شعر ولا خير فيمن لا
يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب فقلت نعم قول كثير ومنه

احدها ۝ فقلت لها يا عز كل مصيبة ۝ اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت ۝ ودو
يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه ۝ نسب الجماز مقصور
اليه منتهاه ۝ ينتمي لاحد بالناس ولا يعدو قفاه ۝ يتحاجى من ابو الجماز
فيه كاخساه ۝ ليس يدري من ابو الجماز الا من يراه ۝ اخبرنا المرزباني قال اخبرني
علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العينا قال انشدني الجاحظ لنفسه
في الخضاب ۝ زرت فتاة من بني هلال ۝ فاستعجلت الي بالسؤال ۝ ما لحوادث
لي الليالي ۝ كانما كرعت في جريال ۝ ما ينبغي مثلك من امثالي ۝ تنح من قدامي ومن حيالي
قال سيدنا رحمه الله قوله كانما كرعت في جريال مليح قوي ولا يشبه بقول الجاحظ
لسلسه وضعف كلامه وذكر ابو العينا قال حدثني ابرهيم بن رباح قال انشدني الجاحظ
يمدحني ۝ بدا حين اثرى باخوانه ۝ ففلل عنهم شباة العدم ۝ وذكره الحزم
ريب الزمان ۝ فبادر بالعرف قبل الندم ۝ قال ابرهيم فذاكرت بهما
احمد بن ابي داود فقال وانشدنيهما يمدحني بهما العتبي محمد بن الجهم فقال لي وقد انشدنيهما
يمدحني بهما قال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل
قول ابي نواس ۝ ودار ندامى عطلوها وادلجوا ۝ بها اثر
منها جديد ودارس ۝ مساحب من جر الزقاق على
الثرى ۝ واضغاث ريحان جني ويابس ۝ حبست بها صحبي
فجددت عهدهم ۝ واني على امثال تلك لحابس ۝ ولم ادر منهم غير
ما شهدت به ۝ بشرقي ساباط الديار البسابس ۝ اقمنا بها يوماً
ويوماً وثالثاً ۝ ويوماً له يوم الترحل خامس ۝ تدار علينا الكاس من عسجدية
حبتها بانواع التصاوير فارس ۝ قرارتها كسرى وفي جنباتها ۝ مها تدريها بالقسي الفوارس

فالخمر ما دارت عليه جيوبها والماء ما دارت عليه القلانس ۝ قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا عثمان لو
نقر هذا الشعر لطن قلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت قال رحمه الله اخذ ابو نواس قوله
ولم ادر من هم غير ما شهدت به بشرقي ساباط الديار البسابس من ابي خراش الهذلي قوله
ولم ادر من القى عليه رداءه على انه قد سل عن ماجد محض ۝ وذلك ان ابا خراش [illegible]
اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه عليه حين شغل القوم بقتل عروة ونجا [illegible]
[illegible] فقال الشعر [illegible]
[illegible] ۝ فاقسمت لا انسى [illegible] ما بقيت على الارض
بلى انها تعفو الكلوم وانما نوكل بالادنى وان جل ما يمضي ۝ ولم ادر من القى عليه رداءه على انه قد سل عن ماجد محض
واخبرنا المرزباني قال حدثني ابرهيم بن محمد بن شهاب قال حدثني ابو الحسن احمد بن عمر البردعي [illegible] الجاحظ
[illegible] فقد اعتل علته التي مات فيها فاستاذنت عليه فخرج الي خادم من منزله فقال [illegible]
[illegible] الجاحظ البصرة
[illegible]
[illegible]
[illegible] الخذ رحلي [illegible]
براسي [illegible] مجلس اخر تاويله ان سال سائل عن قوله تعالى ليس البر ان
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الاية فقال كيف نفى كون تولية الوجوه الى الجهات [illegible] في
الصلوة [illegible] وكيف خبر عن البر [illegible] في قوله ولكن
[illegible] وكيف نصب الصابرين
[illegible] على الموفون وكيف [illegible] واقام الصلوة ثم قال والموفون
[illegible] الاية
[illegible] الجواب وبالله التوفيق [illegible] ان يكون ليس البر الصلوة [illegible] ما اعتاد في
[illegible] من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات [illegible]
[illegible] والجواب الثاني ان النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس [illegible]
[illegible] الصلوة [illegible] رسول الله صلى الله عليه واله [illegible] الله تعالى [illegible]

ليس من البر إذ كان منسوخاً بشريعة النبي صلى الله عليه وآله التي تلزم الأسود والأبيض والعربي والعجمي وأن البر هو التمسك
إلا بهذا فأما إخباره عن البر بمن ففيه وجوه ثلاثة أولها أن يكون معنى البر ها هنا البار وذا البر وجعل المصدر في مكان الاسم
والمقدر ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً أي غائراً ومثل قول الخنساء
ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار وأرادت أنها مقبلة ومدبرة ومثله تظل جيادهم نوحاً عليهم
مقلدة أعنتها صفونا أراد نائحة عليهم ومثله هريق من دمع بها سجاماً ضباع وجاوبها نوح قياما
والوجه الثاني أن العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى
ولكن البر من آمن بالله وقول العرب إنما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل
فمثل قول الشاعر لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي فجعل أن تنبت وهو مصدر خبراً عن
الفتيان والوجه الثالث أن يكون المعنى ولكن البر بر من آمن بالله فحذف البر الثاني وأقيم من مقامه كقوله تعالى
وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي حب العجل قال الشاعر وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب
أراد كخلالة أبي مرحب وقال النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل أراد على مخافة
وعل ويقول العرب بنو فلان يطأهم الطريق أي أهل الطريق وحكي عن بعضهم أطيب الناس الزبد أي أطيب ما أكل الناس
الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيداً أي صياح زيد وقد روي عن ابن عباس قوله ليس على الأعمى حرج أي ليس على من أكل
مع الأعمى حرج وفي قوله تعالى ورابعهم كلبهم أي صاحب كلبهم وذكروا أنه كان راعياً تبعهم وأما ما كني عنه بالهاء في قوله
تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى ففيه وجوه أربعة أولها أن تكون الهاء راجعة على المال الذي تقدم ذكره فكأن المعنى وآتى
المال على حب المال وأضيف الحب إلى المفعول ولم يذكر الفاعل كما تقول اشتريت طعامي كاشتراء طعامك والوجه الثاني
أن تكون الهاء راجعة على من آمن بالله فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه والوجه الثالث
أن ترجع الهاء إلى الإيتاء الذي دل عليه آتى والمعنى وأعطى المال على حب الإعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي
هم الملوك وأبناء الملوك لهم والآخذون به والساسة الأول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة الملوك عليه ومثله قول الشاعر
إذا نهي السفيه جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف أراد جرى إلى السفه الذي دل عليه السفيه والوجه الرابع
أن تكون الهاء راجعة إلى الله تعالى لأن ذكره قد تقدم فيكون المعنى وآتى المال على حب الله ذوي القربى واليتامى فإن قيل أي
فائدة في ذلك وقد علمنا الفائدة في إيتاء المال مع محبته والضن به وأن العطية تكون أشرف وأمدح فما الفائدة فيما ذكرتم
وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الإرادة والقديم تعالى لا يصح أن يراد قلنا أما المحبة عندنا فهي الإرادة إلا أنهم

يستعملونها كثيراً مع حذف متعلقها مجازاً وتوسعاً فيقولون فلان يحب زيداً إذا أراد منافعه ولا يقولون يريد
زيداً وعمراً بمعنى أنه يريد منافعه لأن التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة وإن
كان المعنى واحداً وقد ذكر أن لقولهم زيد يحب عمراً مزية على قولهم يريد منافعه لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه لا يريد
إلا منافعه وأنه لا يريد شيئاً من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فجعلت له مزية وعلى هذا المعنى يصف الله تعالى أنه
يحب أولياءه والمؤمنين من عباده بمعنى أنه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والإجلال والنعم فأما وصف أحدنا بأنه
يحب الله فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعاته ولا يصح فيه المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد
بعضهم بعضاً لاستحالة المنافع عليه ومن جوّز عليه تعالى المنافع لا يصح أن يكون محباً له على هذا المعنى لأنه
باعتقاده ذلك فيه خرج من أن يكون عارفاً به فمحبته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه كما نقول في أصحاب
التشبيه إنهم إذا عبدوا من اعتقدوه إلهاً فقد عبدوا غير الله فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة الله تعالى
فهي ظاهرة لأن إعطاء المال متى قارنه إرادة وجه الله وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن
ذلك لم يستحق الفاعل به ثواباً وإن كان نافعاً وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حب المال والضن به لأن المحب للمال الضنين
متى بذله وأعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق شيئاً من الثواب وإنما يؤثر حبه للمال في
زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال لاستحق
الثواب وهذا الوجه لم يسبق إليه في الآية وهو أحسن مما قيل فيها وقد ذكر وجه آخر وهو أن تكون
الهاء راجعة إلى من آمن أيضاً وينتصب ذوي القربى بالحب ولا يعمل الإيتاء منصوب لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام
وأعطى المال على حبه ذوي القربى واليتامى أي على محبته إياهم وهذا الوجه ليس مرتبه في باب رجوع الهاء
التي وقع السؤال عنها وإنما يبين ما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والأجود
الأول أقوى وأولى فأما قوله تعالى والموفون بعهدهم ففي رفعه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح
لأن النعت إذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح فيكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا
أجود الوجهين والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على من آمن فيكون المعنى ولكن ذا البر وذوي البر المؤمنون والموفون
بعهدهم فأما نصب الصابرين ففيه وجهان أحدهما المدح لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن
يعترضوا بينها بالمدح والذم ليميزوا الممدوح والمذموم ويفردوه فيكون غير متبع لأول الكلام من ذلك قول
الخرنق بنت بدر بن هفان لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر فنصبت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعا على ان يتبع الحرف
اوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه
في النصب والرفع ما ذكرناه ومن ذلك قول الشاعر انشده الفراء الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في
المزدحم وذا الراي حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث الكتيبة وذا الراي على المدح
وانشد الفراء ايضا فليت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين غيوث الحيا في كل محل ولزبة
ولزبة اسود الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم قوله سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور
والوجه الآخر في نصب الصابرين ان يكون معطوفا على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى
والصابرين قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون والموفون رفع على المدح للمضمرين لان ما في الصلة لا يعطف
عليه بعد العطف على الموصول وكان يقوى الوجه الاول فاما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر فلان
من آمن لفظه لفظ الواحد وان كان في المعنى للجمع فالذكر الذي بعده موحدا اجري على اللفظ وما جاء
بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله والموفون والصابرين فعلى المعنى وقد اختلف قراءة القراء السبع في رفع
الراء ونصبها من قوله ليس البر فقرأه حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء وروى هبيرة عن حفص
عن عاصم انه كان يقرا بالنصب والرفع وقرا الباقون بالرفع والوجهان جميعا حسنان لان كل واحد من الاسمين
اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافآ في جواز كون احدهما اسما والآخر خبرا كما تكافأ
النكرات وحجة من رفع البر انه لان يكون البر الفاعل اولى لانه ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل
اولى من كون المفعول بعده الا ترى انك اذا قلت قام زيد فالاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون
التقدير في الكلام التاخير فلولا ان الفاعل اخص بهذا الموضع لم يجز هذه المسالة كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا
حيث لم يجز في الفاعل تقدير التاخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص وحجة من نصب البر
ان يقول كون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر
والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر ٥ حدثنا ابو القسم
عبيد الله بن عثمان بن يحيى رحمهما الله قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال املى علينا
ابو العباس احمد بن يحيى النحوي ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن
زهير النمر بن قاسط فقال لهم اني قد جاورتكم واخترتكم فزوجوني امراة قد ادبها الغنى واذلها الفقر

في حسب وجمال فزوجوه ظبية بنت الكيس النمري وقال اني لا اجلس خلالا ثلاثا اني غيور واني فخور واني انف
ولست افخر حتى ابدا ولا اغار حتى ارى ولا آنف حتى اظلم فاقام فيهم حتى ولد له فلما اراد الرحيل عنهم
قال اني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالاناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده
وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسالة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح
واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت الايامى وخلط الضيف بالعيال وانهاكم عن الرهان فان به
ثكلت مالكا اخي والبغي فانه قتل زهيرا ابي وعن الاعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء
فان يوم الهباءة الزمني العار ومنع الحرم الا من الاكفاء وان لم تصيبوا لها الاكفاء فان خير مناكحها القبور او
خير منازلها واعلموا اني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا اخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له قال
رحمه الله اما قوله انهاكم عن الرهان فاراد الرهان الذي راهنه في سباق الخيل وذلك ان قيس بن زهير راهن
حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحنفاء وقال بعض بني فزارة قرزل
والحنفاء وكان قيس كارها لذلك وانما هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل رجل من بني عبس والخبر
في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية مائة غلوة واذا بالاضاد وجعلوا القصبة
في يد رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين ويقال رجل من بني العشيرة من بني فزارة وملؤوا البركة ماء وجعلوا
السابق اول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير اتيا المدى الذي ارسلت الخيل منه ينظران اليها
والى خروجها فلما ارسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس ترك الخداع من اجرى من مائة يعني مائة
غلوة فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقتك يا قيس
فقال قيس جري المذكيات غلاب فارسلها مثلا والمذكيات المسان من الخيل وروي غلاء اي كما تغالى بالنبل
ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لا تركض مركضا سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجدد فارسلها مثلا
وروي يعدون الجدد اي يتعدين الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة كمنوا بالثنية كمينا لينظروا فان جاء داحس
سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية حتى مضت الخيل
واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر في آثارها فجعل يبدرها فرسا فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وقد طرح
الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم لطموا
داحسا والغبراء وقد جاءا متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في اخريات الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا افراسهم

ويجري من الخلاف في امر السبق ما قد شرحته الرواة وقد ذكر بعض الرواة ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر
وقيس وفي ذلك يقول قيس ◦ كما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الاصاد ◦ هم فخروا علي بغير فخر وردوا
دون غايته جوادي ◦ وكان القوم الاولى ينفعون سوءا فالفوني لهم صعب القياد ◦ وكنت اذا منيت بخصم سوء دلفت له
بداهية نآد ◦ ثم ان قيسا اغار على عوف بن بدر فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد
بالدية عوف بن بدر مائة عشراء متلية ويقال ان قيسا اتى اسماء بن حذيفة فقال له مالك وان حذيفة ارسل اليه
يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن زياد حمل ديته مائة عشراء فسكن الناس عن القتال
ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللقاطة من بلاد الحيرة ونكح امراة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب
من فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاورا لحذيفة بن بدر
وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال ◦ نام الخلي وما اغمض حار من سيئ النبا الجليل الساري
من مثله يمسي النساء حواسرا وتقوم معولة مع الاسحار ◦ من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار ◦
يجد النساء حواسرا يندبنه بالصبح قبل تبلج الاسحار ◦ قد كن يخبان الوجوه تسترا فاليوم حين برزن للنظار ◦
ابعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار ◦ ما ان ارى في قتله لذوي الحجى الا المطي تشد بالاكوار ◦
ومجنبات ما يذقن عذوفة يقذفن بالمهرات والامهار ◦ ومساعرا صدا الحديد عليهم فكانما طلي الوجوه بقار ◦
فاما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي ابي قيس فاختلف الرواية في سببه فقال ان هوازن بن منصور كانت
تؤدي الاتاوة زهير بن جذيمة لكثرة عامر بن صعصعة بعدهم اذ لم يدنوا برحم فاتت عجوز من هوازن زهير بن جذيمة
بسمن في نحي فاعتذرت اليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها اي دفعها
بقوس عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته الى ما كان في صدرها من الحنق
وكانت يومئذ قد ابرت بنو عامر بن صعصعة اي كثرت فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لاجعلن ذراعي
هذه وراء عنقه حتى اقتل او اقتل وفي ذلك يقول خالد بن جعفر ◦ اريغوني اراغتكم فاني وحذفة كالشجا تحت الوريد ◦
مقربة اواسيها بنفسي والحفها رداي في الجليد ◦ لعل الله يمكنني عليها جهارا من زهير او اسيد ◦
فاما تثقفوني فاقتلوني ومن اثقف فليس الى الخلود ◦ ويقال ان السبب في ذلك ان زهير بن جذيمة لما نزل في غني
من قبله نشا وان في عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثا فقال يا زهير لما ان ذكرتك ان تشفي وتكف
قتل الناس فاغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم امكني من هذه الشعرة القصيرة من عنق ابن جذيمة

ثم اني عليه فقال زهير اللهم امكني من هذه الرقبة الطويلة من عنق خالد ثم خلى بينهما فقالت قريش هلكت والله يا زهير
فقال الله اعلم واتقوا الذين لا علم لهم ثم ان خالد بن جعفر علم بقصد زهير وتنقله واتفق نزول زهير بالقرب من ارض بني عامر
وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امراة زهير بن جذيمة معه وام ولده قيس واخوته واخوها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه
ان هذا الحمار الطليعة عليكم فاوثقوه فقالت لحشيتها امرتم خالكم تتنكوه فاوثقوه فقالت تماضر لاخيها الحارث انه لم يرني
اكشفنا لك قرونك الا حبيبان للعم والقرون والشكوى فلا تاخذن بك ما قال زهير فانه رجل بيذارة فعيذارة تشنوه
قال الا ان ثم البيذارة الكثير الكلام والعيذارة السيئ الخلق ثم حلبوا له وطبا من لبن واخذوا يمينا ان لا يخبر عليهم ولا يندر بهم
احدا فخرج الحارث حتى اتى بني عامر فقعد الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر فالقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال ايتها
الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال القوم هذا رجل ماخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا اللبن
فاذا به حلو لم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب في جماعة وكان راكبا فرسه
حذفة فلحقوا زهيرا فاعتنق خالد زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث
زهير بنيه فاقبل اليه ورقاء بن زهير فشد بسيفه فضرب خالدا ثلث ضربات فلم تغن شيئا وكان على خالد درعان مظاهر
بينهما ثم ضرب جندح زهيرا فقتله وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير ◦ رايت زهيرا تحت كلكل خالد فاقبلت اسعى كالعجول ابادر
فشلت يميني يوم اضرب خالدا ويمنعه مني الحديد المظاهر ◦ فيا ليت اني قبل ضربة خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر
فاما خبر الهباءة فان بني عبس وبني فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ فاقتتلوا اول النهار ثم حجز بينهم شدة الحر والاستحار
حذيفة ومن معه جفر الهباءة ليتبردوا فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة اي عبس مالي العود وان الاحلام فغمز حمل بن بدر
بين كتفيه وقال اتق ماثور القول بعد اليوم فارسلها مثلا وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وقتل الحارث بن زهير حملا
واخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير الذي كان اخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك
تعلم ان خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريم ◦ ولولا ظلمه ما زلت ابكي عليه الدهر ما طلع النجوم ◦ ولكن الفتى حمل بن بدر بغى
والبغي مرتعه وخيم ◦ اظن الحلم دل علي قومي وقد يستجهل الرجل الحليم ◦ ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيم
وقال قيس ايضا ◦ شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني ◦ فان اك قد بردت بهم غليلي فلم اقطع بهم الا بناني
مجلس اخبرنا ابو ... انه سال ... عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال اي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة
وقلة التامل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا عاقلا محصلا ◦ الجواب قيل له في هذه الاية خمسة اجوبة

اولها ان يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل
معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله
ودعاءه وانذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تامله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في
عدم الانتفاع به وجاز ان يعول قوله الذين كفروا مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى
كخوفه الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير
اراد بتسليمي على الامير ونظائر هذا كثيرة والجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي
لا تفهم نداء الناعق فاضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها
طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتاخير لوضوح المعنى وانشد الفراء
ان سراجا لكريم مفخره ٭ تحلى به العين اذا ما تجهره ٭ معناه تحلى بالعين فقدم واخر وانشد الفراء ايضا
كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم ٭ المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا ٭ وانشد وقد خفت حتى ما
تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل ٭ اراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ٭ ومثله ترى الثور فيها مدخل الظل راسه
وسائره باد الى الشمس اجمع ٭ اراد مدخل راسه الظل ومثله ٭ كان لون ارضه سماؤه ٭ اراد كان لون سمائه ارضه ٭
وقال الراعي فصبحته كلاب الغوث يوسدها مستوضحون يرون العين كالاثر ٭ يريد انهم يرون الاثر كالعين
وقال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه ٭ نقلب ٭ وقال العباس بن مرداس فديت بنفسه نفسي ومالي ٭
ولا آلوك الا ما اطيق ٭ اراد فديت بنفسي نفسه ٭ وقال ابن مقبل ولا تهيبني الموماة اركبها اذا تجاوبت
الاصداء بالسحر ٭ اراد ولا اتهيب الموماة وهذا كثير جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا
في دعائنا اياهم ومثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق بما لا يسمع من البهائم في الاعراض ومثلنا في الدعاء والتنبيه والارشاد
كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد
فاكتفى بذكر الحر من البرد وقال ابو ذؤيب عصيت اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها
اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر والجواب الرابع ان يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم
الاصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته
جملة ولا الدعاء والدعاء على هذا الجواب منصوب بينعق والا توكيد للكلام ومعناه الالغاء قال الفرزدق
هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم ٭ والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم والجواب الخامس

ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم اياها كمثل الراعي الذي
ينعق بغنمه ويناديها فهي تسمع دعاءه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه فشبه من يدعوه الكفار من المعبودات
دون الله تعالى بالغنم من حيث لا يعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها ولا ضرر وهذا الجواب يقارب الذي قبله
وان كانت بينهما مزية ظاهرة لان الاول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة ويجب ان يكون مصروفا
الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمها
والاصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب ان يكون داعيها ومناديها اسوء حالا من منادي الغنم ويصح ان يضرب المثل
الغنم وما اشبهها مما يشاركها في السماع ويخالفها في الفهم والتمييز وقد اختلف الناس في ينعق فقال اكثرهم لا يقال
نعق ينعق الا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والابل والبقر والاول اظهر في كلام العرب
قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا وقال ايضا نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة
اذا صاح من غير ان يمد عنقه ويحركها فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال ايضا نعب الغراب ينعب
نعبا ونعيبا ونعبانا وهو صوته ويقال فرس منعب اي جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة فاما الخبر
روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه خرج مع اصحابه الى طعام دعوا اليه فاذا بالحسن عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية
في السكة فاستنتل رسول الله امام القوم فطفق الصبي يفر مرة هاهنا ومرة هاهنا ورسول الله يضاحكه
ثم اخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى تحت قاس راسه واقنعه فقبله فقال انا من حسين وحسين مني
احب الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط قال رحمه الله استنتل تقدم يقال استنتل الرجل استنتالا
وابرنتى ابرنتاء وابرندع ابرنداعا اذا تقدم هكذا ذكر ابو بكر الانباري ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يقول في
كتاب له ما يقول استنتلت للامر اذا استعددت له واستنتل الرجل تفرد من القوم ويقال استنتل الشرف والمعاني
متقاربة والخبر يليق بكل واحد منهما وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه ابرنتى وابرندع ايضا انه الاستعداد
ايضا فاما السكة فهي الطريق المصطفة والنخل المصطف ومعنى طفق ما زال قال الشاعر
طفقت تبكي واسعدها وكلانا ظاهر الجلد ٭ وقاس الراس طرف القمحدوة المشرف على القفا ومعنى اقنعه رفعه
هكذا ذكر ابن الانباري وقال غيره اقنع ظهره اقناعا اذا طأطأه ثم رفعه فاما الاسباط فاصلها في ولد اسحق عليه السلام
كالقبائل في ولد اسماعيل عليه السلام وقال ابن الانباري هم الصبية والصبوة بالياء والواو ومعناه حدثنا ابو الفتح عبيد الله
ابن عثمان قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي

انه قيل لابنة الخس ما مائة من المعز قالت مال يشف الفقر ومن الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضأن
قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت طغى من كانت عنده ولا
ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها ادلى وان
ارسلته ولى وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس والخسف والجفر قال الكل ذلك فقيل لها ما احسن شيء قالت
غادية في اثر سارية في نجة قاوية قال الصحارى من نفعه لان النبات في موضع سرة احسن وقالوا ايضا فقالت ابنة
الخس بها رمل ولا حجارة ما الواو الجمع نقاقي ونبت الرابية احسن من نبت الاودية لان السيل يصرع الشجر ويفسده
في الاودية ثم يلقي عليه الدمن قال رحمه الله ومما يدل على ان نبت الرابية احسن قول الاعشى
ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل دون الامر فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى
جثجاثها وعرارها فخص الحزن للمعنى الذي ذكرناه وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جاء بطعام
لا ينادى وليده اذا جاء بطعام كثير لا يزاد فيه وقال وقع في امر لا ينادى وليده يقول لا يدعى له الصبيان والسعاف
الا كبار الرجال فيه قال السيد رحمه الله وفي ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله من الشدة تصيب
القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة ولكل امر عظيم والقول الآخر عن الكلابي
قال اصله من الكثرة والسعة فاذا اهوى الوليد الى شيء لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار
مثلا لكل كثرة قال المرتضى وهذا القول يستعار في كل موضع يراد به الغاية وانشد • لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد
شرائع جود لا ينادى وليدها • وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال الاخلاق دخل [illegible] على معن بن زائدة
الشيباني فقال ان رأيت اكرمك الله ان تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل فانك قد بلغت حالا لو اخطأت عمي
الله فيها الكرم [illegible] الرجال بعدك لم يكن كثيرا الا [illegible] الرجاء واحسن الثناء وان [illegible] انشا يقول
لمعن ايكم شيء على الحدثان [illegible] ولا كدر • فانظر الى [illegible] من [illegible] السطر
ايام [illegible] • ومن هو اكل شيء [illegible] الذكر
قد كنت [illegible] • [illegible] •
ما نادى [illegible] علق كفي [illegible] الاظفر اليسر • وقد [illegible] الحبر •
وان [illegible] الحمد [illegible] • قال معن [illegible] الذهب والفضة
فليسا عندنا ولكن هات [illegible] بالغلام فدفعه اليه وقد كان [illegible] وحبيب [illegible]

[illegible] قال رحمه الله وكان معن بن زائدة جوادا شجاعا عاقلا
ويكنى ابا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو ومطر هو اخو الحوفزان بن شريك
وكان معن من اصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه • الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود •
عشية قام النائحات وشققت جيوب بأيدي مأتم وخدود • فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود •
فانك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد • اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه
قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني ابو نزار الحكم بن موسى قال حدثني ابي قال كان معن بن زائدة من اصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة
وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فاخذ
بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا له ونفروا عنه قال له من انت ويحك قال انا طلبتك
معن بن زائدة فلما انقضى امر المنصور حباه وكساه ورتبه ثم ولاه اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال فيه ما يعطي
مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم على ان قال لك • معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان •
ان عد ايام الفعال فانما يوماه يوم ندى ويوم طعان • قال لا الا امير المؤمنين ولكن اعطيته على قوله •
ما زلت يوم الهاشمية معلما بالسيف دون خليفة الرحمن • فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان •
فقال احسنت يا معن • وفي خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له [illegible] يا [illegible] قبل ان [illegible] لاهل اليمن واعتبتها
ايام [illegible] فقال وكيف ذاك يا امير المؤمنين قال بلغني انك اعطيت شاعرا كان يلزمك الف دينار وهذا من السرف والذي لا
شيء مثله فقال يا امير المؤمنين انما اعطيته من فضل مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي [illegible] وقد قنع [illegible] غضب
الواجب [illegible] على [illegible] ولا [illegible] قال فجعل ابو جعفر يتكلم فغضب [illegible] لم يعاوده القول
واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن يحيى عن عبد الله بن ابي سعد الوراق عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله
بن محمد المعروف بمغفار من اهل خراسان وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل
نكنا ندخل على المنصور في كل يوم فقلت للربيع اجعلني في آخر من يدخل عليه فقال لست باشرفهم فتكون في اولهم
ولا باخسهم نسبا فتكون في آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة
فضفاضة وسيف حنفي ادع بعله الارض وعمامة اسدلتها من خلفي وقدامي فسلمت عليه وخرجت فلما
صرت عند الستر صاح يا معن صيحة لكرتها فلبيته فقال الي فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض جثا
على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودرت اوداجه وقال انك لصاحبي يوم واسط لا نجوت ان

نجوت مني قال قلت يا امير المؤمنين الى نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت كما عفوت عليه
القول فما زال يستعيدني حتى رد العهود الى مستقرها واستوى جالسا واسفر لونه وقال يا معن ان باليمن هنات
قلت يا امير المؤمنين ليس لمكتوم راي وهو من سلفنا مثلك فقال انت صاحبي فاجلس فجلست وامر الربيع باخراج
كل من كان في الدار وخرج الربيع فقال لي ان صاحب اليمن قد هم بالمعصية واني اريد ان اخذه اسيرا ولا يفوتني
من ماله شيء فما ترى قلت ولني اليمن واظهر انك قد ضممتني اليه ومر الربيع ان يزيح علتي في كل ما احتاج اليه من السلاح والكراع
ولا يمسي الا وهو راحل قال فعزم وذهبت تودعه وخرجت الى الدهليز فلقيني ابو الوالي فقال يا معن اعزز ان تضم الى ابن ختنك
قال فقلت انه لا غضاضة على الرجل يضمه سلطانه الى ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل فاخذته اسيرا
وقرات عليه العهد وقعدت في مجلسه وروى عمر بن شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة ابن ابي غاضبة وابن ابي حفصة
والضمري فقال المنتصي كل واحد منكم امتدح ببيت قاله فيّ فانشده ابن ابي حفصة
مسح يسعه معجبه معن سابقا للمجرى وجرى دون الاحساب فقال له معن الجواد يعير ينسج نحته من الغبار
والعنا وغيرهما وانشد الضمري انت امرؤ همك المعالي ودون معروفك الربيع وساعك الحمد فشبعه
عنا عابتيع فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم تسمني ولم تذكرني فرشنا انتحله وانشد ابن ابي غاضبة
ان المعن بني زائدة الذي لما يعمر شاف فتفضله عليهم وروى ابن ابي معن بن زائدة اتي بثلاثمائة اسير فامر بضرب اعناقهم
فقال له شاب منهم يا ابا الخشيبات انشدك الله ان تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قال يا ابا الخشيبات
انشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم وروى الجمحي كان قتل الخوارج معن بن زائدة بسجستان في سنة
اثنتين وخمسين ومائة وروى ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المامون فقال له العباس من اشعر من قال الشعر في خلافتي هاشم
يا امير المؤمنين ليعرف بعضنا ببعض قال على حال قال عبد الله اشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة
ايا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا ايا قبر معن كنت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا والابيات للحسين بن مطير الاسدي وهي تزيد على هذا المقدار اولها
الما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى واصبح عرنين المكارم اجدعا مجلس اخر تأويل اية ان سأل سائل فقال
ما الوجه في قوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق وفي موضع اخر وقتلهم الانبياء بغير حق هم س
القول يقتضي ان قتلهم يكون بحق وقوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وقوله الله الذي رفع السموات بغير عمد

ترونها وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به وقوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقوله لا يسألون الناس
الحافا والسؤال عن كل هذه الايات عن وجه واحد وهو الذي تقدم الجواب قلنا ان للعرب فيما يجري هذا المجرى ج
من الكلام عادة معروفة ومذهبا معروفا عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم مرادهم لتلك المبالغة في النفي وتاكيده
فمن ذلك قولهم فلان لا يرجى خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجى وانما غرضهم انه لا خير فيه على وجه من الوجوه
ومثله قلما رايت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لم ير لا قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس
على لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود الديافي جرجرا يصف طريقا واراد بقوله لا يهتدى بمناره انه لا منار له
فيهتدى به والعود المسن من الابل والديافي منسوب الى دياف قرية بالشام معروفة بنجائبها والجرجرة مثل الهدير وانما
اراد ان العود اذا شمه عرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك قال ابن الاحمر
لا يفزع الارنب اهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر اراد ليست بها اهوال فيفزع الارنب وقال النابغة
يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد اراد ليس بها رمد فتكحل وقال امرؤ القيس
وصم حوام ما يقين من الوجى كان مكان الردف منه على رال يصف حوافر فرسه وقوله ما يقين من الوجى فالوجى
هو الحفا ويقين اي يتوقين يقال وقى الفرس اذا هاب المشي يريد انه لا وجى بحوافره فيتوقين الارض من اجله والرال
فرخ النعامة وشبه اشرافه بعجزه بعجز الرال وقال الاخر لا يغمز الساق من اين ومن وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر
اراد ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلهما وقال سويد بن ابي كاهل من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع
ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا اجلا لا عاجلا ولا جزعا غير سيئ انما اراد نفي الفحش والجزع عن اخلاقهم ومثل ذلك
فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه لا يقرب الخنى لا نفي الاسراع حسب وقال الفرزدق يهجو بني معن بن كلاب
وتعرهم بقتلى منهم اصيبوا في بعض حرب بهم حملت النساء ولا القتلى حتى ابن عمهم الى الحي
ولم تأت نصرا اهلها كالذي اتت به جعفر يوم الهضيبات عيرها اتتهم بعير لم تكن هجرية ولا حنطة الشام المزيت خميرها
يعني ان العير انما تحمل التمر او الطعام الى الحي فحملت غير هؤلاء القتلى وقوله لم تكن هجرية اي لم تحمل التمر وذلك لان
التمر يحمل من هجر ولا حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه اراد انها لم تحمل
تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يفعل في خميرها من الزيت وعلى هذا تاول الايات التي وقع السؤال عنها لانه
تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على انه لا يكون الا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد ان يكون عليه
من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به انما هو وصف لهذا الدعاء

وانه لا يكون الا عن غير برهان وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وجهه انها لو كان
هناك عمد لرايتموه فاذا نفي رؤية العمد نفي وجود العمد كما قال لا يهتدي بمناره اي لا منار له من حيث علم انه
لو كان منار لاهتدي به فصار نفي الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به تغليظ
وتاكيد في تحذيرهم الكفر وهو ابلغ من ان يقول لا تكفروا به ويجري مجرى قولهم فلان لا يسرع الى الخنا وهذا باب
منه اذا ارادوا تاكيد نفي الخنا ونفي ما يعرف به مثل المذكور وكذلك قوله لا يسالون الناس الحافا معناه لا مسالة تقع
منهم ومثل الاول لا تشتروا باياتي ثمنا قليلا والفائدة ان كل ثمن لا يكون الا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفيا للكل
وهذا اوضح بحمد الله ٥ ما في ذكر شيء من اخبار المعمرين واشعارهم وتخير كلامهم ٥ احد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة
ابن خالد بن مالك بن ادد المذحجي ومذحج هو مالك بن ادد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحجا لانها ولدت على اكمة
تسمى مذحجا واسمها مدلة بنت ذي منجشان قال ابو حاتم السجستاني جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد
اتت علي ستون ومائة سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي
مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسره واني لعلى دين شعيب النبي صلى الله عليه وما عليه احد من العرب غيري وغير اسد بن خزيمة
وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي الهكم فاتقوه يكفكم المهم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم ومعصيته لا يحل بكم
الدمار ويوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما
كان وكل جمع الى تباين الدهر صرفان صرف رخاء وصرف بلاء واليوم يومان يوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان رجل معك
ورجل عليك زوجوا النساء الاكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى افن ما يكون الا انه لا راحة لقاطع القرابة
واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم منهم وآفة العدد اختلاف الكلمة التفضل الحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة الدخول فيها
العمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم يورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل الحرمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد
ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الدعة يقطع اسباب المنفعة
والضغائن تدعو الى التباين ثم انشا يقول   اكلت شبابي فافنيته   وامضيت بعد دهور دهورا
ثلاثة اهلين صاحبتهم   فبادوا واصبحت شيخا كبيرا   قليل الطعام عسير القيام   قد ترك الدهر خطوي قصيرا
ابيت اراعي نجوم السماء   اقلب امري بطونا ظهورا   قوله ولا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة هي رقة الحب والكنة امراة اخي الرجل
وامراة ابنه وامراة ابن اخيه فاما المومسة فهي الفاجرة البغي واراد بقوله لم تطرح عندي قناعها اي لم تبتذل عنده وتنبسط
كما يفعل بمن يفجر بها وقوله يوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة السرور والفرح والعبرة فلول دمع ذلك لان العبرة لا تكون

الا تراهم يقولون للمحن فاما الافن وهو الحمق يقال رجل افين اذا كان احمق ومن امثالهم وجدان الرقين يغطي افن الافين
اي وجدان المال يغطي على حمق الاحمق والواحد الرقة رقة فاما قوله النصيحة تجر الفضيحة فيشبه معناه ان الناصح اذا
نصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصغي الى موعظته فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بسره وباح بمكنون صدره واما سوء الدعة
فانه يقال فلان حسن الدعة والتودع اذا كان حسن الطريقة ٥ ومن المعمرين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر لبيت قاله وهو
ينش الماء في الربلات منها   نشيش الرضف في اللبن الوغير   الربلات واحدتها ربلة وربلة بفتح الباء وتسكينها وهي كل لحمة غليظة
هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة المحماة وفي الحديث كانه على الرضف واللبن الوغير لبن يلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب اخذ
من وغرة الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر منه وغر صدره يوغر وغرا اذا التهب من غضب او حقد وقال اصحاب الاخبار
عاش المستوغر ثلثمائة وعشرين سنة وادرك الاسلام او كاد يدركه وقال ابن سلام كان المستوغر بعد ما عاش طويلا حتى
قال   ولقد سئمت من الحياة وطولها   وعمرت من عدد السنين مئينا   مائة اتت من بعدها مائتان لي   وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتنا   يوم يكر وليلة تحدونا   وهو القائل   اذا ما المرء صم فلم يكلم   واودى سمعه الا ندايا
ولاعب بالعشي بني بنيه   كفعل الهر يحترش العظايا   يلاعبهم وودوا لو سقوه   من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا   ولا شفي من المرض الشفايا   اراد بقوله صم فلم يكلم اي لم يسمع ما كلم به فاختصره ويجوز انه لم يكلم
لياس من استماعه فاعرض عن خطابه لذلك وقوله اودى سمعه الا ندايا اراد ان سمعه هلك الا انه يسمع الصوت
العالي الذي ينادى به وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه فانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه قد تناهى الى ملاعبة الصبيان
والانس بهم ويشبه ان يكون خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله يحترش العظايا
اي يصيدها والاحتراش ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه الضب افعى فيخرج اليه فياخذه يقال حرش
الضب واحترشه ومن امثالهم هذا اجل من الحرش يضرب عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب وقال ابن دريد
قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال
يا ابه اهذا الحرش قال هذا اجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذيفان السم
والعظايا جمع عظاية وهي دويبة معروفة ٥ ومن المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف
ابن قضاعة بن عمرو بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربعمائة سنة وخمسين سنة وقال ابن دريد
لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا نعد المعمر معمرا الا من عاش مائة سنة وعشرين فصاعدا

قال لبنيه اوصيكم بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوا لهم عثرة قصروا الاعنة واطيلوا الاسنة واطعنوا شزرا
واضربوا هبرا فاذا اردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا المحالة الجد لا الكد التجلد ولا التبلد والمنية
ولا الدنية ولا تاسوا على فائت وان عز فقده ولا تحنوا الى ظاعن وان الف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا
فتخرعوا ولا يكون لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا انا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضيقوا على رحب الارض
وما ذلك بمؤد الى روح ولكن راحة نفس خامرها الاشفاق ثم مات قال ابو بكر بن دريد في حديث اخر انه قال

اليوم يبنى لدويد بيته يا رب نهب صالح حويته ورب قرن بطل ارديته ورب غيل حسن لويته

ومعصم مخضب ثنيته لو كان للدهر بلى ابليته او كان قرني واحدا كفيته ومن قوله الفتى على الدهر رحلا وعدا
والدهر ما اصلح يوما افسدا يفسد ما اصلحه اليوم غدا قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا الشزر
ان يطعنه من احدى جانبيه يقال فتل الحبل شزرا اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر بموخر العين وقال الاصمعي
نظر الي نظرا شزرا اذا نظر اليه من عن يمينه او شماله وطعنة شزرا كذلك وقوله هبرا قال ابن دريد هبرت اللحم
اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم الهبرة والهبرة وسيف هبار وهابر والتحم هبر وهبور والحالم
الجبلة وقوله الجد لا الكد اي يدرك الرجل حاجته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود وقوله الكد
الجيم منزل انكاش في الامر والمبالغة فيه وقوله التجلد ولا التبلد اي تجلدوا ولا تتبلدوا وقوله فتطبعوا اي تدنسوا
والطبع الدنس يقال طبع السيف يطبع طبعا اذا ركبه الصدأ قال ما يقطعه العنكى
لا خير في طمع يدني الى طمع وغفة من قوام العيش تكفيني وقوله ولا تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع والخراعة
اللين ومنه سمي الشجرة الخروع للينها وقوله ان الموصين بنو سهوان الموصون جمع موصى وبنو سهوان ضربه مثلا اي
لا يلوموا من يتقدم اليهم فسهوا واعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ومعناه
ان الذين يحتاجون ان يوصوا احوجهم هم الذين يسهون عنه لغفلة عنايتهم وانت غير غافل ولا ساه عن حاجتي
وقوله فارحبوا اي وسعوا والرحب السعة والرحيح الواسع وقوله في الشعر غيل يا الغيل الساعد الممتلئ
والمعصم موضع السوار من اليد ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة
ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو
ابن مرة بن زيد بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة واوقع مائتي وقعة
وكان سيدا مطاعا شريفا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه كان سيد قومه

وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة
الكهان وفارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم فاوصى الى بنيه فقال يا بني اني قد كبرت سني وبلغت حرسا
من دهري فاحكمتني التجارب والامور تجربة واختبار فاحفظوا عني ما اقول وعوه اياكم والخور عند المصائب والتواكل
عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء الظن بالرب واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين
ومنها ساخرين فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة
فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد انه مصيبه قوله حرسا من دهري يريد دهرا
والحرس الدهر قال الراجز في شيبة عشنا بذاك حرسا والمسند الدهر الدهر والتواكل ان يكل القوم
امرهم الى غيرهم ومن قولهم رجل وكل اذا كان لا يكفي نفسه ويتكل في امره على غيره ويقال رجل وكلة تكلة والغرض كل
ما نصبته للرمي وتعاوره اي تداوله قال رحمه الله وقد ضمن ابن الرومي معنى قول زهير بن جناب الانسان غرض تعاوره
الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وعن شماله ثم لا بد ان يصيبه ما شاء الله اسما انا من حوادث الاحداث والاياب
كمن يسرح الشيب في الراس هادي المرمى قد اصلته الرايا امر بعد المشيب في الراس الى الى الحسين لحبا
غدا الدهر يرمي فيدنو سهامه لشخصي لخلو ان يصبن سوادا وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رماني
اما البيت الاخير فانه ابدع فيه واغرب وما علمت انه سبق الى معناه لانه جعل الشباب كالليل الساتر على الانسان
الحاجز بينه وبين من اراد رميه لظلمته والشيب مثل المقاتلة ها هنا لاضاءة لضوئه وبياضه وهذا في سلبه حسن
المعنى واراد بقوله رماني اصابني ومثله قول الشاعر فلما رمى شخصي رميت سواده ولا بد ان يرمى سواد الذي يرمي
وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن في العرب انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك وكان لشدة رايه يسمى كاهنا
ولم تجتمع قضاعة الا عليه وعلى رزاح بن ربيعة وسمع زهير بعض نسائه تكلم بما لا ينبغي لامراة ان تكلم به عند زوجها
فقالت له اسكت عني والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيئا ولا تعقله فقال عند ذلك
الا يا لقوم لا ارى النجم طالعا ولا الشمس الا حاجبي بيميني معزبتي عند القفا بعمودها يكون نكيري ان اقول درى
اميناً على سر النساء وربما اكون على الاسرار غير امين فللموت خير من حداج موطاء القطين لا ناي المحل حبيب
وهو القائل ابني ان اهلك فقد اورثتكم مجدا بنيه وتركتكم ارباب سادات زنادكم ورية
من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه
من ان يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشيه ولقد خطبت خطبة دارم غير الضعيفة والعييه وهو القائل

ليت شعري وللدهر ذو حدثان اي حين منيتي تلقاني اسبات على الفراش خفات ام بكفي مفجع حران وقال الحرث
من عمره ما ساءه لقد عمرت حتى ما ابالي احتفي في صباحي ام مسائي وحق لمن اتت مائتان عاما عليه ان يمل من الثواني
قوله معرسي يعني امرأته يقال عرس الرجل وطلته وحنته كل ذلك امرأة الرجل وقوله ابنا على سر النسا والسر خلاف
العلانية والسر ايضا النكاح قال الحطيئة ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم انف القصاع قال امرؤ القيس
الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي تكلم رهط يحتمل الوجهين جميعا لانه اذا اكبر وهرم لم
يشتهيه النساء ولم تحتشم بحضرته اسرارها تهاونا به وتقولا لا يعقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه ابنا
على سر النسا لعجزه عنه وقوله حداج موطأ الحداج مركب من مراكب النسا والجمع احداج وحدوج والظعن الظعاين
الهوادج والظعينة المرأة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في هودج والجمع هوادج وانما اخبر عن هرمه وان
مونته خير من كونه مع الظعن في جملة النسا وقوله زنادكم ورية الزناد جمع زند وزندة وهما عودان يقدح
بهما النار في احدهما فرض وهي ثقب التي بها الفروض هي الانثى والذي يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزند
والزندة الام وكنى بزنادكم ورية عن علو عزهم ما رتهم تقول العرب ورت بك زنادي اي نلت بك ما احب النجح
والنجاة ويقال للرجل الكريم واري الزند فاما النجيبة نعي الملك كانه قال كل مال الفتى تلته الا الملك ونيل النجبة
ها هنا الجلود والسقا والبازل الناقة التي يطلع نابها في سبعة سنين وهي اشد ما تكون ولفظ البازل يقع على الناقة والجمل سوا
والكوم الناقة العظيمة السنام والولية برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده ما يجال الغنى يحليه توسعه وتعظمه
ومعنى يهادى اي يماشيه الرجال يسندونه لضعفه والتهادي المشي الضعيف وقوله اسبات قال السبات
سكون الحركة ورجل مسبوت والخفات الضعف يقال خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض او جوع والمفجع
الذي قد فجع بولده او قرابته والحران العطشان الملتهب وهو ها هنا المحزون على قتلاه ومما يروى لزهير جناب
اذا ما شئت ان تسلى حبيبا فاكثر دونه عدد الليالي فما سلى حبيبك مثل ناي ولا بلي جديد كابتذال
مجلس لخبره ومن المعمرين ذو الاصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب
ابن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وانما سمي الحارث عدوان لانه
عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينيه وقيل ان اسم ذي الاصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حارثة
بن بلي بن عدوان وسبب لقبه بذي الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك وقال انه عاش
مائة وسبعين سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان احزم

ومن شعره لا يبعدن عهد الشباب ولا لذاته ونبات النضر لولا اولئك ما حفلت متى عوليت في حرجي الى قبري
هزئت اثيلة ان رأت هرمي وان انحنى لتقادم ظهري وكان لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن التزويج فابين
وقلن خدمتك وقربك احب الينا ثم اشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها
فقالت الكبرى الا هل اراها مرة وضجيعها اشم كنصل السيف عين مهند عليم بادوا النسا واصله اذا ما انتمى من اهلي
ومحتدي ويروى من اهل سري ومن اهل سري فقلن لها انت تريدين ذا قرابة وقد عرفتيه ثم قالت الثانية
الا ليت زوجي من اناس اولي غنى حديث الشباب طيب الثوب والعطر لصوق باكباد النسا كانه خليفة جان
لا ينام على وتر فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت الثالثة الا ليته يكسى الجمال نديه له جفنة
تشقى بها المعزى والجزور له حكمات الدهر من غير كبرة تشين فلا فان ولا ضرع غمر فقلن لها انت تريدين سيدا شريفا
فقلن للرابعة قولي فقالت لا اقول فقلن يا عدوة الله علمت ما في انفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت
زوج من عود خير من قعود فمضت مثلا فزوجهن اربعتهن ثم مكثن حولا ثم اتى الكبرى فقال يا بنية كيف
ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب البانها
جرعا ونأكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعيفنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم اتى الثانية فقال
يا بنية كيف زوجك قالت خير زوج يكرم اهله وينسى فضله قال فما مالكم قالت البقر تألف الفنا وتملا
الاناء وتودك السقا ونسا مع نسا فقال حظيت ورضيت ثم اتى الثالثة فقال يا بنية كيف زوجك
قالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها
ادما ويروى ادما بالفتح لم نبغ بها نعما فقال جذوة مغنية ويروى جدوى مغنية ثم اتى الصغيرة فقال
يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت
الضان جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وامر مغويتهن يتبعن فقال ابوها اشبه امرا بعض بزه
فمضت مثلا قال المسند رحمه الله اما قول الحسني نباهم في الشعر اشم فالشمم ارتفاع ارنبة الانف وورودها
يقال رجل اشم وامرأة شما وقوم شم قال حسان بن ثابت بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
والشمم الارتفاع في كل شي يحتمل ان يكون اراد حسان بشم الانوف ما ذكرناه من ورود الانف لان ذلك
عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز ان يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وترفعهم عن دنايا الامور ورذائلها
وخص الانوف بذلك لان الحمية والغضب والانفة فيها ولم يرد طول انوفهم وهذا اشبه ان يكون مراد

لانه قال بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون في الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل افعالهم واخلاقهم
كما تقول العامة جاني فلان بوجه ابيض وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا وانما تعني ما ذكرناه وقول المراة اسم كنصل
السيف يحتمل الوجهين ايضا وقول حسان من الطراز الاول اي فعالهم فعال اباهم وسلفهم ولم يحدثوا الخلال انما
ما هو مثلا تشبيه بتجارهم واصولهم وقولها عين مهند اي هو المهند بعينه كما يقال هذا بعينه وعين الشي نفسه
وعلى الرواية الاخرى غير مهند اي ليس هو السيف المنسوب الى الهند في الحقيقة وانما هو مشبه به في مضائه
وقولها من سراة اي من اكرمهم واخلصهم يقال فلان في سر قومه اي في صميمهم وشي فهو وسر الوادي اطيبه
ترابا والمحتد الاصل وقول الثانية اولى عدى فانما معناه ان يكون لهم اعداء لان من لا عدو له هو الفسل
الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس هو المحسد المعادي وقولها الصوق باكباد النساء يعني
في المضاجعة ويحتمل ان يكون اراد به المحبة والمودة وكنت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن اليه وهو
اشبه وقولها كانما خليفة جان اي كانه حية لصوقة باكباد النسا والجان جنس من الحيات فخففت لضرورة
الشعر وقول الثالثة يكسي الجال في الندي فالندي هو المجلس وقولها له حملات الدهر يقول تحمل حملته النجاد
وجعلته حليا فاما الفزع فهو الضعيف والغمر الذي لم يجرب الامور وقول الكبرى يكرم الحليلة
ويعطي الوسيلة فالحليلة هي امراة الرجل والوسيلة الحاجة وقولها نشرب البانها جرعا في جرع جمع
جرعة وهو الماء القليل يبقى في الاناء وقولها مزعا في المزعة البقية من دسم ويقال ما له جرعة ولا مزعة حكى ذلك
ذكره ابن دريد الصبة جرعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جرعة واذا الشرب ينبغي ان تكون البانها جرعا
ويكسر المزعة ليزدوج الكلام فيقول ... مزعا فالمزعة بالكسر هي القطعة من الشحم والمزعة
بالضم ابتسام الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق يقال انه ليكاد
يتمزع من الغيظ ومزع الظبي في عدوه يمزع مزعا اذا اسرع وقوله مال عميم اي كثير وقول الثانية
نود للسفار العرك الذي هو الدسم وقول السادسة نولدها فطما القطم جمع قطيع هو المقطوع من الرضاع
وقولها نسلحها ادما فالادم جمع ادام وهو الذي يوكل يقول لم نطعمها عند الولادة وسلحناها
للادم من الحاجة لم نبخ بها ... وعلى الرواية الاخرى ادما من الادم وقوله جذوة مقبسه فالجذوة القطعه
وقول الصغرى جون لا يبتغى جمع جونا وهي العظيمة الجوف والهيم العطاش لا ينقعن اي لا يروين
ومعنى قولها وامر معونتهن يتبعن اي القطيع من الضان ترعى على نقطة تنزل واحدة فتنقع في الماء ينقعن

كلهم ايه عاطها وانصان يوصف بالبلاد ... اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال واخبرنا ابو حاتم
عن ابي عبيدة عن يونس قال ابن دريد واخبرنا العكلي عن ابي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال
حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس على فرائضهم
فاتيناه فقال من القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك
عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي ومنهم من يجير الناس بالسنة والفرض ثم اقبل على رجل كنا قدمناه امامنا
جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فتكلم فقال لا ادري فقلت انا من خلفه يقوله ذو الاصبع فتركني واقبل على ذلك
الجسيم وما كان اسم ذي الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه حرثان فاقبل عليه وتركني فقال لم سمي ذا الاصبع فقال
لا ادري فقلت انا من خلفه نهشته حية على اصبعه فاقبل عليه وتركني فقال من ايكم كان فقال لا ادري فقلت انا من خلفه
من بني ناج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاوك قال سبعمائة ثم اقبل علي فقال كم عطاوك قلت اربعمائة فقال يا ابا الزعيزعة
حط من عطا هذا ثلثمائة وزدها في عطا هذا فرحت وعطاي سبعمائة وعطاوه اربعمائة وفي رواية اخرى انه قال
من ايكم كان فقال لا ادري فقلت انا من خلفه من بني ناج الذين يقول الشاعر واما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعن
عينيك من كان هالكا اذا قلت معروفا لتصلح بينهم يقول وهيب لا اسالم ذلكا فاضحى كظهر العود جب سنامه تحوم
عليه الطير احدب باركا ويروى يدب الى الاعدا احدب ... وقد رويت هذه الابيات لذي الاصبع ومن ابيات ذي الاصبع ايضا
الا ان ذا الضغن المبين منهم فاضحك حتى يبدو الناب اجمع واهدنه بالقول هدنا ولو يرى سريرة ما اخفي لبات يفزع
ومعنى اهدنه اسكنه ومن قوله ايضا اذا ما الدهر جر على اناس شراشره اناخ باخرينا فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا معنى الشراشر هاهنا الثقل ويقال القى عليه شراشره وجراميزه اي ثقله ومن قوله
ذهب الذين اذا راوني مقبلا هشوا الي ورحبوا بالمقبل وهم الذين اذا حملت حمالة ولقيتهم فكانني لم احمل ومن قوله
يا ابن عم على ما كان من خلق مختلفان فاقليه ويقليني ازرى بنا اننا شالت نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني
لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني اي العمر يا با يزيد ... عن الضيوف ولا خيري بممنون
ولا لساني على الادنى بمنطلق بالفاحشات ولا اغضي على الهون ماذا علي وان كنتم ذوي رحمي ان لا احبكم اذ لم تحبوني
يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي اضربك حيث تقول الهامة اسقوني ... طوال الكبد دوني
ملغوح الفسق غير ... ولا البرلي لا يبتغي ليني قوله شالت نعامتنا معناه تفرقنا فضرب النعام مثلا اي كما

المصير اليه ولا تطمئن الحي يقال شالت نعامة القوم اذا خلوا عن الموضع وقوله لا ملن ابن عمك قال قوم اراد الله
ابن عمك وقال آخرون بل اقسم واراد والله ابن عمك وقوله عنى اى على والديان الذى يلى امره ومعنى تخزونى اى تسوسني
والهون الهوان وقوله اضربك حيث تقول الهامة اسقوني قال الاصمعي العطش في الهامة فاراد اضربك ذلك الموضع اى على
الهامة حيث تعطش وقال الخروز العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرج من راسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقوني
ولا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل ويجوز ان يعنيه دوا الاصبع على مذهب العرب وقوله لا خرج القسر عن ابيه
والقسر القهر اى اخذته قسرا لم ازدد الا ابا، ومن المعمرين معدي كرب الحميري من آل ذي رعين قال ابن سلام وقال معدي كرب
الحميري وقد طال عمره   اراني كلما افنيت يوما   اتاني بعده يوم جديد   يعود ضياؤه في كل فجر   ويابى لي شبابي ما يعود
ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزاري وقال انه بقي الى ايام بني امية وروي انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع
اخبرني عما ادركت من العمر والمدى وما رايت من الخطوب الماضية قال انا الذي اقول
ها انا ذا آمل الخلود وقد   ادرك عقلي ومولدي حجرا   يعني امرأ القيس فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وانا
فقال انا القائل   اذا عاش الفتى مائتين عاما   فقد ذهب اللذاذة والفتاء   قال قد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك يا ربيع
لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلم وعشرين ومائة في الجاهلية وستين
في الاسلام قال اخبرني عن فتية من قريش متواطئي الاسماء قال سل عن ايهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن عباس
قال فهم وعلم وعطاء جزم ومقرى ضخم قال اخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول وكظم وبعد من الظلم
قال اخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضررها قال اخبرني عن عبد الله
ابن الزبير قال جبل وعر تنحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما اعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري قال
رحمه الله ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان يكون سوى عبد الملك انما كان في ايام معوية لا في ولايته لان
الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحا فلابد
مما ذكرناه وقد روي ان الربيع ادرك ايام معوية وقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

الا ابلغ بني بني ربيع   فانذال البنين لكم فداء ° باني قد كبرت ودق عظمي   فلا يشغلكم عني النساء °
وان كنائني لنساء صدق   وما ألّى بني ولا اساؤوا ° اذا كان الشتاء فادفئوني   فان الشيخ يهدمه الشتاء °
فاما حين يذهب كل قر   فسربال خفيف او رداء ° اذا عاش الفتى مائتين عاما   فقد ذهب اللذاذة والفتاء ° وقال حين بلغ المائتين
واربعين سنة ° اصبح مني الشباب قد حسرا   ان ينا عني فقد ثوى عصرا ° ودعنا قبل ان نودعه   لما قضى من جماعنا وطرا °

ها انا ذا آمل الخلود وقد ادرك عقلي ومولدي حجرا   ابا امرئ القيس هل سمعت به   هيهات هيهات طال ذا عمرا
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا   والذئب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة اسر بها اصبحت شيخا اعالج الكبرا   قوله عطاء جذم اى سريع وكل شيء سريع فقد جذم ومنه في الحديث
اذا اذنت فترسل واذا اقمت فاجذم اى اسرع والمقرى الاناء الذي يقرى فيه وقوله فما الى نخ سمعه ربا والى المقصر
مجلس الفقر   ومن المعمرين ابو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين قال ابو حاتم عاش مائتي سنة
فقال في ذلك   حنتني حانيات الدهر حتى   كاني خاتل ادنو لصيد   قصير الخطو يحسب من راني   ولست مقيدا اني بقيد
قال ابو حاتم حدثني عدة من اصحابنا انهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذه الابيات ويستحسنها
وان بني جطور حلة لا سويد ويبدك الدهران ينتزيد   وهو القائل   واني من القوم الذين هم هم   اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب   بدا كوكب تاوي اليه كواكبه   اضاءت لهم احسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كان مسود   تسير المنايا حيث سارت كتائبه   ومعنى البيت الاول من هذه قول اوس بن حجر
اذا مقرم منا ذرى حد نابه   تخمط فينا ناب آخر مقرم   وللطفيل الغنوي مثله   كواكب دجن كلما انقض كوكب   بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب
وقد اخذ الخزيمي هذا المعنى   اذا قمر منا تغور او خبا   بدا قمر في جانب الافق يلمع   ومثل ذلك   خلافة اهل الارض فينا وراثة
اذا مات منا سيد قام صاحبه   ومثله   اذا سيد منا مضى لسبيله   اقام عمود الدين آخر سيد   وكان من احسن العقل نظر
الى قول ابي الطمحان   اضاءت لهم احسابهم ووجوههم   فقال   وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها   صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي
وعارض ذلك قول حجية بن المضرب الكندي   اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت   لنورهم الشمس المضيئة والبدر   وانشد محمد بن يحيى الصولي لابي
الطمحان   من البيض الوجوه بني سنان   لو انك تستضيء بهم اضاءوا   هم حلوا من الشرف المعلى   ومن كرم العشيرة حيث شاءوا
فلو ان السماء دنت لمجد   ومكرمة دنت لهم السماء   وابو الطمحان القائل   اذا كان في صدر ابن عمك احنة   فلا تستثرها سوف يبدو دفينها
وهو القائل   اذا شاء راعيها استقى من وقيعة   كعين الغراب صفوها لم يكدر   الوقيعة المستنقع في الصخرة للماء ويقال للماء الذي
في الصخرة وقيع فوقع في بطن لحرى هو ما الوقائع وانشد لذي الرمة   ولما سقيناها طار حديثه   كانه جنا النحل ممزوجا بماء
الوقائع   ويقال للماء الذي يجري على الصخرة الفشرج وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل ماء المفاصل   وانشد لابي ذؤيب
مطافيل ابكار حديث نتاجها   تشاب بماء مثل ماء المفاصل   وانشد ابو حاتم لابي الطمحان   بني اذا ما سامك الذل قاهر
عزيز فبعض الذل ابقى واحرز   ولا تحم من بعض الامور تعززا   فقد يورث الذل الطويل التعزز   وهذان البيتان مر باب
لعبد الله بن معوية الجعفري وهو كان ابي الطمحان ايضا في هذا المعنى   يا رب مظلمة يوما لطيت بها   تمضي علي اذا ما غاب نصاري

حتى اذا ما انقضت عني غيابتها وثبت فيها وثوب الجحدر الضاري   ومن المعمرين عبد المسيح بن بقيلة الغساني وهو عبد المسيح
ابن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمي بقيلة لانه خرج في بردين اخضرين على قومه
فقالوا له ما انت الا بقيلة فسمي بذلك وذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما انه عاش ثلثمائة سنة وخمسين سنة وادرك الاسلام
فلم يسلم وكان نصرانيا   وروي ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا الي رجلا من عقلائكم
وذوي اسنانكم فبعثوا اليه عبد المسيح بن بقيلة فاقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال له انعم صباحا ايها الملك قال قد اغنانا الله عن تحيتك
هذه فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من ظهر ابي قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت قال في
ثيابي قال اتعقل لا عقلت قال اي والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط اني اسأله عن الشيء
وينحو في غيره فقال ما اجبتك الا عما سألت قال اعرب انتم ام نبيط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال
فحرب انتم ام سلم قال بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه قال كم اتى لك قال خمسون
وثلثمائة سنة قال فما ادركت قال ادركت سفن البحر ترفا الينا في هذا الجرف ورأيت المرأة تخرج من اهل الحيرة فتضع مكتلها على راسها
لا تزود الا رغيفا واحدا حتى تاتي الشام ثم اصبحت خرابا يبابا وذلك دأب الله في البلاد والعباد قال ومعه سم ساعة
يقلبه في كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال السم قال وما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي واهل بلدي حمدت الله وقبلته
وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلا وبلاء اشربه فاستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فاخذه
ثم قال بسم الله وبالله رب السماء والارض الذي لا يضر مع اسمه شيء ثم اكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلا ثم عرق
فافاق كأنما انشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال قد جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم
واخرجوهم عنكم فان هذا امر مصنوع فصانعوهم على مائة الف درهم وانشأ ابن بقيلة يقول

ابعد المنذرين ارى سواما تروح بالخورنق والسدير   تحاماه فوارس كل قوم مخافة ضيغم عالي الزئير
وصرنا بعد هلك ابي قبيس كمثل الشاء في اليوم المطير   تقسمنا القبائل من معد علانية كايسار الجزور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير   كذاك الدهر دولته سجال فيوم من مساءة او سرور

وقال ايضا عبد المسيح بن بقيلة لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر ابن بقيلة قال   لقد بنيت للحدثان حصنا لو ان المرء تنفعه الحصون
طويل الراس اقعس مشمخرا لانواع الرياح به حنين   والناس ابناء علات فمن علموا ان قد اقل فمجفو ومحقور
وهم بنون لام ان راوا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومخفور   وهذا يشبه قول اوس بن حجر
بني ام ذي المال الكثير يرونه وان كان عبدا سيد القوم جحفلا   وهم لمقل المال اولاد علة وان كان محضا في العمومة مخولا

وذكر ان بعض مشايخ الحيرة خرج الى ظهرها يختط دارا فلما احتفر موضع الاساس وامعن في الاحتفار اصاب كهيئة الازج
فدخله فاذا رجل على سرير رخام وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيلة   حلبت الدهر اشطره حياتي ونلت من المنى
بلغ المزيد وكافحت الامور وكافحتني فلم اخضع لمعضلة كؤود   وكدت انال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى الخلود
ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن كعب بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
العامري وروى ابو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي اسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله
تذكرت والذكرى تهيج على الهوى ومن حاجة المحزون ان يتذكرا   ندامى عند المنذر بن محرق ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا
كهول وفتيان كأن وجوههم دنانير مما شيف في ارض قيصرا   وهذا يدل على انه كان مع المنذر بن المحرق والنابغة
الذبياني كان مع النعمان بن المنذر بن محرق ولقوله تنبيه على المشهور المحاذ ويقال ان النابغة غبر ثلثين سنة لا يتكلم
ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة باصفهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول

ومن يك سائلا عني فاني من الفتيان ايام الخنان   وايام الخنان ايام كانت للعرب فيه هاج بهم مرض في انوفهم وحلوقهم
اتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان   وابقى الدهر والايام مني كما ابقى من السيف اليماني
تفلل وهو مأثور جراز اذا اجتمعت بقائمه اليدان   وله في طول عمره   لبست اناسا فافنيتهم وافنيت بعد اناس اناسا
ثلاثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستآسا   معنى المستآسا المستعاض وروى هشام بن محمد الكلبي انه كان
مسدسا وروى ابن دريد عن ابي حاتم في موضع اخر ان النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وادرك الاسلام وروي له
قالت امامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الاوثان   ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت اعد ملفتيان
والمنذر بن محرق في ملكه وشهدت يوم هجائن النعمان   وعمرت حتى جاء احمد بالهدى وقوارع تتلى من القرآن
ولبست من اسلام ثوبا واسعا من سيب لا حرم ولا منان   وله في طول عمره   المرء يهوى ان يعيش وطول عيش ما يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره   وتتابع الايام حتى ما يرى شيئا يسره   كم شامت بي ان هلكت وقائل لله دره
وروي ان النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول اتيت النبي صلعم وانشدته   علونا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال صلعم الى اين المظهر يا ابا ليلى قال الجنة يا رسول الله فقال اجل ان شاء الله ثم انشدته
ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا   ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا   فقال صلعم
لا يفضض الله فاك وفي رواية اخرى لا يفضض فوك ويقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن ولا ضرس وفي رواية
اخرى ما رايته وقد بلغ الثمانين يرف غربه وكان كلما سقطت له ثنية نبتت له اخرى مكانها وهو احسن الناس ثغرا يعني ثغره

من كان اللفظ منهما قال رحمه الله ومما يشاكل قوله الى الجنة من جواب النبي صلى الله عليه وآله أم المطهر بالبلى وان كان
يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الاخطل على عبد الملك بن مروان مستشفعا من فعل الجحاف السلمي وانه انشده
لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول فان لم تغيرها قريش بملكها يكن عن قريش مستماز ومزحل
فقال له عبد الملك بن مروان الى اين يا ابن اللخناء قال الى النار قال لو قلت غيرها لقطعت لسانك فقوله الى النار تخلص مليح على
البديهة كما تخلص الجعدي بقوله الى الجنة واول قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها الابيات

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ° ولوما على ما احدث الدهر او ذرا °
ولا تسألا ان الحياة قصيرة ° فطيرا لروعات الحوادث او قرا °
وان جاء امر لا تطيقان دفعه ° فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا °
الم تعلما ان الملامة نفعها ° قليل اذا ما الشيء ولى وادبرا °
تهيج البكاء والندامة ثم لا ° تغير شيئا غير ما كان قدرا °
لو ان الله علم الغيب عم سواءه ° ويعلم منه ما مضى وتأخرا °
وكنا هنا حتى ما الحس ومرتع ° سهيلا اذا ما لاح ثم تغورا ° وسهيلا تقول رأيت بالشام وسهيل كادر بري هناك
وهذا البيت معنى ومنها يقول ونحن اناس لا نعود خيلنا ° اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا °
وننكر يوم الروع الوان خيلنا ° من الطعن حتى نحسب الجون اشقرا ° وليس بمعروف لنا ان نردها ° صحاحا ولا مستنكرا ان تعقرا °

اخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا محمد بن يحيى قال انشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي
تلوم على هلك البعير ظعينتي ° وكنت على لوم العواذل زاريا ° الم تعلمي اني رزئت محاربا ° فما لك منه اليوم شيء ولا ليا °
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح ° وكان ابن امي والخليل المصافيا ° فتى كملت خيراته غير انه ° جواد فما يبقي من المال باقيا °
فتى كان فيه ما يسر صديقه ° على ان فيه ما يسوء الاعاديا ° اشم طويل الساعدين سميدع ° اذا لم يرح للمجد اصبح غاديا °
السميدع الشريف ومنها ° عقيلية او من هلال بن عامر ° بذي الرمث من وادي المنار خيامها °
اذا ابتسمت في الليل والليل دونها ° اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها ° وذكر الصولي عن ابي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق
عن النابغة الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده مطرف بالف وخمار بواف قال الاصمعي صدق الفرزدق بينا
النابغة في كلام اسهل من الزلال واشد من الصخر اذ لان وذهب ثم انشد له سما لك هم ولم تطرب ° وبت ببث ولم
تنصب ° وقالت سليمى ارى رأسه ° كناصية الفرس الاشهب ° وذلك من وقعات المنون ° ففيئي اليك ولا تعجبي
اتين على اخوتي سبعة ° وعدن على ربعي الاقرب ° ثم يقول بعدها فادخلك الله برد الجنان ° جذلان في مدخل طيب
فلان كلامه حتى لو ان ابا الشمقمق قال هذا البيت كان رديا قال الاصمعي وطريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان الا
ترى حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر
عليهم السلام

وغيرهما لان شعره ° مجلس آخر — مسألة يتعلق بما ذكرناه ان سأل سائل فقال كيف يصح ما اوردتموه
من تطاول الاعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل
اليه ومنهم من يقول في انكاره درجة فيقول انه لو كان جائزا من طريق القدرة والامكان لكان مما يقطع على انتفائه
لكونه خارقا للعادات وان العادات اذا اوثق الدليل على انها لا تخرق الا على سبيل الاعجاز والدلالة على صدق الانبياء
علم ان جميع ما روي من زيادة الاعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت اليه — الجواب قلنا اما من ابطل تطاول
الاعمار من حيث الاحالة واخرجه عن باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما الحياة الحقيقة وما المقتضي لها
لدوامها اذا دامت وانقطاعها اذا انقطعت لعلم من جواز امتدادها ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز ان يكون حيا
وغير حي ولم يثبت قلنا هو استمرار كون الحي الذي لكونه على هذه الصفة ابتداء حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه
يبعد ان يوصف من كان في حالة واحدة حيا بان له عمرا بل لا بد ان يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وان قل
وشرطنا جواز ان يكون غير حي او ان يكون لكونه حيا ابتداء احترازا من ان يلزم عليه القديم تعالى لانه جلت عظمته
ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وما تحتاج اليه الحياة
من البنية والمعاني ما يختص به تعالى ولا يدخل الا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل تعالى الحياة
وما تحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء وكذلك ما تحتاج اليه فليست تنتفي الا بضد يطرأ عليها او بضد
ينفي ما تحتاج اليه والاقوى انه لا ضد لها على الحقيقة وانما ادعى قوم بانه ينتفي بانتفاء ما تحتاج اليه ولو كان
للحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما نقصده من هذا الباب فمتى لم يفعل القديم تعالى ضدها او ضد ما تحتاج
اليه ولا ينقض ما نقض بنية الحي استمر كون الحي حيا ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان زمانها
تقضيا مفعما لانه تعالى قادر ان يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وفعل ما تحتاج اليه فيستمر كون الحي حيا
فاما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقض بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما اجرى الله تعالى
العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا ايجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر ان لا
يفعل ما اجرى العادة بفعله واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول الاعمار ممكن غير مستحيل وانما اتي من احال ذلك
من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حيا موجب عن طبعه وقوة لها مبلغ من المادة متى انتهت اليه انقطعت
واستحال ان تدوم ولو اضافوا ذلك الى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الاستحالة فاما
الكلام في جواز ذلك في العادة او خروجه عنها فلا شك في ان العادة قد جرت في الاعمار باقدار متقاربة يعد

الزائد عليها خارقا للعادة الا ترى انه قد ثبت ان العادة قد يختلف في الاوقات والاماكن ويجب ان يعود العادة
لضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع ان يقال ما كانت العادة جارية به على التدريج حتى يصير
حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف وان يقال الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلافه
وان صح ذلك لم يمتنع ان يكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الاعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك
على تدريج حتى صارت عادتنا الان جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الاعمار خارقا للعادة وهذه جملة مما
اوردناه كافية ه في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يسميها العامة المسكتة ه اعلم ان اجوبة المحاوره
والمناظرة انما تستحسن ويتزايد لمعتها مع الصواب سرعة الحضور لكم مرحبا بن بعدلي ودونه
تقاعس لم يكن له في النفوس موقع ولا محل من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتامل الروي في الاصابة واخذ
باطراف الحجة ولهذا فضل احسن الناس جوابا واحضرهم قريش من العرب ان الموالي اجوبتها بعد فكر وروية
وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدي لمعوية بن ابي سفيان وقد ساله عن البلاغة فقال ان تجيب فلا
تخطي وتسرع فلا تبطي ثم اختصر ذلك فقال لا تخطي ولا تبطي ولطول الفكره والامعان في الرويه مذهب واوان
لا يحمد فيهما التسرع والتعجيل كما لا يحمد في اوان السرعة التثاقل والتباطؤ فانما تحمد السرعة في اجوبة المحاوره والمناظره
ومراد الفكر والروية للاراء المستخرجة والامور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة وله في اتمامها فسحة
ولا يعتب عليه معها في اطالة التامل واعادة التصفح ولهذا قال الاحنف بن قيس اغبوا الراي فان ذلك اكشف لكم
عن مخضه وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما اراده الخوارج على الكلام جنبوا الراي الفطير والكلام
القضيب وشاور ابن التوام الرقاشي فامسك عن الجواب وقال ما احب الجواب جوابا فاما نوهم لك تعرض لهم الحمق
سرعة الجواب وكثرة لا التفات الى ما يعه كل احد محمول على السرعة بالجواب عند الراي والمشاوره والاحوال التي يستحب فيها
التاني والتثبت او على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا اشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه
وروي ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه واله والتمس عن الاستعاذة فقال اذا عرق جبينه فقال له عليه السلام اني اكره
الموت فقال عليه السلام الك مال قال نعم فقال قدم مالك فان قلب كل احد عند ماله وقال يهودي لامير المومنين عليه السلام ما دفنتم
نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت اقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا
الها كما لهم الهة فقال انكم قوم تجهلون وروي انه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلى الله عليه واله سال عن خبر السقيفة
فقيل ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلام فهلا ذكرت الانصار قول النبي صلى الله عليه واله يقبل من محسنهم

وتجاوز عن مسيئهم فكيف لا مومنهم والوصاة بهم وقال له عليه السلام ابن الكوا يا امير المومنين كم بين السماء والارض
فقال دعوة مستجابة وقيل له ما طعم الماء قال طعم الحيوة قيل له كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس
واثنى عليه رجل وكان له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وكان عليه السلام اذا اطراه رجل يقول اللهم
انك اعلم بي مني وانا اعلم بنفسي منهم فاغفر لي ما لا يعلمون ه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا عبد الواحد بن محمد الخصيبي
قال حدثني ابو علي احمد بن اسمعيل قال حدثني ايوب بن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الانصار يقال له نفيع
عرضا فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على حمار
له فتلقاه الحاجب بالبر والاكرام واعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع من هذا الشيخ قالوا او ما تعرفه
قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر قال ما رايت اعجز من هولاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن
السرير اما ان خرج لاسوءنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هولاء اهل بيت قل ما تعرض لهم احد في خطاب الا وسموه
في الجواب وسمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال وخرج موسى بن جعفر فقام اليه نفيع الانصاري واخذ بلجام حماره
فقال من انت فقال له يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله وان كنت
تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو
قومي مسلمي قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قريش خل عن الحمار فخلى عنه ويده ترعد وانصرف بخزي
فقال عبد العزيز الم اقل لك وقال رجل لمعوية استشار الاحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال انت اعلم
بليله ونهاره وقال احمد بن يوسف لابي يعقوب الخريمي مدائحك في محمد بن منصور احسن من مراثيك فيه قال كنا نعمل للرجاء
واليوم للوفاء وبينهما بون وبعد ودخل مطيع بن اياس على الهادي يعزيه في المهدي ويهنيه فقال السلام عليك
يا امير المومنين فضل له ثم قال نعيا لامير المومنين ه وقال معوية بن ابي سفين لعقيل بن ابي طالب وكان جيد الجواب
حاضره انا خير لك من اخيك فقال ان اخي اثر دينه على دنياه وانت اثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه منك
وانت خير لي منه وقال له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء وقال له يوما
معوية وقد دخل عليه هذا عقيل عمه ابو لهب فقال هذا معوية عمته حمالة الحطب ه وعمة معوية ام جميل
بنت حرب بن امية وكانت امراة ابي لهب وقال له يا ابا يزيد اين تكون عمك ابو لهب قال اذا دخلت النار فانظر عن يسارك
تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما اسوء حالا الناكح ام المنكوح وقال له ليلة الهرير بصفين يا ابا يزيد
انت معنا الليلة قال ويوم بدر معكم وقيل لسعيد بن المسيب وقد كف بصره الا تقدح عينيك قال حتى افتحهما على من

ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك قال انك لتتجلد قال على اعدائك
قال ان فيك لبقية قال هي لك وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قتلة يتحدث بها
بعدك فقال مسلم اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولوم القدرة لاحد اولى بها منك وقال رجل لعمرو بن العاص لاتفرغن
لك قال الان وقعت في الشغل وقال معوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالاشدق الى من اوصى بك ابوك قال ان ابي
اوصى الي ولم يوص بي وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة الا اوصي بك فلانا قال يا ابه اذا لم
يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي انشدني بعض قولك في الخمر
فانشده كميت اذا شجت وفي الكاس وردة لها في عظام الشاربين دبيب فقال الوليد شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع
لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها ولما اتى معوية نعي الحسن بن علي صلوات الله عليهما بعث الى ابن عباس
وهو لا يعلم الخبر فقال له هل عندك خبر من المدينة قال لا قال اتانا نعي الحسن واظهر سرورا فقال ابن عباس اذا لا ينسي
الله اجلك ولا يسد حفرتك قال احسبه قد ترك صبية صغارا قال كلنا كان صغيرا فكبر قال واحسبه بلغ سنا قال مثل مولده
لا يجهل يا معوية ولو قال له اصبحت سيد قومك قال اما وابو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام حي فلا فلما كان من غد
اتى بعض ولد معوية ابن عباس وهو في المسجد يعزيه فجلس بين يديه جلسة المعزي فاظهر حزنا وغما فلما انصرف اتبعه ابن عباس
بصره وقال اذا ذهب ال حرب ذهب حلم قريش وروي ان روحا دخل على عمر بن عبد العزيز فاراد فتى منهم الكلام فقال
ليتكلم الكبير فقال الفتى لو كان الامر بالسن لكان هو اسن منك فقال له تكلم يا فتى وروى محمد بن سلام الجمحي قال انشد نصيب عبد الملك بن مروان
على ابن ابي العاصي درعا حصينة اجاد المسدي نسجها فاذالها فقال هلا قلت كما قال الاعشى واذا تكون كتيبة ملمومة شهباء
يخشى الذائدون نهالها كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما ابطالها فقال انه وصفه بالخرق ووصفتك
بالحزم ويشبه ذلك ما روي عن ابي عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة فقال له انشدني قصيدتك ما بال عينك منها الماء ينسكب
فانشده اياها فلما انتهى الى قوله تصغي اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى في غرزها تثب فقال ابو عمرو بن العلاء
وقول الراعي احسن مما قلت وهي اذا قام في غرزها مثل السفينة او اوقر ولا تعجل المرء عند الورك وهي بركبته ابصر
فقال ذو الرمة انا وصفت ناقة سوقة والراعي وصف ناقة ملك وحكى الصولي ان اعرابيا سمع ذا الرمة ينشد
الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فاما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع مضفور وقوله تصغي
ويميل راسها كانها تسمع لانها تستبين بغور الموادبة مقومه والكور الرحل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن
فانه الاحسان فقال يصف الناقة ويمدح الخصيب بن الحميد كانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنه وقر

ثم من ضربان في صفتها المتقاحي وصفها الوتر وهو النقلي الاذن [illegible] السمع لكون اصغاوه وميله الى جهة الحدث
اشد واكد قال السيد رحمه الله واني لاستحسن القصيدة التي من جملتها هذا البيت الذي اوردناه لابي نواس لانها
دون العشرين بيتا قد نسب في اولها ثم وصف الخانة باحسن وصف ثم مدح الرجل الذي قصده بمدحه وانتضى حاجته كل ذلك
بطبع بديع وقرب قريب وسهولة مع جزالة والقصيدة يا منة امتنها السكر ما ينقضي مني لها الشكر
اعطتك فوق منالك من قبل تذكر قبل مرامها وعر يثني اليك بها سوالفه رشا صناعة عينه السحر
ظلت حميا الكاس تبسطنا حتى تهتك بيننا الستر في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر
اما قوله حلت الخمر فيحتمل ان يريد انها وصفه به من طيب الموضع وكمال السرور به وحصول المامول فيه صار مقتضيا
لشرب الخمر ومحلا لها وتناولها فانما اخرجها على مذهب الشعراء في المبالغة وتكون فايدة وصفها بانها حلت المبالغة
في وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل ان يكون عقد على نفسه ان لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع مع محبوبه وكان
الاجتماع بعد بعد حاله عن محبته على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم الى ان ياخذوا بثارهم ويجري ذلك مجرى
قول الشنفرى الازدي حلت الخمر وكانت حراما وبلاي ما الت تحل ويحتمل ان يريد انها حلت وقامت من الحلول الذي
هو المقام لا من الحلال لانه وصف موضع جمع اداته وحضور جميع فنون لذاته وانها كاملت بحلول الخمر التي فيها
جماع اللذات وهذا الوجه واني ما اشار اليه احد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا
وقد قيل انه اراد انا استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كانت تمنع لها من الحرام والوجوه المتقدمة اشبه واولى
بالصواب ولقد تجوب بي الفلاة اذا صام النهار وقالت العفر اراد بصام وقف وذلك صفة لامتداد الطول
والعفر الظبا التي في الوانها حمرة تعلوها كدرة وقالت من القايلة وهو وقت نصف النهار لان القول
شدنية رعت الحمى فاتت ما الحبال كانها قصر شدنية منسوبة الى شدن وهو موضع باليمن يقال المللة ذو شدن
تثني على الحاذين ذا خصل تعمى به الشذان والخطر الحاذ موخر الفخذ والشذان ان ترفع الناقة ذنبها من المرح والخطران
معروف من خطر يخطر وتعمى ان تعلو يقال اذا رفعته شاهقة وهو يعني شاهقة اي عالية اي
ذنبها ويقال تعني الطاير اذا نشر جناحه طاير من غير تحريك اما اذا وضعته خافضه يقول ترخي خلفها ستر
وتشق جنابا فيحسبها مزتر شماء فتاده اثر معنى تنسفا يمد اسمها من الرمي والمرتسم الذي يتبع الرسم وتاملة
ومعنى يصاده اثر اي يعوضه يطلب الاثر وموكل يتبعه يقال اثر واثر واثره ثلث لغات وذكر الصولي في
تفسير هذا البيت لا يكون الاثر الا من جمع الاثار الا انهم جمع الاثار اثر ثم خفف فقال اثر وليس يحتاج الى ما ذكره

مع ما اوردناه وانما ذهب عليه انه يقال الاواتر اذا اقصرت لها الرعاء سمانا فوق المقادم ملطرحن
نعم انها تصغى لشيعة بعض الحدث اذ نهوض تبرى لانقاض اقمر بها حدث البرى تخدو دها صعر
معنى تبرى تنبرى اى تعرض لهذه الانقاض والانقاض جمع نقض وهو البعير الذى قد هزله السفر والكد والبرى جمع
برة وهى الحلقة تكون فى انف البعير للأزمة ترمى الركاب بها بنو لما عتبوا اذا عتبتهم بكل الذعر ان الخطب وهذه مصر
نذر فقال كلا كما اخر لا تقعدن عن مدى الى شبابا فالكاعد وخوفى ان ذهبت سفاها ان الاهل ساخر الفقر

مجلس آخر قال السيد رحمه الله ونعود الى ما كنا اخذنا فيه من ذكر مستحسن الجوابات وروى ان رجلا
نظر الى كثير الشاعر راكبا وابو جعفر محمد بن على عليهما السلام يمشى فقيل له اتركب وابو جعفر يمشى فقال هو امرنى بذلك وانا
بطاعته فى الركوب افضل منى فى عصيانى اياه بالمشى وروى ان دعاة خراسان صاروا الى ابى عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا
ان كان او لمحمد بن على فقال الملك بالمرأة ولست بصاحبكم فقالوا لو اراد الله بنا خيرا اتت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك
لابى عبد الله اردت الخروج علينا فقال نحن بما علمكم فى دولة غيركم فكيف نخرج عليكم فى دولة غيركم وقال عبد الملك بن مروان
لنصيب الشاعر هل لك فى الشراب فقال يا نصيب الشعر مفلفل واللون مسود وانما قربت اليك بعقلى فهبه لى
وقال حمدان بن محمد الملقب بحمار الحاجبة وقد ولى منهزما كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لى بذلك فقال ان اسراهم تقتل
لا محالة وددت انك تقدر على ذلك وقال يحيى بن خالد لابنه ان علمنا ما علمك ابيه يا ابا عبد الله فقال له اشترك اذا اعلم
بما تعلمون علمتم ما تجهلون وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغنى انك بخيل فقال يا امير المؤمنين ما اجمد فى حق ولا اذوب فى باطل وقيل
لابى دواد الايادى نظر الى بنته منى بن نوسه اخيتها يا ابا دواد فقال اعتنيها بكرامتى كما الزمتها هواى ومثل ذلك
قول الاعرابى لحقه ذل على باب السلطان اهين لهم نفسى لاكرمها بهم ولن يكرم النفس التى لا تهينها
ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس بمجلسه الذى كان يجلس فيه فقام رجل الى المنصور فقال مظلوم يا امير المؤمنين قال
من ظلمك قال عمارة غصبنى ضيعتى فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لى بخصم قال كيف ذاك
ان كانت الضيعة له فلست انازعه وان كانت لى فهى له ولا اقوم من مجلس شرفنى به امير المؤمنين لاقعد فى ادنى منه بسبب
ضيعة وقال هشام بن عبد الملك لرجل فى الكعبة سلنى حاجتك قال لا اسأل فى بيت الله غير الله وهرب سالم بن عبد الله
من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال
ذلك القليل نطلب وقيل لابن الجعد بن درهم جعل فى قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهواما فقال لاصحابه انا خلقت
ذلك لانى كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والاناث ان كان خلقه

وكم وزن كل واحد منهن وليأمر الذى يسعى الى هذا الوجه ان يرجع الى غيره فانقطع وهرب وقال المأمون للفضل بن سهل
اى انا وعليك اتغيا ما يقاد ونك فلا تركب الا ونحن فقال الفضل يا الخالق غيرك فان استثنى من نفسك لم يضر الانسان وقيل
لابى توبة انقول ان حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال بينهما فى العلم كقيمة ما بين ابويهما فى الصرف واراد المهدى
تقليد السواد رجلا بناظر العمال فقام اليه رجل من الدهاقين فقال يا امير المؤمنين ان الله عز وجل والاكل علينا بالامانة فلا
تقبلنا ما شرع عن ذلك وقال رجل لابن عباس وجئت من بلاده وكانت سمة فى وجهه فقال الا ارضا هالك الا انها تنتزف فقال
الرجل قد عذبت اهلها فقال ابن العباس الا كانوا ارضا لك اهلها وشبيه هذا الخبر من وجه ما رواه المدائنى قال سأل عمر بن عبد العزيز
رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس بن معاوية المزنى وبين القاسم بن ربيعة الجوشنى من بنى عبد الله بن غطفان فيولى
القضاء انفذهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال اياس للشامى ايها الرجل سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن
وابن سيرين فمن اشارا اليك فوله ولم يكن اتاهما وكان القاسم ياتى الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما فعلم القاسم انه ان سالهما
اشارا به فقال للشامى لا تسل عنى وعنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا افضل منى وافقه واعلم بالقضاء فان كنت
عندك ممن صدق انه ينبغى ان تقبل قولى وان كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني وانا كاذب فقال اياس للشامى انك
جئت برجل اوقفته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين حلفها كاذبا فليستغفر الله منها
ولينجو مما يخاف فقال الشامى اما اذا فطنت لهذا فانى اوليك القضاء فاستقضاه ولما انقضى معاوية سعد وقد جعل الناس
يعرضونه فقال عندنا لابنه ما تدرى لخدع الناس ان يخدعونا فقال معاوية يا بنى من خدعته فانخدع لك لتخدعك فقد
خدعته وسمع عبد الملك بن مروان ليلة نبغى وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول ليتنى كنت غسالا
اعيش بما اكسب يوما بيوم فبلغ ابا حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا يتمنى الحياة
ما هم فيه وقال الجاحظ قال لى الواثق يوما يا ماني فقال لو كان الذى اضغننى اليه عندك ما قدرت على سعه
لكثرة عيوبه فكيف لكون على دينه وقال ابن عباس للخوارج وقد سألهم امير المؤمنين عليه السلام نشدتكم
الله ايما اعلم بالتنزيل والتاويل انتم ام على قالوا على قال اليس تجدون لعلى الذى حكم به فيكم فضل علم على ما
لا تعلمون فرجع اكثرهم وقال عتبة بن ابى سفيان لعبد الله بن العباس ما منع عليا ان يعلك احد الحكمين فقال اما
والله لو بعثنى لاعترضت مدارج انفاسه الجراد اذا استقت وانقفت ذا طار ولعقدت له عقدا لا ينتقض
مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدره ومضى اجله والاخرة خير لامير المؤمنين من الدنيا وقال ابو جعفر محمد بن على
عليهما السلام للكميت امتدحت عبد الملك فقال ما قلت له يا امام الهدى انما قلت يا اشجع والشجاع الحية والاسد لا

كلب باغين والغيث موات فتبسم ابو جعفر وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رايت الأم من
اصحابك اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال
الضعف منا عنهم وقيل لابراهيم النخعي متى كنت قال حيث احتيج اليّ وروى رجل يصلي صلاة خفيفة فقيل له ما هذه
الصلوة قال صلوة ليس فيها رياء اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي
قال زعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند افضى الى اثاث لم ير مثله والات لم يسمع بمثلها فاراد ان يري الناس عظيم
ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بالسلالم واذا بالحضين بن
المنذر الحارث بن وعلة الرقاشي قد اقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم
اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته فقال لا تردّه فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله الا ان يأذن له وكان عبد الله
يضعف وقد كان تسور حائطا الى امراة قبل ذلك فاقبل على الحضين فقال امن الباب دخلت يا ابا ساسان قال اجل
اسن عمك عن تسور الحيطان قال ارايت هذه القدور قال هي اعظم من ان لا ترى قال ما احسب بكر بن وائل راى مثلها
قال اجل ولا عيلان ولو رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان قال له يا ابا ساسان من الذي يقول
عزلنا وامّرنا وبكر بن وائل تجر خصاها تبتغي من تحالف قال اعرفه واعرف الذي يقول وخيبة من يخيب على غني وباهلة
يعصر والركاب قال فمن الذي يقول كان فقاح الازد حول ابن مسمع وقد عرقت افواه بكر بن وائل قال
اعرفه واعرف الذي يقول قوم قتيبة امهم وابوهم لولا قتيبة اصبحوا في مجهل قال اما الشعر فاراك ترويه
ولكن هل تقرا من القرآن شيئا قال نعم اقرا منه الاكثر الاطيب بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا فاغضبه فقال والله لقد بلغني ان امراة الحضين حملت اليه وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ
عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي فيقال ابن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة
على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك ولقي شريك النميري رجلا من بني تميم فقال له التميمي يعجبني من الجوارح البازي
فقال له شريك خاصة اذا كان يصيد القطا اراد التميمي بقوله البازي قول جرير انا البازي المطل على نمير اتيح من
السماء لها انصبابا واراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا
ولو سلكت سبل المكارم ضلت وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون
عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما اردت ذاك فقال شريك ولا انا اردته
ظن شريك ان عمر اراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير فغض الطرف انك من نمير وعنى شريك بقوله مكتوبة قول

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار وانشد ابو تمام احمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يمدحه
بها فلما بلغ الى قوله في حلم احنف في شجاعة عامر في جود حاتم في ذكاء اياس فقال له الكندي وكان حاضرا
ما صنعت شيئا قال وكيف قال لان شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول العكوك
في ابي دلف رجل ابر على شجاعة عامر باسا وغبر في محيا حاتم فاطرق الطائي ثم رفع راسه فانشد
لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس
وقال ابن هبيرة لابي دلامة وكان معلما لبني امية لما ظهرت المسودة لا تخفى لك منهم عبد الصمد فحدثك تملك
عنك كلمتهم وفشت دعوتهم قال ابو دلامة ليت الله قبض لي منهم مولى صالحا اخدمه وقال يحيى بن خالد لعبد الملك
ابن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد فيك قال انا خازن تحفظ الخير والشر وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى
في قوله وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض فحيث ترى حقدا على ذي اساءة فثم ترى شكرا
على حسن القرض اذا الارض ادت ريع ما انت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من ارض قال الحجاج للحطيط الخارجي
ما تقول في عبد الملك قال ما اقول في رجل انت خطيئة من خطاياه قال فعل همزت في قط قال نعم ولكن الرجال يتشابهون وقدر
وقد اعطيت الله عهدا ان سالتني لاصدقنك ولئن خليت عني لاطلبنك ولئن عذبتني لاصبرن لك فامر بقتله اما البيت
فهي الارض لو اتبعه قال ابن مقبل لسرو حمير ابوال البغال به انى تسديت وهنا ذلك البينا وقال ابو العتاهية
لابنه عتبة قال الخيال خبر بني وبالي خرجت من العروض فقال انا اكبر من العروض لان العروض وضعه الخليل
والخليل وضعه بعدان قال ابو العتاهية هذا البيت وكان ابو العتاهية اكبر منه سنا وقال عبد الملك للهيثم بن الاسود
ما مالك قال قوام عيش وغنى من الناس قيل فعلم لم تخبره فقال لو كان لم احسد وان كان قليلا ازدراني ولغاب
الاعمش رجل من اصحابه فطلع الرجل على نفسه ذلك فقال له رجل من اصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة
فقال قل له انت حتى لا يكون نميمة وقال معوية لعمرو بن العاص هل غششتني مذ نصحتني قال لا قال بلى يوم اشرت
عليّ بمبارزة علي وانت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى
الحسنيين اما ان تقتله فقد قتلت قتال الاقران وازددت شرفا الى شرفك وخلوت بملكك واما ان يقتلك فتستعجل
مرافقة الصديقين والشهداء والصالحين فقال معوية هذه اشد علي من الاولى فقال عمرو افكنت من جهادك
في شك تتلوم منه الان قال دعني الان منك وقيل للاحنف وقد راى مسيلمة الكذاب كيف هو قال والله ما هو
بنبي صادق ولا بمتنبي حاذق وروى المبرد قال بادكاه الاسود الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعملتك

في بعض امورنا قال ان كنت تريدني للصراع فليس عندنا وان كنت تريد عقلي ورأيي ففيهما اوثر ما كانا وكان ابو الاسود
حاضر الجواب جيد الكلام مليح النادرة وروي عن الشعبي انه قال قال ابو الاسود ما كان اعف اطرافه
واحضر جوابه دخل على معوية بالنخيلة فقال له معوية اكنت ذكرت في الحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا
قال كنت اجمع الفا من المهاجرين وابنائهم والفا من الانصار وابنائهم ثم اقول يا معشر من حضر ارجل من المهاجرين
احق ام رجل من الطلقا فلعنه معوية وقال الحمد لله الذي كفاناك وتقدم ان ابا الاسود طلب ان يكون
في الحكومة فقال لامير المومنين عليه السلم في وقت الحكمين يا امير المومنين لا ترض بابي موسى فاني قد عجمت
الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب القعر مع انه يمان ولا ادري ما يبلغ من نصحه فابعثني فانه لا يحل
عقدة الا عقدت له اشد منها وانهم قد رموك بحجر الارض فان قيل انه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس
صاحبهم الا من يعرف وكان في الخلاف كالنجراني على عليه السلم وروي محمد بن يزيد النحوي ان ابا الاسود كان نازلا في
بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا وكانوا يرمونه بالليل فلما اصبح شكا ذلك
فشكا مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطاني وقال لهم يوما
يا بني قشير ما في العرب احب الي طول البقا منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا
اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فانشا يقول

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر لا تنسى عليا
احب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة والوصيا
احبهم لحب الله حتى * اجي اذا بعثت على هويا
فان يك حبهم رشدا اصبه * ولست بمخطي ان كان غيا

فقالوا اشككت يا ابا الاسود فقال الم تسمعوا الله تعالى يقول وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين افترون
الله شك اما قوله هويا فانه لغة هذيل يقولون في ذلك مقصور مثل هوي والعصي والقفي بالياء قال ابو ذويب
سبقوا هوي واعنقوا لسبيلهم فتخرموا ولكل جنب مصرع وروي ان ابا الاسود دخل على معوية فقال له
يا ابا الاسود اصبحت جميلا فلو علقت تميمة تدفع منك العين فقال

افنى الشباب الذي فارقت بهجته * كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما * شيئا يخاف عليه لذعة الحدق

وروي انه دخل السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم اقاربك في هذا الثوب فقال ان لم تقاربني باعدتك ثم قال بكم هو قال
قد اعطيت به كذا وكذا فقال انما اخبرني عما فاتك وروي انه كان ماشيا في طريق فقال له راكب الطريق الطريق
فقال له عن الطريق تعدلني وهو عرض ابو الاسود فقيل له هو امرؤ القيس قال ذلك اشد منه وقيل ان امراة ابي الاسود

خاصمته الى زياد في ولدها فقالت ايها الامير ان هذا يريد ان يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي
له سقاء وحجري له فناء فقال ابو الاسود بهذا تريدين ان تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل ان تحمليه
ووضعته قبل ان تضعيه فقالت ولا سواء انك حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها
فقال له زياد انها امراة عاقلة يا ابا الاسود ادفع ابنها اليها فانها اخلق ان تحسن ادبه وقال رجل لابي الاسود
انت والله ظريف لفظ ولطف علم ووعاء حلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسلم عليه
اعرابي يوما فقال ابو الاسود كلمة مقولة قال اتاذن لي في النزول قال وراك اوسع عليك قال هل عندك شي
قال نعم قال اطعمني قال عيالي احق منك قال ما رايت الام منك قال انسيت نفسك قال وساله رجل
فمنعه قال يا ابا الاسود اصبحت حاتميا قال بلى والله من حيث لا تدري اليس حاتم الذي يقول اماوي اما مانع فمبين
واما عطا لا ينهنهه الزجر

مجلس آخر

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم
ابن محمد بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمن بن عبد الملك اتي يزيد بن مسلم مولى الحجاج في جامعة وكان رجلا دميما
فاقتحمته العين فقال له سليمن لعن الله من اجرك رسنك وولى مثلك فقال يا امير المومنين رايتني والامر عني
مدبر ولو رايتني وهو مقبل لاستعظمت ما استحقرت واستجللت ما استصغرت فقال له سليمن اترى
الحجاج ابهوي في النار ام قد استقر فقال يا امير المومنين لا تقل ذلك فان الحجاج قمع لكم الاعدا ووطا لكم المنابر
وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فانه ياتي يوم القيامة عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه
حيث شئت وروي ان خالد بن صفوان بن الاهتم فاخر رجلا من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له
العبدري من انت قال انا خالد بن صفوان بن الاهتم قال له العبدري انت خالد الذي هو خالد في النار وانت ابن صفوان
وقال الله تعالى كمثل صفوان عليه تراب وانت ابن الاهتم والصحيح خير من الاهتم فقال له خالد يا اخا بني عبد الدار
اتتكلم وقد هشمتك هاشم وامتك بنو امية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فانت عبد دارهم تفتح اذا
دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدري محموما وتقدم الاشعث بن قيس الى شريح فقال له الاشعث تعلى
بك يا ابا شريح لقد عهدتك وان شانك لشوون فقال له شريح وانت تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك
وروى ابو العينا عن العتبي قال دخل الفرزدق الى سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

اليك فررت منك ومن زياد * ولم احسب دمي لكم حلالا
فان يكن الهجا احل قتلي * فقد قلنا لشاعركم وقالا
ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كانهم يرون به هلالا

قال الحطيئة هذا والله الشعر لا ما كنا نعلل به منذ اليوم يا غلام قد دنت امك الحجاز قال لا ولكن قدمه ابي اراد الحطيئة
بقوله ان كانت قد دنت امك الحجاز فقد وقعت بها وكنت مني واراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه ابي اي وقع بامك
فكنت انت منه ويشبه ذلك ما روي ان الفرزدق كان ينشد شعره والناس حوله اذ مر به الكميت بن زيد فقال
له الفرزدق كيف ترى شعري قال الكميت حسن يسر فقال الفرزدق ايسرك اني ابوك قال اما ابي فلا اريد به
بدلا ولكن يسرني ان لو كنت امي فقال له الفرزدق اكتمها علي عمك يا ابن اخي فما مرت بي مثلها وقيل ان عبد الملك
ظفر برجل من بني مخزوم من يرى الراي فقال له لما احضر مجلسه البس قد ردك الله على عقبيك فقال له الرجل
او من رد عليك يا امير المؤمنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك وقال عيسى بن موسى لشريك يا ابا عبد الله
عزلوك عن القضاء وما رأينا قاضيا عزل فقال شريك يا ابا عبد الله هم الملوك يعزلون ويخلعون يعرض بان اباه
خلع عن العهد وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه ايام الاضحى
اضحية فلما لقيه قال كيف وجدت اضحيتك قال ما وجدت لها دما يعرض بقول الشاعر

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللؤم للضبي لحما ولا دما   وروي عن المامون انه قال ما اعياني جواب احد قط
مثل جواب ثلاثة احدهم ام الفضل بن سهل فاني عزيتها عن ابنها وقلت لا تجزعي على الفضل لانه ولدك فانا
ابنك مكانه فقالت فكيف لا اجزع على من جعل لي مثلك ولدا والثاني رجل احضرته زعم انه نبي الله موسى
عليه السلام فقلت له ان الله تعالى اخبرنا عن موسى انه يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء فقال انما
فعل ذلك موسى بعد ان لقي فرعون فاعمل انت ما عمل فرعون حتى اعمل ما عمل موسى والثالث ان جماعة
من اهل الكوفة اجتمعوا الي يشكون من عاملهم فقلت ارضوا بواحد اسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في
العامل ما اكثر فقلت كذبت بل هو العفيف الورع العدل فنهض اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت
امير المؤمنين هو كما ذكرت فول بين عبدك العدل نصيبه عنهم ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله
الطائي على معاوية فقال له ما فعل الطرفات يعني طريفا وطرفا وطرفة بنيه فقال قتلوا مع علي فقال له ما
انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك واخر بنيه فقال ما انصفته اذ قتل وبقيت بعده وكتب رجل الى صديق له
يقترض شيئا فاجابه يشكو ضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا
جعلك الله كاذبا وان كنت معذورا فجعلك الله ملوما وان كنت ملوما فجعلك الله معذورا وسمع الاحنف
رجلا يقول ما احلم معاوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق ووصف رجل عند الشعبي وعنده اهل الغد سفيه

وفي قلبه على احد شيء وقال رجل لرجل حضره ابن شكل في وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة
فقيل له ما رزاره اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل جاري بين اهل الدنيا والاخرة فهي وسط
البصرة وكان له عشرة بنين فقدمت منهم تسعة فقبرهم وبقي واحد فلا ادري هو لي ام لاهله وقال رجل لابن سيرين اني
وقعت فيك فاجعلني في حل فقال اما انا فلا احل لك ما حرم الله عليك وخطب الحجاج يوم جمعة فاطال فقال رجل
ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فامر به فحبس فجاء اهله يشهدون انه مجنون فقال ان اقر بالجنون
اطلقته فقيل له اعترف بذلك تخلص فقال والله لا اقول انه ابتلاني وقد عافاني حدث الحسن البصري بحديث
فقال له رجل يا ابا سعيد عمن قال وما تصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته وقيل لعبد الله
بن جعفر ونظر اليه مالك بن درهم انما اكثر من درهم وانت تجود بما تجود به فقال ذاك مالي جدت به وهذا عقلي
بخلت به وروي ان ابا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدث بعض الزهريين بحديث من فضائل اهله فقال له
الزهري اتجلب التمر الى هجر قال ابو العيناء نعم اذا اجدبت ارضها وعاد كرم نخلها وكان ابو العيناء احضر الناس
جوابا واجودهم بديهة واملحهم نادرة وروي ان الصولي قال عن ابي العيناء لما دخل على المتوكل دعوت له
وكلمته فاستحسن خطابي وقال يا محمد بلغني ان فيك شرا قلت يا امير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه وذم
المسيء باساءته فقد زكى الله وذم فقال في التزكية نعم العبد انه اواب وقال في الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر
اذا انا بالمعروف لم اثن دائبا ولم اذمم الجبس اللئيم المذمما   ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما
وان كان الشر كفعل العقرب يلسع النبي والذمي بطبع لا تمييز فقد صانك الله عن ذلك وروي انه قال يوما
له المتوكل اني لافرق من لسانك فقال له ان الشريف مخوف ذو احجام واللئيم ذو امنة اقدام وقال له يوما وقد
دخل عليه اشتقت اليك والله يا ابا العيناء فقال له يا سيدي انما يشتاق العبد لانه لا يصل الى مولاه فاما
السيد فمتى اراد عبده دعاه وروي انه قال له يوما ما بقي احد في مجلسي الا اغتابك مذ كان عندي ما جرى
ذكرك عندي فقال ابو العيناء اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها وذكر ابو العيناء قال
قال لي المتوكل كيف ترى هذه قال رايت الناس يبنون الدور في الدنيا وامير المؤمنين جعل الدنيا في داره وقال
ابو العيناء قال لي المتوكل من اسخى من رأيت ومن ابخل من رأيت فقلت يا امير المؤمنين ما رأيت اسخى من احمد بن ابي دواد
ولا ابخل من موسى بن عبد الملك وقال ابو العيناء وقفت على نخلة فلم اجد بها تمرا كانها تحرم القريب كما تحرم البعيد وتعتذر مراة حسان

كما تقعد من الأستاذ أجبت الحسن من طرحته صحبه والي من استكتبته محلة فقلت أمير المؤمنين أيده بيتين
هو في موضع من المواضع أتقوه منه بحضرتك في الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى السخاء فإذا نسبوا الناس إلى السخاء إلى
البرامكة فإنما ذاك سخاء أمير المؤمنين الرشيد وإذا نسبوا الناس السخاء إلى الحسن بن سهل والفضل بن سهل فإنما ذاك سخاء أمير
المأمون وإذا نسبوا أحمد بن أبي دواد إلى السخاء فإنما سخاء أمير المؤمنين المعتصم وإذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى
السخاء فإنما هو سخاؤك والإنما بال هؤلاء القوم لم ينسبوا إلى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء فقال له صدقت وسر بذلك
وقال له المتوكل ما أشد ما عليك من ذهاب البصر قال فقد رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك وقال له يوما إلى أي حد كنت تشتهي
قال لا أطيق ذاك وما أقول هذا على جهل بما في هذا المجلس من الشرف ولكني رجل محجوب والمحجوب يختلف إشارته ويخفى عليه
إيماؤه ويجوز أن أكلم بكلام غضبان ووجهك راض أو بكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم أميز بين هذين هلكت قال
صدقت وروي أنه قال له يوما لولا أنك ضرير لنادمتك فقال إن أعفيتني من رؤية الأهلة وقراءة نقش الخواتيم فأنا أصلح
وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم قال هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما قال فالمعلى بن أيوب
قال تودهما مثل ما اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال له يوما إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال إن الذين
أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وقال له المتوكل يوما ما أحسن الجواب فقال ما أسكت المبطل وحير المحق
وقيل لأبي العيناء إبراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب قال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ورآه
زرفان وهو يضاحك نصرانيا فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض فقال أبو
العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي
قال أخبرنا أبو العيناء قال سبب اتصالي بأحمد بن أبي دواد أن قوما من أهل البصرة عادوني فلا عوا علي وكثروا فلما
أن أفضى ما خرجت من البصرة إلى سر من رأى فألقيت نفسي على ابن أبي دواد وكنت ألازم داره وأجالسه
في كل يوم وبلغ القوم خبري فشخصوا نحوي إلى سر من رأى فقلت إن القوم قد وافوا من البصرة يريدوني فقال يد الله
فوق أيديهم فقلت إن لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقلت هم كثير فقال كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة بإذن الله فقلت لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي * لله درك أي جنة خائف
ومتاع دنيا أنت للحدثان * متخمط يطأ الرجال بعلية وطء الفنيق دوارج الفدان * ويكبهم حتى كأن رؤوسهم
مأمومة تنحط للغربان * ونفرج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كأنه بابان * قال لابنه أبي الوليد اكتب هذه
الأبيات فكتبها بين يديه قال الصولي حفظي عن أبي العيناء الصموت الكلابي على أنه بحلو وقال لي وكيع حفظي أنها

أنها الصيحون الخلاسية على أنها امرأة ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأثنى عليه فأمر له بعشرة آلاف درهم
فقال والله ما أسلم كبري لك أيها الأمير ولا أستقل قليلك قال وكيف ذاك قال لأني أستكثر كثيرك ولا
أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما اعذرني فإني مشغول
فإذا فرغت لم أحتج إليك وقال يوما لرجل يعتذر من الغضب يا عبد الله فقال قد أجلك الله قدرا عن
غضبي إنما يغضب الرجل على من هو دونه فأما على من فوقه فلا ولكن أحزنني تقصيرك فيسعني حزني غضبا
وقال لأحمد بن مخلد كان من أحسن من أسلم دينا وأكثرهم صلاة وصدقة فصار أبو العيناء إليه مرات فكرهه
بعقب إسلامه فحجب وقيل إنه مشغول بالصلاة فقال أبو العيناء لكل جديد لذة ودخل يوما على أبي الصقر بن بلبل
في وزارته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنا قال سرق حماري قال وكيف سرق قال لم أكن مع اللص فأخبرك قال فهلا أتيتنا
فقال هلا اكتريت أو اشتريت أو استعرت قال قعدني عن الشرى قلة يساري وكرهت منة العواري وذلة المكاري فوهب له حمارا
ووصله وأدنى أبا الصقر يوما ورفعه فقال له إنك تبغي كأني تغضك تبعدني حتى كأني الحيك وقال يوما لعبد الله بن سليمان وقد
رفعه إلى أن ترفعني ولا ترفع بي رأسا وقال له وقد سأل عن حاله أنا مغبوط الظاهر مرحوم الباطن وقال الزاهي البصير
قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة في أي وقت لسنة قال قبل طلوع الشمس فقال أبو علي لأن خرجت فيها أسالا
لأنه الوقت الذي ينتشر فيه السؤال أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العيناء قال طالب
قطا الحسن بن تراهما عند حاجة من ابن عائشة فقلت له يوما كان أبو عمرو المخزومي يقول لكم ما تم جفاكم فقال
فإن يك عنا الأقصر قاء أن تعد نجد بها على العهد الذي كنت تعلم * ثم قال لا أدري لمن هذا البيت فقال ابن سلام أو كي عن
بوسران الفرزدق لما قال * تصرم مني ود بكر بن وائل وما كان ود بيننا يتصرم *
قوارص تأتيني ويحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم * وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير رحمه الله فا
العجل عنه * لقد بوئت للدار بكر بن وائل ودونك لا حي إذا أنت مجرم * لنالى يجيى أن تكون حمامة بمكة يعشاها
العار المحرم * فإن يك عنا الأقصر قاء أن نعد نجد بها على العهد الذي كنت تعلم قال ابن عائشة أنت حياك الله من سيدق
في العلم بمثله وبلس علمك دلالة وقال أبو العيناء لأبي الصقر بن بلبل وهو وزير أنت الله تقرب منا إذا احتجنا إليك
وتبعد منا إذا احتجت إلينا * قال السيد رحمه الله وهذا يشبه قول إبراهيم بن العباس الصولي
ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب * بطيء عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب
ولعله مأخوذ منه لملس يلرد لك كأنهما واحد الحجتين في زمان واحد في بعض الأوقات فإن أبا العيناء يفي بعد إبراهيم

زمانا طويلا لان ابرهيم توفي سنة ثلث واربعين ومايتين وابو العينا سنة اربع او ثلث وثمانين ومايتين ومما
حكيناه عنه من الكلام قاله لابي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة ابرهيم بن العباس بزمان طويل وشبيه
ببيتي ابرهيم ويونسك ان يكونا ماخوذين من قول اوس بن حجر ٥ ولكن اخوك الدائم العهد الذي يذمك ان
ولى ويرضيك مقبلا ٥ ولكنه النائي اذا كنت آمنا وصاحبك الادنى اذا الخطب اعضلا ٥ ولابرهيم بن العباس
ما يقارب هذا المعنى ايضا وهو ٥ اسد ضار اذا هيجته واب بر اذا ما قدرا ٥ يعلم الابعد ان اثرى ولا يعلم الادنى
اذا ما افتقرا ويشبه ان يكون هذا ماخوذا من قول المرار الفقعسي اذا افتقر المرار لم ير فقره وان ايسر المرار ايسر صاحبه
ومما يشبه قول المرار بعينه قول ابرهيم بن العباس ايضا ٥ فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
راى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت ٥ ومن قول المتنخل الهذلي ٥ ابو مالك قاصر فقره على نفسه
ومشيع غناه ٥ وهذا البيت الذي رواه الهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخل اباه وقيل بل اخاه ٥
لعمرك ما ان ابو مالك بوان ولا بضعيف قواه ولا بالدني له نازع يعادي اخاه اذا ما نهاه معنى قوله نازع اي خلق سوء
ينزعه يعادي اي يلاحي ويشاتم ولكنه هين لين كعالية الرمح عرد نساه العرد الشديد يقال وتر عرد وعرند
بالنون اي شديد والنسا عرق معروف اذا سدته سدت مطواعه ومهما وكلت اليه كفاه معنى سدته من المساودة
التي هي المسارة والسواد هو السرار ايضا كانه قال اذا ساررته وجدته طاوعك في مساعدتك وقال قوم انه من السيادة
وكانه قال اذا كنت فوقه وسدته اطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيا كفاك وقوم يروونه اذا سسته
سست مطواعه ولم اجد ذلك رواية الا من ينادي ابا مالك افي امرنا هو ام في سواه ابو مالك قاصر فقره على نفسه
ومشيع غناه ٥ مجلس آخر تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى ساصرف عن آياتي
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فقال وما تاويل هذه الآيات على ما
يطابق العدل فان ظاهرها كانه مخالف له الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتداناه وتمسكنا
ما سبقنا اليه غيرنا وحررناه واخترنا فيه من المطاعن واجبنا عما لعله يعترض فيه من الشبه وهو ان يكون تعالى
عنى بذلك انني اصرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة الذين يستحقهما من ادى الواجب عليه في آيات الله
تعالى وادلته وتمسك بها والآيات على هذا التاويل يحتمل ان يكون سائر الادلة ويحتمل ان يكون معجزات الانبيا
عليهم السلام خاصة ويشهد لهذا التاويل يطابقه الظاهر لانه تعالى قال ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين

فبين ان صرفهم عن الآيات يستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة
المعجزات التي يظهرها على الانبيا بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب
من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات فاذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين
علم من حالهم انهم لا يؤمنون بها عنها ويكون الصرف على احد وجهين اما بان لا يظهرها جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها
ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم فان قيل فما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتدا المعجزات وبين زيادتها قلنا الفرق
بينهما ان المعجز الاول يجب اظهاره لازاحة العلة في التكليف لانا به نعلم صدق الرسول المؤدي الينا ما فيه لطفنا
ومصلحتنا لانا اذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والالطاف لتنزاح العلة وكان لا سبيل الى معرفتها على الوجه الذي
يكون عليه لطفا الا من قبل الرسول وكان لا سبيل الى العلم بكونه رسولا الا من جهة المعجزات وجبت بعثة الرسول
وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرايع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه الامور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع
بين ان يعلم المبعوث اليهم الرسول او بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين ان لا يعلم ذلك في وجوب البعثة ما يجب من وجوبها
لان تعريفه المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين ان يقع عنده الايمان او لا يقع وليس هذه سبيل ما
يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في اظهارها
فائدة وكان عبثا فان قيل فالاعتراض فان قيل كيف يطابق هذا التاويل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
ومن المعلوم ان صرفهم عن الآيات لم يستحقوه بتكذيبهم قلنا يمكن ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا راجعا الى قوله
ساصرف ولا يكون كالتعليل لما هو اقرب اليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لان من كذب بآيات الله تعالى وغفل عنها وعن تاملها والاهتدا بنورها ركب
الغي واتخذه سبيلا وكان عن الرشد ضالا الا بعيدا ولو رجع لفظ ذلك الى ما ذكرناه لانه بالظاهر من رجوعه الى قوله
ساصرف لان رجوع اللفظ في اللغة الى اقرب المذكورين اليه اولى ويمكن ايضا ان يكون قوله تعالى ذلك وان كان بلفظ الماضي فالمراد به
الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوما منهم لو اظهرت لهم الآيات جعل ذلك كانه واقع وحسن الخطاب عليه وهذا نظائره
في اللغة كثيرة ويكون جواب المحذوف كانه قال ذلك بانه متى اظهرنا لهم الآيات كذبوا ويجري ما ذكرناه مجرى قوله ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة وانه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال وثالثها ان يكون معنى ساصرف عن آياتي اي امنعهم منها ... من هذه صفته واذا
صرفهم عنها لانه صرفها عنهم فكلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لاحد ان يقول هلا قال ساصرف آياتي عن الذين يتكبرون
لان الآيات ها هنا المعجزات التي تختص بها الانبيا فان قيل فاي فائدة في قوله تعالى على سبيل التعليل ذلك بانهم كذبوا باياتنا

وأي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وهؤلاء من الآيات والمعجزات إلا الأنبياء دون غيرهم وإن كان من لا
يتكبر بتلك الخروج الكلام يخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من تكبر بآيات الله لا يؤمن بمعجزاته لتكذيبه وكفره وإن كان
تكذيبه غير مكذب ويمنع من إنابته الآيات علة أخرى وإن التكبر بغير الحق مانع من إنابة الآيات وإن منع غيره ويجري هذا مجرى قول
القائل إنما لا أود فلانا لغدره ولا يلزم إذا لم يكن غادرا أن يوده لأنه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من موادته ويجوز
أيضا أن يكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وأن يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار
المتكبرين فأكذبهم الله بذلك ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليدل بها
الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيعاملوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تأول أهل الحق
الختم والطبع اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون معنى سأصرفهم عنها
أي أعدلهم عنها وأحصر بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي وهذا التأويل يشهد له أيضا قوله تعالى ذلك بأنهم
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين لأن صرفهم عن هذه الآيات المستحق بتكذيبهم وإعراضهم عن آياته وخامسها
أن يريد تعالى أني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لأن من الواجب على الله تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه
ولا يمكنه منه لأنه ينقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى والله يعصمك من الناس فيكون الآيات ههنا
القرآن وما يجري مجراه من كتب الله تعالى التي حملها الرسل والصرف وإن كان متعلقا في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن
يكون المعنى متعلقا بغيرها مما هو متعلق بها وإذا ساغ أن يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات
ساغ أن يعلقه بما يمنع من تبليغها وأداء الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يعمل قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا راجعا إلى سأصرف بل يرده إلى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
وإن يروا سبيل الغي يتخذوه وعلى ما بيناه في الوجه الثاني من تأمل هذه الآية وسادسها أن يكون الصرف
ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز أن يقال صرفه عنه كما يقال
أكفره وكذبه وفسقه وكما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم أي شهد الله عليها بالانصراف عن الحق والهدى
وكقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وهذا التأويل يطابقه قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين لأن الحكم
عليهم بما ذكرناه والتسمية به موجب لتكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله وإعراضها عنها وسابعها أنه تعالى
لما علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله
جاز أن يقول سأصرف عن آياتي بمعنى سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى قولهم سأبخل فلانا

وسأخطئه أي أسأله ما يخطئ فيه وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى أنني أفعل فيه الخطأ والآيات
على هذا الوجه جائز أن يكون المعجزات ومن سائر الأدلة الدالة على الله وجائز أن يكون جميع الأدلة ويجب
على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا غير راجع إلى سأصرف بل إلى ما قدمنا ذكره ليصح
الفائدة وثامنها أن يكون الصرف ههنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها
عن أن تكون أدلة وحججا فيكون تقدير الكلام أني بما أؤيده من حججي وأحكمه من آياتي وبيناتي سأصرف المبطلين والمكذبين
عن القدح في آياتي والدلالات بما أمنعهم منها كما تقول لولا هذه الأحكام والتأكيد لتعرض فيه وتعميه من يقويه الحق
ويلبسه بالباطل ويجري هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلان أعداءه بأفعاله الكريمة وخصاله المحمودة وصرفهم عن ذمه
والخوض في تنقيصه عن الطعن عليه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه فإن قيل ليس يصرف المبطلين عن الطعن على آيات الله تعالى
وأورد الشبهة فيها مع ذلك قلنا لم يرد الله الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر وإنما
أراد ما قدمناه وقد يكون الشيء في نفسه مطعونا عليه وإن لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون ما لا مطعن فيه وإن
طعن فيه بما لا يؤثر ألا ترى أنه يقولهم فلان قد أخرس أعداءه عن ذمه ليس يريدون أنه منعهم عن التلفظ بالذم وإنما
المعنى فيها أنه لم يجعل للذم إليه طريقا ومجالا ويجب على هذا التأويل أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا
يرجع إلى ما يليه بلا فصل ولا يرجع إلى قوله سأصرف وتاسعها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمته إهلاك
عدوهم قال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وأراد تعالى أنه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم
عاطفا بلفظ العقوبة بهم بما قد كان منهم من التكذيب لآيات الله والرد لحججه والمروق عن طاعته وشرعه وعلى هذا
الحال من المحسنين بالإنابة هو تعالى إذا أهلكهم وأذل الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته
من حيث انقطاعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات أهله وهذا الوجه
يمكن أن يقال فيه إن العقوبة لا يكون إلا مضامة للاستخفاف والإهانة كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتعظيم
والتبجيل وإماتة الله تعالى للأمم وما يفعله بهم من بوار وهلاك لا يقترن إليه ما لا بد أن يكون مقترنا إلى العقاب
من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن أن يجاب عن ذلك
بأن يقال لا يمتنع أن يضم الله تعالى إلى ما يفعله بهؤلاء الكفار المتكبرين من الإهلاك والبوار اللعن والذم والاستخفاف
والإهانة بأمر الله ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة وشروطها ولا يمتنع أن يكون الله
تعالى قصد وأمر بإهلاكهم وإفنائهم على وجه الاستخفاف والإهانة والنكال ووصف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع

بامره وعن ارادته فان قيل ما معنى قوله يتكبرون في الارض بغير الحق وكان في التكبر ما يكون حقا قلنا في هذا
وجهان احدهما ان يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن ان التكبر لا يكون الا بغير الحق وان هذه
صفة لازمة غير مفارقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبيا بغير حق ولم يرد تعالى الا المعنى الذي ذكرناه
ومثله قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل اراد انه لا يكون الا
كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض بها عنها مغبونا مبخوسا خاسر الصفقة
والوجه الآخر ان يكون في التكبر ما يكون ممدوحا لان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها
وتجنب اهلها يكون مستحقا للمدح سالكا طريق الحق وانما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي
والاستطالة على ذوي الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي
ندب الله تعالى اليه وارشد الى الثواب المستحق ويستحق بذلك الذم والمقت فلهذا شرط تعالى ان يكون التكبر
بغير الحق وقوله تعالى انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق يحتمل ايضا
هذين الوجهين اللذين ذكرناهما فان اريد به البغي المكروه الذي هو الظلم وما اشبهه كان قوله بغير الحق تأكيدا
والاخبار عن ان هذه صفته وان اريد بالبغي الطلب وذلك هو اصله في اللغة فان في الشرع في موضعه لان الطلب قد
يكون بالحق وبغير الحق فان قيل فما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا وهل الرؤية ههنا العلم او الادراك بالبصر وهب انها يمكن ان يكون في قوله تعالى وان يروا كل
آية لا يؤمنوا بها محمولة على رؤية البصر لان الآيات والادلة مما تشاهد كيف يحمل الرؤية الثانية على غير العلم
وسبيل الرشد انما هو طريقه ولا يصح ان يرجع بها الا الى المذاهب والاعتقادات التي لا يجوز عليها رؤية البصر
فلا بد اذا من ان يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلا
لا يعتمدون مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة اوجه احدها ان يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر
ويكون السبيل المذكورة في الآية هي الادلة والآيات التي تعلم بادراك البصر وسمي بانها سبيل الرشد من حيث
كانت موصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هي الشبهات والمخاريق التي نصبها المبطلون
والمتغلبون في الدين ليموهوا بها وتشتبه على اهل الايمان وسمي سبل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول
الغي من حيث كان المعلوم ممن نشأ عليها وسكن اليها واغتر باهلها انه يصير الى الغي والوجه الثاني ان يكون المراد بالرؤية

العلم الا ان العلم لا يتناول كونها سبلا للرشد وكونها سبلا للغي بل يتناولها وهما الامر هذا الوجه الاول ان
كثيرا من المبطلين يعلمون من اهل الحق واعتقاداتهم وحججهم الا انهم يجهلون كونها صحيحة مفضية
الى الحق فيجتنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الا انهم يجهلون كونها باطلة
ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب ان يكون الله تعالى وصفهم بالعناد وترك
الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغي ومميزين بينهما غير انهم يميلون
الى اغراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشهوات فيعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما اخبر تعالى
عن كثير من اهل الكتاب بانهم يجحدون الحق وهم يعلمون ويستيقنونه فان قيل فما معنى قوله تعالى كذبوا بآياتنا
والتكذيب لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها فما معنى اطلاقه في الاخبار وغيرها الا ترى انهم
يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا اذا كان يعتقد صحته
ولو صرفنا التكذيب ههنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على ايدي رسله عليهم السلام جاز ويكون الآيات
ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات فان قيل فما معنى ذمه تعالى لهم بانهم كانوا عن الآيات غافلين
والغفلة على مذهبكم من فعله لانها السهو او ما يجري مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا يكلف على الساهي
فكيف يذم بذلك قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه انهم لما اعرضوا عن
تأمل آيات الله والانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان ساهيا عنها غافلا فاطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى
صم بكم عمي على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التأمل والتبيين انت تتبت
وانك لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله تأويل خبر ان سأل سائل
عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من
اصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وآله يا مصرف القلوب صرف قلوبنا الى
طاعتك وعما روي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من قلب آدمي الا بين اصبعين من اصابع الله تعالى
فاذا شاء ان يثبته ثبته وان شاء ان يقلبه قلبه وعما روي عن شهر بن حوشب قال قلت لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه
ما كان اكثر دعاء النبي قالت كان اكثر دعاء النبي يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت لام سلمة ما من آدمي الا
وقلبه بين اصبعين من اصابع الله عز وجل ما شاء اقام وما شاء ازاغ فقال ما تأويل هذه الاخبار على ما يطابق
التوحيد ونفي التشبيه او ليس من مذهبكم ان الاخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولا يطابق العقول

لا يجب ردها والقطع على كذب رواتها إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل وإن كان لها ذلك باستكراه
وتعسف وليس يمتنع أن يكون ذلك في هذه الأخبار مما تأولها الجواب أن الذي يعول عليه من تكلم في هذه الأخبار
هو أن يقول إن الإصبع في كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله
إصبع حسنة أي قيام وأثر حسن قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا
وقال طفيل الغنوي يصف فحلا
كميت كركن الباب أحيا بناتها مقاليتها فاستحملتهن إصبع
وقال لبيد بن ربيعة
من يبسط الله عليه إصبعا بالخير والشر بأي أولعا يملأ له منه ذنوباً مترعا
وقال حميد بن ثور
أغر كلون البدر في كل منكب من الناس نعمى يحتذيها وإصبع
وقال آخر وإن رزانا لعرس من أبي ذو إصبع في شهاده
وقال آخر أكرم نزار وأسقف المنتجعا خلاله خصلات أربعا جدى وجوداً وندى وإصبعا

والإصبع في هذا كله المراد به الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله عظيمتين حسنتين فإن قيل
هذا التأويل كما حكيتم إلا أنه يعترض بالتثنية في الخبر فما وجه التثنية هاهنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى
قلنا يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لأنهما كالجنسين أو كالنوعين وإن كان
كل جنس منهما في نفسه ذا عدد كثير إن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم
من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم بالهجرة الأعراض بذلك والشكر عليه والثناية في الثواب الجزيل والبقاء في النعيم
الطويل ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجاباً به وتنبيهاً
عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وما له به علقة وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي إنما أرادا
أن يقولا يداً في مكان الإصبع لأن اليد النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد إلى الإصبع لأنها من اليد وفي الإصبع
التي هي الجارحة ثمان لغات إَصبع بفتح الألف والباء وأَصبِع بفتح الألف وكسر الباء وأُصبُع بضم الألف والباء
وأُصبَع بضم الألف وفتح الباء وإِصبِع بكسر الألف والباء وأُصبوع بضم الألف مع الواو وإِصبَع بكسر الألف
وفتح الباء وإِصبُع بكسر الألف وضم الباء وفي هذه الأخبار وجه آخر هو أوضح مما ذكر وأشبه بمذاهب العرب
في ملاحن كلامهم وفصيح كلماتهم وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسير تصريف القلوب وتقليبها
والفعل فيها عليه تعالى ودخول ذلك تحت قدرته ألا ترى أنهم يقولون هذا الشيء في خنصري وفي إصبعي وفي يدي
وقبضتي يريدون بذلك إذا أرادوا تسهيله وتيسيره وارتفاع المشقة فيه والمؤنة وعلى هذا يتأول المحققون

قوله تعالى والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه وكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة
في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا
يمكن منه قال إنها بين إصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل وجرياً على مذاهب العرب
في أخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعتمداً لأنه أوضح
وأجلى ويمكن أن يكون في الخبر وجه آخر على ما يسلم بأسره إلى القوم من أن الإصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم
استظهاراً في الحجة وإقامة لها على كل وجه وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين
يحركه الله تعالى بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه
في إضافتهما إلى الله تعالى وإن كان جميع أفعاله تضاف إليه بمعنى الملك والقدرة أنه لا يقدر على الفعل فيهما
وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقيل إنهما إصبعان له من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه
لأن غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه
منفرداً عما جاوره غيره تعالى فأما أن المبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم إن الأصابع ههنا
إذا كانت من اللحم والدم فهي جوارح له تعالى فما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد وعلى المتأمل أن يورد كلاماً يحتمله
الكلام مما لا بد في صحة دار بعضه على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود إلى تفسير ما لعله أن يشتبه
من الأبيات التي استشهدنا بها أما قوله جدى وجوداً وندى وإصبعا فمعنى الجدى ههنا هو المضاء والنفاذ
وقوله وإن رزانا علة رزانا العصي وقوله ليس بمحمي أبن الحزن المقعد فأما قول حميد بن ثور في كل منكب من الناس
فالمنكب الجماعة والمنكب الناحية وأما معنى أبيات لبيد فإنه أراد من يسوق الله إليه الخير أو يصرف عنه شراً
إنما يفعل ذلك به حتى يملأه منه فأما بيت طفيل الغنوي فمعناه أن هذا الفحل الذي وصفه بأنه كميت وأنه
لتمامه وشدته لما ضرب في الإبل التي وصفها عاشت أولادها التي هي بناته وإن كن مقاليت
والمقاليت التي لا يعيش لها ولد وهذا من أن احملا عليها فأما بيت الراعي فمعنى قوله ضعيف العصا يريد أنه
قليل الضرب لها المال لأنه لا يحوجه سدادا وبادنا والسعي عليها وهذه كناية عن حسن الحسن والاختصار
شديد لأنه يجوز أن يكون ضعف العصا عن الحمية من حيث لا يحتاج إلى استعمالها في الضرب بحال رعاها وقوته
ويجوز أن يكون جعله وأراد ضعف بعد العصا وقوله بادي العروق يعني عروق رحله لقشافه دهام السعي أثر
الإبل وأراد بالإصبع أن لها عليه في جدب الناس أثراً حسناً بقيامه وتعهده وقيل إنه إنما سمى الراعي لبيت قاله

في هذه القصيدة بعد هذا البيت من الذي أنشدناه وهو لها أمرها حتى إذا ما تبوأت بأخفافها مأوى تبوأ مضجعا

هذا قول الأصمعي وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضا

مهار الحوطب وصاحب علبه يرى الجدار يلقى خلا ومرتعا وروي عن بعض بني نمير أنه قال إنما سمي بذلك لقوله

بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ما هو إلا راعي

إبل فبقيت عليه وقال محمد بن سلام إنما سمي راعيا لكثرة وصفه للإبل وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل

وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح مجلس آخر تأويل آية أخرى إن سأل سائل عن قوله تعالى حكاية عن عيسى تعلم ما في نفسي

ولا أعلم ما في نفسك فما المراد بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله ويحذركم الله نفسه أو يخالفه

وهل يطابق معنى الآية على المراد بالنفس فيها ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال يقول الله عز وجل

إذا أحب العبد لقائي أحببت لقاءه وإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم

ولو تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا الجواب

قلنا إن النفس في اللغة لها معان مختلفة ووجوه في التصرف متباينة فالنفس نفس الإنسان وغيره من الحيوان وهي

التي إذا فقدها خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم

فعل ذلك فلان نفسه إذا تولى فعله والنفس الأنفة من قولهم ليس لفلان نفس أي لا أنفة له والنفس الإرادة

من قولهم نفس فلان في كذا أي إرادته قال الشاعر فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غمى تهابها

ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن كخاضبة لم يغن شيئا خضابها ومنه أن رجلا قال للحسن يا أبا سعيد لم أحج قط فنفس

لي تقول حج ونفس تقول لي تزوج فقال الحسن إنما النفس واحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوج وأمره

بالحج وقال الممزق العبدي ويروى لمعقر بن حمار البارقي ألا من لعين قد نآها حميمها وأرقني بعد المنام همومها

فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها وقال النمر بن تولب العكلي

أما خليلي فإني لست معجله حتى يؤامر نفسيه كما زعما نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

أراد أنه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لأن البخيل يرضع اللبن من الشاة

ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي إليه وقيل لئيم راضع وقال آخر

فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة من الناس ما ينفكهم يعودها ونفس بوحي وصلها بعد صرمها تعلل لي ورادة غبطا حسود لها

والنفس العين التي تصيب الإنسان يقال أصابت فلانا نفس أي عين وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله

كان يرقي فيقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد

وقال ابن الأعرابي النفوس الذي يصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسودا نفوسا

كذوبا وقال عبد الله بن قيس الرقيات يتقي أهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم

وقال مضرس القفعسي وإذا نموا صعدا فليس عليهم منا الخبال ولا نفوس الحسد وقال ابن هرمة يمدح

عبد الواحد بن سليمن بن عبد الملك فأسلم سلمت من المكاره والردى وعثارها ووقيت نفس الحسد

والنفس أيضا مقدار الدبغ مقدار الدبغة يقال أعطني نفسا من دباغ أي قدر ما أدبغ به مرة والنفس

الغيب يقول القائل إني لأعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في

نفسك أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك وقيل إن النفس أيضا العقوبة يقال احذر نفسي أي

عقوبتي وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كأنه يحذركم عقوبته

وروي ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرون قالوا معناه ويحذركم الله إياه وروي عن الحسن ومجاهد في قوله

تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ما ذكرناه من التأويل فإن قيل فما وجه تسمية الغيب بأنه

نفس قلنا لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد

في ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل إنه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وإنما حسن أن

يقول تعالى مخبرا عن مسيحه ولا أعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام وهذا

لا يحسن ابتداء أن يقول أنا لا أعلم ما في نفس الله وإن حسن على الوجه الأول ولهذا نظائر في الاستعمال

مذكورة مشهورة فأما الخبر الذي ذكره السائل فغير(?) وله ظاهر وهو خارج على مذهب العرب معروف

في مثل هذا الباب معناه من ذكرني في نفسه جازيته على ذكره لي وإذا تقرب إلي شبرا جازيته على تقربه

إلي وكذلك الخبر الآخر فسمى المجازاة على الشيء باسمه اتساعا كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر

الله والله يستهزئ بهم وكما قال الشاعر ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف ما يفعله من الثواب والمجازاة

على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المضاعفة فقال باعا وذراعا إشارة إلى المعنى

من أبلغ الوجوه وأحسنها مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل فقال ما تأولون قوله تعالى

إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف

يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم احياء ومعلوم ان القلب عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن
اى شىء زاغت الابصار وباى شىء تعلقت ظنونهم بالله تعالى الجواب ـــــ قيل له فى هذه الاية
وجوه منها ان يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع اكثرهم لما اشرف المشركون عليهم وخافوا بوائقهم
وبوادرهم ومن شان الجبان عند العرب اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره
اى رئته وليس يمتنع ان يكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التاويل
ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ومنها ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب لحوال
الجزع والهلع قال الشاعر   كان قلوب ادلائها معلقة بقرون الظباء   وقال امرؤ القيس
ولا مثل يوم فى قدار ظللته كانى واصحابى على قرن اعفرا   ويروى قذار ظللته اراد المبالغة فى وصف نفسه
واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص الظبى لانه نافر ابدا كثير التحرك والاضطراب
لنشاطه ومرحه وسرعته وقد قال بعض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدة اصابته فى هذا البيت فيليق قوله
على قرن اعفر التاويل المذكور بل وصف اماكن فيها كان صعود امتنعا لانه قال قبل هذا البيت بلا فصل
الا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا   فيكون معنى قوله على قرن اعفر على الوجه انه
على مكان مستنزع تشبيهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبى وهذا القول لابن الاعرابى والاول للاصمعى فاما قول الاخر
الا قل لخير الشام كيف تغيرا فاصبح يرمى الناس عن قرن اعفرا   فلا يحتمل الا الشدة والحال المخوفة ويجوز
ان يريد ان الناس فى غير مطمئنين لهم مرتجون قلقون كانهم على قرن ظبى ويحتمل انه يطعنهم بقرن اعفر لو كان
رماه بداهية ويكون معنى عن هاهنا معنى الباء فقال عن قرن اعفر وهو يريد بقرن اعفر وقد ذكر فى هذا البيت
الوجهان معا فيكون معنى الاية على هذا التاويل ان القلوب لما اضطربت ووجبت واضطربت بلغت الحناجر لشدة القلق
ومنها ان يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ فى الحقيقة فالقى ذكر كادت
لوضوح الامر فيها ولفظة كادت هاهنا للمقاربة مثل قول بشر الحطيم
العرق سما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب   ديار التى كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب
معناه قاربت تحل بنا وان لم تحل على الحقيقة وقوله غير موقف راكب يحتمل وجهين احدهما انه اعتبر موضع وقفت فيه
الراكب لخلوه من الناس ووحشته والاخر ان يكون اراد انه موحش الا ان راكبا وقف به يعنى نفسه وقال نصيب
وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت هتوف الضحى محزونة بالترنم ابوح بمكا ما تشاء لو عنى وجدى بسعدى بحجره عبر تنجم

قال ذو الرمة   وقفت على ربع لمية ناقتى فما زلت ابكى عنده واخاطبه   واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمنى احجاره وملاعبه
وكل هذا معنى كاد فيه للمقاربة ومتى ادخلت العرب على كاد الجحد فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم فيه وجهان
احدهما انه قام عبد الله بعد ابطاء ولاى ومثله قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اى ذبحوها بعد ابطاء وتاخير لان
وجدان البقرة عسر عليهم وروى انهم لما اصابوها لم يبعها مالكها الا بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما
كادوا يفعلون اما لانهم لم يقفوا عليها او لغلائها وكثرة ثمنها والوجه الاخر فى قولهم ما كاد عبد الله يقوم اى ما قام عبد الله
ويكون لفظة كاد على هذا الوجه مطرحة لا حكم لها وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين قوله تعالى حتى اذا اخرج يده لم يكد يراها اى لم
يرها اصلا لانه تعالى لما قال او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض كان
بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر الى اليد وسائر المناظر وكاد على هذا التاويل زيدت للتوكيد والمعنى اذا اخرج
يده لم يرها وقال قوم معنى الاية اذا اخرج يده راها بعد ابطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع فيكاد على هذا ليست
بزائدة وقال اخرون معنى الاية اذا اخرج يده لم يرها الا ان ما شاهده من تكاثف الظلمات ايئسه من تاملها وقرر فى نفسه
انه لا يدركها ببصره وحكى عن العرب ولكنه اصحابى الذين كادوا نزل عليهم اى ارادوا ان نزل عليهم وقال الشاعر
كادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى   اى ارادت واردت   وقال الافوه الاودى
فان تجمع اوتاد واعمدة وساكن بلغوا الامر الذى كادوا   اى ارادوا وقال بعضهم معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اى اردنا ليوسف
وقال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف ومما جعل لفظة كاد فيه زائدة كالاية قول الشاعر
سريع الى الهيجاء شاك سلاحه فما ان يكاد قرنه يتنفس   اى فما ان يتنفس قرنه وكاد مزيدة للتوكيد قال حسان
وتكاد تكسل ان تجىء فراشها فى جسم خرعبة وحسن قوام   معناه وتكسل ان تجىء فراشها وقال الاخر
ولا الوم النفس فيما اصابنى والا اكاد بالذى نلت انجح   اى لا انجح بالذى نلت ولعل الامر على هذا لم يكن البيت بحاله وروى عبد الصمد
المعذل بن غيلان عن ابيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة فانشدنا قصيدته الحائية التى يقول
فيها   اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح   فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة
ثم قال   اذا غير النأى المحبين لم اجد رسيس الهوى من حب مية يبرح   قال فاخبرت ابى بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة
عليه فقال اخطأ ذو الرمة فى رجوعه عن قوله الاول واخطأ ابن شبرمة فى اعتراضه عليه هذا كقوله اذا اخرج
يده لم يكد يراها اى لم يرها فاما قوله ان الساعة آتية اكاد اخفيها فيحتمل ان يكون المعنى اريد اخفيها لكى تجزى
كل نفس بما تسعى ويجوز ان يكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية اخفيها لتجزى كل نفس وقد قيل فيه وجه اخر

وهو أن يتم الكلام عند قوله أكاد ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله أخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد
لهذا الوجه قول ضابئ البرجمي هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله أراد وكدت أفعله فحذف الفعل
لبيان معناه وروي عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ أكاد أَخفيها بمعنى أُظهرها على هذا الظاهر قال عبدة بن الطبيب
يخفي التراب بأظلاف ثمانية في أربع مسهن الأرض تحليل أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه
بأظلافه وقال امرؤ القيس فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الأرض لا نقعد أراد لا نظهره وقال النابغة
تخفي بأظلافها حتى إذا بلغت يبس الكثيب تدلى الترب ما تجد وقد روى أهل العربية أخفيت الشيء بمعنى سترته
وأخفيته بمعنى أظهرته وكانت القراءة بالضم تحتمل الأمرين جميعاً الإظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل
غير الإظهار وإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام محتملاً للوجوه الثلاثة التي ذكرناها كالكلام بها إذا
كانت بمعنى الستر والتغطية فإن قيل أي معنى لقوله أكاد أسترها لتجزى كل نفس بما تسعى وأظهرها لتجزى حتى
جميعاً وأي فائدة في ذلك قلنا الوجه في هذا ظاهر لأنه تعالى إذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا
إلى فعل الحسن والقبيح مترددة وإذا عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين إلى التوبة بعد مقارفة الذنوب وبعض
ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به فصار ما أراده من المجازاة للمكلفين بسعيهم وإيصال ثواب
أعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فأما إذا كانت لفظة أخفيها بمعنى الإظهار
فوجهه أيضاً واضح لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ويقطع التكليف ليجازي كلاً باستحقاقه ويوفي مستحقي
الثواب ثوابهم ويعاقب المسيء باستحقاقه فوضح وجه قوله تعالى أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى على
المعنيين جميعاً قال رحمه الله وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن على جواب من أجاب في قوله وبلغت
القلوب الحناجر بأن معناه كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولا بد أن يكون منطوقاً بها ولو جاز ضميرها
لجاز قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لأن معنى كاد عبد الله يقوم
لم يقم عبد الله وهذا الذي ذكره غير صحيح ويطول الذي حمله على الطعن في هذا الجواب حكايته له عن ابن قتيبة
لأن من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وإن تعسف في الطعن عليه والذي استبعده غير بعيد لأن كاد
قد تضمر في مواضع ويقتضيها بعض الكلام وإن لم يكن في صريحه ألا ترى أنهم يقولون أوردت على فلان من العتاب
والتقريع والتوبيخ ما مات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلاناً لم يبق فيه روح وما أشبه ذلك ومعنى
جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من إضمار كاد فيه وما جرى

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا وإنما المعنى يكدن يقتلننا وهذا أكثر في الشعر
والكلام من أن يذكر وليس بممتنع فأما قوله يحيين قتلانا فالأظهر في معناه أنهن لم يزلن يفعلن ما قاربنا
عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك وسمى هذه الأمور حياة كما سمى أضدادها قتلاً
وقد قيل إن معنى يحيين أنهن لم يدين قتلانا من الدية لأن دية القتيل عند العرب كالحياة له وقد روي ثم لم
يحيين قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا تحصل ومعناها ضعيفة ركيكة وإذا كان الأمر على ما ذكرناه
لم يمتنع أن يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم إذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت فأما قوله
فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله فغلط لأنه ليس معنى كاد يقوم أنه لم يقم كما ظن بل معناه أنه قارب القيام
ودنا منه فمن قال قام عبد الله وأراد كاد يقوم فقد أفاد ما لم يفده لم يقم فأما قوله تعالى زاغت الأبصار
فمعناه زاغت عن النظر إلى كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ويجوز أن يكون المراد زاغت حائرة وما أشبه عن القصد
في النظر دهشاً وخبلاً فأما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه أنكم تظنون مرة أنكم تنصرون وتظفرون
على عدوكم ومرة أنكم تبتلون وتمحصون وأن التخلية بينكم وبينهم ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى أن ظنونكم
اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر وشكوا في خبر الله كما قال تعالى حكاية
عنهم ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عنهم في قوله هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما يتعلق بها مجلس آخر
تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتاً فقال إذا كان السبات هو النوم فكأنه
قال وجعلنا نومكم نوماً وهذا مما لا فائدة فيه الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها أن يكون
المراد بالسبات الراحة والدعة وقال قوم إن جميع الخلق كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت
فسمي اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال وأصل
السبات التمدد يقال سبتت المرأة شعرها إذا حلته من العقص وأرسلته قال الشاعر
وإن سبتته مال جثلاً كأنه سدى وائلات من نواسج خثعما أراد وإن أرسلته ومنها أن يكون المراد بذلك
القطع لأن السبت القطع والسبت الحلق أيضاً يقال سبت شعره سبتاً إذا حلقه وهو يرجع إلى معنى القطع
والنعال السبتية التي لا شعر عليها قال عنترة بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم
ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة عما حولها سبت وجمعها سبات فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم

تقطع الاعمال كما ذكر ومن اجاز هذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الاحد وجمع
يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى القطع وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال اهل التورية ان الله
ابتداه في يوم الاحد فكان الخلق في يوم الاحد والاثنين والثلثا والاربعا والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت هذا
قول اهل التورية وقال اخرون ان الابتدا كان في يوم الاثنين الى السبت وفرغ في يوم الاحد وهذا قول اهل الانجيل واما
قول اهل الاسلام فهو ان ابتدا الخلق كان يوم السبت واتصل الى الخميس وجعلت الجمعة عيدا فعلى هذا القول الاخير
يمكن ان يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الارض فقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله انه
قال ان الله تعالى خلق التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد ومنها ان يكون المراد بذلك انا جعلنا نومكم
سباتا ليس بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده واحواله اشياء كثيرة يفقدها الميت فاراد تعالى
ان يمتن علينا بان جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض احوالنا احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج لنا
عن الحيوة والادراك فجعل التاكيد بذكر المصدر قائما مقام نفي الموت وسادا مسد قوله وجعلنا نومكم سباتا
ليس بموت ويمكن في الاية وجه اخر لم يذكر فيها وهو ان السبات ليس كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع
على بعض الوجوه والسبات هو النوم الطويل السكون الممتد ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت
وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان الامر على هذا لم يجر قوله وجعلنا نومكم سباتا مجرى ان يقول
وجعلنا نومكم نوما والوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة
والراحة لان التهوم والغرار لا يحصل معهما شيء من الراحة بل يصحبهما في الاكثر القلق والانزعاج والهموم
هي التي تقلل النوم وتنزره ومع فراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا
واضح فاما ما ... رحمه الله وحكيناه عن ابي بكر محمد بن القسم الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه اولا
ويقول ان ابن قتيبة اخطا في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح
واراح ويعتمد على هذا الجواب الذي تبينا ذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت
المراة شعرها ان معناه ايضا القطع لان ذلك انما يكون بان تحله من السداد الذي كان مجموعا به وتقطعه
والمقدار الذي ذكره ابن الانباري لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة
والدعة اذا كانا عن نوم وان لم توصف كل راحة بانها سبات ويكون هذا الاسم يخص الراحة
اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم

سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على ان السبات لا يكون اسما للراحة عند النوم والذي بنى عليه ابن قتيبة
ان من ان السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر او لغة فان الذي ذكره يمكن ان يكون المراد به القطع دون التمدد
والاستراحة فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجواب الذي ذكرتموه اخيرا قلنا الفرق بينهما ان ابن قتيبة جعل السبات
نفسه راحة وجعله عبارة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات من صفات النوم والراحة والنعمة
عند امتداده وطول السكون فيه فلا يلزمنا ان يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عنده حقيقة والاستراحة
تقع على جهات شتى عند السبات وليس السبات الا ما ذكرناه على ان الجواب الذي اختاره ابن الانباري ضعيف لان الكلام انما هو في السبات وان كان
القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا البناء الى سمع عن اهل اللغة وقد كان يجب
ان يورد من اي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز ان يقال سبات على هذا المعنى ولم نره تعاطى ذلك اولا واحتج به
ان قال قائل ما تاويل الخبر الذي يروى عن النبي صلى الله عليه واله ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان الميت يعذب
في قبره بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى مغيرة بن شعبة ايضا فقال سمعت النبي صلى الله عليه واله يقول من نيح عليه
فانه يعذب بما نيح عليه الجواب انا اذا كنا قد علمنا بادلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال والاتساع والمجاز
قبح مواخذة احد بجرم غيره وعلمنا ايضا ذلك بادلة السمع مثل قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا بد من ان نصرف ما
ظاهره بخلاف هذه الادلة الى ما يطابقها والمعنى في الاخبار التي سئلنا عنها ان صحت روايتها انه اذا اوصى موص بان يناح عليه
ففعل ذلك عن اذنه فانه يعذب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها انه يواخذ بفعل النواح وانما معناه انه يواخذ
بامره بها ووصيته بفعلها وانما قال صلى الله عليه واله ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيامرون به
ويوكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عندهم قال طرفة بن العبد فان مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
وقال بشر بن ابي خازم لابنته عميرة فمن يك سائلا عن بيت بشر فان له بجنب الردة بابا ثوى في ملحد لا بد منه كفى بالموت ناما واغترابا
رهين بلى وكل فتى سيبلى فاذري الدمع وانتحبي انتحابا وقد روي عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله
على يهودي فقال انكم لتبكون عليه وهو يعذب في قبره وقد روى انكار هذا الخبر عليه ايضا عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه واله
وانها قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر انما قال ان اهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب
بجرمه قال رحمه الله معنى وهل اي ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وهلت الى الشيء اهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه
ووهلت عنه اوهل وهلا اذا نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع والوهل الفزع فاما القليب فهي البئر
والجمع القلب قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر المشركين ينادهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في القليب

الم تجدوا حديثي كان حقا وامر الله ياخذ بالقلوب · وقال الخزرجي يبكي على قتلى بدر من المشركين

وماذا بالقليب قليب بدر من الفتيان والشرب الكرام · وماذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

وموضع وهله في ذكر القليب انه روي ان النبي صلى الله عليه واله وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا

ثم قال انهم يسمعون ما اقول فانكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه السلم انهم ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق

واستشهد بقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى واهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة

وغيرهم وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بينا رسول الله ذات يوم قائما يصلي بمكة واناس من قريش خلفه

فيهم ابو جهل بن هشام فقال الا يقوم احدكم الى هذه الجزور التي نحرها آل فلان فياخذ سلاها ثم ياتي حتى اذا سجد

وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كانت لي

يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة عليها السلم وهي يومئذ صبية حتى اماطته عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى قامت على رؤوسهم

فاوسعتهم شتما قال فوالله لقد رايت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه

اقبل على القوم وقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما راوا النبي صلى الله عليه واله قد دعا عليهم اسقط في ايديهم فوالله الذي لا اله غيره

ما سمى النبي عليه السلم احدا يومئذ الا وقد رايته يوم بدر وقد اخذ برجله يجر الى القليب مقتولا قوله فياخذ سلاها

السلا للناقة التي تساقط ولدها ما دام في بطنها والجمع الاسلاء فاما من جعل السلا التي فيها الاولاد قال الاخطل

وطرحن بالثغر السحال كانما يشققن بالاسلاء اردية العصب · وقال الشماخ والعسرح لبنة الناسم ضم بقدر بالاسلاء غيب

وقال الفرا سقط في ايديهم من الندامة واسقط لغتان وهي بغير الف اكثر واجود ويمكن ان يكون قوله يعذب ببكاء

اهله وجه اخر وهو ان يكون المعنى ان الله اذا اعلمه ببكاء اهله واعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم

تالم بذلك فكان ذلك عذابا له والعذاب ليس جاريا مجرى العقاب الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل

كثيرا حيث يستعمل الالم والضرر الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتدا بالضرر والالم قد عذبتني بكذا وكذا كما

يقول له ضررتني والمتني وانما لم يستعمل العقاب حقيقة في الالام المبتداة من حيث كان اشتقاقه من لفظة

المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب تاويل خبر اخر ان سال سائل

عن الخبر الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ما من احد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار

قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلاثا فقال اوليس هذا دالا

على ان الله تعالى متفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه وفي مذهبكم خلاف ذلك الجواب قلنا تاويل الخبر

ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو احوج الى نفسه وقطع الله

تعالى عنه مواد المعونة واللطف لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه السلم اراد ان احدا لا يدخل الجنة بعمله

الذي لم يعنه الله عليه ولا لطف له فيه ولا ارشده اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه فاما الثواب فما

تاول القول بانه تفضل يعني ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول لا يجب على الله شيء ابتداء

وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه والثواب مما كان اوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف

وكل ما يتعلق به ويوجبه التكليف ولولا ايجابه على نفسه بالتكليف لما وجب فان حمل ما نفاه عن الرسول عليه السلم

ما يفعل به تفضلا فقال الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه وان حملنا قوله عليه السلم

برحمة منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي ايضا فضل وتفضل لان سببها غير واجب فاما قوله

عليه السلم يتغمدني فمعناه يسترني يقال غمدت السيف في غمده اذا سترته به قال الشاعر

نصبنا رماحا فوقها جد عامر كظل السماء كل ارض تغمدا · فالجد ها هنا على الرواية الاخرى الحظ وشبه ما قسم

لعامر من الغلبة والظفر بظل السماء الذي يستر كل شيء ويظهر عليه اخبرنا ابو القسم عبد الله بن يحيى بن حسعا

قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب النحوي قال اخبرنا ابن الاعرابي

قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله والمبهور المكروب وانشدنا ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب · قال رحمه الله وقد قيل في معنى قوله غير هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله

المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القسم بن اسمعيل قال حدثنا التوزي عن ابي عمرو الاسدي قال سمعت ابا عمرو

ابن العلا يقول لعمر بن ابي ربيعة حجة في العربية وما اخذ عليه شيء الا قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا وله فيه عذر ان اراد

الخبر لا الاستفهام فوكد هو اخبارهم بجوابه وهذا حسن ويجوز ان يكون اراد نعم احبها حبا بهرا اي بهرني ويكون ايضا

بمعنى عجبا او تعجبا مما علموا اذ جهلوا حبه لها لا الاجهل مثله وانشد ابو عمرو

لحى الله قوما اذ يبيعون مهجتي بجارية بهرا لهم بعدها بهرا · قال ابو عمرو ويكون بهرا بمعنى ظاهرا يريد حبا ظاهرا لم تعلم

تمر امره وقد حكى بعض الرواة انه قال قيل لي هل تحبها قلت بهرا والرواية الاولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك

هذه الرواية فر من اللحن وهذا البيت لعمر بن ابي ربيعة من جملة ابيات منها من رسولي الى الثريا باني ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

وهي مكنونة تحير منها في اديم الخدين ماء الشباب · سلبتني مجاجة المسك عقلي فسلوها بما يحل اغتصابي

ازهقت ام نوفل اذ دعتها مهجتي ما لقاتلي من متاب · حين قالت لها اجيبي فقالت من دعاني قالت ابو الخطاب

ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب ‖ ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

(الثريا) وهذه التي عناها عمر لم يسمها به وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن امية الاصغر بن عبد شمس
وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وذكر الزبير بن بكار ان الثريا بنت عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن الحارث
ابن امية الاصغر وانها اخت محمد بن عبد الله المعروف بابي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي واخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال
حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثني محمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الضحاك قال اخبرني بلال مولى ابن ابي عتيق
في حديث طويل لعمر بن ابي ربيعة مع الثريا اختصرناه واوردنا بعضه قال لما سمع ابن ابي عتيق قول عمر من رسولي الى الثريا
قال اياي اراد وبي نوه لا جرم والله لا اذوق اكالا حتى اشخص اليه فاصلح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من
بني الديل من ليث يطلب نجائب لهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين واغلا لهم بها فقلت له استوضعهم شيئا او دعني اماكسهم
فقال ويحك اما علمت ان المكاس ليس من خلق الكرام وركب احداهما وركبت الاخرى فسار سيرا شديدا
فقلت له ارفق على نفسك فان ما تريده لا يفوتك فقال ويحك ادرك حبل الود ان ينقضا وما حلاوة الدنيا ان تم الصدع
بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج عليه فقال ابن ابي عتيق عن راحلتك وقال لعمر بن ابي ربيعة
اركب اصلح بينك وبين الثريا فانا رسولك الذي سالت عنه فركب معه فاتى الطائف فقال ابن ابي عتيق للثريا هذا عمر وقد جشمني
السفر من المدينة اليك فجئتك به معترفا بذنب لم يجنه معتذرا من اساءته اليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء
الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح وكر راجعا الى المدينة ولم يقم ابن ابي عتيق بمكة ساعة واحدة
وفي الثريا يقول عمر ايضا لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنى بابي الابيض وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان ‖ هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

مجلس آخر ان سال سائل عن قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم فقال وما الفائدة في قوله ما غشيهم
وقوله فغشيهم يدل عليه ويستغنى به عنه لان الذي غشيهم لا يكون الا الذي غشيهم وما الوجه في ذلك الجواب
قلنا قد ذكر في هذه الآية اجوبة احدها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه
بل غشيهم بعضه فقال تعالى ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه حكي عن
الفراء وذكره ابو بكر الانباري واعتمده وغيره اوضح منه لان اليم هو البحر قال الشاعر

وبنى على اليم قصرا عاليا مشرفا على البنيان ‖ وثانيها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم ما غشي موسى واصحابه وذلك
ان موسى واصحابه وفرعون واصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم

وموسى عليه السلام وقومه جعل لهم في البحر طريقا يبسا فقال تعالى فغشي فرعون وقومه من البحر ما غشي موسى
وقومه فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا التاويل تكون الهاء في قوله ما غشيهم كناية عن غير الذين كنى عنه بقوله
فغشيهم لان الاولى كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه وثالثها انه غشيهم
من عذاب اليم واهلاكه لهم ما غشي الامم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم الانبياء واقامتهم على رد اقوالهم
والعدول عن ارشادهم والامم السالفة وان لم يغشهم العذاب والهلاك من قبل البحر فقد غشيهم عذاب واهلاك
استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم انبياءهم فتشبه بينهم وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة
على التكذيب ورابعها ان يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك فيكون لفظة غشيهم
الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب الذين لحقاهم من قبل البحر ويكون في الآية وجه آخر لم يذكر وهو اوضح
بالنحو ومذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو ان يكون الفائدة في قوله تعالى ما غشيهم تعظيم الامر وتفخيمه
كما يقول القائل فعل فلان ما فعل واقدم على ما اقدم اذا اراد التفخيم وكما قال تعالى وفعلت فعلتك التي فعلت وربما
تجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وانت انت وفي القوم هم هم قال الهذلي

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم ‖ وقال ابو النجم انا ابو النجم وشعري شعري كل ذلك اذا ارادوا تعظيم

الامر وتكبيره تأويل آية اخرى ان سال سائل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فقال ما الفائدة
في قوله من فوقهم وهو لا يفيد الا ما يفيده قوله فخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الاول لا يذهب وهم احد
الى ان السقف خر من تحتهم الجواب قيل له في ذلك اجوبة اولها ان يكون على بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف
من فوقهم اي خر عن كفرهم وعن جحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه
فيكون على وعن بمعنى من اجل الدواء فكذلك يكون معنى الآية فخر من اجل كفرهم السقف من فوقهم قال الشاعر

ارمي عليها وهي فرع اجمع ‖ وهي ثلاث اذرع واصبع

اراد ارمي عنها لان كلام العرب رميت عن القوس فاقام على مقام
عن ولو انه قال على هذا المعنى فخر عليهم ولم يقل من فوقهم جاز ان يتوهم متوهم ان السقف خر وليس هم تحته
وثانيها ان يكون على بمعنى اللام والمراد فخر لهم السقف فاقام على مقام اللام وحكي عن العرب ما اغيظك
علي وما اغمك علي يريدون ما اغيظك لي واغمك لي قال الطرماح يصف ناقة

كان مخواها على ثفناتها ‖ معرس خمس وقعت للجناجن

اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فاقام اللام مقام على وقد يقول القائل ايضا
تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد انه كان تحته فاخبر تعالى بفوقهم عن فائدة لولاه ما فهمت وكان

ان يتوهم متوهم في قوله فخر عليهم السقف من فوقهم انه من فوقهم كما يقولون خر عليه داره ووقعت عليه دابته واشباه ذلك
وللعرب في هذا مذهب طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع الا في الشر والامر المكروه الضار
ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك الا ترى انهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعة بل قد يقولون خربت عليه ضيعته
ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا رسمهم اذا قالوا على وروى على
في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عني وروى عني ومثل ذلك قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمن لانهم لما اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمن حسن ان يقال يتلون عليه ولو كان خيرا لقيل عنه ومثله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعالى ان تقولون على الله ما لا تعلمون قال الشاعر
عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مر * وما بي ان اكون اعيب يحيى ويحيى طاهر الاخلاق بر *
ولكن قد اتاني ان يحيى يقال عليه في بقعاء شر * فقلت له تجنب كل شيء يقال عليك ان الحر حر *
ومثله قول العرجي في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان صنع شعره وخطبه ولحنه
لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي على القصائدا فقال على ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه والثالث الوجوه
في الاية ان يكون من فوقهم تاكيدا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب لا يكون
الا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة تاويل خبر ان سأل سائل عن الخبر الذي رواه
عن ابي اسحق الهجري عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان هذا القران مادبة
الله فتعلموا مادبته ما استطعتم وان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله فقال ما تاويله وكيف يا رغب به
الجواب قلنا المادبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو الناس اليه فشبه النبي عليه السلام ما
يكتسبه الانسان من خير القران ونفعه وعائدته عليه اذا قراه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه
به يقال ادب الرجل يادب فهو ادب اذا دعا الناس الى طعامه ويقال للمادبة المدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها ايضا
المادبة بفتح الدال قال طرفة * نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الادب فينا ينتقر * ومعنى الجفلى انهم يدعونه
ولم يخصوا به قوما دون قوم والنقرى اذا خص بها قوم دون قوم ومعنى ينتقر من النقرى قال بعض هذيل
وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها * لا ينبح الكلب فيها غير واحدة عند الصباح ولا تسري افاعيها
معنى يصطلي بالفرث جازرها ان الجازر اذا شق الكرش ادخل يده لشدة البرد في الفرث يستدفئ به ومعنى يختص بالنقرى
المثرين داعيها انه يخص بدعائه الطعام الاغنياء الذين يطمع في جفنتهم المكافاة وقال الاخر

تاوي الى النشاوه حصب ومادبة وكل يوم له يوم الت * وقال الهذلي يصف عقابا * كان قلوب الطير في جوف وكرها نوى القسب
ملقى عند بعض المادب اراد جمع مادبة وقد روي هذا الحديث بفتح الدال المادبة وقال الاحمر والمراد بهذه اللفظة
مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المادبة بفتح الدال مفعلة من الادب ومعناه ان الله تعالى انزل هذا القران ادبا
للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في مادبة ومادبة والقران مذكر لمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة
للنفس وكما قال عنترة والكفر مخبثة لنفس المنعم وجرى ذلك مجرى قولهم علامة ونسابة في باب المدح على جهة
الداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال لطعام الاملاك ولمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام
الختان العذيرة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من سفر النقيعة ولطعام
النفاس الخرس والذي تطعمه النفساء الخرسة قال الشاعر اذا النفساء لم تخرس ببكرها * غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها *
الحتر الشيء القليل وقال الاخر كل الطعام يشتهي ربيعة * العرس والاعذار والنقيعة * ويروى الخرس وينشد ايضا
في النقيعة قول الشاعر انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم * ضرب القدار نقيعة القدام * قال القدار الجزار والقدام جمع قادم
وقال ابو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة وقال الفراء
الشندخي طعام الاملاك والولمة طعام العرس وقال ابو زيد يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها انقعت قال الراجز
ويقال للطعام الذي يتعلل به قبل الغداء السلفة واللهنة يقال لهنوا ضيفكم اي اطعموه اللهنة قال الشاعر
عجبت لعارضها تعلل طعامها اللهنة اواتل وقال ابن السكيت يقال فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل اكلة في
اليوم وقال الاصمعي فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل في اليوم والليلة اكلة قال بشار *
كالشمس والوجبات عن قضب لم يبق منك سمره ذهبه * وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل اسرع في سيره كيف كان
سيرك قال كنت اكل الوجبة وانجو الوقعة واعرس اذا افجرت وارتحل اذا اسفرت واسير الوضع واجتنب الملع
فجئتكم لمسي سبع قوله انجو الوقعة اي اقضي حاجتي في اليوم مرة وهو من النجو وقوله اسير الوضع قال الوضع سير
فيه بعض الاسراع والملع سير اشد منه فاراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة ان يعقر ظهره ومثل الملع الارض
الذي قصدها ويقال شر السير الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال الشاعر
انا ما ادراك وحن شاعتك عليك بقضع رحل المطيه وارتل اي استرح حتى تقوى على السير وان جهلت نفسك
لم تقطع ارضا ولم تبق ظهرا وهذا من ابيات المعاني التي يسال عنها والذي قلناه ما ذكرناه ويمكن ان يكون معنى البيت
اذا بعد ان افرطت في دعها واسل عنها كما قال الاخر دعا عنك مطلبه الصبر وما جرى مجرى ذلك من الفاظ التسلية

والامر العود واعن نتبع ما صعب من الامور وقال الاخر في معنى البيت الاول تقطع بالنزول الارض عنا وبعد الارض يقطعه النزول
وقوله حبيكم بمشي سبع معناه لمسا شبع لباره ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير ان يدعوه اليه الوارش
والورش وقول العامة طفيلي مولد لا يوجد في كلام العرب واصل ذلك ان رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يسمع بوليمة ولا عرس
الا جاء اليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها به وطفيل هذا في وقته ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى واغل والاسم الوغل
قال اليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل • ويقال للماسرية الواغل الوغل • قال الشاعر ان اك مسكيرا فلا اشرب
الوغل ولا يسلم مني البعير • وقوله صلى الله عليه وآله ان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله معناه اخلى البيوت
والصفر عند العرب الخالي من الآنية وغيرها ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر وهو ان يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة
وتسميته بها من جهة ان الخالق الله دعا الخلق وامرهم بالاجتماع اليه فسماه عليه السلام مأدبة لهذا الوجه لان المأدبة هي التي
يدعى الناس اليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الاول لان الاول يتضمن ان وجه التشبيه من جهة النفع العائد
على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو الى المأدبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر يتضمن ان التشبيه وقع لاجتماع
الناس عليه في الدعاء اليه والارشاد الى اجابته وليس يبعد ان يكون عليه السلام للخبر المعنيين معا فلا تنافي بينهما
اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كنا في مجلس الاصمعي اذ اقبل اعرابي فقال اين
عميدكم فاشرنا الى الاصمعي فقال له ما معنى قول الشاعر لا مال الا العطاف توزره ام ثلاثين وابنة الجبل •
لا يرتقي النز في ذلاذله ولا يعدي نعليه من بلل • فقال الاصمعي عصرته نطفة تضمنها لصب تلقى مواقع السبل •
او وجبة من جناة اشكلة ان لم يرغها بالقوس لم تنل • ويروى ان لم يرعها بالقوس لم تنل قال فادبر الاعرابي
وهو يقول لم ار كاليوم عضلة قال ابن دريد ما مات وصف رجلا خائفا في راس جبل يقول لا مال له الا العطاف وهو السيف توزره
اي تعينه ام ثلاثين يعني كنانة فيها ثلاثون سهما وابنة الجبل يعني القوس لانها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره وقوله لا يرتقي
النز في ذلاذله لانه في راس الجبل فلا نز هناك يتعلق بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعدي نعليه عنها والعصرة الملجأ والنطفة
الماء المجتمع في صخرة او غيرها من بقية ماء المطر واللصب الشق في الجبل اضيق من اللهب واوسع من الشعب والسبل المطر
من الاشكلة عصرناه وقوله ان لم يرغها بالقوس يعني انها لا تنال باليد حتى يحركها بالقوس قال رحمه الله وانما جعل الاصمعي انشاد
ثاني الابيات دلالة على معرفته معناها لانه يبعد ان يعرفها ولا يعرف معناها والاعرابي انما سأل عن المعنى فلم ينشده
لها مقام تفسيرها واستغنى الاعرابي بذلك وعلم باتمامه الابيات معرفته بمعناها وكان الاصمعي كثيرا اذا انشد شيئا
من الشعر ينشد في معناه في الحال فمن ذلك ان اسحق بن ابرهيم الموصلي انشده يوما لنفسه

اذا كانت الاحرار اصلي ومنصبي وقام بنصري خازم وابن خازم • عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم •
قال فانشدني عنه من انشاده فانشدت بعقب ذلك الا ايها السائلي جاهلا ليعرفني انا انف الكرم •
نمت في الكرام بني عامر فروعي واصلي قريش العجم • قال فعاودوا الله الشعر الذي يحوم دعاني فاختبرني عليه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحق بن ابرهيم قال انشدت الاصمعي شيئا قط الا انشدني
مثله فكأنه اعده لي فانشدته يوما للاعشى علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري وعلق اخرى غيرها الرجل
فانشدني من ثنته فلما اختنى لوى اذ دعت واجاب بكذا اذ رهبت سواها • واعارها الحدثان مني مودة واعاد غيرك
ودها وهواها • وذكر ابو العيناء قال كان الاصمعي اذا سمع انسانا ينشد شعرا في معنى انشد في ذلك المعنى من غير ان يريه انه
اراده فانشده رجل قول القطامي والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطئ الهبل فانشده هو قول الحسن العراكي
من يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما • وروى ميمون بن هرون قال سمعت اسحق بن ابرهيم يقول
انشدت الاصمعي قول الاعشى طلبا ان ينشد شيئا مثله وكان يدعي ان بالعلم لا يمضي مثل هذا •
ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا او تنزلون فانا معشر نزل • فانشدني لسعية بن عريض الضبي ولقد شهدت الخيل يوم طرادها
بسليم اوظفة القوائم هيكل • فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل • وروى اسحق بن ابرهيم ايضا قال دخل
يوما الى الاصمعي وعندي اخ للعماني الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به ابو العماني فقال الاصمعي هذا قال الباهلي الذي يقول
فما صحة نادمته باحاله باطيب من رياه لا انظر رهب فقال قبل ان يستتم الكلام هو على كل حال اصلح من قول الحبل العماني
يا رب جارية حر الناصية كانها عومة في جوف ناود • فقال اسحق فقلت له لم كنت اعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر شيء
الا وانا اعرف فيه شيئا • مجلس آخر تاويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم فقال اي معنى لقوله بافواههم ومعلوم ان القول لا يكون الا بالافواه الجواب قلنا القول
يحتمل معنيين في لغة العرب احدهما القول باللسان والاخر بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد
ولهذا المعنى ذهب العرب بالقول مذهب الظن فيقال متى تقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا يريدون متى تظن قال الشاعر
اما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا اراد فمتى تظن وقال الاخر اجهالا تقول بني لؤي لعمر ابيك ام متجاهلينا
اراد تظن بني لؤي وقال توبة بن الحمير الا يا صاح النفس ان يقولها لو ان طريدا خائفا يستجيرها •
تخبر ان نطقت بها غريبة النوى ستنعم ليلى او يفك اسيرها • اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الامرين معا فلا
بقوله بافواههم قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب لانه لو اطلق القول ولم يذكر الافواه لجاز ان يتوهم

المعنى الآخر ومما يشهد لذلك قوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله
والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فلم يكذبهم تعالى في قول ألسنتهم لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا الحق بل كذبهم ما رجع إليه
تأويلهم من الاعتقادات ووجه آخر وهو أن يكون الفائدة في قوله بأفواههم أن القول لا برهان عليه وأنه باطل كذب
لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان لأن الإنسان قد يقول باللسان الحق والباطل وإنما يقول قوله حقا إذا كان له
إليه برهان يلوح فأما القول الذي باللسان فيقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه هكذا
تقول بلسانك وليس اللسان مما تعوله وتثق به ويتقلب في لسانك فكأنهم أرادوا أن يقولوا هذا قول لا برهان عليه فأنكروا
قولهم هكذا أتقول بلسانك إنما يقولون كنى بأفواههم مقام ذلك والمعنى أنه قول لا يعضده ويحسمه برهان ولا يرجع فيه إلا
إلى اللسان ووجه آخر وهو أن يكون الفائدة في ذلك التأكيد فقد جرت عادة العرب بالكلام بذلك وما تقدم من الوجهين أولى
لأن حمل كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما يسقط معه الفائدة ٥ تأويل مسألة إن سأل سائل عن قوله
تعالى ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا
أيديهم في أفواههم فقال ما معنى رد الأيدي في الأفواه وأي مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلام الجواب قلنا في ذلك
وجوه أولها أن يكون المراد أن القوم بأنهم ردوا أيديهم في أفواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الأنبياء عليهم السلام كما
يفعل المتوعد لغيره المبالغ في معاداته ومكايدته وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق أنه يعض على أصابعه ويفرك
أنامله ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ونحو ذلك من الأفعال وثانيها أن يكون الهاء في أيديهم للكفار المكذبين والهاء التي في الأفواه
للرسل عليهم السلام فكأنهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل بما يسكتهم عن الكلام
كما يفعل المسكت منا لصاحبه الراد له وثالثها أن يكون الهاء التي في الأيدي والتي في الأفواه معا للرسل والمعنى أنهم كانوا يأخذون
أيدي الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ورابعها أن يكون الهاءان جميعا راجعتين إلى الكفار
لا إلى الرسل ويكون المعنى أنهم إذا سمعوا وعظهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم مشيرين لهم بذلك إلى الكف
عن الكلام والإمساك عنه كما يفعل من يريد أن يسكت غيره ويمنعه من الكلام من وضع أصبعه على فيه نفسه وخامسها
أن يكون المعنى ردوا القول بأيدي أنفسهم إلى أفواه الرسل أي أنهم كذبوهم ولم يصغوا إلى أقوالهم فالهاء الأولى للقوم
والثانية للرسل والأيدي إنما ذكرت مثلا وما ذاك إلا كما يقول القائل أهلك فلان نفسه بيده أي جنى الهلاك من جهته
لا من جهة غيره وسادسها أن المراد بالأيدي النعم في حمله على الأول والهاء راجعة للقوم المكذبين والتي يليها
للرسل والنعم يريد ردوا أفواههم نعم الرسل أي ردوا وعظهم وإنذارهم وتنبيههم على مصالحهم التي لو قبلوه لكان

نعما عليهم ويجوز أيضا أن يكون الهاء التي في الأيدي للقوم الكفار لأنها من نعم الله تعالى عليهم ويجوز إضافتها إليهم
ويحمل لفظة في على معنى الباء جائز لقيام بعض حروف الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك وحكى
في لغة طي أدخلك الله الجنة يريدون في الجنة يعنون بالباء معنى في وكذلك أيضا يضعون في بمعنى الباء
قال الشاعر وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ٥ ولكنني عن سنبس لست أرغب أراد وأرغب بها فحمل في على الباء وسابعها
وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر وزعم أنه أولى من غيره قال المضمر في قوله أيديهم للرسل وكذلك المضمر في
أفواههم والمراد باليد ههنا ما نطق به الرسل من الحجج والبينات التي ذكر الله تعالى أنهم جاءوا بها فوقعت اليد
في كلام العرب قد تقع على النعم وعلى السلطان أيضا وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولأجل ذلك شاهد من كلامهم والذي
أتى به الأنبياء قومهم فهو الحجج والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد ولما كان ما يعظ به
الأنبياء قومهم ويبذرونهم بها إنما يخرج من أفواههم فردوه وكذبوه قيل أنهم ردوا أيديهم في أفواههم أي ردوا
القول من حيث جاء قال ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للرسل إليهم كلهم وإنه يقتضيهم وذكر أن معناه أنهم عضوا عليهم
أناملهم غيظا لأن رافع يده إلى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا اليد إلى فيه إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردها
قال رحمه الله وليس ما استنكره من رد الأيدي إلى الأفواه مستنكر ولا يبعد أن يقد بالرد يده إلى فيه وإلى وجهه
وعادتنا أن نقول كذي وتجمع نعلا كذي وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسع ذلك القول بحسب اللغة لجوزنا
وإنسانا عاذ وليس يبعد أن يوجد العرب إلى التحقيق في الأمهات لجوزها واستعاذنا أنها أكثر على أنه يمكن أن يكون المراد
بذلك أنهم فعلوا ذلك شيئا بعد شيء وتكرر منهم فلهذا جاز أن يقول ردوا أيديهم في أفواههم لأنه قد تقدم منهم مثل
هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا أبطل استضعافه الجواب إذا صرنا إلى مراده ٥ تأويل خبر
روي أن مسلما الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقي
لا تأمنن وإن أمسيت في حرم ٥ إن المنايا بكفي كل إنسان ٥ واسلك طريقك تمشي غير مختشع ٥ حتى تبين ما يمنى لك الماني
فكل ذي صاحب يوما يفارقه ٥ وكل زاد وإن أبقيته فاني ٥ والخير والشر مقرونان في قرن ٥ بكل ذلك يأتيك الجديدان ٥
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو أدركته لأسلم فبكى مسلم فقال له ابنه يا أبه ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية
فقال أبي لا تفعل فما رأيت مشركة تلقفت من مشرك خيرا من سويد قوله ما يمنى لك الماني يريد ما يقدر لك القادر قال القرا
يقال منى الله عليه الموت أي قدر الله عليه وقال ابن يعقوب يمنيك الله بما يسرك أي يقدر الله لك ما يسرك وأنشد
لعمرو بن عمرو ولقد ساقه المنى إلى جدث ٥ يوزى له بالأهاضب قال ابن الأعرابي ساقه المنى أي ساقه القدر وأنشد الأعرابي

منت لك ان تلاقينى المنايا احادا احادى فى الشهر الحلال معناه قدرت لك وقال ابو عبيدة فى قوله تعالى اذا تمنى اذا تخلق وتقدر
وقال بعض اهل اللغة انما سمى منى لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى اى يقدر فيه وقيل ايضا لما يمنى فيه من الدم وقيل انما سمى
بذلك لان ابراهيم لما انتهى اليه قال له الملك تمن فقال اتمنى الجنة فسمى منى لامنية ابراهيم عليه السلام ويمنى يذكر ويونث والتذكير اجود قال الشاعر
فى التذكير سقى منى ثم رواه وساكنه ومن ثوى فيه واهى الودق منبعق وقال العرجى فى التانيث لبون بمنى اذ نحن نزلها
اسر من يوم منى بالعرج اسكنه فاما قوله فالجبو والنثر فهو وان قرن القرن الحبل واراد انها مجموعان لا يفترقان من حيث لا
كان يصاحب الانسان فى الدنيا خبرا صرولا شر به فلهذا قال انهما مقرونان فى قرن ويجوز ايضا ان يريد انهما تقلب الدنيا
وادوالها الخير والشر كان الخير والشر مقرونان مجموعان مع النقار بما بينهما فاما الجديدان فهما الليل والنهار وهما ايضا
الاجدان والملوان والفتيان والردفان والعصران قال الشاعر ان الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
وقال الحر واطلاه العصران حتى يملنى وسرى نصف الدين والانف راغم وقال ابو عبيدة يقال الليل والنهار انهما ثبات
وانشد ابن الاعرابى وكنا وهم كابنى سبات تفرقا سوى ثم كانا منجدا وتلهيا ويقال للغداة والعشى القرنان والردان
والصرعان اخبرنا ابو الفتح عبد الله بن عثمن بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمى قال املى علينا ابو العباس
احمد بن يحيى النحوى قال انشدنا ابن الاعرابى لم مع الوالى كذبتك ما وعدتك امس صلاح • وعنى يكون لما وعدت نجاح •
برامن السقم الطويل صحابه لا يستوى سقم لهم وصحاح • اصلاح اكفك مبذا فوافذا وجوانبها يسلهن جراح •
ولقد ذكرتك والقوادم لحمة وعلى بن سدف العشى باح • معنى باح هاهنا اى على وقت من العشى ومثله دولح وتوم
يروونه بالكسر والبيس بتسمى ما كان ابصرنى بغرات الصبى فاليوم قد سعفن الى الاشباح • ومشى بجنب الشخص تحسن مثله
والارض نايبة الشخوص براح • علق الحوادث التى تتركنى راسا بصلا كانه جساح • نفكا باصداغى وفرن ذوايبى تبس المشيب
كانه مصباح • قال كانه جناح من اعلامه وجماح سهم او قصبة يجعل عليها طين ثم يرمى به الطير وبهذا الاسناد
لعصهم ارى الناس للصعلوك حربا ولا ارى لمن نشب الاخليلا مصافيا • ارى المال يغشى ذا الوضوم فلا ترى
ويجى من الاشراف عن كان عانيا • الصعلوك الفقير وهو ايضا القرضوب والسبروت والوصوم العيوب وبهذا
الاسناد لعقيل بن علفة انى ليحمدنى الخليل اذا اجتدى مالى ويكرهنى ذو الاضغان •
وارى تخلجنى الهموم كانتى دلو السقاة تمد بالاشطان • واعيش بالبلل القليل وقد ارى ان الرموس مصارع الفتيان •
واخبرنا ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن منصور قال اخبرنى محمد بن موسى عن دعبل بن على قال قال عقيل بن علفة وذكر
المبيات السلفة وزاد فيها ولقد علمت لئن هلكت لتذكرن توما اذا علق النجى بكانى • قال رحمه الله وكان عقيل بن علفة

وروى المداينى قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المرى ما الخشن مع الكلم
مع قوة شعره جيد الكلام حليم الالفاظ
فقال ما قال احدنا عن صاحبه نفضلا قال ثم ايهما قال عوارينبنا قال فايها اشرف قال اما استفدناه بوقعة حولت
نعمنا وانا اذن عزا قال فما مبلغ عزكم قال لم يطمع فينا ولم يومن قال فما مبلغ جودكم قال ما عففنا به ميتنا وابقينا
به ذكرنا قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل
قومه وروى انه قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك قال انما تخشى عليهن الفساد فقال كلا انى خلقت لعندهن الماء
قيل وما هما قال الجوع والعرى اجيعهن فلا يبطرن واعريهن فلا يظهرن وقال له عبد الملك ما لك تهجوا قومك قال الانهم
اشباه الغنم اذا صيح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت قال انما تقول البيت والبيتين قال حسبى من القلادة ما احاط
بالعنق فاما معنى علفة اسم ابيه فان ابن الاعرابى قال العلفة مثل الباقلا الرطبة يكون تحت الزهر من البقل وغيره عدة
وقال ابو سعيد السكرى العلفة ضرب من اوعية بزر بعض النبات مثل قشرة الباقلا واللوبيا وهو الغلاف الذى يجمع
حب وقيل ان عقيلا كان يكنى ابا الوليد وكان عقيل غيورا موصوفا بشدة الغيرة وروى ابو عمرو بن العلاء انه حمل يوما
امة له وانشا يقول انى وان سيق الى المهر الف وعبدان وذود عشر احب اصهارى الى القبر وذكر الاصمعى
ان عقيلا كان لغيرته اذا راى الرجل تحدث الى النساء اخذه ودهن ارباعه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه فى قرية
النمل فلا يعود الى تحادث ويروى الاصمعى قال كان عقيل علفة فى بعض سفره ومعه ابنة العملس وامه الجرباء فانشا
يقول قضت وطرا من دير سعد وربما على عجل ناطحته بالجماجم • ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال •
واصبحن بالموماة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم • ثم اقبل على ابنته فقال اجيزى يا جربا فقالت •
كان الكرى سقاهم صرخدية عقارا تمشى فى المطا والقوائم • قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها
بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه اخوها فانالوه دونها ثم رماه احدهم بسهم فانتظم فخذيه فقال عقيل
ان بنى رملونى بالدم من يلق ابطال الرجال يكلم ومن يكن ذا اود يقوم شنشنة اعرفها من اخزم الشنشنة
الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل تمثل به عقيل وقد قيل قبله والعقيل
وللدهر اثواب فكن فى ثيابه كلبسته يوما اجد واخلقا وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم وان كنت فى الحمقى فكن انت احمقا
مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى والى الله ترجع الامور فقال كيف يصح القول بانها
رجعت اليه وهى لم تخرج من يده الجواب وبالله التوفيق قد ذكر فى ذلك وجوه احدها ان الناس فى
دار المحنة والتكليف قد يمتثر بعضهم بعض فيعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقد

ثم دخلت الشبهة عليهم لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الاصنام وغيرها من المعبودات
الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبدون آخرون البشر ويجعلونهم شركا لله تعالى في استحقاق العبادة ويضيف
كل هؤلاء افعال الله تعالى فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا
من الضلال واعتقاد الباطل وايقن الكل انه لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله تعالى فردوا اليه امورهم وانقطعت
آمالهم من غيره وعلموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتاميله للضر والنفع غرور وزور فقال تعالى والى الله ترجع الامور
لهذا المعنى والوجه الثاني ان يكون معنى الآية ان الامور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقي
وقد يقول العرب قد رجع علي من فلان مكروه بمعنى انه اتى منه وان لم يسبق مكروه الى قبل هذا الوقت ولذلك يقولون
قد عاد علي من فلان كذي وكذي وان لم يتقدمه على سبيل الابتدا قال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب
اي صارت لهن لم تكن من قبل بل كان فيها احسان فحمل الآية على هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة والوجه الثالث انا قد علمنا
ان الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف امورا تنقطع بانقطاع التكليف وافضاء الامر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه الموالي
العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز ان يريد تعالى برجوع الامر اليه انها ما ذكرناه من الامور التي يملكها
غيره تمليكه الى ان يكون هو وحده مالكها ومدبرها ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بها ان الامور تصير الى
ان لا يكون موجود قادر غيره وتفضي الامور بانتهائها الى ما كان عليه في الابتداء لانه قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة
وبعد افنائهم هكذا تصير ويكون الكناية برجوع الامر عن هذا المعنى هو رجوع حقيقي لانه تعالى كان على تفرده
ويحتمل ايضا ان المراد بذلك ان الى قدرته تعود المقدورات لانه اذا افناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض
الباقية رجع الى قدرته وصح منه تعالى ايجاده لعوده على ما كان عليه وان كان ذلك لا يصح في مقدورات البشر وان كانت
باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر واستحالة العود عليها من حيث لم يجز فيها التقديم والتاخير وهكذا
ايضا حكم هو تعالى المتفرد به دون سائر القادرين والله اعلم بما اراد تاويل آية اخرى ان سأل سائل عن قوله
تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها فقال اي معنى لذكر البيوت وظهورها
وابوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة بها على الحقيقة او كني بهذه اللفظة عن غيرها فان كان الاول فما الفائدة في
اتيانها من ابوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها الجواب قلنا في هذه الآية
وجوه اولها ما ذكر من ان الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح بها رجع فدخل من مؤخر البيت ولم يدخل
من بابه تطيرا فاعلمهم الله تعالى ان هذا من تطيرهم لا بر فيه وامرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله
عليه السلم

عن التطير وقال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وقال عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح
ومعنى هذا الكلام ان الحيوان الذي به آفة او مرض فلا ينبغي ان يورد على غيره صحاح فانه متى فعل ذلك ولحق الصحاح
مثل هذه العاهة اتفاقا لا لاجل العدوى لم يؤمن من صاحب الصحاح ان يقول انما لحق الى هذه الآفة من تلك الابل وهو اعتقاد
الجهل فنهى رسول الله علم عن هذا النزول الملتم بين العرب يقتضي من الظن القبيح وانبسط الى العرب الا اثر تشاؤم وكذلك انهم
كانوا اذا احرموا في غير الاشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر واذا كانوا
من اهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من ابواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن
ذلك واعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر وان البر غيره وثانيها وهو جواب ابي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر
ان تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه واتوا البيوت من ابوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند
اهله ومواضعه وهو جواب ابي علي الجبائي ان يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل واراد ليس البر ان ياتي الرجل
الشيء من خلاف جهته لان اتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الاثم والخطا وبين ان
البر التقوى وامر باتيان الامور من وجوهها وان يفعل على الوجوه التي لها وجب وحسن وجعل تعالى ذكر البيوت
وظهورها وابوابها مثلا لان العادل في الامر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه وخامسها ان يكون البيوت كناية
عن النساء ويكون المعنى واتوا النساء من حيث امركم الله والعرب تسمي المرأة بيتا قال الشاعر
ما لي اذا انزعها صأيت ٭ اكبر غيرني ام بيت ٭ اراد بالبيت المرأة ومما يمكن ان يكون شاهدا لهذا الجواب الذي
حكيناه عن ابي علي وجوابه عن ابي عبيدة ما اخبرنا به ابو القسم عبيد الله بن عثمن بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله محمد احمد
الحكمي قال حدثنا ابو العباس احمد بن يحيى قال انشدنا ابن الاعرابي ان عجبت لام الغمر اذ هزئت من شيب راسي وما بالشيب من عار ٭
ما شقوة المرء بالاقتار يقتره ولا سعادته يوما باكثار ٭ ان الشقي الذي في النار منزله والفوز فوز الذي ينجو من النار ٭
اعوذ بالله من امر يزين لي شتم العشيرة او يدني من العار ٭ وخيبة ياتي امرا خيره وسوف يبدي لدى الجبار اسراري ٭
لا ادخل البيت احبوا من مؤخره ولا اكسر في ابن العم اظفاري ٭ قوله لا ادخل البيت احبوا من مؤخره يحتمل ان يريد انني لا
آتي الامور من غير وجوهها على الحد المحكي في الآية ويحتمل ايضا انني لا اطلب الخير الا من اهله على جواب ابي عبيدة
ووجه آخر وهو انه يريد انني لا اقصد البيت للريبة والفساد لانه من شأن من يسعى الى فساد الحرم ويقصد السوء
للريبة ان يعدل عن ابوابها طلبا للاخفاء امره فكانه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح وتنزه عنه كما يتنزه بقوله
ولا اكسر في ابن العم اظفاري عن مثله واراد انه لا يرى ابن العم ولا يتالم بشيء يرجيه فاكون كانني قد جرحته باظفاري

وكسر ثماني لحيه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب ويجري مجرى هذه الابيات في مقاربة المعنى وحسن الكناية
قول هلال بن خثعم واني لعف عن زيارة جارتي ◦ واني لمشنوء الي اغتيابها ◦ اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها
زوورا ولم تنبح علي كلابها ◦ وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من اي حوك ثيابها ◦ وان قراب البطن يكفيك ملؤه
ويكفيك سوآت الامور اجتنابها ◦ قال رحمه الله وقد جمعت هذه الابيات نقرا عجيبة وكنايات بليغة لانه نفى عن نفسه
زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لانها ادعى الى الريبة ولخص النعمة فقال ولم تنبح علي كلابها
اراد اني لا اطرقها للاستخفاء فتنكرني كلابها ومعنى وهذه الكناية تجري مجرى قول الشاعر الاول الا ادخل البيت
لحبوا من مؤخره وروي ولم تانس الي كلابها وهذا معنى لطيف كانه اراد انه لكثير الطروق لها فلا تستبان لتنبح لها ما انس كلابها
لان الانس لا يكون الا مع المواصلة والموازرة وقوله وما انا بالداري احاديث بيتها يحتمل ان يريد به التكذب بزيارتها وطروقها
عن نفسه لانه اذا لم يزرها عرف احاديث بيتها واذا لم يزرها وصار معها لم يعرف ويحتمل ان يريد اني لا اسل عن احوالها
واحاديثها كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من اي حوك ثيابها كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا
يعرف ثيابها معرفة صفة ثيابها وبالاسناد المتقدم لجارثة بن بدر الغداني اذا الهم لم ينسوه وهو آن فاحبه وليس بممضيه ذات نفاذ له ◦
ولا منزل امر الشديدة بامرئ اذا هم لم تعرفه عواذله ◦ فما كل ما حاولت الموت دونه ولا دونه ارصاده وحبائله ◦
وما الفتك ما آمرت فيه ولا الذي تحدث من لاقيت انك فاعله ◦ وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة اذا صال لم يرصد عليه حبائله ◦
ولا تجعلن سرك الا الى اهله فتفعل ان افشي عليك تجادله ◦ ولا تسأل المال العقيل ترى له غنى بعد ما ضاقت به او اماله ◦
ارى المال افياء الظلال عشية يزول ويبقى عقل المال حامله ◦ معنى ابيات منادرت والحصان لا لجم يجمع وقد روينا هذه الابيات
زيادة على القدر الذي ذكرناه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني الفضل بن محمد
اليمان العبلي قال اسر الابيات السائرة قول جارثة بن بدر الغداني لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ حفي ولا ذي خلة لي اواصله
ولا من خليل ليس فيه غوائل فشر الاخلاء الكثير غوائله ◦ وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة من الروع افرخ اكثر الروع باطله ◦ معنى افرخ اسكن
يقال افرخ روعه اذا سكن وما كل ما حاولته للموت دونه وذكر البيتين اللذين بعده وزاد وكن اتت عن نفسك واعلم
بان اطول القوم البريء حامله ◦ اذا ما فاتك الشيء عما تقل به ولا تقل الشيء الذي انت جاهله ◦ ومما يستحسن لجارثة بن بدر قوله
لنا بيعة كانت نفيسا فروعها وقد احلقت الادهلا عروقها ◦ وان تستحلي المنايا نفوسنا ونترك اخرى مرة لا نذوقها ◦
وشيب راسي قال حين مشيبه دعوت المنايا بيننا وبرونها ◦ قوله لنا بيعة كانت [illegible]
وامامنه ومفرد هذه الابيات علي بن سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب وزادنيها

وان نحما بالمانت وعود الوكان اسهلا البناطر نعها ◦ وقد قسمت نفسي فريقين منهما فريق مع الموتى وعندك فريقها ◦
ومما نرجى النفس واهون ما نرجو من الامر لان دونه ما يعوقها ◦ وروى ابو العيناء اسود السعي عبد الله بن جعفر الملك الليله
الاول فقال عبد الله لمن هذا الشعر فقال لجارثة بن بدر فقال نحن احق بهذا ثم امر للشعبي اي بعطاء دينار ومن حسن قول جارثة
وقد وليت امارة فرجعتها في الكبر سالمة ولم اتمول ◦ ولقد منعت النصح من متقبل ولقد نفعت النصح من لم يقبل ◦
فبأي ليسة لا بيس اليقين وبأي حيلة حال الحنال ◦ يا طالب الحاجات ترجو نجحها ليس النجاح مع الاخف الاعجل ◦
ما صدق اذا حدثت تكن صادقا واذا حلفت فما ان يقصلك ◦ معنى تكن صادقا اي تكون عند الله صادقا وقوله فصلا اي استثنى
واذا رايت الباهشين الى العلى غبرا اكفهم بقرب فاعجل ◦ معنى الباهشين المادين ايديهم الى الشيء المشتهى له
واحذر مكان السوء لا تحلل به واذا نبا بك منزل فتحول ◦ واذا افتقرت فلا تكن متخشعا وترج الفواضل عند غير المفضل ◦
واستغن ما اغناك ربك بالغنى واذا تكون خصاصة فتحمل ◦ واخبرنا المرزباني قال حدثني محمد بن ازهر قال العمري عن ابن مرير العمري
قال كان جارثة بن بدر الغداني رجل تميم وفتيه وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب
عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف اطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصطك ركابي ركابه ولا
تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تاخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا
سالته عن علم الا ظننته لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه ابنه عبيد الله فقال له جارثة ايها الامير ما هذا الجفا
مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله ان ابا المغيرة قد كان برع بروعا لا يلحقه عيب وانا حدث وانما
انسب الى من يغلب علي وانت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت منك رائحة الشراب لم امن ان يظن بي فدع الشراب
وكن اول داخل واخر خارج فقال جارثة انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال
توليني رامهرمز فانها ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لي فولاها اياه فلما شيعه الناس قال انس بن ابي اياس
الدؤلي احار بن بدر قد وليت امارة فكن جرذا فيها تخون وتسرق ◦ ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته فحظك من ملك
العراقين سرق ◦ وباه تميما بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق ◦ فان جميع الناس اما مكذب
يقول بما يهوى واما مصدق ◦ يقولون اقوالا ولا يعلمونها فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا ◦ وهذه الابيات تروى لابي الاسود
الدؤلي وانه كتب بها الى جارثة لما ولي سرق ومدادها ◦ وكن جازما في اليوم الذي [illegible] على الناس مطبق ◦
ولا تعجزن فالعجز اوطأ مركب وما كل من يدعى الى الخير يرزق ◦ اذا ما دعاك القوم عدوك ... ◦
جزاك اله الناس خير جزائه فقد قلت معروفا واوصيت كافيا ◦ امرتني بامر لو امرت بغيره لالفيتني فيه لامرك عاصيا ◦

وقال الحارثة بن بدر والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد وقال الحارث نعاني الطعام الطيب وكان بحضرتهم فقال اي ثمرة طيبة
واقطعه عنوبة وكمنه عنبرية وسكره سوسيه وبطعمه سرمامه فقال للاحنف يا ابا بحر اي المزاد اطيب قال الخمر
قال وما يدريك ولست من اهلها قال رايت فيها خصلتين عرفت انها اطيب الشراب بهما قال وما هما قال رايت من احلها
لا يتعداها الى غيرها ومن حرمت عليه يتناولها فعرفت انها اطيب الشراب وقال حارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما
تغير عليه بعد لطفه وكان به اهانني واقصيتني ثم تنصحونني واي امرئ يعطي نصيحة قسرا •
رايت اكف المصلتين عليكم ملاء وكفي من عطاياكم صفرا • واني مع الساعي اليكم سيبعه اذا الحدث الهام في عظمكم كسرا •
متى تسألوني ما علي وتمنعوا الذي لي لم استطع على ذلكم صبرا وقال الحارثة وكم من امرئ قد تحير عندما … لم للاديا
قدرت اذا ان منه عن موات اشنه دعاني ولا ادعى اذا لما اقرت • اذا ما هي احلولت علا حق ضرعي ويقسم لبنها اذا
ما امرت وسنه اي دفعته عن ان احلبها والفواق اجتماع اللبن في الضرع من الحلبتين ومعنى امرت لسه
حلبها وبشبه ابيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير يعاتب معونه مروان والحارثة من جملة قصيدة وهي
ابيات قوية جلا عطاؤكم للضاربين رقابكم وندعى اذا ما كان حز الكراكر اكن الخول في المضيق سنه اذا ما تسم
في الحطا الاصابع • وندعوكم الادنى اذا ما سلمتم وتلقون من حرب سلكا ياسر • وان كان نيا الا الذي الناس مثله اخذنا به
من نبا ناه وامر معني من فبلنا به وامراى … باحسانه • وان جاكم منا غريب اذا شكم لو تتم له لوماجنوب المفاخر •
مع نعمل الاعدا الاكعادكم هوان السراة وابتغا العواثر • وعمي بصري عنكم ما فعلتم وذكرهوان منكم متظاهر
معاولكم من علي الحرب عنكم واعدوكم من بين حاضر … • فلا تسألون عن هواي وودكم ولا تلغ توادد توجه نافر •
لعمري علك للعفة من خلف سعي جواركم ليس بجبر • اما القبور … او اسي لجوار قبركا والادبار قبور •
عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم ماجور • ردت صنائعه اليه حياته فكانه من نشرها منشور •
قال رحمه الله وانظر الى ابي تمام الطائي نظر الى قول حارثة بن بدر في صنائعه الله حياته في قوله
الم تمت يا شقيق النفس مذ زمن فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن
يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس بني تميم الا قالوا مرحبا
بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاما قط هو اقر لعيني والذ في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ما سمعت كلاما هو اكره
الي منه ثم قال ذهب الرجال فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسودد وهذا البيت يقال انه لحارثة لانه
تمثل اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد الكلبي … بن حارثة بن بدر … الاحنف بن قيس

فقال لولا ان الله يستعجل لشاور ربك فقال له الجارة بروا لكم هون ان يشاوروا الجائع حتى يشبع والظمآن حتى ينقع والمقبل
حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق … مجلس آخر … ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لهم
نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فقال كيف يمدح بسرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدح فيه الجواب قلنا في ذلك
وجوه اولها ان يكون المعنى انه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء قريب لا يتاخر ويجري مجرى قوله وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب وانما جاز ان يعبر عن المجازاة والجزاء بالحساب لان ما يجازى به العبد هو كفو لعمله وبمقداره فهو حساب له
اذا كان مما لا يخالفه ومما يشهد ان في الحساب معنى المكافاة قوله تعالى جزاء من ربك عطاء حسابا اي عطاء كافيا وقال المحسن الطعام
تحسبني لصاحب اذا كان … قال الشاعر واذ لا ترى في الناس حسنا يفوقها وفيهن حسن لو تأملت محسب معناه كاف وثانيها
ان يكون المراد انه تعالى يحاسب الخلق جميعا في اوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك مقدار حلب شاة لانه تعالى لا يشغله محاسبة
بعضهم عن محاسبة غيره بل يحاسبهم كلهم على التمام في وقت واحد وهذا اقوى ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل
الكلام الى آلة لو كان بهذه الصفات تعالى لما جاز ان يخاطب اثنين في وقت واحد بخطابين مختلفين ولكان خطاب بعض الناس
يشغله عن خطاب غيره ولا نستطيع محاسبة الخلق على اعمالهم طول العمر … كما ان جميع ذلك اوجب الجمد الذي
يفتقرون الى الالات وثالثها ما ذكره بعضهم ان المراد … انه سريع العلم بكل محسوب وانه لما كانت عادة بني الانسان ان يتعلق
الحساب والاحصاء في الاكثر امورهم اعلمهم الله تعالى انه يعلم ما يحسبون بغير حساب وانما سمي العلم حسابا لان الحساب انما يراد به العلم
وهذا جواب ضعيف لان العلم بالحساب او المحسوب لا يسمى حسابا ولو سمي بذلك لجاز ايضا ان يقال انه سريع العلم بكل ما يعلمه الا
ما لا نجد فيه وصف السرعة … ورابعها ان الله تعالى سريع القبول لدعا عباده والاجابة لهم وذلك انه يسال في وقت واحد سوالات
مختلفة من امور الدنيا والآخرة ويجري لكل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه … عنده عاقبة …
عدد ومقدار لو كان الامر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فاعلمنا الله تعالى انه سريع الحساب اي سريع القبول للدعا
بغير حساب … ولا بحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يحتسب المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا الجواب ايضا يبتنى على دعوى ان
الدعا لا يسمى حسابا في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من اجاب بهذا الجواب ان يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه
والا فالاطلاق بما ذكره … ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد انه سريع محاسبة الخلق على اعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها وتكون
الفائدة في الاخبار بسرعته الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع العقاب وليس لاحد ان يقول هذا هو الجواب الاول
الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقا لان الاول مبني على ان الحساب في الآية هو الجزاء والمكافاة على الاعمال وفي هذا الجواب لم يخرج
الحساب من بابه ومن معنى المحاسبة والمقابلة بالاعمال وترجيحها وذكر غير الجزاء الذي يقتضي الحساب … وقد طعن بعضهم في هذا

الجواب معترضا على ابي علي الجبائي اعتماده اياه بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب
وسرعته ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان يكون المراد الاخبار عن قرب امر الآخرة والمجازاة على الاعمال
وهذا الجواب ليس ابو علي هو المبتدئ به بل حكي عن الحسن البصري واعتمده ايضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة
وليس الذي حكاه عن هذا الطاعن مبطلا له لانه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه تعالى قال فمن الناس
من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فالاشبه بالظاهر ان يكون الكلام وعدا بالثواب راجعا
الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار او يكون راجعا الى الجميع فيكون المعنى ان الجميع
نصيبا مما اكتسبوا [illegible] ان يكون وعدا خالصا او وعدا ووعيدا على انه لو كان وعيدا خالصا على ما ذكره لكان
قوله تعالى والله سريع الحساب على تأويل من اراد به قصر الزمان وسرعة المواقعة وجه في تعلق الوعد والوعيد لان الكلام على كل
حال متضمن لوقوع المحاسبة على اعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة ففي هذا
ترغيب وترهيب لا محالة لان من علم انه محاسب باعماله وموافق على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب
فهذا نصر الجواب وان كان الاعرف ان حمل الحساب على قرب المجازاة او قرب المحاسبة على الاعمال ترغيبا في الطاعات وزجرا
عن المقبحات فالتأويل الاول اشبه بالظاهر ونسق الآية لان التأويل الاخير غير مدفوع ايضا [illegible]
تأويل آية اخرى ان سأل سائل عن قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فقال اي مدح في العطاء من غير حساب
وقد يكون المعطي بحساب اجزل عطية من المعطي بغير حساب الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون المراد
انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقتير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب هاهنا راجع الى المرزوق لا اليه تعالى كما يقول
القائل ما كان كذا وكذا في حسابي اي لم اؤمله ولم اقدر انه يكون وهذا وصف للرزق باحسن الاوصاف لان الرزق اذا لم يكن
محتسبا كان اهنأ له والطف ويروى عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال يعني بها الاموال التي قد ظهر النظر وانما يصير الكلم
بغير حساب لاما على [illegible] الامور واقربها وايسرها وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء بغير حساب على مضيق ومقتر
بل يزيد في السعة واللين على عطاء المخلوقين ويكون نفي الحساب عنه نفيا للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب
تسمي العطاء القليل حسبا وقال قيس بن الخطيم اني سربت وكنت غير سروب وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب وثالثها ان يكون المعنى انه يرزق من يشاء بغير طلب للمكافأة او
اراغة لفائدة تعود اليه او منفعة ترجع اليه لان من شأن اهل الدنيا ان يعطوا ليكافؤوا او ليسمعوا ولهذا يقال فلان يقصد بالعطاء

الى هذه الامور فلان يحاسب الناس بما يعطيهم ويتقاضاهم بما وصله اليهم وما اشبه ذلك فلما انتفت هذه الامور
من عطاياه سبحانه جاز ان يقول انه يرزق بغير حساب ورابعها ما اجاب به قطرب فقال معنى الآية انه يعطي العدد الاكثر
ما لا يضبطه الحساب او يأتي عليه العدد لان مقدوره تعالى لا يتناهى وما في خزائنه لا يحصى ولا يصح عليه النفاد وليس
كالمعطي منا الالف من الالفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدود متناه ولا انتهاء ولا انقطاع
لما يقدر عليه تعالى وخامسها انه يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات اكثر مما استحقوه وازيد مما وجب لهم
بمحاسبته اياهم على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقال ان
تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم وكما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وسادسها
ان يكون المعطي منا غيره شيئا او الرازق سواه رزقا قد يكون ذلك فيكون فعله حسنا لا يسأل عنه ولا يؤاخذ به ولا
يحاسب عليه وربما لم يكن كذلك فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه ان يفعل من الرزق
القبيح وما ليس له ان يفعله بنفي الحساب عنه وانبأ انه لا يرزق ولا يعطي الا على افضل الوجوه واحسنها وابعدها
من الذم ويجري ذلك مجرى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانما اراد انه تعالى حكيم وفعلت افعاله كلها
حسنة غير قبيحة فلم يجز ان يسأل عنها وان سأل العباد عن افعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معا وسابعها
ان الله تعالى لما رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب على العبد ساقطا من جهة الناس فليس لاحد ان يقول لم رزقت
ولا يسوغ له لمن رزقته ولا يسأله ربه عن الرزق وانما يسأله عن انفاقه في الوجوه التي يصح بها فسقط الحساب من هذا الوجه
عما رزقه الله تعالى فلذلك قال بغير حساب وثامنها ان يكون المراد يرزق من يشاء من نعيم اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يصح
ان يفنوا ولا يحصيه الحساب ولا العدد ولا الاحصاء حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في
موضع آخر فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب تأويل خبر ان سأل سائل عن الخبر الذي يروى
عمن روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال توضؤوا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء هاهنا وعند اكثر الفقهاء ان مس ما غيرته
النار لا يوجب الوضوء الجواب ان يعني توضؤوا اي تنظفوا واكلم من الزهومة لانه روي ان جماعة من الاعراب كانوا لا
يغسلون ايديهم من الزهومة ويقولون فقدها اشد علينا من ريحها فامر عليه السلام بالتنظيف بعد الاكل فقال كذا فيصح
ان يحملوا الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة مثلا لان من غسل يده او وجهه لا يقال
بالاطلاق توضأ وبعد فيسلم لكم ان الوضوء اصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه السلام يجب ان يحمل على العرف
الشرعي وحمله عليه اولى من حمله على الاصل اللغوي [illegible] ان يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل عن اللغة الى عرف الشرع المحض

بالافعال المعينة وذلك المضاف منه الى الحدث او الصلوة وما اشبههما فاما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه
فانه على اصله الا ترى انهم لو قالوا توضأت من الطعام دون التمر وتوضأت للطعام لم يفهم منه الا الغسل والتنظيف
واذا قال توضأت اطلاقا او توضأت من الحدث او للصلوة فهم منه الافعال الشرعية وليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص
النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز ان ينتقل على وجه دون وجه
ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس الى ان اطلاق لفظة مؤمن منتقل
من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقيا على ما كان عليه في اللغة ومن ذلك ايضا ما روي
عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وانما اراد غسل اليد بغير شك دون غسل اعضاء انه بلا غسل
الوضوء وروى عكراش ان رسول الله صلى الله عليه وآله اكل وغسل يده ومسح ببلل يده وجهه وذراعيه ورأسه وقال
هذا الوضوء مما مست النار على انه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الافعال الشرعية المخصوصة لصح ان نحمله
في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى اصلها بالادلة وان كان الدليل لولا الادلة ان يحمل على مقتضى الشرع فمن الادلة على
ما ذكرناه ما رواه ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله اكل كتف شاة ثم قام وصلى ولم يتوضأ وروى عطاء عن ام سلمة
قالت قربت جنبا مشويا الى النبي صلى الله عليه وآله فاكل منه وصلى ولم يتوضأ وروى محمد بن المنكدر عن جابر انه قال كان اخر
الامرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء مما مست النار وكل هذه الاخبار يوجب العدول عن ظاهر الخبر الاول
لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له فاما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يديه
وتنظفها قد حسنها قيل وضأها ويقال فلان وضيء الوجه وقوم وضاء قال الشاعر   مسامح الفعال ذو اناة
مراجيح واوجههم وضاء   والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك التوضؤ والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك
الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز ان يعبر بالوقود بفتح الواو عن المصدر وكذلك
الوضوء كما قالوا احسن القبول فجعل القبول مصدرا وهو مفتوح الاول ولا يجوز في الوقود والوضوء الضم الا بمعنى المصدر
قال جرير   اهوى اراك برامتين وقودا   ام بالجنينة من مدافع اودا   وقال اخر   اذا سهل لاح كالوقود
فردا كالشهاب المطرود   وقال اخر   واحبابنا كل فلج ارض وقود النار المنشوب   اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابرهيم بن المنذر قال حدثني ابو هشام
محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب قال اتيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
يوما في منزله فاذا هو مغتاظ ينفخ فقلت له ما لي اراك هكذا قال دخلت على اميركم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه

عبد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت فلم يرد علي السلام   الا ابلغا عني عراك بن مالك   ولا تدعا ان تثنيا بابي بكر
فقد جعلت تبدو شواكل منكما   كانكما بي موقران من الصخر   فطاوعتما بي داعيا اذ اتاكما   لعمري لقد اوري وما مثله يوري
فلولا اتقاء الله بقياي فيكما   للمتكما لوما احر من الجمر   فمسا تراب الارض منها خلقتما   وفيها المعاد والمقام الى الحشر
ولا تانفا ان تسئلا وتسلما   فما حشي الاقوام شرا من الكبر   ولو شئت ادلى فيكما غير واحد   علانية او قال عندي في السر
فان انا لم امر ولم انه عنكما   ضحكت له حتى يلج ويستشري   وكم هدر ان سبعين يجمع على ما اري وهوان عثرت اراه عثر
لئن علقت دلوكما دلو حول عن القوم لا دخل المرء لا خزره   قال ابن شهاب فقلت له تسلم مع نسكك وفضلك وتقول
الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برئ وانما ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن عمرو بن حزم وكانا صديقيه
كانه يذكرهما عن ذكر غضبهما وقد جاءت رواية اخرى بان ابا بكر بن حزم وعراك بن مالك كانا يحملان على عبد الله
ولا يسلمان عليه فقال الابيات يخاطبهما بها وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
اذا كان لي سر فحدثته العدى   وضاق به صدري فللناس اعذر   هو السر ما استودعته وكتمته   وليس بسر حين يفشو ويظهر
وانشد مصعب بن الزبير لعبيد الله بن عتبة   اواخي رجالا لست مطلع بعضهم   على سر بعض ان صدري واسعه
اذا هي حلت وسط عودي عال السر فلا الود دان ولا الا طالعه   ثلاث حجاب على سري حاجز كتوم المضمن عليه اضالعه
بني عبد الله في سورة العلى   وعتبة مجد لا ينال مصانعه   والبيت الاول يشبه قول مسكين الدارمي
وما ان صدق لست مطلع بعضهم   على سر بعض غير اني جماعها   ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله
تغلغل حب عثمة في فؤادي   فباديه مع الخافي يسير   شققت القلب ثم ذررت فيه   هواك فليم فالتام الفطور
تغلغل حيث لم يبلغ شراب   ولا حزن ولم يبلغ سرور   اكاد اذا ذكرت العهد منها   اطير لو ان انسانا يطير
غني النفس ان ازداد حبا   ولكني الى وصل فقير   واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال   تعلق من قلبي هواك معالقا ما حلها
الماكول والمشروب   واخذه المتنبي فقال   وللسر مني موضع لا يناله   نديم ولا يفضي اليه شراب
وكان العباس بن الاحنف الم بهذا في قوله   لو شق عن قلبي يرى وسطه   اسمك والتوحيد في سطر
ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة احسن ما جمع وعدد بيت المشرع لعبيد الله   لعمرك ان الحصر ام المطلق الذي
بلا شيء من الدهر الكثر   يعدون يوما واحدا ان اتيته   ويسنون ما كانت على الدهر تهجر   ما ركن الواشون
فانا بتجديد المودة اجدر   ومن مستحسن قوله   لعمري لئن شطت بعثمة دارها   لقد كنت من وشك الفراق اليح
اروح بهم ثم اغدو بمثله   ويحسب اني في الثياب صحيح   واخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه في قوله

نصح عمرو نادمسيه وليس يدري ما له عندك. مجلس آخر. تأويل آية. إن سأل سائل
عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون
لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا فقال السائل هذا تصريح بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقبيح
لأن ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله. الجواب قيل له في هذه الآية
وجوه أولها أن يكون الملة التي عناها إنما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين بها
وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته ومما لا يجوز أن يختلف العبادة
فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والألطاف والمعلوم من أحوال
المكلفين فكأنه قال إن ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا
بمثلها فنعود إليها وتلك الأفعال التي كانوا تعبدوا بها متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وإن كانت
ضلالا وكفرا فقد كان يجوز فيها هو مثلها أن يكون إيمانا وهدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجري
هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحا وقد تعلق بعضهم على هذا الجواب فقال كيف
يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها
فقال لم ينف عودهم إليها على كل وجه وإنما نفى العود إليها مع كونها منسوخة منهيا عنها والذي علقه
بمشيئة الله تعالى من العود إليها هو مشروط بأن يأمر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لا خلل فيه وثانيها
أنه أراد أن ذلك لا يكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله لما كان معلوما أنه لا يشاؤه وكل أمر علق بما لا يكون
أبدا فقد نفي كونه على أبعد الوجوه وتجري الآية مجرى قوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكما
يقول القائل لا أفعل كذا حتى يبيض القار أو يشيب الغراب وكما قال الشاعر
وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل
والقارظان لا يؤوبان أبدا وكليب لا ينشر أبدا فكأنه
قال إن هذا لا يكون أبدا وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من أن في الكلام تقديما وتأخيرا وأن الاستثناء
من الكفار وقع لا من شعيب فكأنه تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك
من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعود في ملتنا ثم قال حاكيا عن شعيب وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال ورابعها
أن يعود الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام
إنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم

فنعود إليها وخامسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة
لأنه تعالى لما قال حاكيا عنهم أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لتكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول
بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معناه على ملة واحدة فإن قيل الاستثناء بالمشيئة إنما لا يدخل في قوله وما يكون لنا أن نعود
فيها فكأنه قال ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب قلنا هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود
فيها هو أن نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلا أن يشاء الله أن يقوي الملة
بأن يرجعوا هم إلى الحق فإن قيل فكأن الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه ما شاءه على كل حال
بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجرى التكليف إليه ولو
شاءه على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيب عليه السلام قال إننا لا نكون على ملة واحدة أبدا إلا بأن يشاء الله أن
يلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا والموافقة في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لأنه لو أطلق أنا لا نتفق أبدا ولا نصير
ملتنا واحدة لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشيئة هذا الوجه ويجري قوله إلا
أن يشاء الله مجرى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا وسادسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يمكنكم
من إكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ويقوي هذا الوجه قوله تعالى أولو كنا كارهين وليس يمتنع
أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه لأن إظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الأحوال
إذا تعبد الله بإظهارها وقوله أولو كنا كارهين يقوي هذا الوجه أيضا فإن قيل كيف يجوز أن يتعبد الله
تعالى بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه وإنما
أراد قومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه
وهذا جائز غير ممتنع. تأويل خبر روي عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال خير الصدقة ما أبقت
غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول. قد قيل في قوله ما أبقت غنى قولان أحدهما أن خير ما تصدقت
به ما فضل من قوت عيالك وكفايتهم فإذا أخرجت صدقتك على الأمر الذي خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها
ومثله في الحديث الآخر إنما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن عباس في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو
قال ما فضل عن أهلك والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن المسألة أي يجزل في
العطية فيستغني بها وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم فيدفعها إلى رجل واحد محتاج فيستغني بها
ويكف عن المسألة فذلك أفضل من أن يدفعها إلى مائة رجل لا يتبين عليهم والقول الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله وابدأ

من تعول وتشهد له الحديث الآخر إنما الصدقة عن ظهر غنى وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى قال قوم يريد
أن اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون إن العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية قال ابن قتيبة ولا أرى
هؤلاء القوم إلا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل إن المولى من فوق هو الذي أُعتق والمولى
من أسفل هو الذي أَعتق والناس إنما يعلون بالعطايا لا بالسؤال قال رحمه الله وعندي أن قوله عليه السلام اليد العليا
خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعا وهو أن يكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لأن النعمة قد تسمى يدا
في مذاهب أهل اللسان بغير شك فكأنه عليه السلام أراد أن العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه
عليه السلام على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجا ويشهد لهذا التأويل أحد
الخبرين المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن نحمل على الجارحة لأن من ذهب إلى ذلك وجعل
المعطية خيرا من الآخذة لا يستمر قوله لأن فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن يعطي ولفظة خير إنما تحمل الأعلى
الفضل في الدين واستحقاق الثواب فأما من جعل الآخذة خيرا من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضا مع أنه قد قال
قولا شنيعا وعكس الأمر على ما ذكر ابن قتيبة فإن قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه السلام ما أبقت غنى وهذا لا
يبقي غنى إلا بعد أن يقصر عن غيرها وإذا كانت العطية التي هي أجزل الفضل فذلك لا يبقي غنى والتي تبقي غنى ليست
الجزيلة فهذا تناقض قلنا أما أولا فلنا أن نطابق بين الوجهين المذكورين في قوله عليه السلام ما أبقت غنى لأن من تأول
ذلك على أن المراد بها المعطى وأن خير العطية ما أغنته عن المسألة فالمطابقة ظاهرة ومن تأوله على الوجه الآخر
وحمل ما أبقى الغنى على المعطي وأهله فلنا أيضا دفع التنافي لأنه قد يكون في العطايا التي يبقى بعدها الغنى
على الأهل والأقارب جزل وغير جزل فقال عليه السلام خير الصدقة ما أبقت غنى بعد إخراجها والعطية الجزيلة
التي يبقى بعدها غنى خير من القليلة ثم مدح عليه السلام بعد إبقاء الغنى العطية الجزيلة وحث على الكرم والفضل
أخبرنا أبو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال
أنشدنا ابن الأعرابي لنا بنت قطعة العكلي ° يا هند كيف تنصبين أن يكفيني ° وعاذري سوادا العين يوديني °
كان الحي والأعداء هاجرة لدى السلام فاعار يلويني ° لا همي الدهر فوسعي وعاذري شيمي وقالت ابن العلظ واللين °
إذا ابن العشار أولى هم إذا لعرم السائلون يسحي ° كان المفضل عزا في ذوي يمن وعصمة وثمالا للمساكين °
عساكر أمة ضر أشانيهم من السنين ومأوى كل مسكين ° إني بذكرت قتلى لو شهدتهم في حومة الحرب يصلوا بها دوني °
لا خير في العيش إذ لم نجز بعدهم حرباً بهم سلي ومسعى ° لا خير في طمع يدني إلى طبع وعفة من قوام العيش تكفيني °

نظري في الأمر عسى الحوادث به وليت أنظر ما الشر يعني ° لا أركب الأمور بي ومع عواقبه ولا يعاب بعرضي ولا ديني °
لا يغلب الجهل حلمي عند مقدرة ولا العضيبة من ذي الضغن تلحيني ° كم من عدو رماني لو قصدت له لم يأخذ النصف مني حين يرميني °
قال رحمه الله وهذه الأبيات تروى بعضها لعروة بن أذينة وقد لحق أبياتا أخر على هذا الوزن وهي التي يقول فيها
لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني ° أسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني °
لم تعدانه وكم العيش من نشب ومن معاد وضرورة غير ممنون ° فما اشرئبت على يسر وما ضرعت نفسي لحلة عسر حاملوني °
حسبي كريم ونفسي لا تحدثني أن الإله بلا رزق يخليني ° ولا اشرأبت على حظ لكرمة إلا يقنت أني غير مغبون °
ولا دعيت إلى مجد ومحمدة إلا أجبت إليه من يناديني ° لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا ألين لمن لا يبتغي ليني °
أني سمعتني من لست أعرفه ولو كرهت وأبدو لحمي يعصمني ° فقطعني كاهل ولجهد على إذ لا أبت فعمدا أنا نظر هل تقطعني °
وقوم يخطئون ويروون قوله لقد علمت وما الإسراف بالسين غير معجمة وهذا الخطأ وإنما أراد الإشراف أي لا أستشرف
ولا أتطلع إلى ما في أيدي الناس من أمور الدنيا ومكاسبها ولا أتبعها نفسي قال السيد رحمه الله ولي أبيات في معنى أبيات عروة بن أذينة
التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت مني منذ أربع عشرة سنة والأبيات
تعاقبني بؤس الزمان وخفضه وأدنى حرد الأيام وسلمه ° وقد علم المغرور بالدهر أنه وراء سرور المرء في الدهر غمه °
وما المرء إلا نهب يوم وليلة تخب به شهب الفناء ودهمه ° يعلله برد الحياة بمسه وتغتره روح النسيم وشمه °
وكان بعيدا عن منازعة الردى فألقته في كف المنية أمه ° ألا إن خير الزاد ما سد فاقة وخير تلادي الذي لا أجمه °
وإن الطوى بالعز أحسن بالفتى إذا كان من كسب المذلة طعمه ° وإني لأبهي النفس عن كل لذة إذا ما ارتقى منها إلى العرض وصمه °
وأعرض عن نيل الثراء إذا بدا وفي نيله سوء المقال وذمه ° أعف وما العفة غنى بعيدة وحسبي في صدع الأمر أنمه °
ومن العفة من ذل عن الضرب سيفه والكريم من ولى عن السوء حزمه ° ولي في معنى قوله ولا الإشراف من خلقي
ما خاس بالورق مني مثل عجانة ولا بسطت إلى الحاجات من يدي ° كم قد تراد فلم أحفل زيارته ولو يجاوزني ما فت في عضدي °
إن أسخط المرء أدرك عنه مصطبرا وإن أراد له لا يرده أحد ° ومعنى ما خاس بالورق عليه أي لم اتمه ولا انطلعت إلى
حضوره ولا خطر لي بالتنزه ولو تقنعا ولو أجد في محصن إلى بسط البد النوائب بصرع عندها الأكثر المره
ويطلب المتعفف فحر لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروءة ومعنى البيت الثاني ظاهر
فأما الثالث فالمراد به أنني متى أذاكره شاعلني مفارقته والنزوع عنه واستمر تصنع حيلته وتقرر قدرته عن
استيداء كل عاكره وفيه فائدة أخرى وهي أني ممن لا تملكه العادات ويعتاده الأهواء بل متى أردت مفارقة

خلق الله غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك عليه متعذرا ومن جيد ما كان في الحمل على هوى السلطان والرجال اخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال اخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني
عروة بن عبد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن اذينة نازلا مع ابي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد
لنفسه ان التي زعمت فؤادك ملها ° خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فبك الذي زعمت بها وكلاكما ° ابدى لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها ° يوما وقد ضحيت اذاً لاظلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة ° شفع الضمير لها الى فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ° بلباقة فادقها واجلها
لما عرضت مسلما لي حاجة ° اخشى صعوبتها وارجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ° ما كان اكثرها لنا واقلها
فدنا فقال لعلها معذورة ° في بعض رقبتها فقلت لعلها
قال عروة بن عبد الله فجاءني ابو السائب المخزومي يوما فسلم وجلس فقلت له بعد الترحيب الك حاجة يا ابا السائب
فقال او كما تكون الحاجة ابيات لعروة بن اذينة بلغني انك سمعتها منه فقلت اي ابيات فقال وهل يخفى القمر
ان التي زعمت فؤادك ملها فانشدته اياها فقال ما يروي هذا الا اهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم
العهد لا الذي يقول وهو الهذلي ان كان اهلك يمنعونك رغبة ° عني فاهلي بي اضن وارغب
لقد عدا الاعرابي طوره واني لارجو ان يغفر الله لابن اذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها فعرضت عليه
الطعام فقال لا والله حتى اروي هذه الابيات فلما رواها وثب فقلت له كما انت يرحمك الله حتى تأكل
فقال والله ما كنت لاخلط بحبي لها واخذي اياها غيرها وانصرف قال السيد رحمه الله والهذلي الذي
عناه وانشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي وقول عروة باكرها النعيم اراد به انها لم
تعش الا في النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق بؤسا فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك في جمالها ونمائها
والبكور هو التقدم في كل شيء وكان عروة بن اذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة وروي
ان سكينة بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت له يا ابا عامر انت الذي يقول
اذا وجدت اوار الحب في كبدي ° اقبلت نحو سقاء القوم ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره ° فمن لنار على الاحشاء تتقد
وانت القائل قالت وابثثتها وجدي فبحت به ° قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها ° غطى هواك وما القى على بصري قال نعم فالتفتت فقالت هن حرائر واشارت الى جوار بين يديها ان كان خرج
هذا من قلب سليم وانشد ابو الحسن عن احمد بن يحيى لعروة كان يخرج الى ظل له ضاق بها الندى وتارة مسك ضمنتها ثيابها
تكاد لذكراها الطير صبابة ° وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها اذا اقتربت سعدى لججت بهجرها ° وان تغترب يوما يكن اغترابها

فقلت لها هذا الحياة لك عندها ° سواء العمري نأيها واقترابها وعاد الهوى منها كظل سحابة ° الاحين في ثم مر سحابها
قال رحمه الله ومن بديع هذا البيت المختار قول كثير واني وتهيامي بعزة بعدما ° تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما ° تبوأ منها للمقيل اضمحلت كاني واياها سحابة ممحل ° رجاها فلما جاوزته استهلت
وروى يحيى بن علي قال حدثنا ابو هفان قال الشعراء ابيات قيلت في الحسد والدعاء لهم بالكثرة اربعة اولها قول الكميت بن زيد
ان يحسدوني فاني غير لائمهم ° قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا فدام لي ولهم ما بي وما بهم ° ومات اكثرنا غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في حلوقهم ° لا ارتقي صدرا منها ولا ارد لا يبعد الله حسادي فانهم ° اسر عندي من اللاي لهم ودد
قال عروة لا يبعد الله حسادي وزادهم ° حتى يموتوا بداء غير مكنون اني رأيتهم في كل منزلة ° اجل قدرا من اللاي يحسدوني ولنصر بن سيار
ان يحسدوني على ما بي وما بهم ° فمثل ما بي مما يجلب الحسدا ولمعن بن زائدة اني حسدت فزاد الله في حسدي ° لا عاش من عاش
يوما غير محسود لا يحسد المرء الا من فضائله ° بالعلم والظرف او بالباس والجود قال رحمه الله وقد اخذ البحتري
هذا المعنى في قوله محسد بخلال فيه فاضلة ° وليس يفترق النعماء والحسد واظن ابا العتاهية اخذ قوله
كم عائب لك لم اسمع مقالته ° ولم يزدك لدي عائب من كان عائبا ليس عائبا ... وصفا امتدحك عندي وتقريبي
ما زوق حبك حتى لست اعلمه ° فلا اصدق الا من يريني من قول عروة بن اذينة لا يبعد سعلة من لحى من جوى سقم
يوما ولا مرحبا ان جر يشفيني اذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم ° وخلت ان يسمعن اللوم يغريني وقد اخذ ابو
هذا المعنى في قوله ما حط حبك العاشقون عن رتبة ° عندي ولا امري بمعتاب كانهم اثنوا ولم يعلموا ° عليك عندي بالذي عابوا
ولعروة بن اذينة نزع الجنان بقتلات وما هوى لحي ° حتى بدا هبات كروعة ثعلب ... عادت العقاب
النبلا القطيعة من الصار وهذا المعنى قد سبق اليه بعض الاعراب فقال وخفف بعد ما لبي كالعهد وتسرع اجا
وما جئتنا الا ... الا كفر لله ربنا كالبدر لا يعدو منها البدء اخذه ابو العتاهية في قوله
اذا ما لبثهم سبيت حين عمرو ان غبوا ... الى صبوانها واخذ عروة قوله ان الفتى مثل الهلال نور لماني يتمخف
يبلى وتغنيه الدهور كما يبلى وتبلى ضوء الجدة الخالق من قول بعض شعراء طي ممالكون ريب الزمان فانني ارى قمر الليل
المعتذر كالفتى يهل صغيرا ثم يعظم ضوءه وصورته حتى اذا ما هو استوى تقارب يخبو ضوءه وشعاعه
ويصبح حتى يستسر فلا يرى كذلك زيد المرء ثم انتقاصه وعوده مثل الذي كان قد بدا اخذه محمد بن يزيد الكلابي فقال
المرء مثل هلال عند مطلعه يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق يزداد حتى اذا ما تم اعقبه كر الجديدين نقصا ثم ينمحق
مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى واسعوا ما تلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر

بلين الآية فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على الملائكة ام كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه
وكيف نسب الفساد الواقع عند ذلك الى الله باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت العلم لهم ونفاه
عنهم بقوله ولقد علموا لمن اشتراه ثم قوله لو كانوا يعلمون الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة
الداخلة على من لم ينعم النظر فيها اولها ان يكون ما في قوله وما انزل على الملكين بمعنى الذي فكانه تعالى اخبر عن طائفة
من اهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمن وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله تعالى من قرفهم
والذي هو في قولهم فقال وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على الناس ثم قال يعلمون
الناس السحر وما انزل على الملكين واراد انهم يعلمونهم السحر والذي انزل على الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر
وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد اعلمنا
ضروب المعاصي ووصف لنا احوال القبائح ليجتنبها لا لنواقعها الا ان الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه
واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما
يعلمان من احد يعني الملكين ومعنى يعلمان يعلمان والعرب تستعمل لفظة علم بمعنى اعلم قال القطامي
تعلم ان بعد الغي رشدا وان لذلك الغي انقشاعا وقال كعب بن زهير تعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك كالاخذ باليد
ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذي يدل على انه هاهنا الاعلام دون التعليم قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة لان معنى الفتنة المحنة وانما كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا لينزجروا عنه وليمتنعوا من
مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن
الغرض في القائنا هذا اليك فانه انما القي اليك واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به
بين المرء وزوجه اي يعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك
ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يعملوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار
ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم وثانيها ان يكون ما انزل في موضع جر ويكون معطوفا بالواو
على ملك سليمن والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمن وعلى ما انزل على الملكين ومعنى وما انزل
على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنتهم
ومعهم وليس بمنكر ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمن وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لان رد الشيء
الى نظيره وعطفه على ما هو اولى به واجب وان اعترض بينهما من الكلام ما ليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب

كثيرة قال الله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقيم من صفات الكتاب لا من
صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر
به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام هاهنا معطوف على الشهر الحرام اي يسألونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام وحكي عن
بعض اهل اللغة انه قال العرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره
كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وهذا واضح في مذهب العرب كثير
النظائر ثم قال تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة والمعنى انهما لا يعلمان احدا بل ينهيان عنه ويبلغ من
نهيهما عنه وصدهما عن فعله واستعماله ان يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله
وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له انك ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا
هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال باللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه استغنى بقوله وما
يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظائر في القرآن قال الله تعالى
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فلولا الاختصار
لكان مع شرح الكلام يقول ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولو كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ومثله قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم اي فيقال
للذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وامثاله اكثر من ان يورد ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به
بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهما وقد نفى عنهما
التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم ايضا ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في
قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف عليه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع
بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى اي يتجنب الذكرى الاشقى ولم يتقدم
تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيذكر ويجوز ايضا ان يكون معنى فيتعلمون منهما اي بدلا منهما على
الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علماهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله
كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا اي بدلا منه قال الشاعر جمعت من الخيرات وطبا وعلبة وصرا لاخلاف المزنمة البزل
ومن كل اخلاق الكرام نميمة وسعيا على الجار المجاور بالمحل يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه الخصال
الذميمة وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان احدهما ان يكونوا يغرون احد الزوجين ويحملونه على

الكفر والشرك به تعالى فمتى تكلم بذلك فقد فارق زوجته الاخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف الملة
والوجه الآخر ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه والباطل حتى يؤول امرهما
الى الفرقة والمباينة وثالث الوجوه في الآية ان يحمل ما في قوله تعالى وما انزل على الجحد والنفي فكانه تعالى قال
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولا انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التقديم
ويكون على هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان اسماهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا
ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما السحر جبريل وميكائيل عليهما السلم لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي
ان الله تعالى انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمن بن داود عليهم السلم فاكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز ان يكون
هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ
في قوله وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمن عليهما السلم ويكون قوله على هذا التاويل وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين او من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به
ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل
قبيحا او قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لا ينجب والله احفظك الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح
للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتخالع ويجوز ايضا على هذا التاويل الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون هاروت
وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر وما انزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من احد يرجع الى قبيلين من الجن
او الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا وقد روى هذا التاويل الاخير في حمل ما على النفي عن ابن عباس وبعض المفسرين
وروي عنه ايضا انه كان يقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى هذه القراءة
لا يمتنع ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويكون على هذه القراءة وجه آخر وهو ان يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجحد
والنفي وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وبدعته على ملك سليمن ما تمولوا انزاله على الملكين من
السحر ويكون الانزال اضافا الى الله تعالى وان اطلق لانه تعالى لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال العصاة
ويعني انزاله ان كان من الارض حمله اليهما لا من السماء انه اتى به من نجود البلاد واعاليها فان من هبط من نجد الى البلاد
غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى فاما قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها
ان يريد بالاذن العلم من قولهم اذنت بفلان بكذا اذا اعلمته واذنت لكذا اذا استمعته وعلمته قال الشاعر

وسماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار ومنها ان يكون الاذن الارادة فيكون المعنى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
ويجري مجرى قول احدنا لقيت بك الا اني كرهتها لقيته بدا ما كرهته ومنها ان يكون الاذن التخلية وترك المنع فكانه
اراد انه لا يمكن العباد من مجرده وما هم بضارين من احد الا بان خلى الله بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على
منعهم بالنهي والزجر ومنها ان يكون الضرر الذي عني انه لا يكون الا باذنه واضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الادوية
والاغذية التي يطعمه اياها السحرة ويدعون انها موجبة لما يقصدونه من الامور ومعلوم ان الضرر الحاصل عند ذلك من فعل الله
تعالى بالعادة لان الاغذية لا توجب ضررا ولا نفعا وان كان المعرض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم وعليه
يجب العوض ومنها ان يكون الضرر المذكور انما عنى به التفريق بين الازواج لانه اقرب اليه في ترتيب الكلام والمعنى انهم
اذا اكفروا احد الزوجين فكفر بانت منه زوجته فاستضر بذلك فكانوا ضارين له بما حسنوا له من الكفر الا ان الفرقة
لم تكن الا باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم وامر بالتفريق بين المختلفي الاديان فلهذا قال وما هم بضارين به من
احد الا باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله واذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا
الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوي هذا الوجه ما روي انه كان من دين سليمن عليه السلم انه من سحر بانت منه امراته
فاما قوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ثم قوله لو كانوا يعلمون ففيه وجوه اولها ان يكون الذين علموا
غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين او الذين خبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا
ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به انفسهم وثانيها ان يكون الذين علموا هم
الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه
لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من عقاب الله الذي لا نفاد له ولا انقطاع وثالثها ان يكون العلم في
نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهذا كما يقول احدنا لغيره ما ادعوك اليه خير لك
واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب الا انه لا يعمل بموجب علمه فيحسن ان يقال له
مثل هذا القول وقال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه لينالا من زاده اذا حضراني قلت لو تعلمانه
الم تعلما اني من الزاد مرمل فنفى عنهما العلم ثم اثبته بقوله الم تعلما وانما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا
بما علماه فكانهما لم يعلماه ورابعها ان يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين علموا ان الآخرة لا حظ لهم فيها مع عملهم
السحر الا انهم ارتكبوه طمعا في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى لبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ان
الذي آثروه وجعلوه عوضا من الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل مضمحل باطل وان المآل المستحق

في الآخرة وكان ذلك واضح في مجلس الخبر او الحبر روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقد ذكرنا قول المحدثين في هذا الخبر ووجوها كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وانا اذكر ما اعتمده وابين فساد ما فيه ثم اذكر الوجه الصحيح قال ابن قتيبة ذهب الاصمعي الى ان من تعلم القرآن من المسلمين لو القي في النار لم تحرقه النار ولكنى الاهاب هو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تاويله هذا الحديث بما روي عن سليم ابو محمد قال سمعت ابا امامة يقول اقرأوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن قال ابن قتيبة وفي الحديث تاويل آخر وهو ان القرآن لو كتب في جلد ثم القي في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة امر النبي عليه السلام اعطى ذلك بعده قال وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من اياته عليه السلام قال ابو محمد قال ابن قتيبة وهو ان الاحراق انما نفي عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في اهاب ثم القي في النار ما احترق القرآن فكان البلاء عن الجلد والمداد ولا يحرق القرآن لان الله عز وجل ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق وقال ابو محمد العسكري الانباري رد اعلى ابن قتيبة ومعترضا عليه اعتبرت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئا صحيحا اما قوله الاول فيرده ما روي عنه عليه السلام من قوله يخرج من النار قوم بعدما يحترقون فيها فيقول هؤلاء الجهنميون طلقاء الله تعالى قال وقد روى ابو سعيد عن النبي عليه السلام انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه منها قال ابو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن والخلاف بين المسلمين ان الخوارج وغيرهم من الملحدين في دين الله يقرأون القرآن وهم من اهل النار بغير شك واحتجاجه بخبر ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن فمعناه قرأ القرآن وعمل به فاما من حفظ الفاظه وضيع حدوده فانه غير داخل في ذلك فاما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما روى هذا الحديث احد انه كان في دلالة عليه السلام ولو اراد ذلك لقال لو كان عليه السلام يجعل القرآن في اهاب ثم يلقيه في النار لم يحترق قال وقول ابن قتيبة الثالث لا يحترق الجلد والمداد لم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصحح هذا القول يوجب ان القرآن غير مكتوب في هذا المحال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على ذلك قوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو وانما يريد المصحف قال ابو بكر والقول عندنا في تاويل هذا الحديث انه اراد لو كان القرآن في جلد ثم القي في النار ما ابطلته لانها وان احرقته فلا تدرسه اذ كان الله تعالى قد ضمنه قلوب الاخيار من عباده والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي عليه السلام فيما روي عنه اني منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم يغسل وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كان في القلوب تغيبه

١

بحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا وهم قد كتموا الله لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما اراد تعالى ولا يكتمون الله حديثا في حقيقة الامر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه قال رحمه الله والوجه الصحيح في تاويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعا وهو ان هذا من كلام النبي عليه السلام على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى انه لو كتب في اهاب والقي في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئا لعظم شأنه وجلالته لم تحرقه ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأساليبهم واشعارهم اعتمدوا على من له ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومعنى الكلام لو انزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع من خشية لامر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم يا معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فانتم اولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومثله قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثله قول الشاعر

اما وجلال الله لو تذكريني كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا فقالت بلى والله ذكرا لو انه يضمنه صم الصفا لتصدعا

ومثله فلو ان ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع لهن هبوب ومثله وتنفث على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه وأسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم لان المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الامور لو كانت ولو كانت مما يتسهل ويتيسر لشيء من الاشياء لتسهلت به زاجلة فاما الجواب الاول المحكي عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائدا على ما رده ابن الانباري انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان النبي قد اغرانا بالذنوب لانه اذا امن حافظ القرآن ومعلمه من دخول النار والعذاب بها كان المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح اسرع غير خائفين وهذا مما لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى في قول ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن قتيبة الثاني فمن ابطله ان ذلك مختص بزمانه عليه السلام وليس في اللفظ ولا غيره دلالة عليه واقوى ما يبطله انه لو كان هذا كما ذكر لكان ذلك لا يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا جميع معجزاته عليه السلام وضبطوها وفي وجداننا من روى ذلك جميعه وعني بجمعه عاريا من هذه الدلالة دلالة على ابطال ما توهمه فاما جواب الثالث

فبطل لان القرآن في الحقيقة ليس هو الجلد ولا يكون فيه متى تعين الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن
في قوله ان الاهاب هو المحترق دون القرآن فائدة لان هذا سبيل كل كلام كتب في اهاب او غيره اذا احترق الاهاب
لم يضف الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه ومن عجيب الامور قول ابن الانباري وهذا يوجب ان القرآن
غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة لم يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ المكتوب هو القرآن ولهذا يتعلق الاحراق
بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو القرآن فاذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اعترف به ابن الانباري
فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان احدا لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه واذا
كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى احدهما دون الآخر وهذا كله يبطل طعن الرجل لان القرآن غير حال في الجلد
على الحقيقة وليست الكتابة غير المكتوب وانما الكتابة امارة للحروف وانما يجوز هذا الكلام على الحقيقة لو وجد
معها الكلام مكتوبا بالحال واما استشهاده على ذلك بالآية وقوله لا تسافروا بالقرآن بيد العدو ونحو ذلك
وليس يجب ان يحمل اطلاق الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات الاحكام والمعاني ومعترضة على ادلة
العقول وقد يتجوز القوم بأكثر من هذا اتفقوا في هذا الكتاب بشعر ليلى الخيبرية وعلم الشافعي وفقه فلان
ولم يقتض ذلك ان يكون العلم والكلام في الحقيقة موجودين في الدفاتر وفي تعيين الكلام في هذا الباب موضع
هي اولى به ثابت جواب ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فلا يطلق ايضا به لانه لا مزية للقرآن فيما ذكره
على كل كلام وشعر في العالم الا انا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا احترق الجلد ثم احرق وغسل
لم يذهب من الصدور بل يكون ثابتا بحاله فاي مزية للقرآن في هذا على غيره واي فضيلة فان قال قائل
وجه المزية للقرآن في هذا على غيره ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن ان يدرس ويبطل باحراق النار والقرآن
اذا كان تعالى هو المتولي لايداعه الصدور ولا يتم ذلك فيه قلنا الكلام سواء لان غير القرآن انما يبطل باحراق
الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا للصدور ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل باحراق الجلد وهكذا
القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحراق ولكنه انما يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن
وثباته كالشرط في بطلان القرآن وثباته فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه
وهنا يتبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو اشبه بمذاهب العرب واولى بتفضيل القرآن وتعظيمه
اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدنا عبد الرحمن بن اخي
الاصمعي عن عمه للحسين بن مطير الاسدي قال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما اتهم منشد

الا حبذا البيت الذي انت هاجره ○ وانت بتلماح من الطرف زائره ○ لانك من بيت لعيني معجب ○ وامل في عيني من البيت عامره ○
اصد حياء ان يلج بي الهوى ○ وفيك المنى لولا عدو احاذره ○ وفيك حبيب النفس لو تستطيعه ○ لمات الهوى والشوق حين تجاوره ○
فان تلم اخ الابطحية وان يأتها غيري تنط بجرائره ○ وكان حبيب النفس للقلب واترا ○ وكيف يحب القلب من هو واتره ○
فان يكن الاعداء احموا كلامها ○ علينا فلن يحمى علينا تناظره ○ احبك يا سلمى على غير ريبة ○ ولا باس في حب تعف سرائره ○
ويا عاذلي لولا نفاسة حبها ○ عليك لما باليت انك خابره ○ بنفسي من لا بد اني هاجره ○ ومن انا في الميسور والعسر ذاكره ○
ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ○ ببغضي الا ما تجن ضمائره ○ احبك حبا ان اعنف بعضه ○ محبا والقى اذا الهم عاذره ○
لقد مات قبلي اول الحب فانقضى ○ ولو مت اضحى الحب قد مات آخره ○ كذلك يا سلمى وان قل نافعي ○ ولا تحسبي اني وان قل حاتره ○
الا لا الى الحي جمعوا اذا سمعا النوم كان محلا صاحره ○ وانشد ابن الاعرابي لابن مطير ايضا
لعمرك للبيت الذي لا نطوره ○ احب الينا من بيوت نطورها ○ فليت الاخوان يخفى عن نسيم ○ ولا يعرف الاخوان الا خبيرها ○
فالصارم الحلال حتى يصارموا ○ وحتى يسيروا سيرة لا يسيرها ○ فانك بعد الشر ما انت واجد ○ خليلا مديما شيمة لا يديرها ○
وانك عن الاخلاء عالم ○ بان الذي يخفى عليك ضميرها ○ فلا تك معزورا بسمعة صاحب ○ من الود لا تدري علام صبرها ○
وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ○ ولكنه خيم الرجال وخيرها ○ وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها ○ فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها ○
وكائن ترى من حال دنيا تغيرت ○ وحال صفا بعد اكدرار غديرها ○ ومن طامع في حاجة لن ينالها ○ ومن يائس منها اتاه بشيرها ○
ومن يتبع ما يعجب النفس لم يزل ○ مطيعا لها في فعل شيء يضيرها ○ فنفسك اكرم عن امور كثيرة ○ فما لك نفس بعدها تستعيرها ○
قال السيد رحمه الله وليح معنى قول ابن مطير وقد تغدر الدنيا والبيت الذي من جملة قصيدة
وكيف انس للدنيا ولست ارى لها ○ امرا قد تعرى من عوارها ○ نصحنا اليها بالامال المحببة ○ كانا ما نرى عقبى ايابها ○
فوحشة الدار من كان يسكنها ○ لا اعتبار لمن قد ظل بالوبها ○ لا تكذبن فما قلبي لها وطنا ○ وقد تابنظ لولا امر يغانيها ○
واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير
لقد كنت جلدا قبل ان يوقد الهوى ○ على كبدي نارا بطيئا خمودها ○ ولو تركنا للهوى لحصرمن ○ ولكن شوقا كل يوم يزيدها ○
وقد كنت ارجو ان تموت صبابتي ○ اذا قدمت ايامها وعهودها ○ فقد جعلت في حبة القلب والحشى ○ عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها ○
بمرتجة الارداف هيف خصورها ○ عذاب ثناياها عجاف قيودها ○ يعيل بها عجاف البنات واصول الاسنان منها قيودها ○
قال ابو العباس يعني عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله ان يكون نصبا لانه حال من البنات ○
مخصرة الاوساط زانت عقودها ○ باحسن مما زينتها عقودها ○ وصفر تراقيها وحمر اكفها ○ وسود نواصيها وبيض خدودها ○

مبتسماً حتى نرى فيه تلألؤ نار نيف الخزامى بان طال جودها • أخذ قوله معصرة الأوساط البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة
وبرد من طيب الطيب طيباً ان تمسه أو ينكر الأنيا • وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا •
وقد روى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات التي ذكرناها للحسين بن مطير وروى أبياتاً ويشبه أن تكون
الجميع من قصيدة واحدة • وكنت إذا ودّ العيون أن ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه أذودها •
خليلي ما بالعيش عتب لو أننا وجدنا لأيام الصبي من يعيدها • وروى أبو تمام أيضاً لعمره وبعض الرواة يرويها
لابن مطير • وفي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد أصيب وليدها •
هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أم الله إن لم يعف عنها معيدها • وأنشد أبو محلم لابن مطير
قضى الله يا أسماء أن لست زائلاً أحبك حتى يغمض العين مغمض • وحبك بلوى غير أن لا يسرني وإن كان بلوى أنني لك مبغض
إذا أنا رضت النفس في حب غيرها أتى حبها من دونها يتعرض • فيا ليتني أقرضت جلداً صبابتي وأقرضني صبراً على الشوق مقرض
ويشبه أن يكون أخذ قوله إذا أنا رضت النفس في حب غيرها من قول جابر بن زرارة • وأعرض حتى يحسب الناس إنما بي الهجر
لا والله ما بي لك الهجر • ولكن أروض النفس أنظر هل لها إذا فارقت يوماً أحبتها صبر • أو من قول نصيب
وإني لأستحيي كثيراً وأتقي عيوناً وأستبقي المودة بالهجر • وأنذر بالهجران نفسي أروضها لأعلم عند الهجر هل لي من صبر
ويشبه أن يكون أخذ قوله فيا ليتني أقرضت جلداً صبابتي البيت من قول بعض العرب
رمى الله البرق اليماني بيتة تحت الحمى وهنا فلا ستهم • فهل من معير طرف عين خلية فإنسان عين العامري كليم •
وللحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد • ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح •
أبى الناس ويب الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح • وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال
من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعار • وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمي قال حدثنا
يموت بن المزرع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشده رجل أبيات دعبل
أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا • لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
يا سلم ما بالشيب منقصة لا سوقة يبقى ولا ملكا • قصر الغواية عن هوى قمر وجد السبيل إليه مشتركا •
يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبي إذا دمي سفكا • لا تأخذا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا •
قال فاستحسنها كل من كان في المجلس وأكثر التعجب من قوله ضحك المشيب برأسه فبكى فقال الأصمعي إنما هذا من قول
ابن مطير الأسدي حيث يقول • أين أهل القباب بالدهنا أين جيران لنا على الأحساء •

جاوروا والأرض ملبسة نور الأقاحي جادها الأنواء • كل يوم عن أقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء • وقد أخذ
مسلم بن الوليد صريع الغواني • مستعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب • قال رحمه الله وللبحتري
نصيب في مثل هذا المعنى وهو قوله • وبكى الغمام به فأصبح روضه جذلان يضحك للجميم ويزهر • ولابن المعتز مثله
الحزن عليه كالحيا دمعة إذا ما بكت أجفانها ضحك الزهر • ولابن دريد مثله • تبسم المزن وانهلت مدامعه
فأضحك الروض دمع الضاحك الباكي • وعاد الشمس نور ظل يلحظها بعين مستعبر بالدمع ضحاك • وروي عن أبي العباس
المبرد أنه قال أخذ ابن مطير قوله تضحك الأرض من بكاء السماء من قول دعبل الراجز • جر البنات ذرداها وزكى •
وضحك المزن بها حتى بكى • مجلس آخر ٠٠ تأويل آية • إن سأل سائل عن قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم الآية إلى آخرها
فقال قد ذكر في هذه الآية وجهان أحدهما يقال للقول أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى فكأنه
قال وما يعلم تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم وأنهم مع علمهم به يقولون آمنا به فموقع قوله يقولون آمنا
به في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذه غاية المدحة لهم لأنهم إذا علموا ذلك
بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد كملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب
إلى هذا بناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله يقولون آمنا به على هذا الحال ولا ابتداء الا
مثل قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول إلى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بتفصيل
وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا
إلى قوله ويحبون وقال في المهاجرين يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وقال في الذين تبوءوا الدار والإيمان وهم الأنصار
يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال فيمن جاء من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا
وهذه الآيات تدل على أنه لا فرق في آية الراسخين في العلم أن يكون قوله تعالى يقولون آمنا حالاً لهم مع العلم بتأويل
المتشابه ويقولوا أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا
لقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وإن الصورتين واحدة ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد
بن مفرغ في عبد له كان يسمى برداً فباعه ثم ندم على بيعه • وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه •
هامة تدعو صدى بين المشقر فاليمامة • الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة • فعطف البرق على الريح •

باسعه بقوله لمع غمامة كأنه قال والبرق أيضاً يبكيه لا معاني غمامة أي سحابة لمعانه ولو لم يكن البرق
معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم
وإثبات العلم بالمتشابه لهم أن يكون قوله يقولون آمنا استئنافاً جملة استغنى فيه عن حرف العطف كما
استغنى في قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما الجملة الثانية فيه التباس بالجملة الأولى مستغنى
به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسناً فيدل الملتبس منزلة غير الملتبس والوجه الثاني
في الآية أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بأنهم يقولون آمنا
به ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأوَّل لأنه قد يسمى تأويلاً قال الله تعالى هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي
تأويله والمراد بذلك لا محالة المتأول وقد يكون المتأول الذي لا يعلمه العلماء وإن كان الله تعالى عالماً به كنحو وقت قيام الساعة
ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتمييز الصغائر إلى غير ذلك كأنه قال وما يعلم تأويله جميعه على المعنى
الذي ذكرناه إلا الله والعلماء يقولون آمنا به وقد اختار أبو علي هذا الوجه وقوّاه وضعّف الأول وقال لو كان الراسخون
في العلم يعلمونه كان عند [illegible] لأجل استسلامهم لأنهم لا يعرفون شيئاً من المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم كان ما ذكره
من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن إذا كان داخلاً في جملة والراسخون في العلم
لا يعلمون ذلك وليس الذي ذكره بشيء لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم المتشابه آمنا به على الوجه الذي قدمنا
ذكره فكيف يظن أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم وما المنكر أن يظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويتحققه
فأما قوله ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن بذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حملت هذه اللفظة على المتأول لا على
الفائدة والمعنى فأما إذا ما حملت على أنه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته إلا الله فلا بد من دخول العلماء فيه
والذي يمكنه أن يقول إن حمل التأويل على المتأول أظهر من حمله على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك
بل حمله على المعنى أظهر وأكثر في الاستعمال وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل إن الجواب الأول أقوى من الثاني لكان
أولى من قوله من حيث أنه لو كان المراد بالتأويل المتأول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك وجه
معنى لأن في متأول المحكم كالإخبار عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكماً ما لا يعرف
بتفصيله ولا إلا الله فأي معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضي توجهه نحو المتشابه ألا ترى إلى
قوله فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فخص المتشابه
بالذكر والأولى أيضاً أن يكون المراد بلفظة التأويل ثانياً هو المراد بلفظة تأويله أولاً وقد علمنا

أن الذين في قلوبهم زيغ إنما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الذي هو متأوله فالوجه
الأول أقوى وأرجح ويمكن في الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه وهو أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً
غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله وهذا صحيح لأن أكثر
المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة الحق فيذكر المتأول جميعها ولا يقطع
على مراد الله تعالى منها بعينه لأن الذي يلزم في مثل ذلك أن نعلم في الجملة أنه لم يرد من المعنى ما يخالف الأدلة
وأنه قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا أن نعلم المراد بعينه
وهذا مثل الضلال والهدى الذي يتبين احتماله الوجوه الكثيرة منها ما يخالف الحق فيقطع على أنه تعالى لم يرده
ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم في الجملة أنه المراد بها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآي المتشابه
فإن أكثرها يحتمل وجوهاً وأقلها مما يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون
في العلم يقولون آمنا به إن ورد مدحاً لهم بما يعلمونه مفصلاً ومجملاً من المحكم والمتشابه وإن الكلام عند زيادة هذا أيضاً
وجه واضح أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن [illegible] قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حية النميري وهي
أبيات يختاره: وخبّرك الواشون أن لا أحبكم * بلى وستور الله ذات المحارم * أصدّ وما الصد الذي تعرفينه
عزاء بنا إلا اجتراع العلاقم * حياء وبقيا أن تشيع نميمة * بنا وبكم أفّ لأهل النمائم * وإن دماً لو تعلمين جنيته على الحي
جاني مثله غير سالم * أما إنه لو كان غيرك أرقلت * صعاد القنا بالراعفات اللهاذم * ولكنه والله ما طلّ مسلماً
كبيض الثنايا واضحات الملاغم * قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض ومعنى قوله
ما طلّ مسلماً أي ما أبطل دمه * إذا هن ساقطن الحديث حسبته * سقوط حصى المرجان من سلك ناظم *
ويروى ساقطن الأحاديث للفتى ويروى ساقطن الحديث كأنه * قال السيد رحمه الله ومن مستحسن ما مضى في
هذه القصيدة قوله: رمين فأقصدن القلوب ولا ترى * دماً مائراً إلا جوى في الحيازم *
كأن [illegible] العيون وأقتل * [illegible] أبصار الصحاح السقائم * ولم أر مثل الحب [illegible] الذي [illegible] *
إذا اللهو يطبيني إذا أستميله * بحلو لك العود [illegible] المقادم * وإذا ما [illegible] حلّ الأبطلات التمائم *
وروى أن خمس معقود ومعنى خلاف الأبطلات أي خلاف في البطالات * [illegible] سلف عصراً على هلك
ما التقته غير نادم * أرى [illegible] وإن غلا اللوم لم أحفل بلومة لائم * [illegible]
الحب يومي الذي هو [illegible] عند أهل العقل والرأي وأنشدنا أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن [illegible] الرمادي لأبي حية

وقال اسمعه هبيرة بن الربيع ترحل الشباب الشيب عنا فليت الشيب كان به الرحيل ۝ وقد كان الشبيب لنا خليلا ۝
فقد قضى ما ربه الخليل ۝ لعمرى الشباب لقد تولى حميدا فما لنا منه بدل ۝ اذا الايام مقبلة علينا وظل الايكة الدنيا ظليل ۝
وانشد المبرد قال انشدنا ابو عثمن المازني لابي حية ۝ زمان الصبي ليت ايامنا رجعن لنا الصالحات القصارا ۝
زمان علي غراب غداف فطيره الدهر عني فطارا ۝ فلا يسعد الله ذاك الغراب وان هو لم يبق الا ادكارا ۝
كأن الشباب ولذاته وريق الصبي كان ثوبا معارا ۝ وهادنه ان الحي تلفع شيب بها فاستنارا ۝
وتلك … بعد الحطام عذارا فما استطيع اعتذارا ۝ اجارتنا ان ريب الزمان قبلي نال الرجال الخيارا ۝
فاما ترى لمتي هكذى فاسرعت منها الشيبي القفارا ۝ فقد ارتدي وجمة طلة وقد ابرد القنا الجعادا ۝
اما قوله وكان علي غراب غداف فطارا اراد به الشباب والشعر الاسود وبشبه ان يكون ماخوذا من قول الاعشى
وما طلابك شيئا لست مدركه ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا ولابي حية من قصيدة اولها الا اسلمي اطلال اخنسا
واخنسا … الى الروح … المتجشم ۝ الا اسلمي … ان ترى النوى … العواد المتيم ۝
… نقل من ابيات … صحيحا ان تقلبه فالمسر
… وهذا المعنى ماخوذ من قول النابغة
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد ولقوله … اخبره … اخبرنا ابو الحسن
علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن يحيى … قال اتصل بعبد الله بن سليمان
وهب امر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لابي الحسن القاسم ابنه … شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسن
اراني ابن رومبك هذا … يوما عبد الله الى ابي الحسين … فاستنشده من شعره فانشده
وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلا فقال لابي الحسن بيني وبينه ان لسانه اطول من عقله … صورته
لا تؤمن عقاربه عند او عتب … فاخرجه عنك فقال … اخاف … ساكلمه في ذلك
وادعه في … فقال … طرده فاستعمل فيه قول ابي حية النميري
… صحيحا ان تقلبه … ۝ فحدثنا القاسم … وكان اعلى الناس بالرومي
وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير اعزه الله … حتى تستريح منه … فلست
في الخشكنانج … قال … والناس يقولون … ابن فراس وانما قتله عبيد الله وذكر محمد بن يزيد المبرد
قال ما يسهل … من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول ابي حية

ومر … ومنها عشية ارام الكناس رميم ۝ الا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم ۝
قال السيد رحمه الله ومما روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد ومن … ابيات … محاسنها
ولو كنت شابا … كما … ولكن … عهدي بالنبل وهذا الكلام واضح
الاستعانة فهو ان يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح وزنا او … ومما … قول ابي حية … اصابه
الا حي اطلال الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
ويقال ان احسن ما وصف به المسواك قول ابي حية لقد طال يا عتبة … ما عللت شيطان الهوى المشوق ۝
وكأن … القلب … بالحظ لو يبذله المشفق ۝ وسابتني … المتريق ۝
وخصانه … كنور الاقاحي طيب المذوق ۝ … لعل تسوق واحد … المرمق
اذا مضغت بعدما ساع من الضحى … عود الاراك المخلق ۝ سقت … المسواك … طعم المدام
الامتناع … النهار … والمخلق الذي علق … والطيب … قال الاصمعي … الملمس
والقضيب … العمامة … والخرطوم سلاف الخمر … من غير عصر ولا ادري
وان … سقط الذي … الضخمة والرداح العظيمة
… الطل بعد … الطل العض الطري …
… قال الحسن علي بن … وقد ذكر قول ابي حية
نظرت كاني من … الى الدار … ۝ نظر … الخزان ناصر
فقال لو اعترضني … ملك … طاعته ولزم الانقياد لامره قال ابي شعر … ان يستحسن ولم يصح لي ان
امر المدح من … المحاسن … واصناف الشعر ومذاهب الشعراء … السبب
ويقال ان ابا احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اجاز بيتي ابي حية … بقوله فلا يعلق … المحل
ولا دمعتي … ولابي حية … كانما … الدموع ۝
لبان الهلال … ۝ واذ نحن … الدهر ذنوب ۝ ولابي حية
اصد … البيت … الجنيب ۝ … اعز واقرب ۝
وقطع اسباب المودة … احسن القول … عمرو … عقرب ۝
… حدثني … اطيب ۝

لو انك تستشفي به بعد سكرة من الموت كادت سكرة الموت تذهب وقلت لها لما ... الى السراج ... بن ثابت
قال محمد بن يحيى الصولي ولا احسبه في قوله لو انك تستشفي به بعد سكرة الا من قول ابو نواس في الخمر
ولو ان ليلى الاخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفائح لسلمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدى من جانب القبر صائح
قال رحمه الله وما اراه سبق الى هذا المعنى باحسن من الاعشى في قوله عهدي بها في الحي قد دُرِّعت صفراء مثل المهرة الضامر
لو اسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر ومعنى الناشر المنشور
يقال نشر الله الميت فنشر وهو ناشر يعني منشور مثل ماء دافق يعني مدفوق وقال بعض اصحاب المعاني ان الجارية
التي وصفها ايضا ميتة يعني انها ستموت كما قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون اي ستموتون فيكون المعنى ان
الناس عجبوا ان يكون من يموت ينشر الموتى ومن قال هذا جاز نشر الله بمعنى انشر الله والقول الاول اظهر وما
يظن الاعشى عني غيره مجلس اخر تأويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فقال لم خص اليوم بالقول وانما اراد العفو عنهم في
جميع الاوقات الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اربعة اولها انه لما كان هذا الوقت الذي اشار اليه هو اول
اوقاته التي كشف فيها نفسه لهم واطلعهم على ما كان ستره عنهم من امره اشار الى الوقت الذي لو اراد الانتقام
لابتداه منه والذي يرى عقابهم لو رجح الانتقام وثانيها ان يوسف لما قدم توبيخهم وعددهم قبح ما فعلوه
وعظيم ما ارتكبوه ومع ذلك ستر عنهم نفسه ولا افصح لهم بحاله قال لهم عند تبين امرهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
اي انقطع عنكم توبيخي ومضى عذلي لا ... عند اعترافكم بالذنب وكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاتبة والتوبيخ
على ان الحالة المتصلة باليوم تجري مجراه في زوال الغضب وتمام العفو وسقوط المؤاخذة لهم على ما سلف منهم
وثالثها ان يكون ذكر اليوم المراد به النهار ولكن يوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والايام
والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره وقد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم قد وقفت لتركها وسعيت بها وفي
هذا الزمان اليوم ... واحد بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن ... العلم فاليوم ... ولا ... عن ...
ويريد اليوم باقي الزمان كله قال امرؤ القيس حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل ولم يقصد يوما بعينه ومثله اليوم ... كان ...
واليوم تتبع من كانوا لنا تبعا وقال لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
كل ذلك لا يراد بذكر اليوم او الغداة الا جميع الاوقات المستقبلة ورابعها ان يكون المراد لا تثريب عليكم البتة

ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران فكان المعنى غفر الله لكم اليوم وقد ضعف قوم هذا الجواب
من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله فاما معنى التثريب فان ابا عبيدة قال معناه لا تشعيب ولا معاتبة ولا افساد
قال الشاعر فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد وقال ابو العباس ثعلب
قال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه وقال بعضهم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف
فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى ابعد غاياتهما تأويل خبر روى ابو عبيد القاسم
بن سلام عن حجاج عن حماد عن هشام بن حسان عن حسن عن ابن سيرين عن ابي هريرة ان النبي عليه السلام
نهى عن كسب الزمارة وقال ابو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية قال وهذا مثل حديثه الاخر انه نهى عن كسب
البغي قال ابو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء قال وقول الحجاج اثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون
اماءهم على البغاء قال الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
قال فالعرض هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه عنه قال ابو عبيد ولا اعلم من اخذ الرمازة الا انه وجدتها
مفسرة في الحديث قال ابن قتيبة الامر على ما ذكر ابو عبيد الا انه انكر على من زعم انها الرمازة لان الرمازة هي
الفاجرة لانها ترمز اي تومي بعينها وحاجبها وشفتيها قال الفراء واكثر الرمز بالشفتين ومنه قوله تعالى
الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا قال والرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار اسما لها وكالاسم ولذلك قيل
لها ملوك لانها تنال على الفراش او على الرجل ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء وانها اللكاع على زوجها
وقيل لها خريع لتثنيها وتكسرها ثم صار ذلك اسما لها دون غيرها من النساء وان الانثى تثنث وكذلك قولهم
للبعير اعلم للمشقوق مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب ازل ادسع ثم صار كالاسم له
والمرسه لا تكاد يعلق الكلام وانما تومض او ترمز او تصغر قال الشاعر رمزت الي مخافة من بعلها
من غير ان يبدو هناك كلامها وقال الاخطل احاديث سداها ابن حدراء فرقد ورمازة مالت لمن يستميلها
وقال الراجز يومين بالاعين والحواجب ايماض برق في غماء ناضب والغماء السحاب والناضب البعيد
وقال بعضهم انما قيل للفاجرة قحبة من القحاب وهو السعال واحسبه انه اراد بها انها تتنحنح او تسعل
ترمز بذلك قال وبلغني عن المفضل انه كان يقول في قول الناس لحق من صار الرجل صعفر للفاجرة قال
ان كل شيء قال الاصمعي انه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح
ابن قتيبة ولا ارى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الاسدي

ارجو الكرا ان تكونوا في لحافكم كلبا كويها على كل صفار لما اتت صعدا ان اهلها فالسن شيطا اليورها بالنار
وهذه امراة تصفر لها رجل بمحسة فتمتثل زوجها به وصفر لها فانته فشبطها بميسم فلما اعاد الصفر
قالت قد علمنا كل صفار بردا انا قد عقفنا واطرحنا كل فاجر وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانبارى الاختيار
عندى الزمارة معجمة الزاء على ما قال ابو عبيد يحتج بان احدا من اجماع اهل الحديث على الزمارة والحجة
الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تخسيس نفسها وكلاهما والزمر عند العرب الحسن قال عمرو
ابن احمر الباهلي يصف غزالا وغنما دنا رجا بينما رجل الحسن غناء وزمر قال الاصمعي معناه غناه
حسن من مزامير داود والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمارة لما تشيها وقلة ماليها من الجرم فوق العرا
نعجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروة اذا كان قليلها قال ابن الاحمر
مطلنفيا لون الحصى لونه يحجر عنه الدر ريش زمر المطلنفي اللاصق بالارض والدرا النمل والزمر القليل
فسمى البغي زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشانها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر
الرجل اذا مال قال لبيد فان يتقدم تغش منها مقدما غليظا وان اخرت فالكفل فاجر اى مائل والكفل
كساء يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق قال السيد رحمه الله ولا ارى لاحد الروايتين رجحانا على الاخرى
لان كل واحد منهما قد اتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة وتاويل يرجع الى معنى ولهذا
لان الزمارة بالراء غير المعجمة يرجع معناها الى ما ذكره ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاء المعجمة يرجع
في معناها الى ذلك ايضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانبارى فالاولى ان يكونا متساويين ويكون الراوى مخيرا
بينهما اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال انشدني محمد بن احمد الكاتب قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا
ابن الاعرابي لمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن ابي سلمى ومازال يرجوا نفع سلمى ويودها وتبعد حتى ابيض منه المسائح
وحتى قال الشخص زاد مثله الله وحتى نصف راسي واضح علا حاجبي الشيب حتى كانه ظبا جرت منها سنيح وبارح
وهزة اظعان عليهن بهجة طلبت وريعان الصبى بي جامح فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح وشدت على حدب المهارى رحالها ولا ينظر الغادى
الذى هو رائح نقلنا على الحوم المراسيل وارتمت بهن الصحارى والصفاح الصحاصح وانشد ابن
الاعرابي قصدت يعني شادن وتبسمت عما عن غر لهن غروب جرى الاسحل الاحوى عليهن اوجرى
عليهن من فرع الاراك قضيب اخبرنا ابو الحسن على بن محمد الكاتب قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا

عمر بن الحسن اللغوي قال حدثنا ابو حاتم قال سمعت الاصمعي يقول سمعت الرشيد يقول نظر العاشق علية مع معشوقه
فقلت له هذا والله يا امير المؤمنين احسن من قول عروة بن حزام العذرى لعفرا
واني لتعروني لذكراك رعدة لها بين جلدي والعظام دبيب ◦ وما هو الا ان اراها فجاءة فابهت حتى ما اكاد اجيب ◦
واصرف عن راي الذي كنت ارى ويعزب عني علمه ويغيب ◦ ويضمر قلبي عذرها ويعينها علي فما لى في الفؤاد نصيب ◦
فقال الرشيد من قال هذا وهما لي اقوله علما والله دون الاصمعي فاني اجد عندك ما يتصل عنه العلماء قال اخذه العباس
ابن الاحنف فقال تهيم عن الجزيرة قلبه ويهاع الساحر الطرف فاترة ◦ يوازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي عليه يوازره ◦
واشار اليه ايضا في قوله تلبي المتاضم وله لم يزل الجاني واوجاعي ◦ كيف احتراسي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي
واخذه سهل بن هارون الكاتب ◦ اعان طرفي على جسمي واعضاي بنظره ووقفت جسمي على داي ◦ وكنت غرا بما تجني على يدي
لا علم ان بعضي بعض اعداى والبحترى ولست الحبين عصيان قلبك لحبه اذا كان قلبي بك يعصيني ◦ وروى ابو علي
الضبي عن مسعود بن بشر المازنى قال قال لنا الاصمعي يوما ما احسن ما قيل في صفة امراة بجر لحيتها فانشد قول الاعشى
صفر الوشاح وملء الدرع بهكنة اذا تاتت يكاد الخصر ينخزل ◦ وانشد قول علقمة بن عبدة
صفر الوشاح وملء الدرع خرعبة كانها رشا في البيت ملزوم ◦ وانشد قول الراعي ترى حلها اصفا الله ونومة
ونصفا نقا يرتج او يتمرمر ◦ فقال الحسن ما قيل فيه قول ذي الرمة السعدى ادما وفيع كادرجا وهما يقوى وتشبع ما
اجن ازارها قال عكرمه ومثله قول الحرث بن خالد المخزومي عراض خط وتشاحبا فلو نادى من زاد انها المرط ◦
واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا ابو العيناء قال حدثني الاصمعي قال مات محمد بن سليمن الهاشمي ودخلت على
جعفر بن سليمن وقد حزن عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلثا فانشدته لابن اراكة الثقفي
لعمري لئن اتبعت عينيك ما مضى به الدهر او ساق الحمام الى القبر ◦ لتستنفدن ماء الشئون باسره ولو كنت تمريهن من ثبج البحر ◦
فقلت لعبد الله اذهب يا كبار تجري وما العين منهم بجرى ◦ تبين فان كان البكا رد هالكا على احد فاجهد بكاك على عمرو ◦
ولا تبك ميتا بعد ميت احبه علي وعباس وآل ابي بكر ◦ قال فامر بحي الطعام من ساعته فاكل قوله الخرا بالكاربع صوته بالبكا
قال النوم الحنين بالخا المعجمة من الانف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس
قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت التوزي يقول دخل نامع الاصمعي الى اسمعيل بن جعفر للطلب في حاجة فانشده الاصمعي ابياتا
◦ اتيناك نرجي حاجة وتوسلا اليك وقد تخطى لذلك الوسائل ◦ وقد لرورا اعده الله بيننا على الدهر لم تدب اليه الغوائل ◦
فانتم بما كانا داره الى نلاح ولا الدين فيك الرجاء القوائل ◦ ولا رجعت ذا حاجة عنك علة ولا عاق خيرا عاجلا لك آجل ◦

ولا لام مال العاذل الوجه نفسه ° ولا الخيل من الجود مثل المباخل ° لم يرد على هذه الأبيات فقضى حاجته وأجاز مسلمه

قال رحمه الله ويشبه أن يكون عمرو أخذ قوله ولا كريب يكل الرجا القول البيت من قول الحزين الكناني في زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام

لما الردى بالحمام إذا انثنى يصول لأطراف القنا الذوابل ° يبيت له أعداؤه إن سنانه بطيل حنين الإيمان الثواكل °

تبين فيه مبسم العز والتقى وتلمع بيض [illegible] القوافل ° وأخبرنا علي بن محمد بن الحسن [illegible] قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي

قال قال لي الرشيد يوما يا أصمعي أتعرف للعرب اعتذارا أوله مدح مثل النابغة [illegible] فقلت ما أعرف لك إلا قول بشر

أبي خازم الأسدي فإنه هجا أوس بن حارثة بن لأم فأسره بعد ذلك وأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذات رأي والله لا يمحو

الهجاء إلا المدحة أبدا فعفا عنه فقال بشر إني على ما كان مني لنادم ° وإني إلى أوس بن لأم لتائب °

وإني إلى أوس ليقبل عذرتي ويعفو عني ما حييت لراغب ° فهب لي ذنوبي بالحياة [illegible] فيما [illegible] واهب °

فقال الرشيد أرويتني لتحسن [illegible] فيها وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال

سمعت شيئين أحفل بهما [illegible] على حال [illegible] موضعهما من الكتاب فلما كان عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر

[illegible] إلى مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء فقال عيسى هذا بيت الحزن ما عنيتم لذلك الرشيد

وأقبل على عيسى فقال والله لتعطين الأصمعي سلفا على بيت مال السرور ألف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي جاء

موضع البيتين فأنشدت إذا شئت أن تلقى أخاك معبسا ° وجداه في الماضين كعب وحاتم

فكشفه عما في يديه فإنما ° تكشف أخلاق الرجال الدراهم فتجلى عن الرشيد وقال يا مسرور أعط على بيت مال السرور

ألف دينار فأخذت بالبيتين ألفي دينار وكانا عندي درهمين [illegible]

إن سأل سائل عن قوله تعالى خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون الجواب قد ذكر في هذه الآية

وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها فأولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة

العجلة وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور لهج بتقديم ما يجر إليه نفعا أو يدفع عنه ضررا ولهم عادة في

استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت إلا من نوم وما خلق فلان إلا من شر

إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما أنت إلا أكل وشرب قال الشاعر يصف بقرة

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ° فإنما هي إقبال وإدبار ° وإنما أراد ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر وكان الإنسان عجولا ويطابقه أيضا قوله فلا تستعجلون لأنه وصفهم

بكثرة العجلة وأن من شأنهم فعلها ثم نهاهم عن الاستعجال واستدعاء الآيات من حيث كانوا

متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادرين على التثبت والتأني وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب

بن المستنير وغيرهما أن في الكلام قلبا والمعنى خلق العجل من الإنسان واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى وقد

بلغني الكبر أي بلغت الكبر وبقوله ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى أن العصبة تنوء بها وبقول العرب عرضت

الناقة على الحوض وإنما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم إذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء ويريدون

استوى الحرباء على العود وبقول الأعشى لمحقوقة أن تستجيبي لصوته ° وأن تعلمي أن المعان موفق °

يريد أن الموفق معان وبقول الآخر على العباد أن هند الجوزاء قد بلغت ° نجران أو بلغت سوآتهم هجر °

والمعنى أن السوآت هي التي بلغت هجر وبقول خداش بن زهير وتركب خيل لا هوادة بينها ° وتشقى الرماح °

بالضياطرة الحمر يريد وتشقى الضياطرة بالرماح ° وبقول الآخر تمشي به عوذ النعاج كأنها ° عذارى ملوك

في بياض ثياب ° يريد في ثياب بياض وبقول الآخر حسرت كفي عن السربال آخذه ° فردا [illegible] على أيدي المفيدينا °

يريد حسرت السربال عن كفي وبقول ابن أحمر وجر [illegible] طار طلها نسيلا ° وأحدث [illegible] شعرا [illegible] °

أراد طار نسيلها أطلا وبقول الآخر وتشورة [illegible] إذا ما [illegible] النسا °

أراد ونسيهم في أكنافهن وبقول الآخر وهن من الإخلاف والولعان ° أي الإخلاف والولعان منهن ويبقى على

صاحب هذا الجواب مع [illegible] عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى وما الفائدة في قوله تعالى

خلق العجل من الإنسان [illegible] الله تعالى خلق في الإنسان العجلة ولهذا لا يجوز لأن العجلة فعل من أفعال

الإنسان فكيف يكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز أن ينهاهم عن الاستعجال في الآية بقوله سأريكم

آياتي فلا تستعجلون لأنه لا ينهاهم عما خلقه فيهم فإن قالوا إنه لم يرد أنه تعالى خلقها لكنه أراد كثرة فعل

الإنسان لها وأنه لا يزال يستعملها قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه فلا حاجة إلى التقديم والتأخير

وإذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة إليه وقد ذكر أبو القسم البلخي هذا

الجواب في تفسيره وقواه وسأل نفسه عليه فقال كيف جاز أن يقول فلا تستعجلون وهو خالق العجلة فيهم

وأجاب بأنه أعطاهم قدرة على مغالبة الطباع [illegible] وكفها وقد يكون الإنسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك

مأمور بالتثبت كما [illegible] على أن يجانب العجلة ولذلك الخلقة في البشر شهوة في النكاح وأمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع

منه وهذا الذي ذكره البلخي يصرح بأن المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي إليه والشهوة المتناولة له ويجب

أيضا أن يكون المراد هاهنا في لأن شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان وإنما تكون فيه وهذا يجوز على

تجوز وتوسع على توسع لان القلب اولا مجاز ثم هو من بعد المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز اخر وانما منه
من مقام ولذلك على انه تعالى اذا نهاهم عن العجلة بقوله فلا تستعجلون اي معنى التقدم قوله انه خلقهم من العجلة
منهم او الطبع الذي اللهاء على ما عبر به التجوز وهذا الى ان يكون عند الفهم اقرب منه الى ان يكون حجة عليهم والبشر
لا حوال ان لا يلومون عبدا او لا يحتجا نا لا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الاول احسن تقدم ذلك على طريق الذم
والتوبيخ والتقريع بغير اضافة له اليه تعالى والجواب الاول اوضح واصح وثالثها جواب روي عن الحسن
يعني بقوله من عجل اي ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا الجواب كان في اللغة شاهد على ان العجل
يكون عبارة عن الضعيف او معناه ورابعها ما يحكى عن الحسن الاخفش الجواب به وهو ان يكون المراد ان الانسان
خلق من تعجيل من الامر لانه تعالى قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان قيل فما وجه الجواب
قوله من بعده فلا تستعجلون قلنا يمكن ان يكون وجه المطابقة لهم لما استعجلوا بالايات واستبطوها اعلمهم
الله انه من لا يعجزه شيء اذا اراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤونه بان قال له كن فكان
مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما
استعجلوه من الايات وخامسها ما اجاب به بعضهم من ان العجل الطين فكانه تعالى قال خلق الانسان من
طين كما قال في موضع اخر وبدأ خلق الانسان من طين واستشهد بقول الشاعر
والنبع ينبع بين الصخر ضاحية والنخل ينبت بين الماء والعجل ٥ ووجدنا قوما يطعنون في هذا الجواب
ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحمأة ولم يستشهد
عليه الا ان البيت الذي انشدناه يمكن ان يكون شاهدا له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف في بعض الفاظه
فرواه ٥ والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل واذا صح هذا الجواب فوجه
المطابقة بين ذلك وبين قوله فلا تستعجلون على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من
الطين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الايات او يكون المعنى انه لا عجب لمن خلق من الطين المهين وكان اصله
هذا الاصل الحقير الضعيف ان يهزأ برسل الله واياته وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الاية واذا راك الذين
كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون وسادسها ان يكون المراد بالانسان
آدم عليه السلام ومعنى من عجل اي في سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره ٥
وانما ابتداه الله تعالى ابتداء وانشاه انشاء فكانه تعالى نبه بذلك على الاية العجيبة في خلقه له وانه تعالى

من عباده من اياته وبيناته اولا اولا ما يقتضيه مصالحهم ويستدعيه احوالهم وسابعها ما روي عن مجاهد
وغيره ان الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء اخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس وروي ان
آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح بلغت اعلى جسده ولم يبلغ اسافله قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس
ما روي عن ابن عباس والسدي ان آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح في اكثر جسده وثب عجلا مبادرا الى ثمار الجنة فقال
قوم ... فهذا المعنى خلق الانسان من عجل وهذه الاجوبة الثلاثة المتأخرة مبنية على ان المراد بالانسان
فيها آدم عليه السلام دون غيره قال رحمه الله واني لاستحسن لمسكين الدارمي قوله

ورب امور قد برت لحاها وتوشر ... اصلاحها ثم رعيتها ٥ اقيم بدار الحزم ما لم اهن بها فان خفت من دار هوانا تركتها ٥
واصلح جل المال حتى تخالني شحيحا وان اخرج على اهينها ٥ ولست بولاج البيوت لفاقة ولكن اذا استغنيت عنها ولجتها ٥
ايبتغي الا تلاج في الحي ما ... ضرا ولاج وهم يقطعونها ٥ الا ايها الجاري ... تعرض ... ٥
تعارض فخر الفاخرين بعصبة ولو ضيعت لي في اباء اكلتها ٥ وان لنا ربعية المجد كلها توارثها اباء كرام ورثتها ٥
اذا يوم قصرت ايدي الرجال عن العلى مددت يدي باعا عليها فنلتها ٥ وداع دعاني للعلى فاجبته ودعوة باغي الصدق خذلتها ٥
وكلمة كانت علانية والذي يطلبها والذي يعلنها وعوراء من قيل امرئ ذي قرابة تصاممت عنها بعدما قد سمعتها ٥
رجاء ان يعطف الرحم بيننا وظلمة ... يجني على ... اذا ما امور الناس ... ضيعت وجدت امورى كلها قد رممتها ٥
واني بحمد الله لم ادع حرمة ولم ... يوم ... ولا نادق نفسي ونفسي مرتجة وكيف اعتذاري بعدما قد ذممتها ٥
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو ذر القراطيسي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن ابي سعد قال حدثني عبد الرحمن بن صالح
الازدي ان رجلا من الانصار حدثه قال قال مسكين الدارمي ولست اذا ما سرني الدهر ضاحكا ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر ٥
ولا جاعلا عرضي لمالي وقاية ولكن اقي عرضي بمحرزة وفري ٥ اعف لدى عسري وابدي تجملا ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر ٥
واني لاستحيي اذا كنت معسرا صديقي واخواني بان يعلموا فقري ٥ واقطع اخواني وما حال عهدهم حياء واعراضا وما بي من كبر ٥
ولكن ... ولا يدري ٥ ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ومن يحيى لا يعدم بلاء من الدهر ٥
ومسكين لقب لقوله ان ادع مسكينا فما قصرت قدري بيوت الحي والجدر ٥ قيل ان مسكينا اسمه وان اسمه
ربيعة وانما سمي بذلك لقوله وسميت مسكينا وكانت لجاجة واني لمسكين الى الله راغب ومعنى قصرت ...
اي ... انما بارزة لا تحجبها الستائر والحيطان ٥ ... العنكبوت ولا جدار له ...
هذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لان العنكبوت انما تنسج على ما لا تناله الايدي ولا يلم به استعماله

ذكر الهرمان جحدريه وهي ناظرة نية الرحل ٭ ولا اخذ الصبيان التهو والامر قد يعزى به الامر ٭
يقول الا ابدل الصبيان وانما اريد التعرض بامهم ومثله لعمره ولا التي ليلى الوداع تسوط لعانه وربته اريد
وانشد ابن الاعرابي اذا ابنت صبي القوم يلمه فخم المناكب لا عم ولا خال فاحفظ صبيك منه ان يدنسه
ولا يغرنك يوما قلة المال رجع الى تمام القصيده ولرب امر قد تركت وما بي من لقائه ستر ٭
ومخاصم قاومت في كبد مثل الدهان فكان لي العذر ٭ ما علتي يومي بنو عدس وهم الملوك وخالي البشر ٭
عمي زرارة مصر مسعل واي الذي حدثته عمر ٭ في المجد غرتنا مبينة للناظرين كانها البدر ٭
لا يرهب الجيران غدرتنا حتى يواري ذكرنا القبر ٭ لسنا كاقوام اذا اللحمت احدى السنين فجارهم تمر ٭
مولاهم لحم على وضم تنتابه العقبان والنسر ٭ ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدر ٭
قال كانت له امراة تماضه فلما كان ذلك قال له لحل ايما نار كوناره واحدة لامه او بيدو لم يوقد القدر من اليه
سلكه لانه طبخ ولم تطبخ وان تستطعه ٭ ما ضر جاري ان لا يجاوره ان لا يكون لبيته ستر ٭ وقال ايضا
قالت لي له وهذا البيت ايضا اجل لو كان له ستر هتكته ٭ اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر ٭
ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر ٭ وانشد عمر بن شبه لمسكين ايضا لا تجعلني كاقوام علمتهم
لم يعطوا البيه من ولد وحبا ٭ اني لاعلمهم باللحم قد علموا انا وارخصهم باللحم اذ نضجا ٭
الا ترى انني جوع القوم قد علموا اذا السماء كسبت اكنافها رهجا ٭ يا رب امر تقي فرجت بينهما اذا هما اشتبا في الصدر وا علجا
ادم خلق الرزاق خليفته وارح الحلو لحيا الرمن جا ٭ وانطع الحزن الحزن الاهبه اذا الكواكب في الدجى سرحا ٭
ما ان الله من هم تاركهما استعمل الي من بعده فرجا ٭ ما لي قوم بايديهم الى الشر والاداء نابنا ما فوقهم درجا ٭
وانشد ابو العباس ثعلب اما حل ضيفي قبل ان الرحله والخصب عندي والمكان جديب ٭
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب وروى ثعلب لحاتم الحلف الضيف والبيت بيته
ولم يلهني عنه غزال مقنع لحدثه ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجع ومعنى احدثه ان الحديث
من القرى اي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا اعرض لمحادثته فاكون قد بخست قراي والحديث
الحسن من تمام القرى قال الاصمعي لحسن ما قيل في الغيرة قول المسكين الدارمي الا ايها الغار المستنبط
علام تغار اذا لم تغر ٭ فما خير عرس اذا خفتها وما خير بيت اذا لم يزر ٭ تغار على الناس ان ينظروا وهل يفتن الصالحات
النظر فاني ساخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها او تذر ٭ اذا الله لم يعطني ودها فلن يعطي الود سوط ثمر ٭

الغيرة

ومن ذا بوالحي له عرسه اذا ضمه والمطي السفر قال رحمه الله وكان مسكين كثير اللهج القول في هذا المعنى
من ذلك قوله واني امرؤ لا الف البيت قاعدا الى جنب عرسي لا افرطها سترا ٭ ولا مقسم لا ابرح الدهر بيتها لاجعله
قبل الممات لها قبرا ٭ اذا هي لم تحصن امام فنائها فليس ينجيها بنائي لها قصرا ٭ ولا حامل ظني ولا قول قائل على غيره
حتى احيط بها خبرا ٭ فهبني امرا راعيت ما دمت شاهدا فكيف اذا ما سرت من بيتها شهرا ٭ وانشد ابو العباس
عن ابي العاليه لمسكين الدارمي ما احسن الغيرة في حينها واقبح الغيرة في غير حين ٭
من لم يزل متهما عرسه مناصبا فيها لرجم الظنون يوشك ان يغريها بالذي يخاف ان ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمها منك الى خلق كريم ودين لا يظهرن منك على عورة فيتبع المقرون حبل القرين
مجلس الخمسون وسال ان سال سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم بها
لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقال هل يسوغ ما تاوله
بعضهم هذه الاية عليه ان يوسف عليه السلام عزم على المعصية واراد ها وانه جلس مجلس الرجل من المراة
ثم انصرف عن ذلك بان راى صورة ابيه يعقوب عاضا على اصبعه متوعدا له على مواقعة المعصية او بان
نودي بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث الجواب قلنا اذا ثبت بادلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال
والمجاز ووجوه التاويلات ان المعاصي لا تجوز على الانبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب
او سنة الى ما يطابق الادله ويوافقها كما يفعل ذلك فيما ورد ظاهره يخالف ما يدل عليه العقول من صفاته تعالى
وما يجوز عليه ولا يجوز ولهذه الاية وجوه من التاويل كل واحد منها يقتضي نزاهة النبي عليه السلام والاصح ان يتعلق العزم به
والارادة على الحقيقة لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بما لا يجوز ان تراد او يعزم عليها
لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به همه عليه السلام
انما هو ضربها او دفعها عن نفسه كما يقول القائل قد كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان اي على ان يوقع به ضررا
او مكروها فان قيل فاي معنى لقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها
قلنا يمكن ان يكون الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه الله برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها
او قتلوه او انها تدعي عليه المراوده على القبيح وتقذفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها منه فاخبر الله ذلك
بعض من لا تامل له ان اهلها انه فعل ما لا يجوز عليه فاخبر الله تعالى انه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء يعني القتل
والمكروه اللذين كانا يقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح او يعني بالسوء والفحشاء الظن به

[illegible]

تصحيح

٣٢٣

فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا تقدمها ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها
ودفعها وتقدم جواب لولا قبيح غير مستعمل او يقتضي ان يكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا
فجائز وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك على ان الاحتياج اليه في هذا الجواب لان العزم على الضرب والهم
وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب
في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف
رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون
علم اليقين لم تتنافسوا في الدنيا وتفاخروا بها قال امرؤ القيس فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس
تساقط انفسا اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تاول الاية على
الوجه الذي لا يليق بنبي الله واضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير
عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا ان راى برهان ربه لفعله فان قيل فقوله هم بها كقوله همت به فلم
جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره قلنا اما الظاهر فلا
يدل على ما تعلق به الهم والعزم منهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب والاثار
وهي ممن يجوز عليه فعل القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه عليها كما امن ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد
بذلك عليها من الكتاب قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الاية وقوله تعالى
الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه فاستعصم والاثار واردة باطباق مفسري القران ومتأوليه على
انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثاني في تاويل الاية ان يحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون
تلخيصه ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا ان تداركتك
وقتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر
فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر وقال الاخر فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة
او اعجل فقدم جواب لئن في البيتين جميعا وقد استشهد عليه بقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع لمكان فضل الله تعالى ورحمته ومما يشهد لهذا التاويل ان في الكلام
شرطا وهو قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب
لولا محذوفا مقدرا لان جعل جوابها موجودا اولى وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك

وجه اخر

لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بينا بما اوردناه من الامثلة والشواهد جواز تقدم جواب لولا
والذي ذكروه لا يشبه ما اجزناه وقد يجوز ان يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك
لولا ان صدني فلان وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذي يشبه الاية وليس تقدم جواب لولا بابعد من حذفه جملة
في الكلام ولذلك اذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزمهم تقدم الجواب جاز لغيرهم تقدم الجواب حتى لا يلزم الحذف والجواب الثالث
ما اختاره ابو علي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو ان يكون معنى هم بها اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته
اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة في مجاز اللغة هما كما يقول القائل فيما يشتهيه ليس هذا من همي وهذا اهم الاشياء
الي ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبح بتناول المشتهى وقد روي هذا التاويل عن
الحسن البصري قال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على
هذا الوجه ان يكون قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه متعلقا بمحذوف كانه قال لولا ان راى برهان ربه لعزم او فعل
والجواب الرابع ان من عادة العرب ان يسموا الشيء باسم ما يقع عنده في الاكثر وعلى هذا لا ينكر ان يكون المراد بهم بها
خطر بباله امرها ووسوس اليه الشيطان بالدعاء اليها من غير ان يكون هناك هم او عزم فسمى الخطور بالبال هما من
حيث كان الهم يقع في الاكثر عنده والعزم في الاغلب يتبعه وانما انكرنا ما ادعاه جهلة المفسرين ومحرفو القصاص
وتزويرا به على نبي الله لما في العقول من الادلة على ان مثل ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث كان منفرا عنهم وقادحا
في الغرض المجري اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ومن اكبر السوء والفحشاء
العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع في مقدماته وقوله تعالى ايضا انه من عبادنا المخلصين يقتضي تنزيهه عن الهم
بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء يدل ايضا على براءته من القبيح فاما
البرهان الذي راه فيحتمل ان يكون لطفا لطف الله له في تلك الحال او قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه
عنها ويحتمل ايضا ما ذكره ابو علي وهو ان يكون البرهان دلالة الله تعالى على تحريم ذلك عليه وعلى ان من فعله
يستحق العقاب وليس يجوز ان يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤيته صورة ابيه يعقوب متوعدا له او النداء
له بالزجر والتخويف لان ذلك ينافي المحنة ويبطل الغرض بالتكليف ويقتضي ان لا يستحق على امتناعه وانزجاره
مدحا ولا ثوابا وهذا سوء ثناء على الانبياء عليهم السلام واقدام على من عصمه الله منهم ونحمد الله على حسن التوفيق
روى احمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطماس قال كنت يوما عند عمي ابرهيم بن العباس فدخل اليه
رجل فرفعه حتى جلس الى جانبه او قريبا من ذلك ثم كادنا الى ان قال لعمي يا ابا [illegible]

وجه اخر
وجه اخر
تقديم اخر

إليه فقال أنت لا عدمت وكان إبراهيم طولا أنت والله كما قيل
يمد نجاد السيف حتى كأنما بأعلى سنامي فالج يتطوح ° ويدلج في حاجات من هو نائم ويوري كريمات الندى حين يقدح °
إذا اعتم البرد اليماني خلته هلالا بدا في جانب الأفق يلمح ° يزيد على فضل الرجال فضيلة ويقصر عنه مدح من يتمدح °
فقال له إبراهيم أنت تحسن قائلا وراويا ومتمثلا ثم لم تخرج تبعته وقال له المثنى إلى الكتاب فقال هو لابن الكويرية
العبدي فجعل كتابته من شعره وروي عن يحيى البحتري قال إذ ابتدأ يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بمعاني من الشعر
ثم مر بهم ذكر نوم العاشق وما قيل فيه فأنشدوا أشياء ذات كثيرة فقال لهم إني قد وقع من هذا كلام رجل من العراق فقال
لحبب النوم حتى كأنما إذا رأى منك جفاكا سرى الصبر ومنك الهجر فابلغ بي مداكا عرفت همة من طمعت في أن أراكا ٢٣٥
أو ملاحظ العين منك أن تعلم ما بي من هواكا ° فقال لله تصرف في معاني الشعر في هذه الأبيات فكتبها عنه جماعة من حضر
والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المأمون لعلي بن موسى
الرضى عليه السلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخضرة صار إليه دعبل بن علي وإبراهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين
لا يفترقان فأنشده دعبل مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات °
وأنشده إبراهيم بن العباس الصولي قصيدة على مذهبها أولها أزالت عزاء القلب بعد التجلد مصارع أولاد النبي محمد °
قال فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت فأما دعبل
فصار بالعشرة الآلاف التي حصته منها إلى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فتباع حصته بمائة ألف درهم وأما إبراهيم
بن العباس فلم تزل عنده بعضها إلى أن مات قال الصولي ثم اتفق في قصيدة إبراهيم على أكثر من هذا البيت قال
وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثنيه أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات والحسن بن علي الباقطاني قالا
كان إبراهيم بن العباس صديقا لإسحق بن إبراهيم أخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فنسخ شعره في علي بن موسى الرضى
عليه السلام وقد انصرف من خراسان ودفع إليه شيئا بخطه منه وكانت النسخة عنده إلى أن ولي المتوكل وولي إبراهيم
بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وبين أخي زيدان فعزله عن ضياع كانت في يده يتولاها وغيرها
وطالبه بمال وألح عليه وأسا مطالبته فدعا إسحق بعض من يثق به من إخوانه وقال له امض إلى إبراهيم بن العباس فأعلمه
أن شعره في علي بن موسى الرضى بخطه وبغير خطه والله لئن لم يزل عني المطالبة لأوصلن الشعر
إلى المتوكل قال فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الأمر في ذلك إلى الواسطة
حتى أسقط جميع ما كان يطالبه به وأخذ الشعر منه وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء فلما صار عنده أحرقه بحضرته

وذكر أبو أحمد يحيى بن علي المنجم أن أباه علي بن يحيى كان الواسطة بينهما قال الصولي فلما عرفت من شعر إبراهيم في هذا المعنى إلا
أبياتا وجدتها بخط أبي علي لها أنشدنيها أخي لعمه في علي بن موسى الرضى عليه السلام في قصيدة
كفى بفعال امرئ عالم على أهله عادلا شاهدا ° أرى لهم طارفا مونقا ولا يشبه الطارف التالدا °
يمن عليكم بأموالكم وتعطون من مائة واحدا ° فلا حمد الله مستنصرا يكون لأعدائكم حامدا °
فضلت قسيمك في قعدد كما فضل الوالد الوالدا ° قال الصولي فطرق في قوله فضلت قسيمك في قعدد توحدت علي بن
موسى والمأمون يتساويان في قعدد النسب وهاشم الجامع من آبائهما جميعا وروى الصولي أن أنشد
إبراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع فأنكره المعرس من أمر له بحمل الغلال
قال فما لبث بعد ساعة ثم قال ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج فعجب من جودة بديهته وأخبرنا
أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان قال
كان هواي أيام الواثق وإبراهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصلني بالأدب فأمر
باحضاري فلما دخلت قربني مجلسي وقال يسليني أسر المطولة قال الاستئناس لا اسم إلا فاسطه
ونسأل الناعي الأشعار فما استحفظ أعلم الشعر منه فقال أما عندك في قول الشاعر
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب °
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب ° فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال
هو مصيب ولكن في الشعر خير وهو أن أعدل الشعر فرده إلى الخمس إلى الشمس ومدحه لهم
فقال أما فعلت هذا فقال إذا أصلحت لم أدع غيرك قال إن أضاءت الشمس أصبح الضوء
الكواكب بأي شمس يهدي أو يفضله فأنا سمعت ذلك منه وكان إبراهيم بن العباس أصدق
أن يحمدن أن يزداد دنيا على إنسان الواثق ثم قدمه ومدح أباه وأحسن في التخلص كل الإحسان فقال
عفت مساو تبدت منك واضحة على محاسن بقاها أبوك لكا ° لئن تقدم أبناء الكرام به لقد تقدم أبناء اللئام لكا
ولإبراهيم ثم الصبا صحبنا سالف الدهر العصا وتصدع ليلى بعد هجرها هو منه عهدا الحب وإن
هوى كان يسر حيث لا رجع بها تطلع من نفسي إليك نوازع عوارف أن اليأس منك نصيبها فأخذ هذا
من قول ذي الرمة إذا هبت الأرواح من نحو جانب به أهل مي هاج شوقي هبوبها °

نفس حيث كان حبيبها ولا برهم
هو من نأت العبارينه وانما هوى كل
دنت باناس عن تناء زيارة وشط بليلى عن دنو مزارها * وان مقيمات بمنعرج اللوى لاقرب من ليلى وهاتيك دارها *
واخذ ذلك من قول البطال القيسي * يقولون هذا ام عمرو قريبة دنت بك ارض نحوها وسماء *
الا انما بعد الحبيب وقربه اذا هو لم يوصل اليه سواء ووجدت بعض اهل الادب يطعن ان ابرهيم بن العباس سبق
الى المعنى بقوله * كن كيف شئت وقل لي ما شئت وابرق يمينا وارعد شمالا نجا بك لؤمك منجى الذباب حمته مقادره
ان ينالا * حتى بلغ ان مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان اما الهجاء فدق عرضك دونه
والمدح عنك كما علمت جليل فاذهب فانت طليق عرضك انه عرض عززت به وانت ذليل
مجلس اخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم هي الارادة فهذا تصريح من
يوسف عليه السلام بارادة المعصية لان حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم
عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعي اليه من الزنا وقوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهم وصرفهم عن كيده وهذا خلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع
منه مرة السوء من كيدهن او لم يصرف عنه الجواب قلنا اما قوله رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه ففيه وجهان من التاويل احدهما ان المحبة متعلقة في ظاهر الاية بما لا يصح على الحقيقة ان يكون محبوبا
مرادا لان السجن انما هو الجسم والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريد الفعل فيها او المتعلق بها والسجن نفسه
ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم
يوسف عليه السلام الحبس واكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي
تناله باستيطانه طاعة منه وقربة وقد علمنا ان الطالب لو اكره مؤمنا على ملازمة بعض المواضع وترك التصرف في
غيره لكان فعل المكره حسنا وان كان فعل المكره قبيحا وهذه الجملة تبين انه لا ظاهر للاية يقتضي ما ظنوه فلا
بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما يرجع الى القبيح من الافعال الا ولنا ان نقدر ما
يرجع الى الحسن واذا احتمل الكلام الامرين ودل الدليل على ان النبي لا يجوز ان يريد المعاصي والقبائح اختص المقدور
المحذوف بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب
الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه جملة ومن شان هذه اللفظة ان يدخل بين ما وقع فيه اشتراك

في معناه وان فضل البعض على البعض قلنا قد يستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن معناها الاشتراك
على الحقيقة الا ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جاز ان يقول هذا احب الي من هذا وان لم يحب ما يكره
من غير ان يخبر هذا احب الي من هذا اذا كان لا يحب احدهما جملة وانما يسوغ ذلك على احد الوجهين دون الاخر حيث
كان التخيير بين الشيئين لا تخيير بينهما الا وهما مرادان له او مما يصح ان يريدهما فموضع التخيير يقتضي ذلك وان
حصل مما ليست هذه صورته والجيد عن هذا ان يقال هذا احب الي من كذا وكذا وان كان يحبه على ما يقتضيه موضع
التخيير وان لم يكن الامران على الحقيقة يشتركان في تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى اذلك خير ام جنة
الخلد التي وعد المتقون ونحن نعلم انه لا خير في العقاب وانما حسن لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي
على الطاعات وانهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات الا لاعتقادهم ان فيها خيرا او نفعا فقيل اذلك خير على
ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم اذلك خير ام جنة الخلد انما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة
وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى خير مستقرا واحسن مقيلا ومثل هذا ... قوله رب السجن احب الي مما
لان الامرين يعني المعصية ودخول السجن يشتركان في ان كل واحد منهما [illegible] وان لم يشتركا في المحبة
فجعل اشتراكهما في دواعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها واجرى اللفظ على ذلك ومن قال هذا [illegible] يفتح له بين التأويل
ايضا ما ذكرناه لان السجن المصدر [illegible] على [illegible] احب الي من [illegible] المعصية
ولا يرجع بالسجن الى [illegible] على الوجه الثاني ان يكون معنى احب الي اهون واسهل علي وهذا كما
يقال [illegible] ان الامرين يكره [illegible] ولكنه يقول [illegible] احب الي بمعنى اسهل واخف وان
كان لا يريد واحدا منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع ان يكون اراد [illegible] نفسه بالمحبة التي
هي الارادة وانما وضع احب موضع اخف والمعصية قد تكون اخف واهون من [illegible] فاما قوله والا تصرف عني
كيدهن اصب اليهن [illegible] المعنى [illegible] السائل [illegible] الى ما يدعونني اليه من المعصية ونبهني
الى [illegible] ومقارنتها [illegible] من سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لامره وانه لولا
معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي انما يكون معصوما من القبائح بعصمة الله تعالى وبلطفه
وتوفيقه فلا [illegible] الظاهر [illegible] الا صرف عني كيدهن [illegible] المراد ما [illegible]
[illegible] والذي ذكروه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه قلنا معنى الكلام
والانصراف عني ضرر كيدهن [illegible] الى مساعدتهن على المعصية

فان عصمتها ولطفه في الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به من حيث لم تقع ضرره وما يجري اليه
يقال لمن لحقه كلامه الى غرض لم يقع ما نلت شيئا ولمن فعل الاسبابه ما فعلت شيئا وهذا بيّن بحمد الله تأويل
ان سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر ان رسول الله عليه السلام قال في خطبة خطبها من تتبع المشمعة شمع الله به
الجواب قلنا اما المشمعة فهو الضحك والمزاح قال ابو ذؤيب يصف الحمير
فجاء وتبعا يشفاهها [illegible] لا يقلع فلبثن حينا يعتلجن بروضة فيجد حينا في العلاج ويشمع
اراد ان هذا الحمار [illegible] حاله مع الاتن وانه يعضهن في بعض الاوقات يعارك هذه الاتن ومعنى يعتلجن يكاد
بعضها بعضا من النشاط يجد الفحل يعضهن مرة ولكن يأخذ معهن في اللعب ويشمع وفي يجد لغتان حينا يجد
وحينا يجد والمفتوح اوله لغة هذيل ويقال رجل يجد على الفعل معا وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يشم
ثم يرفع راسه ويكشر على اسنانه فجعل ذلك بمنزلة الضحك قال الشماخ ولو اني اشاء كببت نفسي الى بيضاء
بهكنة شموع وقال المتنخل الهذلي ولا والله نادى الحي ضيفي هدوا بالمساءة والعلاط
سابذلهم مشمعة واثني بجهدي من طعام او بساط اراد بقوله نادى الحي ضيفي لا سادونه من اللداد والسوء
والمكروه ولا يلقونه بما لا يحب والعلاط من اعلطه وقد يعلطه اذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر
واصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه وقيل ان معنى نادى الحي ضيفي من التنادي اي لا يجالس به
المكروه والسوء ومعنى سابذلهم مشمعة اي لعبا وضحكا لان ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف
والقصد الى ايناسه وبسطه ومنه قول الاخر ومن صفات حرق المحمد صادف ذا الوجد شاما اي
ان الحديث طرف من القرى وروى الاصمعي عن خلف الاحمر قال سنة الاعراب اذا حدثوا الرجل الغريب ومشوا
اليه وما زحوه ايقن بالقرى واذا اعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى اثني بجهدي من طعام او بساط اي اتبع
ذلك بهذا ومعنى الخبر على هذا ان من كان من شانه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم اصاره الله
الى حالة يعبث به فيها ويستهزأ منه ويفاد بهذا الحديث من وجه حديث اخر وهو ما روي عنه عليه السلام انه
من يسمع الناس بعمله يسمع الله به والمعنى من يرائي بعمله ويظهره تقربا الى الناس واتخاذ المنزلة عندهم شهره
الله تعالى بالرياء وفضحه وهتكه ويمكن في الخبر وجه اخر لم يذكر وهو ان من عادة العرب ان يسموا
الجزاء على الشيء باسمه والامثلة لذلك في القرآن واشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر ان يكون المعنى ان
من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله على ذلك ويجازيه به فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه

انصاري في الخبر الثاني اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن
عمه قال اني لفي سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجا بالبصرة وكان له ابن بضرية اذ اقبلت
عجوز على ناقة لها حسنة البزة بها بقايا جمال فاناخت وعقلت ناقتها واقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست
قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي اعندك شيء قال لا فانشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الانصاري
وقصيرة الايام ود جليسها لو باع مجلسها بفقد حميم من محذيات اخي الهوى غصص الجوى بدلال غانية ومقلة ريم
صفراء من بقر الجواء كانما خفر الحياء بها رداع سقيم قال فجثت على ركبتيها واقبلت تخرش الارض بمحجنها
وانشأت تقول فتى اليم القلب بقراحة وتشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لك
فلو قلت طأ في النار اعلم انما هوى منك او مدن لنا من وصالك لقدمت رجلي نحوها فوطئتها هدى منك لي
او ضلة من ضلالك سلي البانة العليا من الاجرع الذي به البان هل حييت اطلال دارك
وهل قمت في اطلالهن عشية قيام اخي ضعف القلب فاحتزت ذلك ليهنك امساكي بكفي على الحشى ورقراق دمعي
رهبة من زيالك قال الاصمعي فاظلمت علي والله الدنيا لحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت منها
فقلت نشدتك الله الا رددت هذا فرأيت الضحك في عينيها وانشدت
ومستخفيات ليس يخفين زرننا ويسحبن اذيال الصبابة والشكل جمعن الهوى حتى اذا ما ملكنه نزعن وقد
اكثرن فينا من القتل مريضات رجع القول خرس عن الخنا تلقاهو القلوب بلا بذل
صوارف من نيل المحب عواطف بعقل ذوي الالباب بالجد والهزل يعنفني العذال فيهن والهوى يحذرني من الطمع ذو العقل
قال رحمه الله اما قول الانصاري وقصيرة الايام فاراد به كأن السرور بها وأملوا بحضورها والحبيبها
وطيب حديثها فتقصر ايام جليسها لان ايام السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يريد بقصيرة الايام انها حديثة
سنها وقرب عهد ولادتها وان كان الاول اشبه بما اتى في اخر البيت ومعنى لو باع مجلسها بفقد حميم اي باعه
وهذا اللفظ من الاضداد لانه يستعمل في البائع والمشتري قال الفراء سمعت اعرابيا يقول بع لي تمرا بدرهم
اي اشتر لي تمرا وقال الشاعر نباع [illegible] التاجر اي ابتاع وقوله من محذيات
اخي الهوى اي من معطيات يقال احذيت الرجل اذا اعطيته والغنيمة الحذية والحذيا العطية والاسم الحذوة
والحذوة والحذيا كل ذلك العطية وقوله كانما خفر الحياء بها رداع سقيم فالرداع هو الوجع في الجسد فاراد
انها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم او يريد تغير لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري

٢٣١

مجرى الحمى الاجيلية ويحرق عنه القميص خالد بن البنوق عن الحيا سقيما واخبرنا المرزباني قال حدثنا
ابو عبد الله الحكيمي قال حدثنا ميمون بن هارون الكاتب قال حدثني عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال لقيت اعرابيا
بالبادية فاسترشدته الى مكان فارشدني وانشدني ليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل
ثم رجعت الى البصرة فكنت بها ثم حججت فدخلت البادية فاذا انا بالاعرابي جالسا بين ظهراني قوم وهو يقضي
بينهم فما رأيت قضية اخطأت قضية الصالحين من قضاياه فجلست اليه فقلت يرحمك الله اما من رشوة
اما من هدية اما من صلة فقال الا اذا جاءت فقد ذهب التوفيق فتكون اليهما القوم عن احلى المجلس الى وطلب
فقال لست نبيا ولا وجدوني لمن يحكم ولقد قلت في ذلك شعرا فاستنشدته فانشدني يا ابنة بعير فوق القنا والقدما
لما كان اطيبا اللذات والحدما عفت لذا يك لا ارضى من حاله الا من العجز ونقضوا منة فما ربما
يا ابنة الله اني لم ادع طلب الرزق ومن تعلمين الشرق والشاما وكل ذلك لا اجمال في طلبه لم ادع ارضا ولم اسلك لها الاكما
لو كان عن جلد القلاد ادب لكنت اكثر من تحمل الفقر نعما ارضى من العيش ما لم تحوجني مع ان يقتحي لسؤال الاغنيا قدما
واستشعر الصبر عل الله خالقها يوما سيكشف عنا الفقر والعدما لا تحوجني الى الدنيا له نفسي لا عفت كل التمام والكدما
باسم ربك الله خولني ما كان يخوله الاعراب والعجما فاسري الى حوله ذاك ولا الاقول لباغي حاجة نعما
واني لم اخن عهدا ولا اذا ولا ارزؤ والذي عهدا ولا كرما فعشرة المرء يوما ان تبين عليه العهد والذمما
قال فواسينا انشدتها حتى حلفت لي ان لا تعدلني ابدا حدثنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن
ابن اخي الاصمعي عن عمه قال رأيت بعقب اثنابان بني عامر فما رأيت بدويا افصح منه ولا اظرف ومعه الله لكانه شواظ
فاستنشدته فانشدني تلم اشكم يوم اللوى اذ تعرضت لنا ام طفل خلة الافق تخلت
وقالت تسائلني العشية ما مضى ولعرض منك النفس عما تجنب فما تعلمك الا الدار انا عبدة على ما بدا من حسنها اذا دلت
انت سبا بقلب الحب له مفرها اللذ وما نعي اذا ما استغرب هو اللذي في القلب امسى حبلها عليه وان طول الحبا واذا ما
وانشدني ايضا دعا دانا اللي طرفك وهنا برباد وصة وذكا نبه فاسالني اصحابي محمود وتقى عطلها [illegible]
الا ان شكون الحب بالشفاء نحو وجد كان وجدك ولكن حالا [illegible] شذاه اسير بفقده وتبكي فقدك وبهذا الاسناد
عن الاصمعي قال تعمدت الى اعرابي يقال له اسمعيل عارد اذا هو يقبل اصابعه بلطف فقلت له يا غلام كيف كنت قائلا يقول
عينا يشكو مقار دعهما والقلب حيران يسلي بهما عرفتا الهوى ظلما بالبين فيها عدمتهما
قال الخبر فاكلاهما جد على ما اجز ديمعهما ساعد القلب بهواه فما تسبب هذا البلا غيرهما وبهذا الاسناد عن الاصمعي

قال وزارت خيال ليلة في وادي بني العنبر وهو واد ذات المغار ان اهله اهل وادي انتبه ببرود البصرة فاجبت صحبتهم فقلت
لبني ملك بعهم واني لو صبح مهموم لخاف ان استمسك على الجليس فلما اتوا البر حلوا الحظوني فيها ارواحا لي وحلوا الى رحالهم
وركب الجديم ورأى مسكني بها المعز السير تنادوا الافتى حدوا بنا او ينشدوا فاذا انشد في سواد الليل صوت بكى

يوم — ينشد العمر الذي يا قوانام اهم خففا على الذارهم لصبور   عد له المنى او رنت نظرة ونحن على متن الطريق نسير
فقلت لقلبي حين خف به الهوى وكاد من الوجد المبرح يطير   فهذا ولما تمض للبين ليلة فكيف اذا مرت عليه شهور
واصبح اعلام الاحبة دونها من الارض غول نازح ومسير   واصبحت نجدي الهوى متهم النوى ان اشتاقا الى عن نصير
عسى الله بعد النأي ان يسعف الهوى ويجمع شمل بعدها وسرور   قال فسكت والله الحمي حتى ما الحس بها فقلت لرديفي
انزل رحمك الله الى احلنا فاني متحامل وجزاك الله عن حسن الصحبة خيرا   اخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال
حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثني بعض اصحابنا قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله
ما بنيت الدار الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليؤكل ولا قدمت هدية فاتوقع رسولا وما اكره ان اكون ثقلا على من اراه
بخيلا اقتحم عليه مستانسا واضحك ان رأيته عابسا فاكل برغمه وادعه بغمه وما اجزي في الوان طعاما الطيب
من طعام الا اسعو به درهم ولا يعني اليه خادم ثم انشد   كل يوم ادور في عرصة الحي اشم القتار شم الذباب
فاذا ما رايت اثار عرس او ختان او مجمع الاصحاب   لا اروع دون التقحم لا اكره دفعا ولكزة البواب
مستهلا اقتحمت عليه غير مستاذن ولا هياب   فترى الهي الرغم منهم كلا ما افتدوه لقا العقاب
ذاك ادنى من التكلف والغرم وغيظ البقال والقصاب   مجلس اخر تاويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من
اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى انه ليس من اهلك
يقتضي تكذيب قوله ان ابني من اهلي والنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح ان يخبر عن ابنه بانه عمل غير
صالح وما المراد به   الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان يكون نفيه لان يكون من اهله لم يتناول فيه نفي النسب وانما
نفى ان يكون من اهله الذين وعده الله نجاتهم لانه تعالى كان وعد نوحا بان ينجي اهله الا ترى الى قوله قلنا احمل فيها
من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول فاستثنى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه ايضا قول نوح
ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روي هذا التاويل بعينه عن ابن عباس
وجماعة من المفسرين   الجواب الثاني ان يكون المراد بقوله تعالى ليس من اهلك اي ليس على دينك فاراد انه كان كافرا

مخالفا لابيه فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله ويشهد لهذا التاويل قوله تعالى على طريق التعليل انه عمل
غير صالح فبين انه خرج من احكام اهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التاويل ايضا عن جماعة من المفسرين وروي عن ابن جريج
انه سئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنه خالفه في
العمل فليس منه من لم يؤمن وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفا في النية والعمل فمن ثم قيل له انه ليس من
اهلك   الجواب الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه
الله تعالى ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه انما اخبر عن ظنه وعما
يقتضيه الحكم الشرعي فاخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن وغيره وروى قتادة عن
الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه قال قلت يا ابا سعيد يقول الله ونادى نوح ابنه
وتقول ليس بابنه قال افرايت قوله انه ليس من اهلك قال قلت معناه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب انه
ابنه قال ان اهل الكتاب يكذبون وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه بعيد اذ فيه منافاة القران لانه تعالى قال
ونادى نوح ابنه فاطلق عليه اسم البنوة ولانه ايضا استثناه من جملة اهله بقوله واهلك الا من سبق عليه القول ولان
الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله تعالى انبياءه عليهم السلام ما هو
دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تاول قوله
في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احداهما تخبر الناس انه مجنون والاخرى تدل
على الاضياف والمعتمد في الاية هو الوجهان المتقدمان فاما قوله تعالى انه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع وقد قرا جماعة
من المتقدمين انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه فاما الوجه في الرفع فيكون على تقدير
انه ذو عمل غير صالح وصاحب عمل غير صالح فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء
تالم تستفيق على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان اظآر   ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار
ارادت فانما هي ذات اقبال وادبار فقال قوم ان المعنى ان اصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس ابنك على الحقيقة عمل غير صالح
يعني الخيانة من امراته وهذا الجواب يرجع الى انه لم يكن ابنه على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك وقال اخرون ان الهاء في قوله
انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح دليل على السؤال
والرغبة في قوله رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك
صغيرة من النبي لان الصغائر تجوز عليهم ومن يمنع ان يقع من الانبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة

الى السؤال الحاضر ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل له لم قال لا اسئل المنير لانه علم بكيفية التوبيخ بعد ربابها لعود

ان يسلك ما المنير له به علم والانقياد وترجمه ان يكون من الخاسرين قال الاشبه ان يكون نهى عن سوال ما ليس له به علم وان يقع منه

وان يكون تعقود الله منه وانه لم يوافقه الجزي ان الله تعالى قد نهى نبيه عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك قد وقع منه فقال

لئن اشركت ليحبطن عملك لانه لا يمتنع ان يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع منه ويكون عليه السلام انما سأل النجاة لابنه باشرط المصلحة

لا على سبيل القطع وهذا الجواب مثل هذا الدعا فاما القراة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقول انه عمل

عملا غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من

مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت

فعلا صوابا وقلت قولا حسنا وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي ايها القائل غير الصواب امسك النصح واقلل عناك

وله ايضا وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهنا اذا لفه منى ومن مالئ عينيه من شئ غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وانشد ابو عبيدة لرجل من بجيلة كم من ضعيف العقل منتكث القوى ما ان له نقض ولا ابرام

سهلت له الدنيا عليه باسرها فعليه من رزق الاله ركام ومشيع جلد لبيب حازم مرس له حماره وصرام 335

لعبا عليه سبيله فكانه مما عاوله عليه حرام اراد كم من انسان ضعيف العقل اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني

محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب

بفتى العسكر يميل الى الاصمعي ويفضله ويقوم بامره قال فجئته يوما فقلت له وقد ان محمد عنده غلاما كان له اسود وقد برك

الناس وانثال عليه وكاد يستاله ويحقق فلما خرج انشد على الاصمعي عقلت من هذا الفتى ابنية عمر ومكنه فقال هذا غلام

منصور ثم انشدني وقال هو الحامل اني اخوهما فقلت اشد الحبيب الى الحبيب احسك والفرس ان صهيد كان ناسيت نسمة

من غرب فقلت قلت افعل هذا الرمد لاستحيي لما سعد ان عليه ما سمعت اخوها وهذا غلامها فضحك وانشد

اري كل دار وطنتها كان خلفها حنجن من مسك تراتبها حلقت اللحى لو اري معا لها ذباب الفلا حبت الديابها

قال فجعلت اعجب من ترب لسانه من تكلفه واجاده حفظه لمعنى اراده وبهذا الاسناد عن اسحق الموصلي قال قرات على

الاصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت اذن حل عرابيه حل اهلها بطن الشري فيه مكان منذرا ل

فقال لي اعرفه هذا البيت خبانا طنا غير ظاهر فقلت لا فسكت فقلت ان كان يمنني فاقد به فقال نعم اما ابدا لك البيت

على انه لفظ مليك مستميح في قدرة على تامر به قال اسحق وما رايت احدا افقط مثل الاصمعي العلم بالشعر وروي عن اسحق ايضا

انه قال قال لي الاصمعي يا بعني امرؤ القيس بقوله ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع فالهيتها عن ذي تمائم محول

حيدونا قال كان يقرن كانه يقول البيت هو الدعى على كرام فتى الرجل فكيف انا عند الحيان لهم ودي ان الحبيب

الذي هاج الشنآن بين الاصمعي وابن الاعرابي ان الاصمعي دخل ذات يوم على سعيد بن سلم وابن الاعرابي يعيد بعود ب ولده

فقال لبعضهم انشد لنا سعيد فانشد الغلام ابياتا لرجل من بني كلاب رواه اياه ابن الاعرابي وهي

رات نضو اسفار امية قاعدا على نضو اسفار فجن جنونها فقالت من اي الناس انت ومن تكن فانك راعي صرمة لا

فقلت لها ليس الشحوب على الفتى بعار ولا خير الرجال سمينها على لعمر الله اسحبه يروح عليها محضها وحقينها

سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة وانعم ابكار الهموم وعونها ورفع ليلة فقال له الاصمعي من رواك هذا فقال اعود بامر حضره

فاستنشده فانشد ورفع ليلة فاخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال انما اراد لم يؤرقه ليلة ابكار الهموم وعونها

وانعم ان زاد على هذه الصفة وقوله سمين الضواحي اي ما ظهر منه وبدا سمين ثم قال الاصمعي لابن سلام لي بخس

هذا المقدار ملمس بوضعا التادب علا الملوك اخبرنا المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العينا

قال حدثنا الاصمعي قال دخلت على بشار بن برد الاكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة فقلت له يوما ان لك هذا الذكا

قال ان عدم العمى يقدم النواظر منع من كثير من الخواطر المذهلة يكتب ملح الذهن ويصحها الذكا وانشد لنفسه

بالعمى عجبت حيتنا والذكا من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا وغاض ضيا العين للعلم رافدا لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن الراسبي قال حدثنا ابو العينا

قال حدثنا الاصمعي قال لا انشد رجل وانا حاضر بشار قول الشاعر وقد جعل الاعداء ينتقصونها وتطمع فينا السن وعيون

الا انما ليلي عصا خيزرانة اذا غمزوها بالاكف تلين فقال بشار والله لو جعلها عصا مخ او زبد لما كان الا عظيا

مع ذكر العصا الا قال كما قلت وحوراء المدامع من معد كان حديثها قطع الجنان اذا قامت لسبحتها تثنت

كان عظامها من خيزران بنسانا المعنى فطرالها ويحرق جنهاو وجه الرهان واخبرنا المرزباني قال حدثنا

علي بن ابي عبد الله الفارسي قال حدثني ابي عن عمر بن شبة قال قال لي ابو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح بشر بن هشام

ابن عبد الملك وكان يتفقا مع ان يقال فقصيدة طويلة اولها نالك على طول التجاور زينب وما عليك ان النوى سوف

تشعب وكان سليم جهلا فاعطاه خمسة الاف درهم لم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال

الا سر يفتح الدر عن البدي وعن العدو مجلس التنبطان نالقد اروح على اللبه مسلط المقبل ينعم الريحان

ذطل عين عشرة محرودة تدى وتحاف فرط لسان ازمان سربال الشباب مندل واذا الامير علي جبراني

ضربا جويو العراق اذا بابرت عليه اكاله المرجان فالكل بعيدة مقلد من الفتى وبوشكه بنهار الهلان

تلقن من بحضرته بشيئهم الشعر ولكن من تميم وان لما رجع الى العراق بقي بالبصرة ووصله وكان ابن صفية ...
لم يجد منشدا واشعاره بها فلما جاءت دولة اهل خراسان عظم شانه ● واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الكاتب
قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال قال الاصمعي ما وصف احد الثغر الا احتاج الى قول بشر بن ابي خازم
يفلجن الشفاه عن اقحوان جلاه غب سارية قطار ● ولا وصف احد اللون الا احتاج الى قول عمر بن ابي ربيعة ●
وهي مكنونة تحير منها في اديم الخدين ماء الشباب ● شفعتها تفوق حسنها فهي كالشمس في خلال السحاب ●
ولا وصف احد عيني امراة الا احتاج الى قول عدي بن الرقاع ● لولا الحياء وان راسي قد عثا فيه المشيب لزرت ام القاسم ●
وكانها وسط النساء اعارها عينيه احور من جآذر جاسم ● وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم ●
ولا وصف احد حاجبا الا احتاج الى قول حميد بن ثور على المواق عنان بينهما على الصرد لعن الضان لم يتقوف ولا وصف احد
ظليما الا احتاج الى قول علقمة بن عبدة ● فوه كشق العصا لأيا تبينه اسك ... جؤجؤه بيت اطافت به خرقاء مهجوم ● ولا اعتذر احد الا
احتاج الى قول النابغة ● فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع ● قال رضي الله عنه اما قول حميد
على المواق ... فانه شبه بداءة عليه بعجار الكرم والعنز تعار زدها لنتها وسمنها احلبه لم يبن حيث كان موسوما
بهما ومعنى بينهما على الضان اي تتبينها وتعرفها هذا الراعي فيعلم انه كريم والتنوف عن القيافة ما قال
قول علقمة فهو كشق العصا فالهين ذكر النعام ومعنى اطافت به خرقا اي عملته واسسه وقيل الخرقاء هاهنا هي
الحادثة ومعنى مهجوم اي مهدوم ● وقال الاصمعي معنى اطافت به عملته فجرت في عمله يقول فدار سطحا
كانه عمل امراة خرقا كلما نقضت ناحية استوت ناحية والوجه لئاني اشبه واملح ناما قول بشر
ابي خازم في وصف الثغر فاحسن منه واكشف واشد استيفا قول النابغة
كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه واسفله ندي ● وانما وصف اعاليه بالجفوف ليكون متفرقا
متنضدا غير متلبد ولا مجتمع فيشبه حينئذ الثغور ثم قال واسفله ندي حتى لا يكون ذابلا باسا لا يكون فيه
النضاضة والصقالة فيشبه عروب الاسنان التي تلمع وتبرق وروى الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول احسن ما قيل في الثغر
قبل قول ذي الرمة ● وتجلو بفرع من اراك كانه من العنبر الهندي والمسك يصبح
ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى اليه الندى من رامة المتروح ● هجان الثنايا مغربا لو تبسمت لاخرس عنه كاد بالقول يفصح

مجلس آخر ● تاويل ● ان سال سائل عن قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية
فقال كيف يعذبهم بالاموال والاولاد ومعلوم انهم فيها مسرورا ولذة وما تاويل قوله وهم كافرون

وظاهره يقتضي انه اراد كفرهم من حيث اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم لان القايل اذا
قال اريد ان يلقاني فلان وهو لابس او على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة
الجواب ــــــــــ قلنا اما التعذيب بالاموال والاولاد ففيه وجوه ● اولها
ما روي عن ابن عباس وقتادة وهو ان في الكلام تقديما وتاخيرا وتقدير فلا تعجبك يا محمد
ولا تعجب المومنين معك اموال هولاء الكفار والمنافقين واولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم
بها في الاخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون والمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وانشد ايضا
في ذلك قول الشاعر ● عشية ابدت جيدا وماً مغزلا وطرفا يريك الاثمد الجون احورا
يريد وطرفا احور يريك الاثمد الجون وقد اعتمد ابو علي قطرب هذا الوجه وذكره ابو القسم البلخي
وابو اسحق الزجاج ● وثانيها ان يكون معنى التعذيب بالاموال والاولاد في
الدنيا هو ما جعله تعالى للمومنين من قتالهم وغنيمة اموالهم وسبي اولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة
ايلام لهم واستحقاق بهم وانما اراد تعالى بذلك اعلامهم نبيه عليه السلام والمومنين انه لم يرزق
الكفار الاموال والاولاد ولم يبقها في ايديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الى
ذلك وانهم مع هذه الحال معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب ان يغبطوا بها ويحسدوا
عليها اذا كانت هذه عاقبتها والعقاب لهم في الاخرة اجلهم ● وهذا جواب ابي علي الجبائي
وقد طعن عليه بعض من لا تامل له فقال كيف يصح هذا التاويل مع انا قد نجد كثيرا من الكفار ترد عليهم ايدي
المسلمين ولا يقدرون على غنيمة اموالهم ونجد اهل الكتاب ايضا خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة
والعهد وليس هذا الاعتراض بشي لانه لا يمتنع ان يختص بالاية ما الكفار المنافقين لا ذمة لهم ولا عهد
ممن قد اوجب الله تعالى محاربته فاما الذين بحيث لا ينالهم ايدي المومنين فعلى ضربين منهم
ممن اراد الله تعالى ان يسبي ويغنم غنيمة اموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في الجواب لانهم ممن اراد ● وثالثها
ويجاهد ويغلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد ●
ان يكون المراد تعذيبهم في الدنيا الغموم والمصايب باموالهم واولادهم التي هي لهولاء الكفار
المنافقين عقاب وجزاء وللمومنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز ان يراد به ما ينذر
به الكفار قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع انه حي من العذاب الاليم

الذي تعين له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي
معناه عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره ابو علي الجبائي ايضاً ورابعها
جواب روي عن الحسن البصري واختاره ابو جعفر محمد بن جرير الطبري وقدمه على غيره وهو ان يكون
المراد بذلك ما الزمهم من اداء الزكاة ومن الفرائض والحقوق في اموالهم لان ذلك يوخذ منهم على
كره منهم واذا انفقوا فيه انفقوا بغير نية ولا عزيمة فيصير نفقتهم غرامة وعذاباً
من حيث لا يستحقون عليها اجراً وهذا وجه غير صحيح لان الوجه في تكليف الكافر اخراج
الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال ان يكون انما كلفنا اخراج هذه الحقوق على
سبيل العذاب والجزاء لان ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الامور
هو المصلحة واللطف في التكليف ويجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي يتناول هذا من المصائب
والغموم يكون للمؤمنين محنة وللكفار عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها 439
العقوبة والمحنة جميعاً ولا يجوز في هذه الفرائض ان يكون الوجه فيها على المكلف الا وجه واحد
وهو المصلحة في الدين فافترق الامران وليس لهم ان يقولوا ليس التعذيب في ايجاب الفرائض عليهم
وانما هو في اخراجهم اموالهم على وجه المكره لها المستثقل وذلك انه اذا كان الامر على ما ذكروه
خرج الامر من ان يكون مراد الله تعالى لانه جل وعز ما اراد منهم اخراج الاموال على هذا
الوجه بل هو على الوجه الذي يكون طاعة وقربة فاذا اخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد
ذلك فكيف يقول انما يريد الله تعالى ليعذبهم بها ويجب ان يكون ما يعذبون به شيئاً يصح ان يريد
تعالى قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وجميع هذه الوجوه التي حكيناها
في الآية الا جواب التقديم والتاخير مبنية على ان الحياة الدنيا ظرف للعذاب فيتحمل كل متاول
من المتقدمين ضرباً من التاويل يطابق ذلك ولا يحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم
والتاخير اذا لم نجعل الحياة الدنيا ظرفاً للعذاب بل جعلناها للفعل الواقع بالاموال والاولاد
والمتعلق بها لانا قد علمنا اولاً ان قوله تعالى ليعذبهم بها لا بد من انصرافه عن ظاهره لان الاموال
والاولاد انفسها لا تكون عذاباً والمراد على هذا الوجه من التاويل الفعل المتعلق بها
والمضاف اليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها والغم عليها او اباحة غنيمتها واخراجها
عن ايدي مالكيها وكان تقدير الآية انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما تعلق باموالهم

واولادهم ويتصل بها واذا صح هذا جاز ان يكون الحياة الدنيا ظرفاً لافعالهم القبيحة في اموالهم
واولادهم التي تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهم للاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد
على الكفر والزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون التقدير انما يريد الله تعالى ليعذبهم بفعلهم
في اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه واضح يغني عن التقديم
والتاخير وسائر ما ذكروه من الوجوه فاما قوله تعالى وتزهق انفسهم فمعناه تبطل وتخرج
اي انهم يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريداً لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحال ان
340 يكون مريداً للحال نفسها على ما ظنوه لان الواحد منا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل
اهل البغي وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريداً لحرب اهل البغي لهم
وان اراد قتالهم على هذه الحال وكذلك قد يقول لغلامه اريد ان تواظب على المصير الي
في الحبس وانا محبوس وللطبيب صر الي ولازمني وانا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس
وان كان قد اراد ما هو متعلق بهما من الحالين وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ان لا يكون
قوله تعالى وهم كافرون حالاً لزهوق انفسهم بل يكون ذلك كانه كلام مستانف والتقدير
ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق
انفسهم وهم مع ذلك كله كافرون صائرون الى النار وتحقيق الفائدة انهم مع عذاب الدنيا
قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى وتزهق انفسهم على هذا الجواب غير الموت
وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت
فلاناً حتى مات وتلفت نفسه وخرجت روحه وما اشبه ذلك

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ذاكرني قوم من اهل الادب
باشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى ذكر مروان بن ابي حفصة فافرط بعضهم
في وصفه وتقريظه وتفضيله واخرون في ذمه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته
واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الالفاظ
غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت النظائر في شعره
ومدائحه مكررة الالفاظ والمعاني وهو غزير الشعر قليل المعنى الا انه مع ذلك شاعر
العين جيد

له تجويد وحذق وهو اشعر من كثير من اهل زمانه وطبقته واشعر شعرا اهله ووجب
ان يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الالفاظ وتدقيق المعاني وحسن الالفاظ ووضوح التشبيهات
ودون بشار بن برد في الابيات النادرة السابقة وكان طبقة بينهما وليس مقصرا عنهما
شديدا ولا منحطا عنهما بعيدا وكان اسحق ابن ابرهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكلام
ابو عمرو الشيباني وكان الاصمعي يقول هو مولد وليس له علم باللغة واختلاف الناس في
اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبه على معانيه وبحسب ما يستنبطونه من غرايبه
وطرايفه فسالت عند ذلك ان اذكر مختار ما وقع الي من شعره وانبه على سرقاته ونظاير
شعره وان املي ذلك في خلال المجلس واثنايها فمما يختار من شعره قصيدة يمدح
341 بها المهدي اولها   اعادك من ذكراه وجه عايد اجل واستحقتك الرسوم البوايد
يقول فيها

تذكرت من تهوى فابكاك ذكره فلا الوجد منسي ولا الدمع جامد
بلى وابى ان يساعدك الهوى وللموت خير من هوى لا يساعد
الا كلما انهيت دمعك طايعا وجادت عليك الانسات النواهد
يروعن ابصارا بامقل المها واعناقها ادم الظباء العواقد
تساقط منهن احاديث غضة تساقط در اسلمتها المعاقد
اليك امير المومنين تجاذبت بنا الليل خوص كالقسي شوارد
يمانية يناى الغريب محله بهن ويدنو الشاحط المتباعد
تجلى السرى عنها وللعيس اعين سوام واعناق اليك قواصد
الى ملك تندى اذا يبس الثرى بنايل كفيه الاكف الجوامد
له فوق مجد الناس مجدان منهما طريف وعادي الجراثيم تالد
ولحواض عز حومة الموت دونها واحواض عرف ليس عنهن ذايد
ايادي بني العباس بيض سوابغ على كل قوم باديات عوايد
هم يعدلون السمك من قبة الهدى كما يعدل البيت الحرام القواعد

سواعد عز المسلمين فانما بنو عوداته الاكف السواعد
يكون غرارا نومه من حذاره على امة الاسلام والخلق راقد
كان امير المومنين محمدا لرافته بالناس للناس والد
اما قوله تساقط منهن الاحاديث غضة تساقط در اسلمته المعاقد
فكثير في الشعر واظن اول من سبق اليه ابو حية النميري في قوله
اذا هن ساقطن الحديث كانه سقوط حصى المرجان من سلك ناظم 342
وانما عنى بالمرجان صغار اللولو وعلى هذا يتاول قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان
ومثله قول الاخر
من الدر منثورا اذا ما تكلمت وكالدر منظوما اذا لم تكلم   ومثله
من ثغرها الدر النظيم ولفظها الدر النثير   ونظيره قول البحتري يحسن
نهاية الاوصاف
ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لولو تجلوه عند ابتسامها ومن لولو عند الحديث تساقطه
ومثله قول ابن خيط لابن موازي
خلوت بها وسجف الليل ملقى وقد اصغت الى الغرب النجوم   لغيره
كان كلامها در نثير ورونق ثغرها در نظيم   ولاخر
بسمت فرايت الدر منتظما وحدثت فرايت الدر منتثرا
وتحفظ كل من رتبة تحفظ دونها ولكنها من اعين الناس تحفظ
وتلفظ درا في الحديث اذا جرى ولم نر درا قبل ذلك يلفظ
ولبعض من تاخر زمانه من الشعرا وقرب من عصرنا هذا
اظهرن وصلا اذ رحمن متيما وابدين هجرا اذ خشين مراقبا
فنظمن من در المباسم جامدا ونثرن من در المدامع ذايبا
وليس قول ابي دهبل في صفة الحديث

كتساقط الرطب الجني من أفنا ن لا نثرا ولا نزرا من هذا

الباب في شيء لأن جميع ما تسمعه موصوف وصف حسن الحديث والثغر وأبو دهبل إنما

وصف قدر الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة ملازم للقصد كما تساقط الرطب

من أغصانه ويشبه أن يكون أراد أيضا مع ذلك وصفه بالحلاوة في التشبيه له بالرطب

ثم إنه غض طري غير متكرر ولا معاد لقوله الرطب الجني فيجتمع له أغراض الوصف

له بالقصد في الاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم بالغضاضة ونظير قول أبي دهبل

إنما هو في وصف الثغر وهذا في وصفه حسن الحديث وأنه والغضاضة

قول ذي الرمة

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

فأما قول مروان

إلى ملك ندى إذا يبس الثرى بنا بل كفيه أكف الجوامد ٢٤٣

تمثل قول أبي حنش النميري في يحيى بن خالد البرمكي

يروني مصافحا كف يحيى إنني إن فعلت أتلفت مالي أتلف

لو يمس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النوال

ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وقد قيل إن هذا الشاعر كان ممدوحا بالمحال لأنه زعم أن الذي لمس كفه لم يفد

شيئا قبل إعدائه جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر أنه المدح ولقوله وجه وهو

أن ذوي الغنى هم الذين يستقر أنه موال في أيديهم فيلبثون بأنهم ومن أخرج ما

يملكه حالا فحالا لا يوصف بأنه ذو غنى فأراد الشاعر أني لم أفد منه ما بقي في

يدي واستغرقت بكفي فلهذا قال لم أفد ما أفاد ذوو الغنى وفي هذا المعنى قول مسلم

إلى ملك لو صافح الناس كلهم لما كان حي في البرية يبخل

وقول أبي العكوك وقد علت حالة

لو لمس الناس راحتيه ما بخل الناس بالعطاء وأحسن من هذا كله وأشبه

بالمدح وأدخل في طريقه قول البحتري

من شاكر عني الخليفة بالذي أولاه من طول ومن إحسان

ملأت يداه يدي وشرد جوده بخلي فأفقرني كما أغناني

حتى لقد أفضلت من أفضاله ورأيت نهج الجود حيث أراني

ووثقت بالخلف الجميل معجلا منه فأعطيت الذي أعطاني

٢٤٤ لم نكو عن قاصي الرعية عينه فينام عن وتر القريب الداني

ومن هذا المعنى قول الآخر

رأيت الندى في العوز خليقة إذا كان في قوم سواهم تخلقا

ولو جرت في أبياتهم لتعلمت يداك الندى منهم فأصبحت مملقا ولابن الرومي فأما قوله

يجود البخيل إذا ما رآك ويسطو الجبان إذا عاينك

وأحواض عز حومة الموت دونها وأحواض عرف ليس عنهن ذائد

فيشبه أن يكون لإبراهيم بن العباس الصولي في قوله

لنا إبل كوم يضيق بها الفضا وتفتر عنها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن تستذم دماؤها

حمى وقرى فالموت دون مرامها وأيسر خطب عند حق فنائها

وقد أحسن إبراهيم في أبياته كل الإحسان فأما قوله

يكون غرارا نومه من حذاره على قبة الإسلام والخلق راقد فغير متداول

ومن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نعم الخليفة للرعية من إذا رقدت وطال بها الكرى لم يرقد ومثله

ويظل يحفظنا ونحن بغفلة ويبيت يكلؤنا ونحن نيام

ومثله للبحتري

أربيعة الفرس اشكري يد منعم وهب الإساءة للمسيء الجاني

وروعتهم جاراته فبعثن منه حمية آنف غيران
لم تفزع قاصي الرعية عنه فينام عن ... ترا القريب الداني — وأما قوله
كان أمير المؤمنين محمد لرأفته بالناس للناس والد — فنظيره قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد
أحيا لنا يحيى فعال خالد فأصبح اليوم كبير الحامد
يسخو بحل طارف وتالد على بعيد غائب وشاهد
الناس في إحسانه كواحد وهو لهم أجمعهم كالوالد — ومن جيد قول
مروان من قصيدة أولها
طلت بمعذا من البلى المصانع وما جنت الشوق الديار البلاقع — يقول فيها
وما لي إلى المهدي لو كنت مذنبا سوى حلمه الضافي على الناس شافع 345
وما هو عند السخط منه ولا الرضا بغير التي يرضى بها الله واقع
يغض له الطرف العيون وطرفه على غير من خشية الله خاشع
أما قوله وما هو عند السخط منه البيت فمثل قول أشجع
ولست بخائف لأبي علي ومن خاف الإله فلن يخافا — ومثله
آمنني منه ومن خوفه فخيفته من خشية الباري — ولأبي نواس
قد كنت خفتك ثم آمنني من أن أخافك خوفك الله — ويشبه ذلك ما روي
عن أمير المؤمنين علي عليه السلام من أنه دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على
باب البيت فقال له ما حملك على ترك إجابتي فقال كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك
فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه :. فأما قوله يغض له الطرف
العيون خيفة أن يكون مأخوذا من قول الفرزدق أو ممن ينسب إليه هذا البيت
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

مجلس آخر

تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون فقال ما معنى
الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوله قوم من أنه يحول بين الكافر وبين الإيمان وما معنى
قوله لما يحييكم فكيف تكون الحياة في إجابته الجواب قلنا أما قوله يحول
بين المرء وقلبه ففيه وجوه أولها أن يريد بذلك أنه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه
بالموت وهذا حث منه عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف
346 وتعذر ما يسوف به المكلف نفسه من التوبة والإقلاع فكأنه تعالى قال بادروا إلى الاستجابة
لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر
عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم ويقوي ذلك قوله تعالى وأنه إليه تحشرون
وثانيها أن يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وإن كان حيا
وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه أنه بغير قلب قال الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
قال الشاعر: ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
وهذا الجواب يقرب من الأول لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم والحث على
الطاعات قبل فوتها لأنه لا فرق بين تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها
بإزالة العقل :. وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه تعالى
من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وأن الضمائر المكنونة له ظاهرة والخفايا
المستترة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ونحن نعلم
أنه لم يرد تعالى بذلك قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه وإذا كان جل وعز أعلم بما في قلوبنا
منا وكان ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وعنه وكل ذلك لا
يجوز عليه تعالى جاز أن يقول إنه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء
يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما ولما أراد تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف
ونألف وإن كان القرب الذي عناه جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيرا
لفظة القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان أقرب إلى قلبي من فلان وزيد مني قريب
وعمرو مني بعيد ولا يريدون قرب المسافة ورابعها ما أجاب به بعضهم

من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم الله
تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدله بالخوف الأمن ويبدل عدوهم بظنهم أنهم قادرون
عليهم وغالبون لهم الخور والجبن :. قال الشريف المرتضى رضي الله عنه
ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه
قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد لأنا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه
من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن مواقعته رادع فكأن التكليف
حائل بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب في الحائل أن يكون
في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لأنا نعلم أن المشير منا على غيره في أمر كان قد هم به وعزم
على فعله أن يجتنبه والمنبه له على ما فيه من الخطأ لو انصرف عنه يصح أن يقال منعه منه وحال
بينه وبين فعله قال عبيد الله بن قيس الرقيات   حال دون الهوى وبين سلمى الليل مصعب
وسياط على أكف رجال تقلب   ونحن نعلم أنه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب
دون غيرهما :. فإن قيل كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية قلنا
وجه المطابقة ظاهر لأنه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله عليه السلم فيما يدعوان
إليه من فعل الطاعات والامتناع عن المقبحات وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار وما جرى
مجراهما يحول بين المرء وبين ما تدعوه إليه نفسه من المعاصي ثم إن المآب بعد هذا كله والمنقلب
إلى ما عنده فيجازي كلا باستحقاقه فأما قوله تعالى إذا دعاكم لما يحييكم ففيه وجوه
أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لأن تلك هي الحياة
الدائمة الطيبة التي يؤمن تغيرها ولا يخاف انتقالها فكأنه تعالى حث على إجابته التي تكسب
هذه الحال :. وثانيها أن يخص ذلك بالدعاء إلى الجهاد وقتال العدو فكأنه
تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه السلم فيما يأمرهم به من قتال الأعداء ودفعهم عن حوزة
الإسلام وأعلمهم أن ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر للمشركين وتقليل لعددهم وفل
لحدهم وحسم لأطماعهم لأنهم متى كثروا وقووا واستذلوا جانب المؤمنين
وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلم

تقتضي الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وثالثها
ما قاله قوم من أن كل طاعة حياة ويوصف فاعلها بأنه حي كما أن المعاصي يوصف فاعلها
بأنه ميت والوجه في ذلك أن الطائع إذا كان منتفعا بحياته وكانت تؤديه إلى الثواب الدائم
قيل إن الطاعة حياة ولما كان العاصي الكافر لا ينتفع بحياته من حيث كان مصيره إلى العقاب
الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منكد الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش
ولا حياة وما يجري مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته :. ويمكن في الآية وجه آخر
وهو أن يكون المراد بالحياة هاهنا الحياة في الحكم لا في الفعل لأنا قد علمنا أنه عليه السلم
كان مكلفا مأمورا بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتلهم وأنه عليه السلم فيما بعد كلف ذلك
فيمن عدا أهل الذمة على شروطها فكأنه تعالى قال استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فإنكم إذا
خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء من حيث تعبد عليه السلم بقتالكم وقتلكم وإذا أطعتم كنتم في
الحكم أحياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا وإنما أراد تعالى أنه يجب أن يكون
آمنا وهذا حكمه ولم يخبر بأن ذلك لا محالة واقع فأما المجبرة فلا شبهة
لهم في الآية ولا متعلق بها لأنه تعالى لم يقل إنه يحول بين المرء وبين الإيمان بل ظاهرها لا
يقتضي أنه يحول بينه وبين أفعاله وإنما يقتضي ظاهرها أنه يحول بينه وبين قلبه وليس للإيمان
ولا الكفر ذكر ولو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لانصرفنا عنه
بأدلة العقل الموجبة أنه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما أمره به وأراده منه وكلفه
فعله لأن ذلك قبيح والقبائح عنه منفية :.
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني أحمد بن محمد الجوهري قال أخبرني
الحسن بن عليل العنزي قال أخبرني أحمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف
قال أخبرنا عمر بن خالد بن عبد الله بن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصين بن حذيفة وجعه من
طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده ثم قال إن الموت أهون مما أجد
فأيكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ بأكبرهم فقال خذ سيفي فاطعن به حيث
آمرك ولا تعجل فقال يا أبتاه أيقتل الرجل أباه فأتى على القوم فأجابوه بجواب

ابن كبير حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه اليس فيما تامرني حريا حذقك وتحيلك بفعله
ونوهها قال بلى قال فمرني كيف اصنع قال ثم تخذ سيفي فضعه حيث امرتك ولا
تحمل فقام فاخذ سيفه فوضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه مرني كيف اصنع قال الق
السيف انما اردت ان اعلم انك امضى لما امر به فانت خليفتي ورئيس قومك من بعدي
فقال القوم انه سيقول في ذلك شعرا فاحضروه فلما امسى قال

ولوا عيينة من بعدي اموركم واستيقنوا انه بعدي لكم حام
اما ملكت فاني قد بنيت لكم عز الحياة بما قدمت قدام
واستوسقوا للذي فيها مروتكم قود الجياد وضرب القوم في الهام
والقرب من قومكم والقرب ينفعكم والبعد ان عدوا والرمي للرام
وفي حذيفة اذ ولى وخلفني يوم الهباءة يتيما بين ايتام ٣٤٩
لا ادفع الطرف ذلا عند مهلكة الفي العداة بوجه خزه دام
حتى اعتقدت لوي قومي فقمت به ثم ارتحلت الى الجفني بالشام
لما قضى ما قضى من حق زائره المطي الى النعمان من عام
اثنوا لما كانت امي تطلبه عند الملوك وطوبى نحوهم سام
والله اخرج شيئا لا ولد لقومه كفعلي واثامر كايتام
فانهوا ولا تهدموا فالناس كلهم من بين بان الى العليا وهدام

قال ثم اصبح ودعا بني بدر فقال لوائي ورياستي لعيينة اسمعوا مني ما
اوصيكم به لا يتكل احدكم على ولكم فانما يدرك الاخر ما ادرك الاول
وانكحوا الاكفاء والغريب فانه عز حادث واذا حضركم امران فخذوا بالخير صدرا
فان كل مورد معروف واصحبوا قومكم باجمل اخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه اصحبوا
فان الخلاف يزري بالرجل المطاع واذا حاربتم فادعوا ثم قولوا الصدق فانه لا خير
في الكذب وصونوا الخيل فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها
قرون الخيل والعز والكبر بالكبر فاني كنت اغلب الناس ولا تغزوا الا بالعيون

... حتى تأخذوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا للضيف بالقرى
فان خيره اعجله واتقوا فضحات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فان
ايديهم اطول من ايديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصن فاخذ عيينة الرياسة
وقال

اطعت ابا عيينة في هواه ولم تختلج صدري الظنون
وقد عرض الرئيس على بنيه فقال القوم هذا لا يكون
٣٥٠ سيحيى او يموت قضا ولو ان قبل المرء والدهر خئون
فلم اقتل بحمد الله حصنا وكل فتى ستدركه المنون
ولم احلل عليه وكل امر اذا هونته يوما يهون
فلن يك برده هذا الامر غثا فاخره بني بدر سمين

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ ان اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما اصابته اللقوة
فجحظت عينه ونال الوكه فسمي لذلك عيينة واذا عظمت عين الانسان لقبوه
اما عيينة واما عينا .. وروى قيس بن ابي حازم ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله
صلى الله عليه فقال عليه السلم هذا احمق مطاع .. وروى ايضا انه كان يدلع لسانه
للحسين عليه السلم وهو صبي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة الا اراك تصنع
هذا بهذا فوالله انه ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال
عليه السلم من لم يرحم لم يرحم .. ثم نعود الى ما كنا وعدناه به من
الكلام على شعر مروان فمما اخترناه من شعره قوله من قصيدة اولها

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله واقصر عنه حين اقصر باطله
ومن مد في ايامه فتاخرت منيته فالشيب لا شك شامله

يقول في المدح منها

بنو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله
امير واحلى ما بلا الناس طعمه عقاب امير المومنين ونائله

أبى لنا بأبى ذو الحلم والتقى فعول إذا ما جدّ بالأمر فاعله
ترى ورك العمى به السخط منه ولا الرضى لدى موطن الا على الحق حامله
يرى الشر والحق احلى مغبة واجنى ولو كانت ذعافا مناهله
فان طليق الله من هو مطلق وان قتيل الله من هو قاتله
فانك بعد الله للحكم الذى تصاب به من كل حى مفاصله ٣١١
ومن مقتبى آبائه فاخرت منيته فالشيب لا شك شامله

اما قوله فماخوذ من قول

طريح بن اسمعيل الثقفى
والشيب غاية من تأخرت منيته لا يستطيع دفاعه من يجزع

ولم اصح فى هذا

قول امية بن الصلت
من لم يمت عبطة يمت هرما الموت كاس والمرء ذائقها

ويشبه ذلك قول ابى نفر

قل لمن ليس يشتهى يحب من يعش يا ام عمار يشب

ومثله قول ابى العتاهية

من يعش يهرم ومن يهرم يمت والمنايا لا تبالى من اتت

ويشبه قول البحترى

ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر

ويقاربه قوله ايضا

والشيب مهرب من جارى منيته ولا نجاة من ذلك الهرب

وقريب منه قول ابن المعتز

وقالت كبرت واستقيت من الصبى فقلت لها ما عشت الا لاكبرا

ولبعضهم

ولا بد من موت فاما شبيبة واما مشيب والشبيبة اصلح

معنى قوله والشبيبة اصلح ان الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه والاسف على مفارقته واذا اسن وهرم برم به اهله وآثروا فقده فاما قوله
بنو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله
فمعناه متكرر فى الشعر كثير جدا واحسن شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد
يذكينك الجود والبخل والنهى وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فالقاك عن مذمومها متنزها والقاك فى محمودها ولك الفضل

وما حمد من اخلاق البخل انه يعرض بالمال حاشى لك البخل

وقد احسن البحترى فى قوله

بلونا ضرائب من قد نرى فما ان رأينا لفتح ضريبا
تنقل فى خلقى سودد سماحا مرجى وبأسا مهيبا
وكالسيف ان جئته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا

واما قوله فمعنى متداول مطروق

ترى ورك العمى به السخط منه ولا الرضى لدى موطن الا على الحق حامله
فى الشعر وقد كررته فى قوله
انا ابن الذين الرجال بها حفظهم هيبة وادركن معنيهما ٣١٢
الى كل امرئ ثواب ما اسدى رضى ولا غضب ما لا حراما ولا دما
واحسن من هذا قول ابى تمام فى محمد بن عبد الملك الزيات
ثبت الخطاب اذا اصطكت بمظلمة فى رحله ألسن الاقوام والركب
لا المنطق اللغو يزكو فى مقاومه يوما ولا حجة الملهوف تستلب
كأنما هو فى نادى قبيلته لا القلب يهفو ولا الاحشاء تضطرب
وتحت ذاك قضاء حز شفرته كما يعض بظهر الغارب القتب
لا سورة تتقى منه ولا بله ولا يخاف رضى منه ولا غضب
ومثله قول البحترى فى ابن الزيات ايضا
وحبا الحق بين اخذ واعطاء وقصد فى الجمع والتبديد
واستوى الناس والقريب قريب عنده والبعيد غير بعيد
لا يميل الهوى به حيث يمضى الامر بين المقلى والمودود
وسواء لديه ابناء ابرهيم فى حكمه وابناء هود
مستريح له احشاء من كل ضغن بارد الصدر من غليل الحقود

فاما قوله

وان قتيل الله من هو قاتله
فيشبه ان يكون ماخوذا من قول غير مرفوع فى عبيد الله بن زياد
ان الذى عاش ختارا بذمته ومات عبدا قتيل الله بالزاب

فاما قوله

فانك بعد الله للحكم الذى تصاب به من كل حى مفاصله

فيشبه قول ابى تمام يصف

القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات واجمع العلما ان هذه الابيات احسن وافخم من جميع ما قيل في القلم

لك القلم الاعلى الذي بشباته تصاب من الامر الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجنا اشتارته ايد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب واعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
اطاعته اطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكي واقبلت اعاليه في القرطاس وهي اسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الانامل ٣١٣
رايت جليلا شانه وهو مرهف ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

مجلس آخر : تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن
الا ان يشاء الله رب العالمين فقال ما تأويل هذه الآية اوليس ظاهرها يقتضي انا
لا نشاء شيئا الا والله تعالى شاء له ولم يخص ايمانا من كفر ولا طاعة من معصية
الجواب قلنا الوجه المذكور في هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه
من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال لمن شاء منكم ان يستقيم ثم قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله
اي ما تشاؤن الاستقامة الا والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر ان يريد الله تعالى
الطاعات وانما انكرنا ارادته للمعاصي وليس لهم ان يقولوا تقدم ذكر الاستقامة
لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما ان السبب لا يوجب قصر ما يخرج من
الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذي ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه
من الكلام دون ما لا يستقل وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله لا ذكر للمراد فيه

فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر
يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب ان نصرفه عنه بالادلة الثابتة على انه تعالى لا يريد
المعاصي ولا القبائح على ان مخالفينا في هذه المسألة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لان العباد
قد يشاؤن عندهم ما لا يشاؤه الله تعالى بان يريدوا الشيء ولا يفعلوه لعلة او لا يقع لمنع
او غيره وكذلك قد يريد النبي صلى الله عليه وآله من الكفار الايمان والتعبد بان يريد
من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع
فلا بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة ويجري هذه ٢٥٤
الآية مجرى قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء
الله وقوله وما يذكرون الا ان يشاء الله في تعلق الكلام بما قبله فان قالوا فالآية تدل
على مذهبنا وتبطل مذهبكم من وجه آخر وهو انه جل وعز قال وما تشاؤن الا ان يشاء
الله وذلك يقتضي انه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لان ان الخفيفة
اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا يوجب انه يشاء
افعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من انه انما يريد الطاعات في حال
الامر قلنا ليس في ظاهر الآية انا لا نشاء الا ما شاء الله تعالى في حال مشيئتنا كما
ظننتم وانما يقتضي حصول مشيئته لما نشاءه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر
ويجري ذلك مجرى قول القائل ما يدخل زيد هذه الدار الا ان يدخلها عمرو ونحن نعلم
انه غير واجب بهذا الكلام ان يكون دخولهما في حال واحدة بل لا يمتنع ان
يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد وان الخفيفة وان كانت للاستقبال على
ما ذكروه فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لان تقدير الكلام وما
تشاؤن الطاعات الا ان يشاء الله تعالى ومشيئة الله تعالى لها قد كانت
لها حال الاستقبال وقد اجاب ابو علي الجبائي انه لا يمتنع ان يريد تعالى الطاعات
حالا بعد حال وان كان قد ارادها في حال الامر كما يصح ان يأمر بها امرا بعد امر قال
لانه قد يصح ان يتعلق بارادته ذلك ثانيا بعد الامر في حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى

انا نكون متى علمنا ذلك دعانا الى فعل الطاعات اقرب وعلى هذا المذهب يعترض بما
ذكر وهو الجواب الاول والاصح اذا لم يذهب الى مذهب ابي علي في هذا
الباب على ان اقتضاء الاية للاستقبال من اوضح دليل على فساد قولهم ان الكلام
اذا اقتضى حدوث المشية واستقبالها بطل قول من قال منهم انه مريد لنفسه او مريد
بارادة قديمة وصح ما نقوله من ان ارادته متجددة محدثة ويمكن في تاويل
الاية وجه آخر مع حملنا اياها على العموم وعدم التخصيص بما تقدم ذكره من
الاستقامة ويكون المعنى وما تشاؤن شيئا من افعالكم الا ان يشاء الله تمكينكم
من مشيته واقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الاخبار
عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله جل وعز عليه
وليس لاحد ان يستبعد هذا الوجه لان ما يتعلق به المشية في الاية محذوف غير مذكور ۴۱۵
وليس لهم ان يعلقوا قوله تعالى الا ان يشاء الله بالافعال دون ان يعلقه بالقدرة لان
كلا الامرين غير مذكور وهذا واضح بحمد الله
ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان الذي اختاره قوله
من قصيدة اولها

طرقتك زائرة فحي خيالها ... بيضاء تخلط بالحياء دلالها — يقول فيها
مالت بقلبك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوب الى الصبى فامالها
وكانما طرقت بنفحة روضة ... سحت بها ديم الربيع ظلالها
باتت تسائل في المنام معرسا ... بالبيد اشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعدما ... سئموا مواعسة السرى ومطالها

قال السيد المرتضى رضي الله عنه المواعسة هي تحريك الراس
في السير من النعم

وكان حشو ثيابهم هندية ... نحلت واغفلت القيون صقالها

واما ذكره في اول القصيدة طروق الطيف فانه لم يات فيه بمعنى غريب

ولا لفظ مستغرب وقد قال الناس في الطيف والخيال فاكثروا واول من سبق الى ذلك
قيس بن الخطيم الذي كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

انى سربت وكنت غير سروب ... وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ... في النوم غير مصرد محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها ... فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقد احسن حبيب في قوله

۳۵۶ اتنسى اذ تودعنا سليمى ... بفرع بشامة سقي البشام
بنفسي من تجنبه عزيز ... علي ومن زيارته لمام
ومن امسي واصبح لا اراه ... ويطرقني اذا هجع النيام

وهذه الابيات وان خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب
مقبول ورأي عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم
ومتاخر فانه تغلغل في اوصافه واستشف من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان
مشغوفا بتكرار القول فيه لهجا بابدائه واعادته وان كان لابي تمام في ذلك
ذكر الخيال مواضع لا تجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها فمما لابي تمام قوله

زار الخيال لها لا بل ازاركه ... فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له ... في آخر الليل اشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم ... باق وان كان معسولا من السقم — وقوله
عادك الزور ليلة الرمل من رملة ... بين الحمى وبين المطالي
نم فما زارك الخيال ولكنك ... بالفكر زرت طيف الخيال — وقوله
الليالي احفى بقلبي اذا ما ... جرحته النوى من الايام
يا لها ليلة تنزهت الارواح ... فيها سرا من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب ... غير انا في دعوة الاحلام

فاما البحتري فقوله في هذا المعنى اكثر من ان نورد جميعه ها هنا غير انا نذكر

إلى ناجدة فمن ذلك قوله

فلا وصل إلا أن يطيف خيالها بنا بعد ما جعجعن من القيل أسفع

ألمت بنا بعد الهدو فساعفت بوصل متى نطلبه في الجد تمنع

وما برحت حتى مضى الليل وانقضى وأعجلها داعي الصباح الملمع

فولت كأن البين يخلج شخصها أوان تولت من حشاي وأضلعي

ورب لقاء لم يؤمل وفرقة تؤمل لم تحذر ولم تتوقع

أرى لا تفد في كل ليلة تعاودني فيها المالكية مضجعي

أسر بقرب من ملم مسلم وأشجى ببين من حبيب مودع

٣١٧ وكان لنا بعد النوى من تفرق تجمعه أحلام الكرى وتجمع

وقوله

وإني وإن ضنت علي بودها لأرتاح منها للخيال المؤرق

يعز على الواشين لو يعلمونها ليال لنا نزداد فيها ونلتقي

فكم غلة للشوق أطفأت حرها بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق

أضم عليه جفن عيني تعلقا به عند إجلاء النعاس المرنق

وقوله أيضا

بني خيال من أثيلة كلما تأوهت من وجد تعرض يطمع

إذا زورة منه تقضت مع الكرى تنبهت من وجد له أتفزع

ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه وتسمع أذني رجع ما ليس تسمع

وحسبك من حق تخيل باطل ترد به نفس اللهيف فترجع

وقوله

ألا إنما الكرى أهدى لي خياله شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

إذا انتزعته من يدي انتباهة عددت حبيبا راح عني أو غدا

ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا نعذب إيقاظا وننعم هجدا

وقوله

فما نلتقي إلا على حلم هاجد يحل لنا جدواك ومني حواجز

إذا ما تبادلنا التقاء يخلطنا من الجد أيقاظا ونحن نيام

وقوله

وليلة موهنا على العيس أرسلت بطيف خيال يشبه الحق باطله

فلولا بياض الصبح طال تشبثي بعطفي غزال بت وهنا أغازله

وقوله

٣٥٨ أحنك نأوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدى من حبيب

تخطى رقبة الواشين كرها وبعد مسافة الخرق المجوب

يكاذبني وأصدقه ودادا ومن كلف مصادقة الكذوب

وقوله

ما تقضى لبانة عند لبنى والمعنى بالغانيات معنى

تهجرنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدود تهجر وسنى

بعد رأي وقد تعرض منا طائف عرجت على الركب وهنا

قال المرتضى رضي الله عنه وحدثنا أبو القسم الحسن بن بشر الآمدي مع ميله إلى البحتري وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم أن البحتري أخطأ في قوله تهجرنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدود تهجر وسنى قال لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى لكن الجيد في هذا المعنى قوله

أرد دونك يقظانا ويأذن لي عليك سكر الكرى إن جئت وسنانا

قال والذي أوقع البحتري بهذا الغلط قول قيس بن الخطيم

ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب

وكان الصواب أن يقول ما تمنعني في اليقظة فقد تؤتينه في النوم ما يمنعينه في يقظتي فقد تؤتينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة مستويين إليه

لان خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال الا انه يتسع من التاويل في
هذا البيت ما لا يتسع للبحتري لان قيسا قال فقد توبته في النوم ولم يقل
توبته نائما وقد يجوز ان يحمل على انه اراد ما نمتع يقظي واما يقظان فقد
توبته في النوم اي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لانه قال وسني
ولم يقل في الوسن ؛؛

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه فقد تمكن من التاويل للبحتري ما
امكن مثله لقيس لكن الامر بعكس ذلك لان البحتري لما قال وسني دل على حال
الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان
الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسني ينبئ عن كونه ايضا
نائما وانما اراد المقابلة في هذا اللفظ بين يقظي ووسني وقوله يقظي لو متى ٣٥٩
لم يحمل ايضا على هذا المعنى لم يصح لانه لا يجوز ان يريد بذلك هجرنا في احوال
اليقظة ويكون معنى يقظي ينتهي اليه الا ترى انه لا يجوز ان يحمل قول قيس بن الخطيم
يقظي على معنى وانا يقظان لم يتبين التجوز فيه فكيف يجب عليه مثل ذلك في قول
البحتري وقوله وسني ويقظي مثل قول قيس بن الخطيم يقظي ولو كان قيسا قد نزل الشعر
من ان يقول وسني في مقابلة يقظي لعله ما عدل عنها الى النوم لانه لم يجر عليه
في وسني الا ما يجري في يقظي وما بيناه وقلناه في احد الامرين بيناه وقلناه في الاخر

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ولي في الخيال وطروقه معنى
ما علمت اني سبقت اليه وهو في قولي من جملة قصيدة

وزور تخطى جنوب الملا فناديت اهلا بذا الزائر
اتاني هدوا وعين الرقيب مطروفة بالكرى الغامر
فاعجب به يعسف الهاجعين ويحرمه مقلة الساهر
وعهدي بهو عين الحبيب تنم على قلبه الطائر
فلما التقينا برغم الرقاد موهت فلبى على ناظر

ومعنى البيت الاخير ان الاحلام انما هي اعتقادات تحصل في القلب لا حقيقة لها
لان الانسان يعتقد انه راى ما لا يراه في الحقيقة ويدرك ما ليس مدركة
على الحقيقة فالقلب يخيل للعين في النوم ما لا حقيقة له كما ان العين تخيل في كثير
من اليقظة وعلى القلب ما لا حقيقة له ؛ فاما قول مروان
وكانما طرقت بنفحة روضة البيت فيشبه ان يكون ماخوذا من قول نهشل
ابن حري

طرقت أسماء الرحال ودونها نقيان من رمل التمام الاسود ٣٦٠
ومعاور وصل الفلاة جنوبها بجنوب اخرى عبرها لم تعقد
وعل اذا ابدى الركاب بقطعة قرعت مناسمها بقف قردد
فكان ريح لطيمة هندية وذكي جادي بصبغ مجسد
وندى خزامى الحزن سحيقة طرق الحبال بعيد المرقد

او من قول الاخر
طرقتك زينب والمزار بعيد بمنى ونحن معرسون هجود
وكانما طرقت بريا روضة انف يسحسح مزنها ويجود

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتاخر جدا فاما قوله بانت تسائل
في المنام معرسا البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف
قلة النوم ومواصلة السرى وادلاج وشعث المسافرين فاكثروا ومن احسن ما
قيل في ذلك قول لبيد

ومجود من صبابات الكرى عاطف النمرق صدق المبتذل
قال هجدنا فقد طال السرى وقدرنا ان خنا الدهر غفل
قل ما عرس حتى هجته بالتباشير من الصبح الاول
يلمس الاحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل

بتمارى في القتى قلت له ولقد يسمع قولي حيّ هل

ومن ذلك قول ذي الرمة

وليل كأثناء الرويزي جبته ... بأربعة والشخص في العين واحد

الرويزي ثوب الطيلسان وقد روي كجلباب العروس ادّرعته وكل الكلام وصف له
بالسواد لأن الطيلسان أسود وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

أحمّ علافيّ وأبيض صارم ... وأعيس مهريّ وأشعث ماجد

أخو شقة جاب الفلاة بنفسه ... على الهول حتى لوّحته المطارد

وأشعث مثل السيف قد لاح جسمه ... وجيف المهاري والهموم الأباعد

سقاة الكرى كأس النعاس فرأسه ... لدين الكرى من آخر الليل ساجد 461

أقمت له صدر المطيّ (أي المهاري) وما درى ... أجائرة أعناقها أم قواصد

ترى الناشئ الغريد يضحي كأنه ... على الرحل مما منّه السير عاصد

ومن ذلك قول أبي حية النميري

وأغيد من طول السرى برحت به ... أفانين تهاض على الأين مرجم

سريت به حتى إذا ما تمزقت ... توالي الدجى عن واضح اللون معلم

أنخنا فقلنا أن جرى نبئ دماغه ... وعينيه كأس النوم قلنا له قم

فما قام إلا بين أيد تقيمه ... كما عطفت ريح الصبا خوط ساسم

خطا الكرى مغلوبًا كأن لسانه ... لما رد من رجع لسان المبرسم

وقد كاد يقطع كخمي منه لو أننا ... ركبنا وقلنا بالمناخ له نم

مجلس آخر — تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال

أي معنى لاختصاص الأرض بالذكر وقد ثبت أنهم لا يفوتون الله تعالى ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى أن يكون لهم أولياء من دونه وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والأبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون هؤلاء
462 الكفار يعجزون منه تعالى ويمتنعون من عذابه وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد تعالى إيقاعه بهم كما أنها قد تحجز عن كثير من أفعال البشر ولأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكاره ويلجؤون إليها للاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل على كل وجه ... وأما قوله تعالى وما كان لهم من دون الله من أولياء فمعناه أنه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم في الآخرة ولا مانع يدفع أيضًا إيقاعه إياه بهم في الدنيا وإن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء منهم وقد يجوز أن يكون ذلك أيضا بمعنى الأمر وإن كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يفزعوا إليه في معونتهم ونصرتهم ولا يعولوا على غيره

فأما قوله عز وجل ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ففيه وجوه أولها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عنادًا للحق وذهابًا عن سبيله فأسقطت الباء من الكلام وذلك جائز كما جاز في قولهم لأجزينك بما عملت ولأجزينك ما عملت ولأحدثنك ما عملت ولأحدثنك بما عملت وكما قال الشاعر

نغالي اللحم للأضياف نيًّا ... ونبذله إذا نضج القدور

أراد نغالي باللحم والوجه الثاني أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تدبرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل

ما يستطيع فلان أن ينظر إليك عداوة أي فلان لا يقدر على أن يكلمه وكما تقول
لمن عهد بامتداد العناد والاستثقال لسماع الحجج والبينات ما يستطيع أن يسمع الحق وما
تطيق أن تذكر ذلك وكما قال الأعشى

ودع هريرة إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

ونحن نعلم أنه قادر على الوداع وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستثقال
ومعنى ما كانوا يبصرون أي إن أبصارهم لم تكن نافعة لهم ولا مجدية عليهم مع أنهم أعرضوا
عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الأبصار جاز أن تنفى عنهم
الأبصار نفسها كما يقال للمعرض عن الحق العادل عنه ما لك لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل
وما أشبه ذلك والوجه الثالث أن يكون نفي السمع والبصر راجعاً
إلى آلهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف
لهم العذاب ثم قال تعالى مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون وهذا الوجه يروى عن ابن عباس وفيه أدنى بعد وفي الآية وجه رابع
وهو أن تكون ما في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع ليست للنفي بل تجري مجرى
قولهم لأواصلنك ما لاح نجم ولأقيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى أن
العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي يتصل
ما كانوا أحياء فإن قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة
السمع والأبصار وقد يكون كذلك قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله
ما كلمت فلاناً ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت حياً لأن
الغالب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب
ومن ذلك قول الشاعر

وما أنس من شيء تقادم عهده ... فلست بناس ما هدت قدمي نعلي
عشية قالت والدموع بعينها ... هنيئاً لقلب عنك لم يسله مسلي

وإنما أراد بقوله إني لا أنسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع أن يحمل على هذا المذهب

دوام العذاب بكونهم مستطيعين السمع والأبصار ويعود المعنى إلى تعلقه ببقائهم
وكونهم أحياء والمرجع في ذلك إلى التأبيد لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وأحيائهم
وعلمنا أن الآخرة لا موت فيها ولا خروج عن الحياة علمنا تأبيد العذاب ونعود
إلى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة
التي قد مضى أولها وتكلمنا عليها

وضعوا الحقود وذلكي سوابقهم جنح ... تشكو كلوم صفاحها وكلالها
طلبت أمير المؤمنين فواصلت ... بعد السرى بغدوها آصالها
رعت البلاد صواديا فتقاذفت ... تطوي الفلاة حزونها ورمالها
يتبعن ناجية يزين مراحها ... بعد النحول تليلها وقذالها
هوجاء تمرغ بالبرى وتشفها ... شوق الشموس إذا أراع حلالها
تنجو إذا رفع القطيع كما نجت ... خرجاء بادرت الظلام رئالها
كالقوس ساهمة أتتك وقد ترى ... كالبرج تملأ رحلها وحبالها

وهذه أبيات في وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة اللفظ
مطردة النسج وقد سبق الناس في هذا المعنى إلى ضروب من الإحسان فمن ذلك قول
الأخطل

خوص كأعطال القسي تقلقلت ... أجنتها من شقة ودؤوب
إذا معجل غادرنه عند مبرك ... أتيح لجواب الفلاة كسوب

المعجل الملقي من أجنته لغير تمام وجواب الفلاة الذئب

وهن بنا عوج كأن عيونها ... بقايا قلات قلصت لنضوب
مسانيف يطويها مع القيظ والسرى ... تكاليف طلاع النجاد ركوب
فهن تني لم يرضوا فيه كأنها ... رجال قيام عصبوا بسبوب
يعمن بنا عوم السفين إذا انجلت ... سحابة وضاح السراب عصوب

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري

الى أن لهم نهاداً نادلنا خلق من الريح في أشباح ظُلمان
كأن أعلامها والمحو يأخذها أعلاق صادرة عن قوس حسبان

قال بشار

وإذا المطي سبحن في أعطافه فاتت المطي بكاهل وتليل
وكأنه والناعجات يردنه قدح تطلع من قداح مجيل

ولبعض الكاتبين

نهش الهواجر والضمائر لحمها حتى تحدد لحمها المتظاهر
حرف يناهبها النجاء فلا يصح ما تختل شدقم أو داعر
صبر إذا عطفت سوالفها البرى سمعت لهن كتاكش وجراجر
وتحل من عز النفوس وجلها جيئاً ومن إذا اختبرنا باعر
أما إذا ما أقبلت فكأنها ذعر تهادتها الفلاة نوادر
أما إذا ما أعرضت فكأنها كنز تورد القطا فصوادر
أما إذا ما أدبرت فكأنها صرح مشيدة وهن ضوامر

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وأنا أستحسن قول ثمامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة

كأن يديها إذا أرقلت وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
يدا سابح خر في غمرة وقد شارف الموت إلا قليلا
إذا أقبلت قلت مشحونة أطاعت لها الريح قلعاً جفولا
وإن أدبرت قلت مذعورة من الربد تتبع هيقاً ذمولا

معنى قوله وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يقول لنشاطها ومرحها تجور فلا تلزم لقم الطريق بل تأخذ يميناً وشمالاً فلما أعضهن الكلال استقمن على المحجة وكان وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة ومثل ذلك قول الآخر

كأن يديها حين جد نجاؤها يدا سابح في غمرة يتذرع

ومما يشاكل هذا المعنى أو يقاربه قول الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة بعيد السباب حاولت أن تعذرا
ممجدة الأعراق قال ابن ضرة عليها كلاماً جار فيه وأهجرا

فشبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها بريئة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجر فيه أي أفحش فهي ترفع يديها وتضعهما تتعذر وتحلف وتفصح عن نفسها وقد قيل إن معنى مدلة أنها تدل بحسن ذراعيها فهي تديم إظهارهما ليُرى حسنهما وقوله بعيد السباب أي في عقيب المسابة قامت تعتذر إلى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية أنها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرة ويشهد لهذه الرواية الأخيرة قول الآخر

كأن يديها حين يقلق ضفرها يدا نصف غيري تعذر من جرم

وقوله حين يقلق ضفرها فيه سر وفائدة لأن الضفر هو النسع وإنما يقلق إذا أجهدها السير فضمرت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ومثله

كأن ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت ضرائر عن عفر
سمعن لها واستعجلت في كلامها فلا شيء يفري باليدين كما تفري

ويقاربه قول الآخر

أنه هل تبلغنيهم على الأدواء والظنه
وآه لحصى المعزاء في أخفافها رنه
إذا ما عصفت قلت حماة فاضحت كنه

ومما شبه سرعة أيدي الإبل بأيدي النوائح كعب بن زهير فقال

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا
شد النهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاوبها نكد مثاكيل

نواحة رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول
العساقيل اوايل السراب ولا واحد لها من لفظها واخبر ان ناقة في شدة الحر
وانقاد الظهيرة تموج في سيرها وتذرع بيديها فشبه ذراعيها بذراعي امراة
نصف تنوح على ابنها وقد نعي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما والعيطل
الطويلة العنق وجعلها نصفا لانها قد كادت تياس من الولد فهو اشد لحزنها
على ابنها وتفجعها عليه والقور جمع قارة وهو ما ارتفع واستدار من الرمل
واراد ان يقول كما تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب ومثله
وكانما دفعت يدي نواحة شمطا قامت غير ذات خمار
وانما خص الشمطا لما ذكرنا من الياس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم
ولا شمطا لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا ٣٤٧
وقد قيل في بيت عمرو بل شبه الناقة بشمطا لما على راسها من اللغام ومثل ما
تقدم من المعاني قول الشاعر
ياليت شعري والمنى لا تنفع ◦ هل اغدون يوما وامري مجمع ◦
وتحت رحلي زفيان ميلع ◦ كانه نايحة تفجع ◦
تبكي لميت وسواها الموجع ◦
الزفيان الناقة الخفيفة والميلع السريعة وشبه رجع يديها في السير
ونشاطها بيدي نايحة تنوح لقوم على ميتهم باجرة فهي تبذل الاشارة
بيديها ليرى بكاها ومثله يعنيه قول ذي الرمة
محانيق تضحي وهي عوج كانها بجوز الفلا مستاجرات نوايح
المحانيق اللواتي ضمرن بعد سمن وخص المستاجرات من النوايح للمعنى الذي ذكرنا
وقال الشماخ فيما تقارب هذا المعنى في وصف السرعة ◦
كان اوب يديها حين اعجلها اوب المراح وقد نادوا بترحال ◦
مقط الكرين على مكنوسة زلق يغظهر حانة البيرين مغوال ◦

متى اوب يديها اي رجعها واوب المراح اذا اراح القوم عازب اموالهم ليحلوا
وقد روي اوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح في النشاط والمقط اللعب
بالكرة والكرين جمع كرة والمكنوسة الارض البراح التي لا شي فيها والزلق
المستوية من الارض والحانة الوجه والبيران جانبا هذه الارض ومغوال قيل
انه من صفات الوجه وقيل من صفات الارض وان كان الوجه فمعناه ان الوجه يغول
الارض باسرها اي يملاها واذا كان للارض والمعنى انها تغول من سلكها اي تهلكه
وتلخيص معنى البيت انه شبه يدي ناقته بيدي ضارب بكرة في الارض الواسعة ٣٤٨
في يوم عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغه ومثل بيتي
الشماخ قول المسيب بن علس
مرحت يداها للنجاء كانما تكرو بكفي لاعب في قاع ◦
فعل السريعة بادرت جدادها قبل المساء تهم بالاسراع ◦
معنى تكرو اي كانها تلعب بكرة والسريعة يعني ناسجة والجداد الغزل الضعيف
فاراد انها تسرع الضرب بالحف والنسج قبل المسا وما دامت تبصر فشبه
يدي ناقته في سرعتها بيدي هذه الناسجة وقال الاصمعي الجداد هدب الثوب
يعني ان هذه الناسجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الى الهدبة فهي تبادر
لتفرغ منه قبل المساء وقريب منه قول الاخر
كان ايديهن بالقاع القرق ◦◦◦ ايدي جوار يتعاطين الورق ◦
فالقرق الخشن الذي فيه الحصى وشبه حذف مناسمهن للحصى بحذف جوار يتعاطين
دراهم وخص الجواري لانهن اخف يدا من النسا وقال ابو عمرو القرق ها هنا
المستوي من الارض الواسع وانما خص بالصفة ان يبين ان الابل اذا اسرعت في
المستوي فهو احمد لها واذا اسرعت في غيره كان احمد لها ومن مستحسن ما قيل
في الاسراع قول المرار بن سعيد
فتنا ولو اسعب الرحال فقلصت سود البطون كهضلة المتنمس ◦

ذكر سفراً اهبوا من قد تهم الى رحالهم ليسيروا ويعني بسود البطون الابل والمتمّس الصايد الذي يتخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا في سرعتها بقطا قد صاد القانص بعضها وافلت بعضها فهي تطير طيراناً شديداً ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة

كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد

واما قول مروان

يتبعن ناجية يمور مراحها بعد النحول تليلها وقذالها

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ما مضى واحسن من قول مروان واشد افصاحاً بالمعنى واعراباً عنه قول الهذلي

ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال

وانما كان هذا احسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لان النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب وقد يكون عن غيره ٢٦٩ فاما قوله كالقوس ساهمة اتتك فقد اكثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي وغيرها وقد احسن كثير في قوله

نفى السير عنها كل داء اقامة فهن رذايا بالطريق ترائك

وكلفت الحاجات خوصاً كأنها وقد ضمرت صفر القسي العواتك

وقال سلم بن عمرو الخاسر

وكانني بالركب قد طلعوا لها او مثلهن عطائف الاقواس

قود طواها ما طوت من همه نائي الصوى ومناهج ادراس

وقال ابو تمام يصف ناقة

اتينا القادسية وهي تولي بعين شيطان رجيم

فما بلغت بنا عسفان حتى رنت بلحاظ لقمان الحكيم

وبدلها السرى بالجهل حلماً وقد ادبها قدّ الاديم

اذاب سنامها قطع الفيافي وعرق جلدها نضح العصيم

فكانت كالبدر وافى في ليل سعد فآبت مثل عرجون قديم

وقال البحتري

وخدان القلاص حولاً اذا قابلن حولاً من انجم الاسحار

يترقرقن كالسراب وقد خضن غماراً من السراب الجاري

كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

وله ايضاً

وهي العيس دهرها في ارتحال من طلول لوفرة من جميع

رب مرت من تجاذب قطعة سراباً كالمنهل المشروع

وسرى ينحيه بالوجد حتى يصدع الليل عن بياض الصديع

كالقسي البري وتحسبن احياناً نسوعاً مجدولة من نسوع

٢٧٠

مجلس آخر

تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فقال كيف اضاف اليد الى نفسه وهو يتعالى عن الجوارح

الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون قوله تعالى لما خلقت بيدي جارياً مجرى قوله لما خلقت انا وذلك مشهور في لغة العرب يقول احدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك فاذا ارادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل

وثانيها ان يكون معنى اليد ها هنا النعمة ولا اشكال في ان احد محتملات اليد النعمة فاما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت لنعمتي واراد بالباء اللام

وثالثها ان يكون معنى اليد ها هنا القدرة وذلك ايضاً معروف في محتملات هذه اللفظة يقول القائل ما لي بهذا الامر يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى انني لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات كون الفاعل

قادرًا ومعنى كونه قادرًا فكأنه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت وانا
قادر على خلقه فعبّر عن كونه قادرًا بلفظ اليد التي هي عبارة عن القدرة
وكل ذلك واضح في تأويل الآية

ونعود الى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان من قصيدته
التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما نختاره قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرّع نبعة من هاشم مدّ الإله على الأنام ظلالها
جبل لأمته تلوذ بركنه وأذى جبال عدوها فأزالها
لم تغشها مما تخاف عظيمة الا أجال لها الأمور مجالها ٢٧١
حتى يفرّج همها عنها مهذب الغنى آباؤه مفرجها امثالها
ثبت على زلل الحوادث راكب من صرفهن لكل حال حالها
كلتا يديك جعلت فضل نوالها للمسلمين وللعدو وبالها
وقعت مواقعها بعفوك أنفس اذهبت بعد مخافة أوجالها
آمنت غير معاقب طرّادها وفككت عن أسرائها أغلالها
ونصبت نفسك خير نفس دونها وجعلت مالك واقيا أموالها

اما قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

فقد طعن عليه وعابه من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي عليه السلم
حرام وهذا ذلك عجيب وانما اراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل
من سنن النبي عليه السلم تحريم الحرام وتحليل الحلال وانما المعيب من هذا المعنى قول
ابن الرقاع العاملي

ولقد اراد الله اذ ولّاكها من امة اصلاحها وفسادها

ومثل قوله وان قول سلم الخاسر

١٣٠ فاما قوله حتى يفرج همها اغر مبارك

ولما وليت ذكرت النبي بتحليله وتحريمه
البيت فلم يصح المتقدمين والمحدثين وله اصل فيه قول زهير

وما كان من خير اتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل

ومثله قول الآخر

٢٧٢ وحمزة والعباس منهم ومحمد ومنهم عقيل وما العود من حيث يعصر

ومثله للربيع بن ابي الحقيق اليهودي

اذا مات منا سيد قام بعده له خلف يلقى السيادة بارع
من ابنائه والعرق ينصر فرعه على اصله والعرق للعرق نازع

ومثله له

ترجو الغلام وقد اعياك والده وفي ارومته ما ينبت العود

واخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال

تجري اصاغرهم مجرى اكابرهم وفي ارومته ما ينبت الشجر

وفي هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

تخلف البيض من بنيك كما تخلف عود النضار في شعبه

ومنه قول نهشل بن حري

ارى كل عود نابتا في ارومة أبى نبت العيدان ان يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء سوء يلقهم حيث سيّرا

ومثله لمسلم بن الوليد الانصاري

لاح على الأيام من بعض خطوها على منهل الغي اباه له قبل ولبشار
على اعراقها تجري الجياد

ومثله

وما في من خير وشر فانها سجية آبائي وفعل جدودي
هم القوم فرع منهم متفرّع ونحوهم عند الحوادث عودي

وللبحتري

وإذا أبو الفضل استعار سجيّة للمكرمات فمن أبيه يعقوب ٥

شرف تتابع كابرا عن كابر كالرمح أنبوبا على أنبوب ٥

وأرى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب ٥

وله أيضا

ما سعوا المخلفون غير أبيهم كل ساع منا يريد لما به ٥

وله أيضا

وما تابع في المجد نهج عدوه كمتبع في المجد نهج أبيه ٥

وفي هذه القصيدة يقول مروان ٣٧٣

هل تعلمون خليفة من قبله أحمى لغاية التي أحمى لها ٥

طلع الدروب مشمرا عن ساقه بالخيل منصلتا يجد نعالها ٥

فودات تبغي إلى أغر لوجهه نور يضيء أمامها وخلالها ٥

قصرت حمائله عليه فقلصت ولقد تحفظ قينها فأطالها ٥

حتى إذا وردت أوائل خيله جيحان شن على العدو رعالها ٥

أحمى بلاد المسلمين عليهم وأباح سهل بلادهم وجبالها ٥

أدمت دوابر خيله وشكيمها غابا تهز وللحقت آطالها ٥

لم يبق بعد مقادها وطرادها إلا عجازها وإلا آلها ٥

دفع الخليفة ناظري ورأيتني بيد مباركة شكرت نوالها ٥

وحسدت حتى قيل أصبح باغيا في المشي مترفا شبيه مختالها ٥

ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى نعلا وشرعت التي مثالها ٥

أما قوله قصرت حمائله البيت فالأصل فيه قول عنترة

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم ٥

أو قول الأعشى إلى ماجد كهلال السماء أزكى وفاء ومجدا وخيرا ٥

ومثله طويل النجاد رفيع العماد يحمي المضاف ويغني الفقيرا

طويل نجاد السيف عار جبينه كنصل اليماني أخلصته صياقله ٥

ومثله إذا هم بالمعروف لم تجر طيره نحوسا ولم تسبق بنحس عوائده ٥

قول طريح بن إسماعيل الثقفي

٣٧٤ واشعث طلاع الثنايا مبارك يقول نجاد السيف منه طويل ٥

ولأبي الجويرية العبدي

سما نجاد السيف حتى كأنه بأعلى سنامي فالج يتطوح ٥

إذا ما هتكنا البرد اليماني خلته هلالا بدا في جانب الأفق يلمح ٥

ولأبي عطاء السندي

وأزهر من بني عمرو بن عمرو حمائله وإن طالت قصار ٥

ولبعضهم في آل المهلب

رأيتكم أعز الناس جارا وأمنعهم إذا غدروا ذمارا ٥

حمائلكم وإن كانت طوالا نواما عن شمائلكم قصارا ٥

ولبعض بني العنبر في معنى الطول

ولآخر تجاوز به عبل العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء ٥

ولابن هرمة أشم طويل الساعدين كأنما يناط إلى جذع طويل حمائله ٥

يناط حمائل الهندي منه بعاتق لا ألف ولا ضئيل ٥

ولكن تستقل به قواه على ماض هامته نبيل ٥

ولمسلم الخاسر

وللخثعمي يقوم مع الرمح الرديني قامة ويقصر عنه طول كل نجاد ٥

وللوالبي يوازي الرديني في طوله ويقصر عنه نجاد الحسام ٥

طويل وطول الفتى كفه تنال بالطول ظلال الغمام ٥

وطوله يغنيك يوم الوغى وغيره فضل نجاد الحسام ٥

فاما قوله

ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت عن النبي مثالها

فقد ردد معناه مروان في مواضع من شعره فقال

شبه ابيه منظرا وخليقة كما حذيت يوما على اختها النعل

وقال في موضع آخر

احيا لنا سنن النبي محمد قد الشراك به قرنت شراكا

وقال في موضع ايضا

صحيح الضمير سره مثل جهره قياس الشراك بالشراك تقابله

وقال ايضا ٣١٥

تشابهتم حلما وعدلا ونائلا وحزما اذا امر اقام واقعدا

تنازعتما نفسين هن كلهن على اصل عرق كان الخير متلدا

كما قاس نعلا حضرمي فقدها على اختها لم يال ان يتجردا

واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان

وله اصل في هذا المعنى قول ابن ابي ربيعة

فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

ومثله للسيد ابن محمد الحميري

يتلون اخلاق النبي وفعله كالنعل تشبه في المثال طراقها

وقد تقدم الى هذا المعنى زيد المكسر ثعلبة بن سيار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض

قومه على القتال

من فر منكم فر عن حريمه وجاره وفر عن نديمه

انا ابن سيار على شكيمه مثل الشراك قد من اديمه

وكلهم يجري على قديمه

فاما قوله

وجدت حتى قد اصبح باغيا البيت ففي معناه قول البحتري

ألنت لي الايام من بعد قسوة وعاتبت لي دهري المسيء فاعتبا

والبستني النعمى التي غيرت اخي علي فامسى نازح الود اجنبا

ومما يختار لمروان قوله

٢٧٦ موفق لسبيل الرشد متبع يزينه كل ما ياتي ويجتنب

يسمو العيون اليه كلما انفرجت للناس عن وجهه الابواب والحجب

له خلائق بيض لا يغيرها صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به

غير هذا البيت الاخير من الثلاثة وكان ابن مناذر ياباه اراد بقوله وقد سيل

كم تهاجون بمكة عمن ببغداد من الشعراء فقيل له العباس بن الاحنف فقال انشدوني

له فانشدوه

لو كنت عاتبة لسكن عبرتي املي رضاك وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لي حيلة صد الملول خلاف صد العاتب

فقال ابن مناذر اخلق بمن اذا دام عليها التراب ان يصيب حرزه قال

الشريف رضي الله عنه ولا شك في قلة الامثال في شعر مروان ولكن ليس الى هذا

الحد وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق اليه ايضا فالطريح بن اسمعيل

جواد اذا جئته راجيا كفاك السؤال وان عدت عادا

خلائقه كسبيك النضار لا يعمل الدهر فيه فسادا

ومثله قول الخزيمي

رايتك يا زيد زين الندى وزيد الفخار وزيد الكرم

تزيد على نائبات الخطوب بذلا وفي سابغات النعم

كذا الحر والذهب المعدني يجود نقا وذاك القدم

وفي قوله الذهب المعدني فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسدوا ذا

امتزج بغيره لم يكن يملا خلقه ** وللاموي
يا وي الى خلق لم يصد طبع كان جوهره من جوهر الذهب ° ولبعضهم
ملك له خلق خليق بالعلى كسبيكة الذهب التي لا تكلف °
وقد اخذ البحتري هذا المعنى في قوله
فلا تعن بتحريف تكلفه لصورة حسنها الاصلي يكفيها °
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت ولا يزاد على الحسن الذي فيها °
ولجحظة مثله
صديق لي له ادب صداقة مثله حسب °
رعى لي فوق ما يرعى واوجب فوق ما يجب ° ٢٧٧
ولو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذهب °

مجلس اخر تاويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جميع وما معنى مسحور وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه بذلك بل عادتهم جارية بقذفه بانه ساحر الجواب
قلنا اما قوله تعالى واذ هم نجوى فلان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو موحد على لفظه ويجري مجرى قولهم رجل صوم والمناهل جمد يعني بصوم صائمون وبجمد جامدات ونظائره في معناه واذ هم اصحاب نجوى فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم انجية ° فمن وحد بنى على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصدر ملحقا ° برغيف وارغفة وما اشبه ذلك قال الشاعر
اتاني نجي بعد هدء ورقدة ولم يك فيها ما تبلونه كاذب °

وانشد الفراء في الجمع
ظلت نساؤهم والقوم انجية يعدى عليها كما يعدى على الغنم
فاما قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا ففيه وجوه اولها ان يكون المراد ان تتبعون الا رجلا متغير العقل لان المشركين كان من مذهبهم عيب النبي عليه السلام وتضعيف امره وتوهين رايه وكانوا في وقت ينسبونه الى انه شاعر وفي
٢٧٨ اخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بانه شاعر حتى من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يضيفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور وثانيها ان يريدوا المسحور المخدوع المعلل لان ذلك احد ما يستعمل فيه هذه اللفظة قال امرؤ القيس
ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
وقال امية بن ابي الصلت
فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر
وثالثها ان السحر في اللغة العربية الرئة وما تعلق بها وفيها ثلاث لغات سحر وسحر وسحر وقيل ان السحر ما لصق بالحلقوم والمريء من اعلا الجوف وقيل انه الكبد وكان المعنى على هذا ان تتبعون الا رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم ورابعها ان يكون مسحورا اي ساحرا وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اي ساترا والعرب تقول للمعسر ملفج ومعناه ملفج لان ماضيه الفج فجاؤوا بلفظ المفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤوم على فلان وميمون عليهم يريدون شائم له ويامن لانه من شامهم ويمنهم قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ورايت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الاخير ويقول العرب لا يعرف فلان مشؤوم على فلان وانما هذا من كلام اهل الامصار وانما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤوما وما قال علقمة بن عبدة
ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم

والوجه الثالث لله دره واوضح واشبه

ومما يختار لمروان بن ابي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني اولها

ارى القلب امسى بالاوانس مولعا وان كان من عهد الصبى قد تمتعا

يقول فيها

ولما سرى الهم الغريب قريته قرى من ازال الشك عنه واوضعا

عزمت فعجلت الرحيل ولم اكن كذي لوثة لا يطلع الهم مطلعا

فامّمت كلبي ارض معن ولم تزل الى الارض معن حيث ما كان نزّعا

نجائب لولا انها سخّرت لنا ابت عزة من جهلها ان توزعا

٢٧٩ كسون رحال الميس منها غواربا تدارك فيها النيّ صيفا ومربعا

فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ذراها وزال الجهل عنها واقلعا يقول فيها

وما الغيث اذ عمّ البلاد بصوبه على الناس من معروف معن باوسعا

تدارك معن قبة الدين بعد ما خشينا على اوتادها ان تنزّعا

اقام على الثغر المخوف وهاشم تساقى بها ما بالاسنة منقعا

مقام امرئ يأبى سوى الخطة التي تكون لمن يغشى المعاطش انفعا

وما احجم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا

رأوا مخدرا قد جربوه وعاينوا الذي غيله منهم مجرّا ومصرعا

وليس بثانيه اذا شدّ ان يرى لمهجته زرق الاسنة شرّعا

له راحتان الحتف والغيث فيهما ابى الله الا ان تضرّ وتنفعا

لقد وجد الاعداء معن بن صبحوا وامنعهم بجدع الذل اجدعا

نجيب مناجيب وسيد سادة ذوي المجد من فرعي نزار تفرّعا

لبانت خصال الخير فيه واكملت وما كملت خمسا سنوه واربعا

لقد اصبحت في كل شرق ومغرب بسيفك اعناق المريبين خضّعا

وطئت خدود الخضرميين وطأة لها هدّ ذكا عزّهم فتضعضعا

فاقعوا على اذنابها فقعا معشر يرون لزوم السلم ابقى واودعا

فلو ترك لم يعنى الى الحرب كلها لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا اما قوله

فما بلغت صنعاء حتى تواضعت ذراها وزال الجهل عنها واقلعا

فقد ردده في موضع آخر فقال

٢٨٠ فما بلغت حتى حماها كلالها اذا عريت اصلابها ان تقيدا

وهذا كثير في الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير

اذا بلغوا المنازل لم تقيّد وفي طول الكلال لها قيود

وروي انه قيل لنصيب لم تدع في حجر انجما فيه اشعر فقال ما هو قيل قوله

اضرّ بها التهجير حتى كانها بقايا سلال لم يدعها سلالها

وان بيت جرير الذي تقدم فقال قاتله الله ابن الخطفى فقيل له قد فضله عليك

فقال هو ذاك ؛ واخذ هذا المعنى بعينه المؤمل ابو ملك المحاربي فقال

كانت تقيّد حين تنزل منزلا فاليوم صار لها الكلال قيودا

ولابي نخيلة

قيدها الجهد ولم تقيّد فهي سوام كالقنا المسنّد وما لها معتلّ من مورد

منها ولا من شاحط مستبعد

ومعنى قوله سوام اي رافعة رؤوسها وشبهها بالقناة لان القنا اذا ركز مال

قليلا مع الريح فيقول في اعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ

كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز وكما قال حميد بن ثور الهلالي

يمشي حرام والمطي كانها قنا مسند هبّت لهن خريق

الخريق ريح شديدة تخرق من كل جهة ومعنى قوله اي تخيله من مورد اي من

ثميلة تجتزئ بها من الاجتزاء واراد انه لا شيء في اجوافها فتعلّل به والمستبعد

ما بعد من المرعى وانشد ابو العباس ثعلب

اذا بلغوا المنازل لم تقيّد وكم تشدد ركابهم بعقل

فهن مقيدات مطلقات بهم ما تشذب في المحل ۝
وقد وصف بهذا قول امرئ القيس
مطوف بهم حتى يكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان ۝
ولعاكر انفا الكلف الصداوي
فتمسي لا آفين ما يحمل بها طول الضراوة والكلال ۝
ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف ابلا
بدأنا بها من سيف رمل كهيلة وفيها نشاط من مراح وعجرف ۝
فما بلغت حتى تقارب خطوها وبادت ذراها والمناسم رعف ۝
وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت اذا ما أنيخت والمدامع ذرف ۝ ٣٨١
وحتى مشى الحادي البطيء يسوقها لها بخص دام ودأي مجلف ۝
البخص لحم الخف الذي تطأ عليه والدأي فقار الظهر والمجلف المقشور
وحتى تعشاها وما في يدلها اذا حل عنها رمة وهي رسف
الرمة الحبل واراد انها ترسف كما يرسف المقيد وان لم يكن في رجلها قيد
اذا ما أزلنا قالت عن ظهورها حراجيج امثال الاهلة شسف
الحراجيج الطوال الضمر من الابل والشسف اليابسة من الجهد والكلال ومعنى
قبالها الغربان انها اذا رعت بظهورها فتقع الغربان عليها لتاكل دبرها فالابل
تدفع الغربان بافواهها عن ظهورها فذلك قبالها
اذا ما اريناها الازمة اقبلت الينا بحرات الخدود وتصدف ۝
فافنى مراح الداعرية خوضها بنا الليل اذ نام الدثور الملفف ۝
ومن حسن ما قيل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر
وذات مآرين قد عبقت جمتهما بحيث تستمسك الارواح بالحجر ۝
ردت عواري غيطان الفلاة وقد تمثلت ابالة من حائل العشر ۝
قوله ذات مآرين يعني سمنا على سمن وقيل بل يعني انها رعت كلا عامين

وقوله قد عبقت جمتهما يعني انه اتعبها بالسير حتى ردتها الي وكانه عنى بذلك ما بها
ومعنى بحيث تستمسك الارواح بالحجر يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء فيقسم
الركب الماء الذي يكون معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فيمسك ارماقهم ۝ وقوله
ردت عواري غيطان الفلاة اى ما رعت من كلاء هذه الاماكن وسمنت عنه
كان كالعارية عندها فردتها حيث جهدها السير واهزلها والابالة
٣٨٢ الحزمة من الحطب اليابس واخذ هذا المعنى بعينه ابو تمام فقال
رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء المزن ينهل ساكبه ۝
فكم جزع واد جب ذروة غارب ومن قبل كانت اتمكته مذانبه ۝
فاما قوله
فما احجم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا ۝
فهو ماخوذ من قول الاول
فما ابقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال ۝
وقريب منه قول الآخر
لعمرك ما الناس اثنوا عليك ولا قرظوك ولا عظموا ۝
ولو انهم وجدوا مطعنا الى ان يعيبوك ما احجموا ۝
فانت بفضلك الجأتهم الى ان يجلوا وان يعظموا ۝
ومثله
اما لو رأى فيك العدو نقيصة لخب بتعريف العيوب واوضعا ۝
ولكنه لما رآك مبرأ من العيب غطى راسه وتقنعا ۝ ومثله
وقد طلبت لها ذل عيبا فما اصاب عيبا فاثنى عاذرا ۝
وللبحتري في معنى قول مروان فما احجم الاعداء عنك بقية من قصيدة يمدح بها
الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الاسد
غداة لقيت الليث والليث خادر يحدد نابا للقاء ومخلبا ۝

شهدت لقد انصفته يوم تنبري له مصلتاً عضباً من البيض مقضبا
فلم ار ضرغامين اصدق منكما عراكاً اذا الهيابة النكس كذبا
هزبر مشى يبغي هزبراً واغلب من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا
ادل بشغب ثم هالته صولة رآك لها امضى جناناً واشغبا
فاحجم لما لم يجد فيك مطمعاً واقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا ولم ينجه ان حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
وكنت متى تجمع يمينك تهتك الضريبة او لا تبق للسيف مضربا
٢٨٢ ومن صافي كلام مروان ورائقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد
الشعر قوله
بنو مطر يوم اللقاء كانهم اسود لها في غيل خفان اشبل
هم يمنعون الجار حتى كانما لجارهم بين السماكين منزل
لهاميم في الاسلام سادوا ولم يكن كاولهم في الجاهلية اول
هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وان احسنوا في النائبات واجملوا
ثلاث بامثال الجبال حباهم واحلامهم منها لدى الوزن اثقل
ومما جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنا
ما من عدو ترى معنا بساحته الا ابيطن المنايا تسبق القدرا
يلقى اذا الخيل لم يقدم فوارسها كالليث يزداد اقداما اذا زجرا
اغر يحسبه يوم الوغى ذا البدور داوحسبه فوق المنبر القمرا
وله من قصيدة يصف يوما حارا
ويوم عسول الال حام كانما لظى شمسه مشبوب نار تلهب
نصبنا له منا الوجوه وكنها عصائب اسمال بها نتعصب

ويشبه ان يكون اخذ ذلك من قول الشنفرى
ويوم من الشعرى يذوب لعابه افاعيه من رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولا كن دونه ولا ستر الا الاتحمي المرعبل
ولمروان من ابيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر فيها نخلها وشجرها
الجاد فيها
٢٨٤ نواضر غلبا قد تدلت رؤوسها من النبت حتى ما يطير غرابها
ترى الباسقات الغم فيها كانها ظعائن مضروب عليها قبابها
ترى بابها سهلا لكل مدفع اذا ابتعت نخل فاغلق بابها
يجوز لنا ما نجتني من ثمارها ربيعا اذا آنى فاق قل سحابها
حظا بيوم لم تخلط باثمانها الربا ولم يك من اخذ الربات اكتسابها
ولكن عطاء الله من كل رحلة جرى في المتخلفين ثوابها
ومن كهنا للخيل في كل غارة حلال بايدي المشركين نهابها
حوت غنمها آباؤنا وحدودنا بصم العوالي والرماح خضابها
اما قوله
حظا بيوم لم تخلط باثمانها الربا ولم يك من اخذ الربات اكتسابها
وكان ابن المعتز نظر اليه في قوله
لنا ابل ما وفرتها دماؤنا ولا ذعرتها في الصباح الصوائح
وفي ضد هذا قول ابي تمام
كثرت فيهم المسارح الا انها من منايح وديات
ومثل ذلك قول حسان يهجو قوما من قريش
وما لكم الا مطارد فوارس ولكن من التر فيحا يا آل مالك

مجلس آخر تاويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه
الله وقوله تعالى ويبقى وجه ربك وما شاكل ذلك من آي القرآن المتضمنة لذكر الوجه

الجواب ـــــ قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية الى اقسام فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان ؛ والوجه ايضا اول الشيء وصدره ومن ذلك قوله عز وجل وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره اي اول النهار ومنه قول الربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

اي غداة كل يوم وقال قوم وجه نهار اسم موضع والوجه القصد بالفعل من ذلك
قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن معناه من قصد بامره وفعله الى ٢١٥
الله سبحانه واراده بهما وكذلك قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وقال الفرزدق

واسلمت وجهي حين شدت ركائبي الى آل مروان بناة المكارم

اي جعلت قصدي وارادتي لهم وانشد الفراء

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

اي القصد ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي قصدت قصدي بصلاتي وعملي وكذلك قوله فاقم وجهك للدين والوجه الاقبال في الامر من قولهم كيف الوجه لهذا الامر وما الوجه فيه اي ما الحيلة والوجه المذهب والجهة والناحية قال حمزة بن بيض الحنفي

اي الوجوه انتجعت قلت لهم لاي وجه الا الى الحكم
متى يقل صاحبا سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم

والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان اوجه من فلان اي اعظم قدرا وجاها ويقال اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال امرؤ القيس

ونادمت قيصر في ملكه فاوجهني وركبت البريدا

والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشيء نفسه وذاته قال احمر بن جندل السعدي

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة فافلت منها وجهه عتد نهد

اراد افلت هو ونجا ومنه قولهم انما افعل ذلك لوجهك ويدل ايضا على ان الوجه
يعبر به عن الذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
٢٨٦ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة
عالية لان جميع ما اضيف الى الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة فمعنى قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي كل شيء هالك الا اياه وكذلك قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومما يدل على ان المراد بوجه نفسه قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام لما كان اسمه غيره ويحتمل في قوله كل شيء هالك الا وجهه وجها آخر قد ذكره بعض المتقدمين وهو ان يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويتوجه به نحوه من القربة اليه جلت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تتجه الى غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل فكيف يحمل المشبهة مثل هذه الآية والتي قبلها على الظاهر اوليس هذا يوجب انه تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله :: فاما قوله عز وجل انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فقوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فمعلوم ان يكون له افعال مفعول له ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فاما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل ان يراد به فثم الله لا على وجه الحلول ولكن على معنى التدبير والعلم ٥ ويحتمل ايضا ان يراد به فثم رضى الله تعالى وثوابه والقربة اليه ويحتمل ان يكون المراد بالوجه الجهة ويكون في اضافته بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله اي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هذا واضح بين بحمد الله ٥

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال غدونا مع
المكتفي بالله في آخر سفرة سفرها للصيد من الموضع المعروف بحته إلى الكوثر في
حراقة وكانت تموج كثيرا فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم
فزعا وكان في الحراقة سواي من الجلساء يحيى بن علي المنجم ومتوج بن محمود بن مروان
والقسم المعروف بابن حبابة وكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظا
من الشجاعة جزيلا فقلت له إن البحتري يقول شعرا أحسن فيه مثل حالنا ومدح
به أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب أوله

ألم تر تغليس الربيع المبكر وما حاك من وشي الرياض المنشر

٣٨٧ فقال أنشدني الموضع الذي قال هذا فيه منها وكان جيد العلم بالأشعار
حافظا للأخبار فأنشدته

غدوت على الميمون صبحا وإنما غدا المركب الميمون تحت المظفر
إذا زمجر النوتي فوق علاته رأيت خطيبا في ذؤابة منبر
يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر
إذا ما علت فيه الجنوب اعتلى له جناحا عقاب في السماء مهجر
إذا ما انكفى في هبوة الماء خلته تلفع في أثناء برد محبر
وحولك ركابون للهول عاقروا كؤوس الردى من دارعين وحسر
تميل المنايا حيث مالت أكفهم إذا أصلتوا حد الحديد المذكر
إذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم ليقلع إلا عن شواء مقتر
صدمت بهم صهب العثانين دونهم ضراب كإيقاد اللظى المتسعر
يسوقون أسطولا كأن سفينه سحائب صيف من جهام وممطر
كأن ضجيج البحر بين رماحهم إذا اختلفت ترجيع عود مجرجر
تقارب من زحفيهم فكأنما تؤلف من أعناق وحش منفر
على حين لا نقع يطوحه الصبا ولا أرض تلفى للصريع المقطر

فما رمت حتى أجلت الحرب عن طلى مقصصة فيهم وهام مطير
وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده مليا بأن توهي صفاة ابن قيصر
جدحت له الموت الذعاف فعافه وطار على ألواح شطب مسمر
نجا وهو مولى الريح يشكر فضلها عليه ومن يولى الصنيعة يشكر

قال فاستجاد المكتفي بالله قوله على حين لا نقع يطوحه الصبا
٣٨٨ فقال له يحيى بن علي أنشدني ابن الرومي شعرا له في هذا المعنى منه

ولم أتعلم قط من ذي سباحة سوى الغوص والمضعوف غير مغالب
ولم لا ولو ألقيت فيها وصخرة لوافيت منها القعر أول راسب
وأيسر إشفاقي من الماء أنني أمر به في الكوز مر المجانب
وأخشى الردى منه على كل شارب فكيف بأمنيه على نفس راكب

فقلت له إنما أخذ ابن الرومي هذه الثلاثة من قول أبي نواس فقال
المكتفي فما قال قلت حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني
إبراهيم بن الخصيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلا قد أخذه
التمساح فقال

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية مذ قيل لي إنما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأي العين من كثب فما أرى النيل إلا في البواقيل

قال والبواقيل كيزان صغار ثم أجرى المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب فقال
العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وظلمني المشيب وشبت يا صولي فقلت
جواب عبدك في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له
كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وإنك لتتجلد قال
على أعدائك قال وفيك بحمد الله بقية قال الحزم منك فنزع المكتفي عمامته
فإذا شيبتان في مقدم رأسه قال لقد غمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت إنما
يعيش الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الإنسان خالصا أكثر من

اربعين سنة الى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فاشتمل
على في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس

الا ان بعد العدم للمرء قنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وانشد انا ابيات انشدها اسحق ابرهيم الموصلي لبعض القيسيين

لم ينتقص مني المشيب قلامة الآن حين بدا الب والكيس

والشيب ان يظهر فان وراءه عمرا يكون خلاله متنفس

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه اما قول البحتري مضى وهو مولى
الريح فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها ابا سعيد الثغري

اشلى على منويل اطراف القنا فنجا عتيق عتيقة جرداء ٢١٩

فلو انه ابطا لهن هنيهة لصدرن عنه وهن غير ظماء

فلئن تبقاه القضاء لوقعة فلقد عممت جنوده بفناء

واظنه اخذ هذا المعنى من قول ابي تمام من قوله في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر
فتح الخرمية

لولا الظلام وقلة علقوا بها باتت رقابهم بغير قلال

فليشكروا جنح الظلام ودروذا فهم لدروذ والظلام موال

وقد اخطأ الصولي في تفسير بيت ابي نواس ان البواقيل صغار ... ان البواقيل
جمع بوقال وبواقيل على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيرها
وهذا مثل قول ابن الرومي امر به في الكوز مر المجانب وانما اراد
انني كانني امر بماء النيل الا اذا اردت شربه في كوز او بوقال او ما اشبه ذلك
واظن انه اشتمل عليه الوهم من جهة قوله فما ارى النيل فصرف ذلك الى انه
اراد النيل على الحقيقة وانما اراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار
يقال لها بواقيل الا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحا من ذلك اسم
لصغار السفن لكان بيت ابي نواس بما ذكرناه اشبه واليق وادخل في معنى الشعر

ويدخل شبهة في ذلك مع قوله فمن رأى النيل رأى العين من كثب ومن
رأى ما في ليته نبه على بعده يقول لا انسا له من كثب فاما مدح الشيب وتفضيله
على الشباب فقد قال فيه الناس فاكثروا وانما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج
ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة الا هذين البيتين

ايها الشامت المعير بالشيب اقلن بالشباب افتخارا

٢٩٠ قد لبست الشباب غضا جديدا فوجدت الشباب ثوبا معارا

ولعلي بن جبلة

حفا طرف الفتيان وهي طروب واعقبه قرب الشباب مشيب

تجافت عيون البيض عنه وربما مددن اليه الوصل وهو حبيب

لعمري لنعم الصاحب الشيب واعظا وان كان منه للعيون نكوب

خليط نهى منتاب حلم وانه على ذاك مكروه الخلاط مريب

ولآخر

وتنكرت شيبي فقلت لها ليس المشيب بناقص عمري

سيان شيبي والشباب اذا ما كنت من عمري على قدر

ولآخر

ان تكن قد رأيتنا سود كالفحم واعقبت مثل لون الثغامه

فلقد اسعف الكريم واقصوا الفضله بالنهى وآية الطلامه

غير ان الشباب كان رداء خاننا فيه كفي العمامه

ولآخر

ان المشيب رداء الحلم والادب كما الشباب رداء الجهل واللعب

تعجبت ان رات شيبي فقلت لها لا تعجبي من يطل عمر به يشب

ولابن الجهم

حسرت عني القناع ظلوم وتولت ودمعها مسجوم

أنكرت ما رأت برأسي فقالت أمشيب أم لؤلؤ منظوم ٥
قلت شيب وليس عيبا كأنت إنه يستثيرها المهموم ٥
شد ما أنكرت تصرم عهد لم يدم لي وأي حال تدوم ٥

ولأبي هفان
تعجبت درّ من شيبي فقلت لها لا تعجبي فطلوع البدر في السدف ٥
وزادها عجبا لما رأت سملي وما درت درّ أن الدر في الصدف ٥

وقد أحسن أبو تمام غاية الإحسان في قوله
أبدت أسى إذ رأتني مخلس القصب وآل ما كان من عجب إلى عجب ٥ ٣٩١
ست وعشرون تدعوني فأتبعها إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب ٥
فلا يؤرقك إيماض القتير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب ٥

وللبحتري
عيرتني بالشيب وهي بدته في عذاري بالصد والاجتناب ٥
لا تراه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب ٥
وبياض البازي أصدق حسنا إن تأملت من سواد الغراب ٥ وله
ها هو الشيب لائما فأفيقي واتركيه إن كان غير مفيق ٥
فلقد كف عن عناء المعنى وبلاء في من اشتياق المشوق ٥
عذلتنا في عشقها أم عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق ٥
ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة في شروق ٥
ولعمري لولا الأقاحي لأبصرت أنيق الرياض غير أنيق ٥
وسواد العيون لو لم يكمل ببياض ما كان بالموموق ٥
ومزاج الصهباء بالماء أولى بصبوح مستحسن وغبوق ٥

أي ليل يبهى بغير نجوم وسماء تندى بغير بروق
وشتان كون أخذ قوله ٥ أي ليل يبهى بغير نجوم ٥ من قول الشاعر
أشيب ولم أقض الشباب حقوقه ولم يمض من عهد الشباب قديم ٥
رأت وضحا في مفرق الرأس راعها وشتان مبيض به وبهيم ٥

ولمحمود الوراق
٣٩٢ ما الدر منظوما بأحسن من شيب يحلل هامة الكهل ٥
فكأنما فيها النجوم إذا أخذ المشيب بها على مهل ٥
لا تبعد عصر الشباب يا أخا أبكي أجول عليه للجهل ٥
واشكر لشيبك حسن صحبته فلقد كساك جلالة الفضل ٥

ولآخر في مدح الشيب
لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حلية ووقار ٥
إنما تحسن الرياض إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار ٥

ولي في هذا المعنى من قصيدة
جزعت لوخط المشيب وإنما بلغ الشباب مدى الكمال فنورا ٥
والشيب إن فكرت فيه مورد لا بد يورده الفتى إن عمرا ٥
يبيض بعد سواد الشعر الذي إن لم يزره الشيب واراه الثرى ٥
ومن عدل بين الشباب والمشيب ومدح كل واحد منهما طريح بن إسماعيل الثقفي
والشيب للحكماء من سفه الصبا بدل تكون له الفضيلة مقنع ٥
والشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع ٥
إن الشباب لملذ إذ جل والشيب منه في المغبة أنفع ٥
لا يبعد الله الشباب ومرحبا بالشيب حين أوى إليه المرجع ٥
ومثله

وكان الشباب الغض لي فيه حاجة فوفى لنا عنه المشيب وأذهبا
فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى وأهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا

مجلس آخر :: تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف ضمن الإجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب. الجواب قلنا في ذلك وجوه أولها أن يكون المراد بقوله تعالى أجيب دعوة الداع أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع :: وقد يكون أيضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده وأنشد ابن الأعرابي

دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما أقول

أراد يجيب ما أقول. وثانيها أنه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد أنني قريب بإجابتي ومعونتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذره وما يسر ويجهر تشبيها بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيدا للقرب وكأنه أراد أنني قريب قربا شديدا وأنني بحيث لا يخفى علي أحوال العباد كما يقول القائل إذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك وما جرى هذا المجرى :: وقد روي أن قوما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا أربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية. وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط

فهو مجاب على كل حال لأنه إن كان صلاحا فعل ما دعا به وإن لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضا مجاب إلى دعائه :: ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني ويكون لفظ الإجابة عبارة عن الثواب والجزاء على ذلك فكأنه تعالى قال أنني أثيب العباد على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه. وخامسها ما قاله قوم من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئا في إعطائه صلاح فعله به وأجابه إليه وإن لم يكن في إعطائه إياه
٢٦٤ في الدنيا صلاح وخير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال. وسادسها أنه تعالى إذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب في دعائه وإما أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا بحسن اختيار الله تعالى له يقوم مقام الإجابة وكأنه مجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاح ومنفعة له في الدنيا وإن كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا لأمر يرجع إليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع إليه منافعه من الصلاح اللهم إلا أن يقال إنه دعا مشروطا بأن يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا مما قد تقدم ومعنى قوله تعالى فليستجيبوا لي فليجيبوني وليصدقوا رسلي قال الشاعر

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أي لم يجبه.

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وإذ قد ذكرنا في المجلس المتقدم لهذا المجلس طرفا من الشعر في تفضيل الشيب وتعظيمه والتعزي عنه والتسلي عن بياضه وله فخر مشفوع بطرف مما قيل في ذمه والتألم به والجزع منه فمن ذلك قول أبي حية النميري

تحمل بالشباب الشيب عنا فليت الشيب كان هو الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلا فقد قضى مآربه الخليل

لعمري لئن الشباب لقد تولى حميدا ما يراد به بديل
اذا الايام مقبلة علينا وظل اراكة الدنيا ظليل

وقال الفرزدق

ارى الدهر ايام المشيب امرّة علينا وايام الشباب اطايبه
وفي الدهر لذات وقرة اعين ومن قبله عيش تعلل كاذبه
اذا نازل الشيب الشباب فاصلتا بسيفيهما فالشيب لا بد غالبه
فيا خير مرفوع ويا شرها دم اذا الشيب وافى والشباب كذابه
وليس شباب بعد شيب براجع يد الدهر حتى يرجع الدر حالبه
٢٩٥ وما المرء منفوعا بتجريب واعظ اذا لم تعظه نفسه وتجاربه

واسحق الموصلي

لعمري لئن حلئت عن منهل الصبى لقد كنت وراد المشارب العذب
ليالي امشي بين بردي لاهيا اميس كغصن البانة الناعم الرطب
سلام على سير القلاص مع الركب ووصل الغواني والمدامة والشرب
سلام امرئ لم يبق منه بقية سوى نظر العينين او شهوة القلب

ولمنصور النمري

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بشرته صروف دهر وايام لها خدع
ما كنت اوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

ولمحمد بن حازم

عهد الشباب لقد ابقيت لي حزنا ما جد ذكرك الا جد لي ثكل
سقيا ورعيا لايام الشباب وان لم يبق منك له رسم ولا طلل
جر الزمان ذيولا في مفارقه وللزمان على احسانه علل
وربما جر اذيال الصبى مرحا وبين برديه غصن ناعم خضل

لا تكذبن فما الدنيا باجمعها من الشباب بيوم واحد بدل
كفاك بالشيب عيبا عند غانية وبالشباب شفيعا ايها الرجل

ولابي نواس

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
كان الجميل اذا ارتديت به ومشيت اخطر صيت النعل
كان البليغ اذا نطقت به واصاخت الاذان للمملي
٢٩٦ كان المشفع في مآربه عند الحسان ومدرك التبل
والباعثي والناس قد رقدوا حتى اتيت خليفة البعل
والآمري حتى اذا عزمت نفسي اعان يدي بالفعل
فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبى رحلي

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من اعرابه ليست لغيره

ولبشار بن برد

الشيب كره وكره ان يفارقني اعجب بشيء على البغضاء مودود
يمضي الشباب ويأتي بعده خلف والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وهذا البيت له خبر يروى لمسلم بن الوليد الانصاري وما احسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله

طرقت عيون الغانيات وربما املن الى الطرف كل مميل
وما الشيب الا شعرة غير انه قليل قذاة العين غير قليل

وله ايضا

اهلا بوافدة الشيب واحدة وان تراءت بشخص غير مودود
لا اجمع الحلم والصهباء قد سكنت نفسي الى الماء عن ماء العناقيد
لم ينهني كبر عنها ولا فند لكن صحوت وغصني غير مخضود
اوفى بي الحلم افنان النهى طلقا شأوي وعفت الصبى عن غير تفنيد

ولقد احسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب
كان كحلا لماقيها فقد صار بالشيب لعينيها قذى

ولغيره
ان تطالعا الشيب لغفلة امرئ ولم تتعهده اكف الخواضب
فقالت اشيب ما ارى قلت شامة فقالت لقد شانتك عند الحبائب

ولمحمود الوراق ويروى لمحمد بن حازم
اليس عجيبا بان الفتى يصاب ببعض الذي في يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز مغذ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب فليس يعزيه خلق عليه 297

ولابي دلف
في كل يوم ارى بيضاء طالعة كانما طلعت في اسود البصر
لئن قصصتك بالمقراض عن بصري لما قصصتك عن همي وعن فكري

وليحيى بن خالد البرمكي ويروى لغيره
الليل شيب والنهار كلاهما راسي بكثرة ما تدور رحاهما
يتناهبان نفوسنا ودماءنا ونحو منا عمدا ونحن نراهما
الشيب اخو المنيتين تقدمت اولاهما وتاخرت اخراهما

وقد اتى الطائيان المبرزان ابو تمام وابو عبادة في هذا المعنى بكل غريب عجيب فمن ذلك
قول ابي تمام
غدا الهم مختطا بفودي خطة طريق الردى منها الى الموت مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين ابيض ناصع ولكنه في القلب اسود اسفع
ونحن نزجيه على الكره والرضى وانف الفتى من وجهه وهو اجدع

وله

شعلة في المفارق استودعت في صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها صعدا وهي تستثير الهموما
غرة مرة الا انما كنت اغرا ايام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالا مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم واراني قبل هذا التحليم كنت حليما

298 وله
لعب الشيب بالمفارق بل جد فابكى تماضرا ولعوبا
خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما ان رات شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له الا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتي عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما راين لقد انكرن مستنكرا وعبن معيبا
او تصدعن عن قلى لكفى بالشيب بيني وبينهن حسيبا
لو راى الله ان للشيب فضلا جاورته الابرار في الخلد شيبا

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وجدت الآمدي يذكر ان قوما ادعوا المناقضة على ابي تمام في هذه الابيات بقوله فابكى تماضرا ولعوبا وقوله خضبت خدها الى لؤلؤ العقد دما ان رات شواتي خضيبا وقوله يا نسيب الثغام ذنبك ابقى حسناتي عند الحسان ذنوبا وقوله ولئن عبن ما راين قالوا كيف يبكين دما على مشيبه ثم يعبنه قال الآمدي وليس ها هنا تناقض لان الشباب انما ابكى تماضرا ولعوبا اسفا على شبابه والحسان اللواتي عبنه غيرها من المرائي فيكون من اشفق عليه من الشيب منهن واسف على شبابه بكى كما قال الاخطل
لما رات بدل الشباب بكت له ان المشيب لارذل الابدال

قال الشريف ولم تكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح

المرتضى رضي الله عنه وحدثنا الآمدي ان قوما ... وبين محتاج في الاعتذار
لابي تمام الى ما تكلفه البحتري بل المناقضة زايلة عنه على كل حال وان كان ذم
شبابه وتلهف عليه من النساء من اللواتي انكرن شيبه وعتبه به وما المنكر
من ذلك وكيف يتناقض ان يبكي على شبابه ويزول شيبه منهن من راى الشيب
ذنبا وعيبا منكرا وفي هذه الغاية المطابقة لانه لا يبكي للشيب ويجزع من طوله
وفراق الشباب الا من راه منكرا معيبا وقال ابو تمام

راحت غواني الحي عنك غوانيا يلبسن نايا تارة وصدودا
من كل سابغة الشباب اذا بدت تركت عميد القريتين عميدا
اربين بالمرد الغطارف بدنا غيدا الفتهم لداتا غيدا
احلى الرجال من النساء مواقعا من كان اشبههم بهن خدودا ٢٩٩

قوله اربين بالمرد من ارب بالشيء اذا لزمه واقام عليه يقال ارب والب
بالمكان اذا اقام فيه ولزمه يريد انهن لزمن هوى المرد واقمن عليه ويروى
فعم اربين بالمرد اي ازددن علينا بهم وجعلنا المرد زيادة اخترنها علينا
ويقال انه اخذ قوله احلى الرجال من النساء البيت من قول الاعشى

وارى الغواني لا يواصلن الذي فقد الشباب وقد يصلن الامردا

وللمنصور النمري مثله

كرهن من الشيب الذي لو رايته بهن رايت الطرف عنهن ازورا

ونحوه قول الاخطل

ارى شيب الرجال من الغواني بموقع شيبهن من الرجال

وقال ابو تمام

شاب راسي وما رايت مشيب الراس الا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كل بؤس ونعيم طلائع الاجساد
طال انكاري البياض وان عمرت شيئا انكرت لون السواد

زارني شخصه بطلعة ضيم عمرت مجلسي من العواد
نال راسي من ثغرة الهم لما لم ينله من ثغرة الميلاد

ومعنى البيت انه يخبر ان الثغرة هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء فلذلك يسمى كل
بلد جاور عدوا ثغرا لان معناه انه ينكشف للعدو ويجوز ان يكون اصله من ثغر
الانسان لانه اول ما يقابلك من اسنانه واول ما يظهر عند الضحك واول ما يسقط
فيرى مثلوما فشبه الثغر الذي هو البلدة به ويقال اثغر الصبي واثغر وسمى تلك الفرجة
التي موضع السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر واراد بقوله ٣٠٠
نال راسي من ثغرة الهم اي وجد الشيب الهم فرجة دخل على راسي منها لان الهم
يشيب لا محالة . وقوله كما لم ينله من ثغرة الميلاد اراد بثغرة الميلاد
الوقت الذي يهجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجعل السبيل في ذلك الوقت الى
الحلول براسه فجعله ثغرة من هذا الوجه فاراد ان الشيب حل براسه من جهة
همومه واحزانه لما لم يبلغ السن التي توجب حلوله به من حيث كبره
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وكان الآمدي يطعن على قوله
عمرت مجلسي من العواد ويقول الحقيقة لهذا ولا معنى لانا ما راينا ولا سمعنا
احدا جاءه عواد يعودونه من الشيب ولا ان احدا امرضه الشيب ولا عزاه المعزون
عن الشباب وهذا من الآمدي قلة نقد الشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه
التي تقع بها حذاق الشعراء ولم يرد ابو تمام بقوله عمرت مجلسي من العواد
العيادة الحقيقية التي تغشى فيها العواد مجالس المرضى وذوي الاوجاع وانما هذه
استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض حقيقة فكانه اراد ان يخص الشيب
لما زارني كثر المتوجعون لي والمثنون على شبابي والمتفجعون من مفارقته
وكانهم في مجلسي عواد لي لان من شان العائد للمريض ان يتوجع ويتفجع وكنى بقوله
عمرت مجلسي من العواد عن كثرة من تفجع وتوجع من شيبه وهذا من ابي تمام
كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب الا من عابه وطعن عليه

ونحن نذكر في المجلس الذي يلي ما يحتمل في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون
فقال اذا كان الشجر ليس بعض الماء وكان الشراب بعضه فكيف جاز ان يقول
تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى تسيمون وهل القائل في هذه اللفظة
من القرآن في قوله تعالى والخيل المسومة وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود
مسومة عند ربك؛ الجواب قلنا في قوله تعالى ومنه شجر وجهان ٣٠١
احدهما ان يكون المراد ومنه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
وكان كثير في لغة العرب مثله قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والوجه
الآخر ان يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر فحذف الاول
وخلفه الثاني كما قال عوف بن الخرع
أمن آل ليلى عرفت الديار بجنب الشقيق خلاء قفارا
وقال زهير
أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم
اراد من ناحية ام اوفى وقال ابو ذؤيب
أمنك البرق أرقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلاجا
وقال ايضا
أمنك برق أبيت الليل أرقبه كأنه في عراض الشام مصباح
وقال الجعدي
لمن الديار تعفو بالنطاق بقيت على حجج خلون طوال
اراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج؛ فاما قوله تعالى فيه
تسيمون فمعناه ترعون وترسلون انعامكم يقال اسام ابله يسيمها اسامة
اذا ارعاها فاطلقها ترعى متصرفة حيث شاءت وسومها ايضا يسومها من ذلك
وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سمتها اذا قصرتها

على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن اذل وضيم واهتضم
سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم قال الكميت بن زيد في الاسامة التي هي الاطلاق
في الرعى
راعيا كان مسجحا ففقدناه وفقد المسيم هلك السوام
وقال آخر
٣٠٢ واسكن ما سكنت بطن واد واظعن ان ظعنت فلا اسيم
وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هذا لان كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه
من زيادة ثمن او نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوائم الابل من المواشي حيث
شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي وتخفى
عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع
مكروه لان السلعة المبيعة يستتر عيبها او بعضها فيحظر ذلك في بيوع
الغرر المنهي عنها؛ فاما الخيل المسومة فقد قيل انها
المعلمة بعلامات مأخوذ من السيماء وهي العلامة؛ وروي عن الحسن البصري في قوله تعالى
والخيل المسومة قال سومت نواصيها واذنابها بالصوف وقيل ايضا ان المسومة
هي الحسان وقال آخرون بل هي الراعية روي ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى الاصل
واحد وهو معنى العلامة لان تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتتميز
مكانها وقد قيل ان السوم من الرعي يرجع الى هذا المعنى ايضا لان الراعي يجعل في
المواضع التي يرعاها علامات وكالعلامات بآثارها فيه من نباتها ونحو ذلك من آثارها وكان الاصل
في الكل متفق غير مختلف وقال لبيد في التسويم الذي هو التعليم
وغداة قاع القريتين اتينهم زهوا يلوح خلالها التسويم
اراد التعليم واما قوله في الملائكة مسومين فالمراد به معلمين وكذلك قوله تعالى حجارة
من سجيل منضود مسومة اي معلمة وقيل انه كان عليها كأمثال الخواتيم وقرئ في الملائكة
مسومين فالمراد معلمين؛ قال الشريف المرتضى رضي الله عنه

وسود الياليكا وعلنا به من ذكر ما للبحتري في ذم الشيب والثناء لمن فقد الشباب
فمن ذلك قوله مشيب كبث السر عي كتمه محوت بها وضاق صدر مذيعه ٥
وكنت أرجي في الشباب شفاعة فكيف لباغي حاجة بشفيعه ٥
تكلح حتى كاد يأتي بطيئه لحث الليالي قبل آتي سريعه ٥
وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه :. وقال ايضا
ردي على الصبا ان كنت فاعلة ان الصبا ليس من شاني ولا اربي ٥
جاوزت حد الشباب البيض ملتفتا الى بنات الصبا يركضن في طلبي ٥
والشيب مهرب من جار منيته ولا نجاء له من ذلك الهرب ٥
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا صبت عليه صروف الدهر من صبب ٥ ٣٠٣
ويروى حطت عليه صروف :. وقال البحتري
كم بين من مشيبه او ناض ومليح من شيبه او راض ٥
فاذا ما امتعضت من ولع الشيب براسي لم تغن ذاك امتعاضي ٥
ليس يرضى عن الزمان مروّ فيه الا عن غفلة او تغاض ٥
والبواقي من الليالي وان خالفن شيئا مشبهات المواضي ٥
باكرن طلبي وباكرن منها سوء هذي الابدال والاعواض ٥
شعرات اقصهن ويرجعن رجوع السهام في الاغراض ٥
وابت تركي الغداة ولا اصلاحا حتى خضبت بالمقراض ٥
غير نفع النغلام من شخص عدو لم يعده العاضي ٥
ورد المشيب كالبخص في عيني فقل منه في العيون المراض ٥
طمت فقناع الشباب وما سود من صبغ برده الفضفاض ٥
فهل الكاذبات يا ابن عويف تاركاتي ولبس هذا البياض ٥
وقال ايضا
تعيب الغانيات علي شيبي ومن لي ان امتع بالمعيب ٥

ووجدي بالشباب وان تولى حميدا دون وجدي بالمشيب ٥
وقال ايضا
اراه من بعد جثل فاحم جون المفارق انهن خضيبا ٥
فعجبت من خالي خالقيها صرف الزمان وما رأيت عجيبا ٥
ان الزمان اذا تتابع خطوه سبق الطلوب وادرك المطلوبا ٥
٣٠٤ وقال ايضا
رأت فلتات الشيب فابتسمت لها وقالت نجوم لو طلعن لاسعد ٥
اعاتك ما كان الشباب مقربي اليك فالحي الشيب اذ كان مبعدي ٥
وقال ايضا
عنت كبدي قسوة منك ما تزال تجدد فيها ندوبا ٥
وحملت عندك ذنب المشيب حتى كأني ابتدعت المشيبا ٥
ومن يطلع شرف الاربعين يحيي من الشيب زورا غريبا ٥
وقال السيد رضي الله عنه ولي في هذا المعنى
قلن لما رأين وخطا من الشيب براسي اعيا على جحودي ٥
كسنا بارق تعرض وهنا في حواشي بعض الليالي السود ٥
أبياض محدد من سواد كان بقربي امرحبا بالجديد ٥
يا لحاكن ربما كن بالحسن ليقتهرننا بغير جنود ٥
لبس بيضي مني فاحسن عليه في صدودا ولبس مني سودي ٥
فلما صرن في شعرات كن يوما على الوقار شهودي ٥
وقال الصحي ايضا
خليلي وحق الله ما دام رداء الشباب غضا جديدا ٥
ان ايام من البيض بيض ما رأين المفارق السود سودا ٥
وقال ايضا

تركَ السوادُ للابسيه وبيّضا ونضا من الستّين عنه ما نضا
وشآه إغبابٌ نعمْ وحظّه مرضُ العلائق القلوبَ وأمرضا
وكأنّه قصدَ الصبى وصنيعه لبياضه ما ميقاته أن تقتضا
أسوانُ أترك من حجى وصبابةٍ وأساف من وصل الحسان وأنفضا
ويروى أسيان

وقال أيضا

هل أنت صارف شيبة لو غلست بنية الوقت أو عجلت عن الميعادِ
جاءت مقدّمةً أمام طوالعٍ هنّي وأوحشني وتلك تعادي
٣٠٥ وأخو الغبينة تاجرٌ في لمّةٍ يشري جديد بياضها بسوادِ
لا تكذبنّ فما الصبى بمخلّفٍ لهواً ولا زمن الصبى بمعادِ
وأرى الشباب على غضارة حسنه وجماله عدداً من الأعدادِ

وقال أيضا

أبنيّ الشباب أم ما توفّى منه في الدهر دولة ما تعودُ
كالذي العيش والمفارق بيضٌ أسوة العيش والمفارق سودُ
وأعدّ الشقيّ جدّاً ولو أعطي عنها حتى يبان سعيدُ
من عدته العيون وانصرفت عنه البغايا إلى سواه الخدودُ

وقال أيضا

قد كنّ منّي ما جوى السقم الأسى طلوع على جوى الحبّ انحنى
لو رأت حادث الخضاب تأنّت وأدنت من احمرار البسر نا
كلف البيض بالمعمّم قدراً حين كلّفن بالمصغّر سنّا
يتشاغفن بالغنيّ والمسمّى من نصاب دون الجليل المكنّى

وقال أيضا

أخيّ إنّ الصبى استمتع به ستر الليالي فأتحفت برده
تصدّ عني الحسان معرضةً إذ أنا لا قرب به ولا صدده

شيبٌ على المفرق بارضه يحثّني إن أبيت عدده
تطلب عندي الشباب ظالمةً بعيد خمسين حين لا تجده
لا عجبٌ إن ملكه خلّتنا فافتقد الوصل منك مفتقده
من بطا وكلّ عن مطاولة العيش تقعقع من ملّة عمده

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وجدت ابن ... قد أخطأ في معنى
٣ البيت أخبرته أنه قال معنى تقعقع من ملّة عمده أو عظامه تجيء لها صوت إذا
قام أو قعد من كبره وضعفه قال وقوله من ملّة أي من تملّي العيش يريد طوله
ودوامه ومنه تمليت حبيبك أي العمر كلّف ما توهّمه ومعنى تقعقع من ملّة عمده
أي من بطا وكلّ عن تعجيل نقله وانتقاله من الدنيا وكنى عن ذلك العمد وهذا
مثل معروف للعرب يقولون من تجمّع تقعقعت عمده يريدون أن التجمع داعي التفرق
وأن الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذي تقعقع معه العمد
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه والآمدي مع كثرة ما يدّعيه
من التنقيب والتنقير على علوم العرب إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو
طريف وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحتري يطابقه فهو أطرف
فأما قوله تعالى من ملّة فإنما أراد من طال وملّ فعلة من الملال وكيف يقول
من تملّي العيش ولم يسمع في تمليت ملّة وهذا أخطأ على خطأ وقال البحتري

ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ولا دمعي بأوّل دمع في الهوى سفحا
ولمّةٍ كنت مشغوفاً بجدّتها فما عفا الشيب عنها ولا صفحا

وقال أيضا

وما أنس عهد الشباب وعلوه إذ غيّرتني الكبر
كواكب شيب علقن الفتى وقلّلن من حسنه ما كثر
فإنّي وجدت ولا تكذبن سواد الهوى في بياض الشعر
ولابدّ من ترك إحدى اثنتين إمّا الشباب وإمّا العمر

قال الآمدي وعليه في قوله ولا بد من ترك احدى اثنتين معارضة وهي
ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما
معا ومن شاب فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معا ومن طالبا
وهو مفارق للعمر لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما واما لا يوجب
ان احدهما فارق والعبد لسبحته لا يقال لمن مات شابا فقد فارق الشباب وخلى
لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان
لم يعمر اذا مات شابا ومن عاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب في حال موته
لانه قد قطع ايام الشباب وتقضت مفارقته له وانما يكون في حال موته مفارقا
للعمر وحده كالذي هذا مذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي
يعمرها الانسان وانما اراد بالعمر ها هنا الكبر كما قال زهير

رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطي يعمر فيهرم

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وما رايت اشد تهافتا في الخطا
منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو
اظهر من ان يخفى حتى يحتاج فيه الى التعليل والتعسف وانما اراد البحتري
ان الانسان من حالتين اما ان يفارق الشباب بالشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات
شابا فانه قد خرج عن العمر وخرج بخروجه عن سائر احوال الحيوة
من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر
الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمه الجمل تناولت الصدر الذي انما
مفارقة الشباب بعينه بلا واسطة ولكن يتناول خلاف الشيب او مفارقة
العمر بالموت وتلخيص كلامه انه لابد لكل حي من شيب او موت فكان المشيب والموت
متعاقبان والبحتري انما جعل قوله العمر مقام قوله الحيوة والبقاء وانما قال
ذلك العمر لاجل القافية مع انه مبني عن مراده ولو قال لابد من ترك الشباب
او ترك الحيوة لقام مقام قوله العمر

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا
احمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فتقها قوله يذم من جعل مصيبة غيره
حسنة له مصيبته وعاب من تعلل بالتأسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه
واحسن

يا شبابي وابن مني شبابي آذنتني ايامه بانقضاب
لهف نفسي على نعيمي ولهوي تحت افنانه اللدان الرطاب
ومعزي عن الشباب مؤس بمشيب اللدات والاصحاب
قلت لما انتحى يعدد اسا هو من مصاب شبابهم كمصابي
ليس تاسو كلوم غيري كلومي ما به ما به وما بي ما بي

وقال ابن الرومي

لهفي على الدنيا وهل لهفة تنصف منها ان تلهفتها
فحالة قبحا على انها اقبح شيء حين كشفتها
وقد يعزيني شبابا مضى ولذة للعيش اسلفتها
فكرت في خمسين عاما مضت كانت امامي ثم خلفتها
اجملتها اذ هي مجموعة ثم مضت عني ففرقتها
ففرحة الموهوب اعدمتها وترحة المسلوب الحقتها
لو ان عمري مائة هدني تذكري اني تنصفتها

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الابيات في الامالي السالفة وقد احسن
في معناها كل الاحسان

كفى بسراج الشيب في الراس هاديا الى من قد اضلته المنايا لياليا
امن بعد ابداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي اخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا

مجلس آخر تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون فقال كيف جاء او يعذبهم بعدما لا يجوز ان تعطف عليه
وما الناصب لقوله تعالى او يتوب عليهم وليس في ظاهر الكلام ما يقتضي
نصبه الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه
اولها ان يكون قوله تعالى او يتوب عليهم معطوفا على قوله تعالى ليقطع طرفا
من الذين كفروا فالمعنى انه تعالى عجل لكم هذا النصر ومكنكم به ليقطع طرفا
من الذين كفروا اي قطعة منهم طائفة من جمعهم او يكبتهم ويغلبهم او يخزيهم
فيخيب سعيهم ويكذب فيكم ظنونهم ويغلبهم كما يرون من ظاهر آيات الله تعالى
تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه السلم فيتوبوا او يؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم
ويتوب عليهم او يكفروا ويقيموا بعد قيام الحجج وتاكيد البينات والدلائل فيموتوا او يقتلوا
كافرين فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ويكون على هذا الجواب قوله تعالى
ليس لك من الامر شيء معطوفا على قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم
اي ليس لك ولا لغيرك من هذا الامر شيء وانما هو لله عز وجل والجواب
الثاني ان يكون او بمعنى حتى والا ان والتقدير ليس لك من الامر شيء حتى يتوب عليهم
والا ان يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما راى الدرب دونه ... وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما ... نحاول ملكا او نموت فنعذرا

اراد الى ان نموت فنعذر وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لان لقائل
ان يقول ان امور الخلق ليس الى احد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد
ذلك فكيف يصح ان يقول ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب عليهم او يعذبهم حتى كانه
اذا كان ذلك صار له من الامر شيء ويمكن ان ينصر هذا الجواب بان يقال فيه
الكلام اذا حمل على المعنى وهو ان قوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس يقع ما

تريد ... من انابتهم وتوبتهم او ما تريد من استئصالهم وعذابهم على
اختلاف الرواية في معنى الآية ويشهد لهذا الوجه بان يلطف الله تعالى لهم في
التوبة فيتوب عليهم او يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ما تريد من توبتهم او عذابهم
بل ما يريد الله تعالى والجواب الثالث ان يكون معنى ليس
لك من الامر شيء او من ان يتوب عليهم فاضمر من اكتفاء بالاولى واضمر ان بعدها
لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها ووقع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر
وتقدير الكلام ليس لك من الامر شيء ومن توبتهم وعذابهم قال
الشريف المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على
هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون مجموعا على الاسم الجامد
الذي انصرف له على اضمار ان مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من
اخيك ويقوم على معنى عجبت من اخيك ومن ان يقوم لان الاخ اسم جامد
نحو العطف عليه الا ما شاكله قال وهذا انما يستقيم ويصلح في ذكر
الفعل والمصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك على معنى كرهت غضبك
وان يغضب ابوك فيطرد هذا في المصادر لانها تتاول بان فيقول النحويون
يعجبني قيامك وتقوم ويعجبني ان تقوم قال ولا يصلح في الاسم الجامد لانه لا يكون مثل هذا فيه
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وليس ما ذكره ابن الانباري
مستبعدا وان ضعف هذا الجواب من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك
ان ما امتنع منه مثل الذي اجاز لانه قد اجاز ذلك في المصادر وان لم
يجزه في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء فيه دلالة الفعل لان الامر
مصدر امرت امرا فكانه تعالى قال ليس لك ان تامرهم او تامر فيهم شيئا او ان يتوبوا
وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك في رد الفعل الى
المصدر ولو ضعف لكان له اقوى الوجوه والله اعلم بمراده

تأويل خبر

ان سال سائل عن معنى الحديث الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه الجواب

قلنا اما التناجش فهو المدح والاطراء قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر

وترخي مال من يشربها ويفدى كرمها عند التناجش

اي عند مدحها

ومنه النجش في البيع فهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرائها لكن ليغتر بالزيادة غيره واصل النجش استخراج الشيء والتنقير عنه قال المفضل الفقعسي

اجرش لها يا ابن ابي كباش ... فما لها الليلة من انفاش

غير السرى وسائق نجاش ... اسمر مثل الحية الخشخاش

والنجاش هو المستثير لسيرها والمستخرج لما عندها منه ومعنى اجرش لها اي احد لها تسمع للحدا فتسير وهو ماخوذ من الجرس وهو الصوت ومعنى الانفاش ان اراد انها لا تترك ترعى ليلا والنفش ان ترعى الابل ليلا وقد انفشتها اذا ارسلتها ليلا ترعى والخشخاش الخفيف الحركة السريع التقلب والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا ايضا من اجل ان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه السلعة فيجد بها في ثمنها وهو لا يريد شراها ليسمعه غيره فيزيد .. وقد يجوز ايضا ان يريد بذلك لا يمدح احدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته ويستثير فائدته وهذا المعنى اشبه ان يكون مراده عليه السلم لان قوله ولا تدابروا اشد مطابقة له ومعنى لا تدابروا اي لا تهاجروا ويولي كل واحد منكم صاحبه دبره وجهه قال الشاعر

واوصى ابو قيس بان تتواصلوا ... واوصى ابوكم ويحكم ان تدابروا

فكانه عليه السلم قال لا تتمادحوا وتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا تهاجروا وتتقاطعوا فاما قوله عليه السلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه فقد ذهب قوم الى ان عرض الرجل انما هو سلفه من آبائه وامهاته ومن جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى ان عرض الرجل نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم انه حين ذكر اهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري ٣١١

من اعراضهم مثل المسك اي من ابدانهم قال ومنه قول ابي الدرداء اقرض من عرضك ليوم فقرك اراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك عليه ليوم الجزاء والقصاص واحتج ايضا بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال معناه قد تصدقت بنفسي واحللت من يغتابني

٣١٢ فلو كان العرض الاسلاف ما جاز ان يحل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك ايضا حديث سفيان بن عيينة لو ان رجلا اصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع من بعد فجاء الى ورثته بعد موته فاحلوه لم يكن ذلك كفارة له ولو اصاب من ماله شيئا ثم دفعه الى ورثته بعد موته فاحلوه لم يكن ذلك كفارة له ولو اصاب من ماله شيئا ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

فان ابي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

اراد اني جعلت نفسي وقاء لنفس محمد عليه السلم وقال آخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الانسان واذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع به او ما يسقط بذكره ويمدح او يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه واسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان اهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين ان يذكره في نفسه بقبيح افعاله او شتم سلفه وآبائه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رب مهزول سمين عرضه ... وسمين الجسم مهزول الحسب

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزال يرجعان الى شيء واحد وانما اراد رب مهزول كريمة افعاله او كريم آباؤه واسلافه وقد قال ابن عبدل الاسدي

وإني لأستغني فما أبطر الغنى وأبذل ميسوري لمن يبتغي قرضي
وأعسر أحيانا فتشتد عسرتي فأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

ولا يليق بهذا إلا ما ذكرناه

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ووجدت أبا بكر الأنباري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف أهل الجنة أن المراد بالأعراض مغابن الجسد وعلى خبر أبي ضمضم أنه قال أراد بالأعراض المغابن التي تعرق من الجسد كنحو الإبطين وغيرهما وقال في حديث أبي الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك وقال معناه في قول
أبي ضمضم أنه أحل من أوصل إليه أذى بذكره وذكر آبائه فلم يحلل إلا من أمر إليه ٣١٣
وقال في قول حسان إن المراد بعرضه أيضا أسلافه فكأنه قال فإن أبي ووالده وجميع أسلافي الذين أمدح وأذم من جهتهم وقاء له عليه السلام فأتى بالعموم بعد الخصوص ولم أحل ذكر في خبر سفيان بن عيينة شيئا وكله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم أن مراده رجلا سبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضعا ونقصا لم يكن له في قدرته بعد موتهم إلا إحلاله من ذلك لأن ذلك لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم أيضا مع دخوله على المسبوب لكان إحلاله مما يرجع إلى غيرهم لا يصح على أن في إحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط بإسقاط مستحقه أم لا كلاما ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع وبعد فلو سلم لابن قتيبة أن المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لأنا لم نقل إن العرض مقصور على سلف الإنسان بل ذكرنا أنه موضع الذم والمدح من الإنسان ولا فرق فيه بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وإنما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف وكل شيء ورد بما المراد بالعرض فيه

نفس أو المراد السلف فهو مؤكد لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الإنسان وإنما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لأنه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صفريا وكان يكتم ذلك فأنشد لعمران بن حطان

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
أما ترى ذقت كأسا دار أولها على القرون فذاقوا نهلة الكاس
٣١٤ قد كنت أكبد حينا ثم قد يئست نفسي مما رد عني عبرتي باسي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال [illegible] قال قال التوزي كنت إذا أردت أن أنشط أبا عبيدة ذاكرته بأخبار الخوارج وأبعد منه فحضرت مجلسه يوما وهو مطرق ينكت في الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس فسلمت فلم يرد علي فتمثلت

وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

والبيت لقطري بن الفجاءة فطرح إلي ثم قال ويحك أتدري من يقوله قلت قطري فقال اسكت فض الله فاك فألا قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم أنشد فقال اكتمها علي يا توزي فقلت هي ابنة الأرض فأنشد

أقول لها وقد جاشت حياء من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو طلبت حياة يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا طول الحياة بثوب مجد فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لم يعتبط يسأم ويهرم وتفض به المنون إلى انقطاع

وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع
فكتبتها وقمت لانصرف فقال اقعد ثم انشدني

الى كم تعارضني السيوف ولا ارى ... معاركها تدعو الى حماميا
اقارع عن دار الخلود ولا ارى ... بقاء على حال لمن ليس باقيا
ولو قرّب الموت القراع لقد ارى ... منيّتي ان تدنو لطول قراعيا
اغادي جلاد المعلمين كأنني ... على العسل الماذيّ اصبح غاديا
وادعو الكماة للنزال اذا القنا ... تحطم فيما بيننا من طعانيا
ولست ارى نفسا تموت وان دنت ... من الموت حتى يبعث الله داعيا

قال ابن دريد وهذا الشعر ايضا لقطري

اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ٣١٥
ابو حاتم قال جئت ابا عبيدة يوما ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل
شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت ما معي غيره فانشدني انت ما شئت فانشدني

يا رب ظل عقاب قد وقيت به ... مهري من الشمس والابطال تجتلد
ورب يوم حمى ارعيت عقوته ... خيلي اقتسارا واطراف القنا قصد
ويوم لهو لاهل الخفض ظل به ... لهوي اصطلاء الوغى وناره تقد
مشهّرا موقفي والحرب كاشفة ... عنها القناع وبحر الموت يطّرد
ورب هاجرة تغلي مراجلها ... هجرتها بمطايا غارة تخد
تجتاب اودية الافزاع آمنة ... كأنها اسد يقتادها اسد
فان امت حتف انفي لا امت كمدا ... على الطعان وقصر العاجز الكمد
ولم اقل لم اساق الموت شاربه ... في كاسه والمنايا شرّع ورد

ثم قال لي هذا الشعر مما تعللون به نفوسكم من اشعار المخانيث والشعر
لقطري ٥ اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن

الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة يأنس الي ثم اول ما اختلفت
اليه ويسألني عن خوارج سجستان لانه كان يظنني من آرائهم وكنت اوهمه
اني منهم فكانت منه لذلك عناية خاصة وكان كثيرا ما ينشدني اشعارهم مثل

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنى ... وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا

قال وانشدني يوما لرجل من طيء من الخوارج

لا كابن ملجان من شارٍ اخي ثقة ... او كابن علقمة المستشهد الشاري
٣١٦ من صادق كنت اصفيه مخالصتي ... فباع داري باعلى صفقة الدار
اخوان صدق ارجّيهم واخذلهم ... اشكو الى الله خذلاني واخفاري
فصرت صاحب دنيا لست املكها ... وصار صاحب جنات وانهار

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال ما اليد التي اضافتها اليهود الى الله تعالى وادعوا انها مغلولة وما نرى ان عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لله يدا مغلولة واليهود تبرأ من ان يكون منها قائل بذلك ومعنى الدعاء عليهم بغلت ايديهم وهو تعالى ممن لا يصح ان يدعو على غيره لانه تعالى قادر على ان يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طلبا له الجواب قلنا يحتمل ان يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى ان يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا وكذا ويده لا تنبسط اذا ارادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع

آخر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ثم قال تعالى ردا
لهم بل يداه مبسوطتان اي انه لا يعجزه شيء وثنى اليدين تاكيدا للامر وتفخيما له
ولان ذلك ابلغ في المعنى المقصود من ان يقول بل يده مبسوطة ، وقد
قيل ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطؤا فضله ورزقه وقيل
انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان اله محمد النبي ارسله يداه الى عنقه اذ ليس
يوسع عليه وعلى اصحابه فرد الله قولهم واكذبهم بقوله بل يداه مبسوطتان
واليد هاهنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام
العرب واشعارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى ٣١٧
عنقك ولا تبسطها كل البسط والمعنى لا تكن ممن لا يعطي شيئا ولا يهب تمسكا وامساكا
البخيل النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويكون
الوجه في تثنية النعمة من حيث اريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل
وان كانت نعم الله فمن حيث اختص كل واحد منهما بصفة تخالف
صفة الآخر صار كانهما جنسان وقبيلان ، ويمكن ايضا ان يكون تثنية
النعمة انه اريد بهما النعم الظاهرة والباطنة فاما قوله تعالى غلت
ايديهم ففيه وجوه اولها ان يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه
الاخبار منه جل وعز عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير اي قد غلت وموضع
غلت ايديهم ولعنهم وقد قيل قوله غلت وموضع غلت نصب على الحال
كانه تعالى قال وقالت اليهود كذا في حال ما غل الله ايديهم ولعنهم
وحكم بذلك فيهم ويسوغ اضمار قد هاهنا كما ساغ في قوله تعالى ان كان قميصه
قد من قبل وان كان قميصه قد من دبر والمعنى فقد صدقت وقد كذبت
وثانيها ان يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة
فغلت ايديهم او وغلت ايديهم فاضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم تم واستؤنف
بعده كلام آخر ومن عادة العرب ان يحذفوا فيما يجري هذا المجرى

من ذلك قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا
اتتخذنا هزوا اراد فقالوا اتتخذنا هزوا فاضمر تعالى الفاء لتمام
كلام موسى عليه السلم ومنه قول الشاعر
لما رايت نبطا انصارا ، شمرت عن ركبتي الازارا
وثالثها ان يكون القول خرج مخرج الدعاء الا ان معناه ٣١٨
التعليم من الله تعالى لنا والتاديب وكانه تعالى وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا
ما ينبغي ان نقوله فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وكل ذلك واضح والمنة لله تعالى

تاويل خبر

ان سال سائل عن الخبر الذي روي عنه عليه السلم انه قال لعن الله السارق
يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده الجواب
قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس والخوارج يتعلقون به ويدعون ان القطع
يجب في القليل والكثير ويستشهدون به على ذلك وبظاهر قوله تعالى والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما ويتعلق بهذا الخبر ايضا الملحدة والشكاك
ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انه لا قطع الا في ربع دينار ونحن
نذكر ما فيه فاول ما نقول ان الخبر مطعون فيه
عند اصحاب الحديث وعلى اسناده ايضا طعن وقد حكى ابن قتيبة في تاويله
وجها يحكى عن يحيى بن اكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجها
آخر نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بما نختاره ، قال ابن
قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن اكثم بمكة فرايته يذهب الى ان البيضة
في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الراس في الحرب وان الحبل من حبال
السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال ورايته

يصحح هذا التأويل ويبني فيه ويعيدون ان قطع به حجة للخصم قال ابن قتيبة
وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع
تكثير لما يأخذ السارق فيصرفه الى بيضة تساوي دانق او حبل لا يقدر
السارق على حمله ولا من عادة العرب والعجم ان يقولوا قبح الله فلانا عرض
نفسه للضرب في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وانما
العادة في مثل هذا ان يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد في حبل رث
او اداوة خلق او كبة شعر وكل ما كان من ذلك احقر كان ابلغ ؛ قال
والوجه في الحديث ان الله تعالى لما انزل على رسوله عليه السلام والسارق 319
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما انزل عليه في ذلك
الوقت ثم اعلمه الله تعالى بعد ان القطع لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه ولم
يكن عليه السلام يعلم من حكم الله تعالى الا ما اعلمه الله وما كان الله عز وجل
يعرفه ذلك جملة بل ينزل شيئا بعد شيء ه

قال السيد المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر الانباري
يقول ليس الذي ذكره ابن قتيبة على تاويل الخبر بشيء قال لان البيضة من السلاح ليست علما
في كثرة الثمن ونهاية في علو القيمة فتجري مجرى العقد والجوهر والجراب
من المسك التي ربما ساوت الالوف من الدنانير والبيضة من السلاح
ربما اشتريت باقل مما يجب فيه القطع وانما اراد عليه السلام انه يتعسف قطع
يده بما لا غنى له به لان البيضة من السلاح لا يستغني بها احد والجوهر
والمسك في اليسير منهما غنى ه

قال السيد المرتضى رضي الله عنه والذي نقوله ان ما طعن به
ابن الانباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير
كما ظن فيشبه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى في كلامه ان يقال اي وجه

لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية في التقليل وان كان ذكره
ابن الانباري من ان المعنى انه يسرق ما لا يستغني به فليس ذكر ذلك اولى من ذكر غيره
مما ليس من ذكره وجه في ذلك ؛ واما تاويل ابن قتيبة فباطل لان النبي
صلى الله عليه لا يجوز ان يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى والسارق والسارقة
320 لان الاية مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز ان يحملها ويصرفها الى بعض محتملاتها
دون بعض بلا دلالة على ان اكثر من قال ان الاية غير مجملة وان ظاهر القول
يقتضي العموم يذهب الى ان ما اقتضى تخصيصها بسارق دون سارق لم يتاخر عن
~~لم يتاخر عن حال الخطاب بعينه~~
حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله ابن الانباري
من ان الاية تقدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخا
للاول وعلى تاويله هذا يقتضي ان يكون كل الخبر منسوخا واذا امكن تاويل
اخباره عليه السلام على ما يقتضي رفع احكامها ونسخها كان اولى ولا شبهة
ان يكون المراد بهذا الخبر ان السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق
الحقير القليل فتقطع يده فكانه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع
يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة
البلد التي لا نظير له وان كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد
واذا استعمل في الذم فمعناه ان الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التي يفسدها
النعامة فيتركها ملقاة لا تلتفت اليها فمما جاء من ذلك في المدح قول اخت عمرو بن
عبد ود ترثيه وقد كان قتله امير المؤمنين علي عليه السلام وقيل ان الابيات لامراة من
العرب غير اخته

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت ابكي عليه آخر الابد
لكن قاتله من لا يعاب به ... من كان يدعى قديما بيضة البلد

اراد انه يعرف وقال آخر في المدح

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصة لعبد مناف

وقال آخر في الذم

تأبى قضاعة ان يعرف بكم نسبا وابنا نزار فانتم بيضة البلد

اراد ان يعرف فاسكن وقال اخر في ذلك

لكنه حوض من اودى باخوته ريب الزمان فامسى بيضة البلد

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التفخيم والتعظيم

فاما الحبل فذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان عقالا وما ذهب فلان بعقال ولا يساوي كذا نقيرا كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في التقليل وليس الغرض ذكر الحبل والوصف بالحبل على الحقيقة واذا كان على هذا تاويل الخبر ٣٢١ زال عنه المناقضة التي ظنت وبطلت شبهة الخوارج في ان القطع يجب في القليل والكثير ..

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو وهب على بن ثابت قال قال الاصمعي تصرفت بي الاسباب على باب الرشيد مؤملا للظفر به والوصول اليه حتى اني صرت لبعض حرسه خدينا فاني في ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الارق بين اجفان الرشيد اذ خرج خادم فقال اما بالحضرة احد يحسن الشعر فقلت الله اكبر رب قيد مضيقة قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فلعلها ان تكون ليلة تعرس في صباحها بالغناء ان فزت بالحظوة عند امير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في بهوه والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف بي الخادم بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد علي السلام ثم قال يا غلام ارحه قليلا ليفرخ روعه ان كان قد وجد للروعة حسا فدنوت قليلا ثم قلت يا امير المؤمنين اضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض اذية فقال ادن فدنوت فقال اشاعر ام راوية فقلت راوية لكل جاد وهازل بعد ان يكون محسنا فقال تالله ما رايت ادعاء اعم فقلت انا على الميدان فاطلق من عناني يا امير المؤمنين

فقال قد انصف القارة من راماها ثم قال ما المعنى في هذه الكلمة بل ما اصلها فقلت فيها قولان القارة بنو الحرث ثم العضو وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك اذ ذاك ابو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال اين رماة العرب فقالت العرب قد انصف القارة من راماها فقال لي الرشيد اصبت ثم قال اتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج ٣٢٣ شيئا فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالاشخاص واخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال انشدني

ارقني طارق هم ارقا

فمضيت فيها مضي الجواد في سنن ميدانه تهدر بها اشداقي فلما صرت الى مديحه لبني امية ثنيت لساني الى امتداحه للمنصور في قوله

قلت لزير لم تصله مريمه

فلما رآني قد عدلت من ارجوزة الى غيرها قال اعن حيرة ام عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده فقال الفضل احسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس فلما اتيت على اخرها قال لي الرشيد اتروي كلمة عدي بن الرقاع

عرف الديار توهما فاعتادها

قلت نعم قال هات فمضيت فيها حتى اذا صرت الى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله ان تقطع علينا ما امتعتنا به السهر من ليلتنا هذه بصفة جمل اجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل هي التي اخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها انت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله فقال الرشيد اخطات الحمد لله على النعم ولو قلت استغفر الله لكنت مصيبا ثم قال لي امض في امرك فانشدته حتى اذا بلغت الى قوله

تزجي اغن كان ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها

استوى جالسا ثم قال لي اتحفظ في هذا ذكرا قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير الى جانبي فلما ابتدا عدي في قصيدته قلت لجرير

مسنداً اليه فلم تسخر من الشامي فلما دفنا كلامه يئسنا منه فلما قال
تنحي الحصى كان بزه رود وعلى كالمستنح فقال جرير اما تراه
يستلبها مثلا فقال الفرزدق يا لكع انه يقول فلم اصاب من الرواة ملاذنا
فقال علي فلم اصاب من الرواة مرادنا فقال جرير كان سمعك مخبوا
في صدره فقال لي الرشيد شغلني سبك عن جيد الكلام فلما بلغ الى قوله

ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها ورشادها

قال الاصمعي قال لي الرشيد ما تراه قال اذا بنى الشاعر هذا البيت فقلت له
اراد الله فقال الرشيد ما كان يجعله له يقول هذا احسبه قال ما شاء الله
وكذا جاءت الرواية فلما اتيت على آخرها قال لي اتروي لذي الرمة شيئاً ٣٣٣
قلت له الكثير قال فما اراد بقوله

ممر امرت فتله اسدية ذراعية حلالة بالمصانع

قلت وصف حمار وحش اسمنه بقل روضة تواشجت اصوله وتشابكت
فروعه من مطر سحاب كانت في نوء الاسد ثم في الذراع من ذلك فقال
الرشيد ارح فقد وجدناك ممتعاً وعرفناك محسناً ثم قال لي اجد ملالة
ونهض فاخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية فقال الرشيد
عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الاعاجم اما انها لو كانت سندية
لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض
فلا نترك من جواب ممض ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلثين الف
درهم على هذا الساعة في ليلته هذه ولا تحجب في المستأنف فقال الفضل لولا انه
مجلس امير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لامرت لك بمثل ما امر لك به الخادم وقد امرت
لك به الا انه فيه فتلق الخادم صباحاً قال الاصمعي فما صليت من غد الا وفي منزلي
تسعة وخمسون الف درهم

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فقال
اليس ظاهر هذه الآية يقتضي انه هو الفاعل للايمان فيهم لان النور هاهنا كناية عن
الايمان والظلمات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ومعنى الاخراج اذا ذكر واذا
كان مضيفاً للاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا بخلاف مذهبكم
الجواب قلنا اما النور والظلمة المذكوران في الآية فيجوز
٣٢ ان يكون المراد بهما الايمان والكفر وجائز ان يراد بهما الجنة والنار والثواب
والعقاب فقد تصح الكناية عن النعيم والثواب في الجنة بانه نور وعن العذاب في النار
بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغت اضافة اخراجهم من الظلمات
الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة في انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل به
عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه اشبه لانه يقتضي ان المؤمن الذي ثبت كونه مؤمنا
يخرج من الظلمة الى النور فلو حمل على الايمان والكفر لتناقض الكلام ولصار تقدير
الكلام انه يخرج المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمنا من الكفر الى الايمان ولم يكن مقتضيا
لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه وان لم يكن الايمان من فعله من حيث دعا
وحث وارشد ولطف وسهل وقد علمنا انه لولا هذه الاسباب لم يخرج المكلف من الكفر
الى الايمان فتصح اضافة الاخراج الى الله تعالى لكون ما عددناه من جهته وعلى هذا
يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه
ما فيه من الصلاح او مجانبة فعل من الافعال ان يقول اخرجت فلاناً من البلد الفلاني وانا
اخرجته من كذا وكذا وانتشلته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب
وتقوية الدواعي الا ترى انه تعالى اضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت
وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه
الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغرون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله
فصحت اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو
لله تعالى صد عن طاعته واغوى بمعصيته صح اجراء هذه التسمية عليه

فكيف اقتضت الاضافة الاولى ان الايمان من فعل الله تعالى في المؤمن ولم
تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشيطان في الكفار لولا بله المخالفين
وغفلتهم وبعد فلو كان الامر على ما ظنوه لما صار الله وليا للمؤمنين وناصرا
لهم على ما اقتضته الآية ولان الايمان من فعله لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكفار
ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولو فصل بين الكافر
والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الامرين فيهما وفي هذا ابين
على الصدور لا يعرض عنه الا مغالط معاند لنفسه

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال قال ابو محمد القاسم الانباري حدثنا
احمد بن حيان قال حدثنا ابو عبد الله بن النطاح قال اخبرنا ابو عبيدة قال ٣٢٥
قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه ليس شيء من لذة الدنيا
الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا الا مناقلة الاخوان الاحاديث
وقبلك عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث
به اليه واطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك
قال للحاجب استاذن لي قال ومن انت قال عامر الشعبي قال حياك الله
ثم نهض فاجلسه على كرسيه فلم يلبث ان رجع اليه الحاجب فقال
ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل
ابيض الراس واللحية على كرسي فسلمت فرد السلام ثم اومأ بقضيب
كان في يده فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه فقال ويحك
من اشعر الناس فقال انا يا امير المؤمنين قال الشعبي فاظلم علي
ما بيني وبين عبد الملك ولم اصبر ان قلت ومن هذا يا امير المؤمنين الذي
يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل ان يسألني عن
حالي ثم قال هذا الاخطل فقلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام
للحرث الاكبر وللحرث الاصغر وللحارث خير الانام
خمسة آباء هم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام

فقال عبد الملك رددها علي فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المؤمنين
قال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل علي عبد الملك
فقال كيف انت يا شعبي قلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذير لما كان
من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال مه فانا لا نحتاج
٣٢٦ الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل علي فقال ما تقول
في النابغة قلت يا امير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع
الشعراء وذاك انه خرج يوما وببابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان
اي شعرائكم الذي يقول

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها ايد اليك نوازع

قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول

الى ابن محرق اعملت نفسي وراحلتي وقد هدت العيون
اتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون
فالفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل عبد الملك على الاخطل فقال اتحب
ان لك قياضا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك قلته قال لا والله الا
اني وددت اني كنت قلت ابياتا قالها رجل منا كان والله مغدف القناع

قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فانشد
ان محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش الا ما تقر به عين ولا حال الا سوف تنتقل
ان ترجعي عن ابي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل
والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطي الهبل
قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
قال الشعبي فقلت قد قال القطامي افضل من هذا قال وما قال قلت قال
طرقت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت احسبه قريب المعنق ٣٢٧
حتى اتيت على اخر القصيدة فقال عبد الملك ثكلت القطامي امه هذا
والله الشعر قال فالتفت الي الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في الاحاديث
وانما لنا فن واحد فان رايت ان لا تحملني على اكتاف قومك فادعهم
حرضا فقلت لا اعرض لك في شي من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة فقال
من يتكفل بك قلت امير المومنين فقال عبد الملك هو علي ان لا يعرض لك ابدا ثم قال
يا شعبي اي شعراء الجاهلية كان اشعر من النساء قلت خنساء قال ولم
فضلتها على غيرها قلت لقولها
وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر
الا ثكلت ام الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر
فقال عبد الملك اشعر والله منها ليلى الاخيلية حيث تقول
مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يامن الناس ممساه ومصبحه في كل فج وان لم يغز ينتظر
ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت اي والله يا امير المومنين
اشد المشقة الى ان حدثتك منذ شهرين لم افدك الا ابيات النابغة

في الغلام ثم قال يا شعبي انما اعلمناك هذا لانه بلغني ان اهل العراق يتطاولون
على اهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم
والرواية واهل الشام اعلم بعلم اهل العراق من اهل العراق ثم ردد على ابيات
ليلى حتى حفظتها واذن لي فانصرفت فكنت اول داخل واخر خارج
قال السيد رضي الله عنه الصحيح في الرواية ان البيتين اللذين
رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية لاعشى باهلة يرثي المنتشر بن
وهب الوايلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة ٣٢٨
وهي
اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر
فظلت مكتئبا حيران انكره وكنت احذره لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جا جمعهم وراكب جا من تثليث معتمر
ياتي على الناس لا يلوي على احد حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ان الذي جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهي والغير
تنعى امرا لا تغب الحي جفنته اذا الكواكب اخطى نوءها المطر
وراحت الشول مغبرا مناكبها شعثا تغير منه النيّ والوبر
والجا الكلب مبيض الصقيع به والجا الحي من تنفاحها الحجر
عليه اول زاد القوم قد علموا ثم المطي اذا ما ارملوا جزروا
قد تكظم البزل منه حين تبصره حتى تقطع في اعناقها الجرر
اخو رغايب يعطيها ويسألها ياتي الظلامة منه النوفل الزفر
لم تر ارضا ولم تسمع بساكنها الا بها من نوادي وقعه اثر
وليس فيه اذا استنطقته عجل وليس فيه اذا ياسرته العسر
ان يصبك عدو في مناواة يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر
من ليس في خيره من يكدره على الصديق ولا في صفوه كدر

أخو شروب ومكساب إذا عدموا ... وفي المخافة منه الجد والحذر
مردي حروب ونور يستضاء به ... كما أضاء سواد الظلمة القمر
مهفهف أهضم الكشحين منخرق ... عنه القميص لسير الليل محتقر
طاوي المصير على العزاء منجرد ... بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ... وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر
معنى لا يصعب الأمر لا يجد صعبا
لا يتأرى لما في القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يغمز الساق من أين ومن تعب ... ولا يزال أمام القوم يقتفر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه ... في كل فج وإن لم يغز ينتظر
تكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء ويروي شربه الغمر ٣٢٩
لا يأمن البازل الكوماء عدوته ... ولا الأمون إذا ما اخروط السفر
كأنه بعد صدق القوم أنفسهم ... باليأس تلمع من قدامه البشر
قال المبرد لا نعلم بيتا في نعت الغيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت
لا يعجل القوم أن تغلي مراجلهم ... ويدلج الليل حتى يفسح البصر
عشنا به حقبة حيا ففارقنا ... كذاك الرمح ذو النصلين ينكسر
أصبت في حرم منا أخا ثقة ... هند بن أسماء لا يهنى لك الظفر
لو لم تخنه نفيل وهي خائنة ... لصبح القوم وردا ما له صدر
وأقبل الخيل من تثليث مصغية ... وضم أعينها رغوان أو حضر
إما سلكت سبيلا كنت سالكها ... فاذهب ولا يبعدنك الله منتشر
وقد رويت هذه القصيدة لدعجاء أخت المنتشر وقيل لليلى أخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبها إلى ليلى الأخيلية من ههنا والصحيح ما ذكرناه :.
أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم

عن أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إني قد امتدحتك بأبيات فاسمعها قال إن كنت شبهتني بالحية أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي بها وإن كنت قلت فيّ كما قالت الخنساء
وما بلغت كف امرئ متناول ... بها المجد إلا حيث ما نلت أطول
وما بلغ المهدون في القول مدحة ... وإن صدقوا إلا الذي فيك أفضل
فهات فقال له الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت بيتين ما هما بدون ما سمعته
وأنشد ٣٣٠
إذا مت مات العز وانقطع الغنى ... فلم يسق إلا من قليل مصرد
وردت أكف الراغبين وأمسكوا ... من الدين والدنيا بخلف مجدد
فأحسن صلته :. وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي قال أنشدنا محمد بن يحيى أن ابن الأعرابي أنشدهم
مررنا عليه وهو يكعم كلبه ... دع الكلب ينبح إنما الكلب نابح
قال قوله يكعم كلبه أي يشد فاه خوفا أن ينبح فيدل عليه وقال آخر
ويكعم كلب الحي من خشية القرى ... ونارك كالعذراء من دونها ستر
قال وقد قال الأخطل
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم بولي على النار
قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا أهجى ما هجي به جرير لأنه جعل نارهم تطفئها البولة وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافا بها

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب أوليس تأويل هذه الآية يقتضي أنه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الإيمان حتى تصح مسألته أن لا يزيغها

ويجوز بهذا الدعاء مقصدا الجواب قلنا في هذه الآية
وجوه أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف
ولا تشق علينا فيه فيفضي بنا ذلك إلى زيغ قلوبنا بعد الهداية وليس يمتنع
أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة إليه كما قال
تعالى في سورة براءة أنها زادتهم رجسا إلى رجسهم وكما قال تعالى مخبرا عن نوح
عليه السلم فلم يزدهم دعائي إلا فرارا فإن قيل كيف يشدد
عليهم المحنة قلنا بأن يقوي شهواتهم لما قبح في عقولهم ونفورهم عن الواجب
عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا والثواب المستحق عليه عظيما متضاعفا
وإنما يحسن أن يجعله شاقا تعريضا لهذه المنزلة وثانيها
أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهداية وإمدادهم بالألطاف التي معها ٣٢١
يستمرون على الإيمان فإن قيل وكيف يكون مزيغا لقلوبهم بأن لا يفعل
اللطف قلنا من حيث كان المعلوم أنه متى قطع إمدادهم بألطافه
وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان ويجري هذا مجرى قولهم اللهم لا
تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا
فيتسلط علينا ومثله قول الشاعر
أناتي ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميم أقعدت كل قائم
أراد تقعد لها كل قائم وكأنهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا
ألطافك فنزيغ ونضل وثالثها ما أجاب به أبو علي
محمد بن عبد الوهاب الجبائي لأنه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا
عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله تعالى أن يلطف
لهم في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم
فيستحقوا بترك الإيمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وأن يفعل تعالى بهم
بدلا منه العقاب فإن قال قائل فهذا الثواب الذي

هو في قلوب المؤمنين حتى زعمتم أنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عنه وما
بال من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة
بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقوله تعالى لرسوله
عليه السلم ألم نشرح لك صدرك وذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق
والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضا التطهير الذي
يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى أولئك الذين لم يرد الله
٣٢٢ أن يطهر قلوبهم قال ومن ذلك أيضا كتابته تعالى الإيمان في قلوب المؤمنين كما قال
تعالى أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه وضد هذه الكتابة
هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم
عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب ورابعها
أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين والإيمان ولا
يقتضي ذلك أنه تعالى سئل ما كان يجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز
فعله لأنه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما
عنده بأن يفعل ما يعلم تعالى أنه لابد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما يعلم
أنه واجب أن لا يفعله تعالى إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال الله تعالى
حاكيا عن إبراهيم عليه السلم ولا تخزني يوم يبعثون وكما قال تعالى في تعليمنا ما
ندعوه به قل رب احكم بالحق وكقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
وكل ما ذكرناه واضح بحمد الله
قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وإني لأستحسن قول الراعي
في وصف الأثافي والرماد فلقد طبق وصف المفصل مع جزالة الكلام
وقوته واستوائه واطراده
وأورق من عهد ابن عفان حوله حواضن ألاف على غير مشرب
ورادته عالي فبلت بنحضها على راسخ ذي شامة متقوب

كأنّ بقايا لونه في متونها بقايا الهناء في قلايص جرب
الاورق الرماد جعله اورق لانه في لون الأورق من الإبل كالحواضن احتضانها له واستدارتها
حوله واراد بورد الاعالي ان لونها يضرب الى الحمرة وخص الاعالي
لانها مواقع القدر فلا تكاد تسود والراضع هو الراضع وانما شبه
الرماد بينهن بفصيل بين أظآر والمثقوب التي قد انحسر اعلاه وشبه
ما سودت النار منهن بآثار قطران على قلايص جرب والمجرب الذي قد
جربت ابله ونظير هذا المعنى بعينه اعني تشبيه تسويد النار بالهناء
قول ذي الرمة

333 عفا الزرق من اطلال مية فالدحل فاجماد حوضى حيث زاحمها الحبل
سوى أن ترى سوداء من غير خلقة تخاطأها وارتث جاراتها النقل
كجرباء دسّت بالهناء فقصيت بأرض خلاء أن تقاد بها الإبل
من الرضمات البيض غير لونها بنات فراض المرخ واليابس الجزل

قوله سوداء من غير خلقة يعني اثفية لأن السواد ليس بخلقة لها وانما
سودتها النار وقوله تخاطأها النقل اي تجاوزها فلم تحمل من مكان الى
مكان بل بقيت منفردة وارتث جاراتها يعني جاراتها اثفيتين في اللواتي
كن معها والمرتث هو المنقول من مكان الى مكان واصل ذلك في
الجريح والعليل يقال ارتث الرجل ارتثاثا اذا حمل من المعركة وبه رمق
قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع وقال ابو زيد هو من قولهم ارتثّ
رثة القوم اذا جمعوا ردي متاعهم بعد ان يحملوا من موضعهم وكلا
المعنيين يليق ببيت ذي الرمة لانه قد يجوز ان يريد بقوله وارتث
جاراتها اي نقلوا عنها ويجوز ان يريد صرعن وبقيت ثابتة قائمة
والرضمات حجارة بيض بعضها على بعض والفراض جمع فرض
وهو الحز يكون في الزند وعنى ببنات فراض المرخ شرر النار الخارجة

من ذلك الفرض والمرخ شجر تتخذ منه الزند ومن امثالهم في كل شجر نار واستمجد
المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم يفضل على القوم وهو يزيد عليهم
فكأن المعنى كل قوم كرام واكرمهم فلان ومعنى كجرباء دست
بالهناء انه شبه الاثفية المنفردة بناقة جرباء قد افردت وابعدت
عن الابل حتى لا تجرب ولا تعديها ومعنى دست بالهناء اي طليت به وفي
معنى قول الراعي واراد الاعالي شبه من قول الشماخ بن ضرار

334 اقامت على ربعيهما جارتا صفا كميتا الاعالي جونتا مصطلاهما

يعني بربعيهما منزلي المرأتين اللتين ذكرهما ويعني بجارتا صفا اثفيتين
لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ويمكن في قوله جارتا صفا وجه
آخر هو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريبا من الجبل لتكون حجارة الجبل
ثالثة لهما ومسكة للقدر معهما ولهذا تقول رماه بثالثة الأثافي اي
بالصخر او بالجبل وشبه اعلاهما بلون الكميت ولون الجمر نفسه لان النار
لم تصل اليه فتسوده ومصطلاهما جون اي اسود لان النار قد سفعته
وسودته وقال الراعي في وصف الاثافي ايضا

اذاع باعلاه وابقى شريده ذرى مجنحات بينهن فروج
كأن بجزع الدار لما تحملوا سلائب ورقا بينهن خديج

اذاع باعلاه يعني الرماد لان الساقي يطير ظاهره وما علا منه
وابقى شريده اي بقي ما شرد عن الساقي فلم يطيره وذرى مجنحات يعني
الاثافي وذرى كل شيء جانبه وما استذريت به منه والمجنحات المسلات
والسلائب جمع سلوب وهي الناقة التي قد سلبت ولدها بموت او نحر فقد عطفت
على حوار آخر والخديج الذي قد سقط لغير تمام والورق اللواتي الوانهن كلون
الرماد ومعنى قول الراعي وابقى شريده ذرى مجنحات قول المجنون السعدي
واري لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم

أثر رماداً وامداداً نفعت عنه الرياح خوالد سُحم

أثر هاهنا بمعنى الواو وكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولا أن الا هاهنا
بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوله لأنه يقول في آخر البيت
إن الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فلم تستثنه إذن من جملة ما لم
يدرس بل يعود داخلاً في جملته وللراعي أيضاً في الأثافي

أنخن ومن أغفالها عليها فقد ترك الصلا بهن كآرا

شبّه الأثافي بنوق أنخن أغفالاً لم يلبسن عليهن سمة ثم أخبر أن الوقود
قد أثر فيهن أثراً كالسمة والنار السمة ناره هنا تقول العرب ما نار هذه الحلّة ٤٣٥
أي ما سمتها وفي أمثالهم نجارها نارها أي سمتها تدل على كرمها يضرب
ذلك للرجل يُرى له ظاهر حسن يدل على باطن خبير وقال عدي بن
الرقاع العاملي

الا رواكد هن قد اصطلين حمراً أشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعرّيت منهن واستلب الزمان رمادها

وقال الاشتر الجعفي

الا رواكد بينهن خصاصة سفع المناكب كلهن قد اصطلى

وقال حميد بن ثور

فغيّرن الا ملاعبها ومعرساً من حونة طهر
عريش النقابط هابرا مقامه للحي بين نظاير وتر

الحونة القدر ويقال قدر طهر وقدور ظهور اذا كانت قديمة
وعرش أي جعل مثل العريش يعني الوقود والنقابط ما اقتبست به
النار من الوقود والنظاير يعني الأثافي والوتر الفرد واراد انها
ثلث وقال الكميت بن زيد

ولن تجبك الا اطار معطفة بالقاع لا تمك فيها ولا سبل

ليست بعود ولم تعطف على ربع ولا يهيب بها ذو الثلة الربل
شبّه الأثافي في شبه تعطفها على الرماد بنوق ظوار قد عطفن على فصيل
والتموك انتصاب السنام والميل من صفة السنام أيضاً والعاهن
من النوق التي تتبعها ولدها والربع الذي ينتج في الربيع والاهابة
الدعا اهاب بابله اذا دعاها وذو الثلة الذي قد نفى الخيل والابل ٤٣٦
صاحب الابل وقال ذو الرمة

لم يبق الا ان تسمى لمحلة رماداً نحت عنه السيول جنادله
كأن الحمام الورق في الدار وقعت على خرق بين الاثافي جوازله

شبّه الأثافي بحمام ورق وجعلها اطواراً لتعطفها على الرماد وشبّه
الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه والجوازل الفرخ واحدها جوزل
وقال البعيث

الا حيّيا الربع القواء وسلما ورسماً كجثمان الحمامة ادهما

قيل ان الحمامة هاهنا القطاة وانه شبّه الوان الاثافي السفع من الرماد والموقد
ما دون منه وبحر طنبه وما اشبه هذه الاشياء بالوان ريش القطاة
ومثله لجرير

كأن سفع الدار ريش حمامة محاها البلى واستعجمت ان تكلما

ولقد احسن كل الاحسان كثير في قوله

أمن آل قيلة بالدخول رسوم وبحومل طلل يلوح قديم
لعب الرياح بربعه فأجنّ جون عواكف في الرماد جثوم
سفع الخدود كأنهن وقد مضت حجج عوابر منهم سقيم

قيل في قوله فاجنّ جون عواكف يعني الاثافي ان الريح لما كشفت عنها
وظهرت صارت كأنها اجدت الريح ويحتمل وجهاً آخر وهو ان يكون معنى
اجنتها انها حمت الرماد الذي احاط به من لعب الرياح فبقي بحاله لم يتبدل

به المترسّم فكأن الرياح درست النبع ومحته الا ما اجدّ تذهن به ثاني
من الرماد ومنعت الريح عنه ويحكي ذلك قول المخبل
اثر رماد هامد البيت وقال المرار الفقعسي في ذكر الاثافي
آثار الوقود على جوانبها بخدودهن كأنه لطم
ويقال ان ابا تمام الطائي اخذ من ذلك قوله

فقوا نقط المنازل عن عيون لها في الشوق احشاء غزار
عفت آياتهن واي ربع يكون له على الزمن الخيار
اثافٍ كالخدود لطمن حزناً ونؤيٌ مثل ما انفصم السوار ٣٣٧

وقد عاب عليه قوله لطمن حزناً بعض من لا معرفة له
وقال لا فائدة في قوله حزناً ولكلامه فائدة لان اللطم قد يكون او جع
وابلغ فيأتي به اظهر وابين وقد يكون اللطم لغير حزن فاما قوله
ونؤي مثل ما انفصم السوار فمأخوذ من قول الشاعر

نؤي كما نقص الهلال لمحاقه او مثل ما قصم السوار المعصم

وقد شبهت الناس النؤي بالسوار والخلخال وبغير ذلك فأكثر

عرفت لسعدى بعد عشرين حجة بها درس نؤي في المحلة منحن
قديم كوقف العاج ثبت حوله مغارز اوتاد ورضم موضّن

الوقف السوار من الذبل ومن العاج والرضم صخور عظام والموضّن
الذي بعضه فوق بعض وقال بشار

ونؤي كخلخال الفتاة وصايم اشج على ريب الزمان ركوب

الصايم الاشج يعني الوتد وصفه بأنه صايم لقيامه وثباته وجعله
اشج لانه يدق على رأسه والمرأة الركوب والاشج الركوب التي لا يعيش لها ولد
ومن مستحسن ما وصف به النؤي قول ابي تمام

والنؤي اهمد شطره فكأنه تحت الحوادث حاجب مقرون

وللمتنبي في قوله

قف على الدمنتين بالدو من ريا كخال في وجنة جنب خال
بطلول كأنهن نجوم في عراص كأنهن ليال
ونؤي كأنهن عليهن خدام خرس بسوق خدال

٣٣٨ الخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرساً لانها غير قلقة وشبه
ما احدق به النؤي من الارض وامتلائها بامتلاء الخلخال من الساق والخدال
وهي الممتلئة

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا
بقرة قالوا اتتخذنا هزواً قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع
لنا ربك الى قوله وما كادوا يفعلون فقال ما تأويل هذه الآيات وهل
البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي البقرة المراد باللفظ الاول والتكليف
واحد ام المراد مختلف والتكليف متغاير الجواب
قلنا اهل العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف اصولهم فمن جوز
تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى ان التكليف واحد وان الاوصاف
المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وانما تأخر البيان فلما سأل القوم عن الصفات
ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجز تأخير البيان يقول ان التكليف متغاير
وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاؤوا
من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا
الامر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما
اختص بهذه الصفة من اي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا
كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما

اختص الصفات لأنه خبره ثم اختلفوا من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف
الأخير انه يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة
مع انها عوان لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء
فاقعا لونها لا فارضا ولا بكرا ومنهم من قال انما يجب ان تكون بالصفة الأخيرة
فقط دون ما تقدم وظاهر الكتاب بالقول الأول وهو المبني على جواز تأخير
البيان ودل انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول عليه السلام
ادع لنا ربك يبين لنا ~~ما لونها~~ ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية
عن البقرة المتقدم ذكرها او عن التي امروا بها ثانيا على قول من 239
يدعي ذلك وليس يجوز ان يكونوا سألوا عن صفة غير التي تقدم ذكرها لأن
الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي ان يكون السؤال
عن صفة البقرة المأمور بذبحها ولأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى
فيستفهموا عنها واذا صح ان السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكرة
التي امروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر
من ان يكون كناية عن البقرة الأولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون ذلك
كناية عن بقرة ثانية لأن ظاهر قوله تعالى انها بقرة من صفتها
كذا بعد قولهم ما هي يقتضي ان يكون كناية متعلقة بما تضمنه
سؤالهم ولأن الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جوابا لهم بل كان
يجب ان يكونوا سألوا عن شيء فأجابهم عن غيره وقيل الأليق بالنبي عليه السلام
على انه لما اراد تعالى ان يخلصهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم لا قول
على ما يدعيه من يذهب الى هذا المذهب فكان يجب ان يجيبهم عن
سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في غير موضعه وتفريطهم فيما امروا
به ثم الحاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ما هي انما
كلفتم اي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك

ذلك الامتثال واخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام الآن انكم قد كلفتم ثانيا
كذا وكذا لأن هذا مما يجب عليه بيانه لإزالة الشك والإبهام واللبس
فلما لم يفعل ذلك واجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال
علم ان الأمر على ما ذكرناه وهب انه لم يفعل ذلك في اول سؤال كيف
لم يفعله مع تكرر اسولتهم والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب
موقعها ومع تكرر المعصية والتفريط كيف يستحسن ان تكون جميع اجوبته
غير متعلقة بأسولتهم لأنهم يسألونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره 240
من غير بيان بل على اقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لأن
قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية
صريح في انها كناية عما وقع السؤال عليه هذا مع قولهم ان البقر
تشابه علينا لأنهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل
غير مبين فلم يقل لهم اي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء بأي بقرة
كانت وفي الثاني بما اختص باللون المخصوص من اي البقر كان. فإن قيل
كيف يجوز ان يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر
الكلام ولم يبين لهم ذلك وهل هذا الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد
منهم ان يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الفعل حاضرة
لما جاز ان يتأخر البيان لأن تأخره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي
لا شبهة في قبحه وانما اراد ان يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا
البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة البيان. فإن قيل
اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما امروا بذبحه فوجوده كعدمه
وهذا تخرجه من باب الفائدة ويجب كونه عبثا. قلنا
ليس يجب ما ظننتم لأن القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد افاد
تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار

مفيدًا من حيث ذكرنا وخرج مثل مخرج قوله هذه وفوائد الكلام لا يجب أن
يتعلق بالاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد وكونه غير
متعلق بغيرها وبما هو أدل عليها فإن قيل ظاهر قوله تعالى فذبحوها
وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال الأمر
قلنا ليس ذلك صريحًا في ذمهم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون
التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكامل لها ما ذكر من الصفات فقد روي
أنهم ابتاعوها بملء جلدها ذهبًا على أن الذم يقتضي ظاهره أن ينصرف إلى
تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام لأن قوله تعالى وما كادوا
يفعلون إنما ورد بعد تقدم البيان المتكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة ٣٤١
في أول الأمر فليس ذلك بدال على خلاف ما ذكرناه فإن قيل
لو ثبت تغيير الحكم في التكليف في البقرة مغاير أي القولين الذين حكيتموهما عن أهل
هذا المذهب أصح وأشبه قلنا قول من جعل البقرة إنما يجب أن تكون بالصفة
الأخيرة فقط لأن الظاهر به أشبه من حيث إذا ثبت تغاير التكليف وليس في
قوله تعالى بقرة لا ذلول ما يقتضي الرجوع إلى إيصاف ذكر لما تقدم من الصفات
وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه فأما
الفارض فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال غرب فارض أي ضخم والغرب
الدلو ويقال أيضًا لحية فارضة إذا كانت عظيمة والأشبه بالكلام
أن يكون المراد المسنة فأما البكر فهي الصغيرة التي لم تلد وكأنه تعالى قال
تكون غير مسنة ولا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي البقرة
التي قد ولدت بطنًا أو بطنين ويقال حرب عوان إذا لم تكن أول حرب وكانت
ثانية وإنما جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر لأن لفظة ذلك
تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدًا قائمًا فيقول القائل قد ظننت ذاك وقد ظننت
ذلك ومعنى فاقع لونها أي خالصة الصفرة وقيل إن كل ناصع اللون بياضًا كان

أو غيره فهو فاقع وقيل إنه أراد بصفراء هاهنا سوداء ومعنى قوله تعالى
لا ذلول تثير الأرض أي لم تكن صعبة لم يذللها العمل في إثارة الأرض وسقي
الحرث ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب وقال قوم مسلمة من الشية
أي لا شية فيها تخالف لونها وقوله لا شية فيها أي لا عيب فيها وقيل لا وضح
٣٤٣ بها وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله تعالى أعلم بما أراده وإياه نسأل
حسن التوفيق

قال الشريف رحمه الله كنت أظن أن المتنبي قد سبق إلى معنى
قوله في مرثيته أخت سيف الدولة

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر ... فزعت منه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملًا ... شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري وللبحتري أما الذي لمسلم فقوله

وقف العفاة عليك من متحير ... وله الرجاء وذي غنى يسترجع
ومخادع السمع النعي ودونه ... خطب أتاه بصادق لا يخدع

وقال البحتري يرثي وصيفًا التركي

إذا جد ناعيه توهمت أنه ... يكرر من أخباره قول مازح

وكنت أظن أن المتنبي قد سبق إلى قوله

تحل القنا يوم الطعان بعقوتي ... فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي

حتى رأيت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبل الطائي من أهل اليمامة في قوله

ثوى قوم مع حذر [illegible] وقد زرنا إلى الموت دامي الصفحتين كليم
إذا الحرب أما جلده فمخرج ... كليم وأما عرضه فسليم

وكنت أظن أن البحتري سبق إلى معنى قوله في الفتح بن خاقان

حملت عليه السيف عن [illegible] ولا يدرك ... [illegible]
حتى وجدت لشاعر متقدم

فعلت ابن دهمان بنجران طعنة شققت بها عنه مضاعفة السرد
ولا الكف او ممشى ولا الرمح خائني ولا لونه ذم المنعوت جادع القصد
قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل وكل
حكى ذلك وقال بلا فضيلة الا البحتري فانه اغرق في ابيات
جعلت وما غابت عظاما كأنما جسمي بين جلدي والعظام خلوق
وقال ابو تمام
لم تشن وجهه المليح ولكن جعلت ورد وجنتيه بهارا
وقال غيره ٣٤٣
ولم تشن شيئا ولكنها بدلت التفاح بالياسمين
وقال محمد بن عيسى
علته زعفرانية مورد خده كأن دما من رقة وري بمفيض
وقال احمد بن يحيى المهلبي
وقالوا اعترى عمرا احمر شديدة فوجنتها منها شديد اصفرارها
فقلت لهم هيهات ما بك روضة مضى وردها عنها وجاء بهارها
وقال ابو العتاهية
وكأنما يتطاول من نكت السقام طليت بالورس
وقال ابن المعتز
وصفرت علته وجهه فصار كالدينار من حق
وقال البحتري
بدت صفرة في لونه ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد
وجرت على الاعلى محبته كلغة كلهيب موج البحر ملتهب الوقد
وما الكلب محموما وان طال عمره ولكنما الحمى على الاسد الورد
قال السيد رضي الله عنه اما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدر

فهو تشبيه مليح موافق للغرض الا انه اخطأ في قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرت
نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل هو عيب ولو شبهه وترك التعليل
لكان اجود ∴ وروى ابو العباس احمد بن فارس المنبجي قال حدثني ابو احمد
عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني ابي قال حدثني عمي البحتري قال كنت عند
ابي العباس المبرد وتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال لي لقد احسن عمارة
٣٤٤ ابن عقيل في قوله لخالد بن يزيد لما وجه اليه بعض البيتين
لم استطع سير المدحة خالد فجعلت مدحته اليه رسولا
فليبلغن الى نائل خالد وليكفين رواحلي الترحيلا
قال البحتري فقلت له لمروان بن ابي حفصة في عبد الله بن طاهر
وقد اتاه من الجزيرة ما هو احسن من هذا وانشدته
لعمري لنعم الغيث غيث اصابنا ببغداد من ارض الجزيرة وابله
نكاحي صبح الغيث اهله ولم ترتحل اظعانه ورواحله
فقال نعم هذا احسن فقلت له ان لي في بني السمط وقد اتاني
برهم من حمص ما لا يتضع عن الجميع وانشدته
جزى الله خيرا والجزاء بكفه بني السمط احدان السماحة والمجد
هم وصلوني والمهامه بيننا كما ارفض غيث من تهامة في نجد
فقال هذا والله ارق مما قال واحسن ∴ وروى احمد بن
فارس المنبجي عن عبيد الله بن يحيى بن البحتري قال حدثني ابي عن جماعة من اهل
العلم والادب منهم يموت بن المزرع قال قلت لابي عثمان الجاحظ من
انسب العرب قال الذي يقول
عجلت الى فضل الخمار فاثرت عذباته بمواضع التقبيل
وهذا للبحتري في القصيدة التي اولها صب تخاطب معجمات طلول
قال السيد رضي الله عنه في تشبيب هذه القصيدة بيت ليس بقصر

في بلاغة الكلام ورشاقته واخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أأخيب عندك والصبا لي شافع * وأرد دونك والشباب رسولي

وفي هذه القصيدة بيت مغرق في فرط الحسن وهو

لا تطلبن لها الشبيه فانهم * الثاكل مزنة الناميل

وبهذا الاسناد عن يحيى البحتري قال انصرفت يوما من مجلس ابي العباس محمد بن يزيد المبرد فقال لي ابي البحتري ما الذي افدت يومك هذا من ابي العباس فقلت املى علي اخبارا حسنة وانشدني ابياتا للحسين بن الضحاك فقال لي انشدني الابيات فانشدته

كأني اذا فارقت شخصك ساعة * لفقدك بين العالمين غريب ٣٦٥
وقد رمت اسباب السلو فخانني * ضمير عليه من هواك رقيب
أغرك صفحي عن ذنوب كثيرة * وغضي على اشياء منك تريب
كأن لم يكن في الناس قبلي متيم * ولم يك في الدنيا سواك حبيب
الى الله اشكو ان شكوت فلم يكن * لشكواي من عطف الحبيب نصيب

فقال ما احسن هذا الكلام ثم انشدني لنفسه

حبيبي حبيب يكتم الناس انه * لنا حين تلقانا العيون حبيب
يباعدني في الملتقى وفؤاده * وان هو ابدى لي البعاد قريب
ويعرض عني والهوى منه مقبل * اذا خاف عينا او اشار رقيب
فتنطق منا اعين حين نلتقي * وتخرس منا السن وقلوب

ثم قال بانى اروهذين فانهما من احسن الشعر وطريفه

وروى احمد بن فارس المنبجي عن ابي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت بعض اهل الادب يقول النطاح فكلنا نعرف ابا العباس المبرد وكبره وانه ما كان يقوم لاحد ولا يتطاول له ويتشدد اذا اشرف عليه الرجل

ولان تزول الهضبات لا يتحلحل

ولقد رأيته يوما ودخل عليه رجل متدرع فقام اليه ابو العباس واعتنقه ونحى عن موضعه واجلسه فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك فلما اكثر من ذلك عليه انشد ابو العباس

انكر ان اقوم وقد بدا لي * لاكرمه واعظمه هشام
فلا تنكر مبادرتي اليه * فان لمثله خلق القيام

٣٦٦ فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل هذا البحتري

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى في قصة هابيل وقابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقال كيف يجوز ان يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بانه يريد ان يبوء اخوه بالاثم وذلك ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها متعلقا بتغير وكيف يصح ان يبوء القاتل باثمه واثم غيره وهل هذا الا ما تأبونه من اخذ البريء بجرم السقيم الجواب

قلنا جواب اهل الحق عن هذه الآية معروف وهو ان هابيل لم يرد من اخيه قابيل ان يقتله وانما اراد ما اخبر الله تعالى عنه من قوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اريد ان تبوء بجزاء ما اقدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح ان يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ونظير قوله باثمي مع ان المراد به عقوبة اثمي الذي هو قتلي قول القائل لمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يعني

لقيامه معناه مع ما ذكرناه فإن قيل كيف يجوز أن يحسن إرادة
عقاب غير مستحق لم يقع سببه لأن القتل على هذا القول لم يكن وقع
قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب
فهابيل لما رأى من أخيه التصميم على قتله والعزم على امضاء القبيح منه
وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به
وعزم عليه فأما قوله بإثمي وإثمك والمعنى فيه والأصح أنه أراد بإثمي
عقاب قتلك لي وبإثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبل
فلم يتقبل قربانك بسببها لأن الله تعالى أخبر عنهما بأنهما قربا قربانا
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وأن العلة في أن أحدهما لم يتقبل
أنه غير متق وليس يمتنع أن يريد بإثمي ما ذكرناه لأن الاسم مصدر 347
والمصدر قد يضاف إلى الفاعل والمفعول جميعا وذلك مستعمل مطرد
في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف إلى الفاعل قوله تعالى ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض ومع إضافته إلى المفعول قوله تعالى لا يسأم
الإنسان من دعاء الخير ولقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ومما
جاء في الشعر من إضافته إلى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر
أمن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤون وكيف
وفي الكلام يقول القائل أعجبني ضرب عمرو خالدا إذا كان عمرو
فاعلا وضرب عمرو خالد إذا كان عمرو مفعولا وقد ذكر في هذه الآية
وجها آخر وهو أن يكون المراد إني أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك
ثم لم يرد له أن الرشد والخير فحذف الزوال وأقام أن وما اتصل
بها مقامه كما قال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أراد تعالى حب
العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى واسأل القرية وهذا قول
بعيد لأنه لا دلالة في الكلام على محذوف وإنما يستحسن العرب الحذف في

بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه وذكر أيضا وجه آخر وهو أن
يكون المعنى إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك
فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى يبين الله لكم أن تضلوا ومعناه
أن لا تضلوا وكقوله تعالى وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ومعناه أن لا
تميد بكم وكقول الخنساء
فأقسمت آسى على هالك وأسأل نائحة ما لها
348 أرادت لا آسى وقال امرؤ القيس
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
أراد لا أبرح وقال عمرو بن كلثوم
نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا
أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدا وهذا الجواب يضعفه أكثر
أهل العربية لأنهم لا يستحسنون إضمار لا في مثل هذا الموضع فأما قوله تعالى حاكيا
عنه لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك فقال قوم
من المفسرين إن القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت
وأن الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف وقال آخرون
بل المعنى أنك إن بسطت إلي يدك مبتدئا ظالما لتقتلني ما أنا بباسط
يدي إليك على وجه الظلم مبتدئا وإن دفع عن نفسه الفعل القبيح وهو واقع
على سبيل الظلم والظاهر من الكلام يقتضي ما ذكر من الجوابين أشبه لأنه تعالى
خبر عنه أنه وإن بسط إليه أخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله وهو
مريد لقتله ويجري إليه لأن هذه اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الإرادة
والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه لأن المدافع إنما يحسن منه المدافعة
للظالم طلبا للتخلص من غير أن يقصد إلى قتله وإيلامه ضرا به ومتى قصد ذلك
كان في حكم المبتدي بالقتال في أنه فاعل للقبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص

من المضرة باي وجه يمكن بعد ان يكون عن فتح فان قيل وكانكم تعتذرون
من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجبونه
على كل حال قلنا لا نمنع من ذلك وانما بينا ان الاية غير مقتضية
لتحريم المدافعة والانتصار على ما ذهب اليه قوم لان قوله لا قتلك لا تقتضي
ان يكون لا بسط لهذا الغرض والمدافعة لا تقتضي ذلك ولا يحسن من المدافع
ان يجري بها الى الضرر فلا دلالة في الاية على تحريم المدافعة فوجب
ان يحمل ما ذكرناه اولى لشهادة الظاهر

مجلس اخر تاويل خبر ٣٤٩

ان سال سائل عن معنى الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الاولاد فتمسه النار الا تحلة القسم
الجواب قيل له اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه
قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
وكانه قال لا يرد النار الا بقدر ما يبر الله قسمه ثم واما
ابن قتيبة فانه قال في تاويل ابي عبيد هذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان
هذا قسما قال وفيه مذهب اخر اشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان
العرب اذا ارادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بتحليل
القسم وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقول لم يقم فلان عندنا
الا تحلة القسم وما ينام العليل الا كتحليل الالية وهو كثير مشهور قال
ابن احمر وذكر الريح

اذا عصفت رسما فليس بدائم به وتد الا تحلة مقسم

يقول لا يثبت الوتد الا قليلا كتحلة المقسم لان هبوب الريح تقلعه
وقال اخر يذكر ثورا

في المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تامله

مجلس اخر تاويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد
قسوة فقال ما معنى او هاهنا وظاهرها يفيد الشك الذي لا يجوز عليه تعالى
٣٥٠ الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان تكون او هاهنا
للاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين والق الفقهاء او المحدثين ولم
يريدوا الشك بل كانهم قالوا هذان الرجلان اهل المجالسة وهذان القبيلان
من العلماء اهل للقاء فان جالست الحسن كنت مصيبا وان جالست ابن سيرين
كنت مصيبا وان جمعتهما فكذلك فيكون معنى الاية على هذا ان قلوب هؤلاء
قاسية متجافية عن الخير والرشد فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم وان
شبهتموها بما هو اشد اصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا تاول
قوله تعالى او كصيب من السماء لان او لم يرد بها الشك على النحو الذي ذكرناه
من انكم ان شبهتموهم بالذي استوقد نارا جاز وان شبهتموهم باصحاب
الصيب جاز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك وثانيها
ان يكون او دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الاية ان قلوبهم قست فبعضها
ما هو كالحجارة في القسوة وبعضها ما هو اشد قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله
تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا معناه وقال بعضهم كونوا
هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت او للتفصيل
وكذلك قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون
معناه فجاء بعض اهلها باسنا بياتا وجاء بعض اهلها باسنا في وقت
القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا ويكون
المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوقد نارا وبعضهم يشبه اصحاب الصيب

وثالثها ان تكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى
المخاطب وان كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في اخبارهم
عن ذلك الى التفصيل بل علم جل وعز ان خطابهم بالاجمال ابلغ في مصلحتهم
فاخبرهم تعالى ان قسوة قلوب هولاء الذين ذمهم كالحجارة او اشد قسوة والمعنى
انها كاحد هذين لا تخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك الا حلوا او حامضا
فيبهمون على المخاطب ما يعلمون انه لا فائدة في تفصيله والمعنى ما اطعمتك الا
احد هذين الضربين وكذلك يقول احدهم اكلت بسرة او تمرة وهو قد علم
ما اكل على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب وقال لبيد
٣٥١ تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر
اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين فسبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن
ذلك لان قصده الذي اجرى اليه وغرضه الذي نحاه ان يخبر بكونه ممن
يموت ويفنى ولا يخل به الاجمال ما اجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل
لانه لا فائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة او مضر فموته واجب وكذلك الاية
لان الغرض فيها ان يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانهم لا ينثنون لوعظ
ولا يصغون الى حق فسواء كانت في القسوة كالحجارة او اشد منها فقد تم ما اجرى
اليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما هو اشد
قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة او مضر في انه غير محتاج اليه ولا
يقتضيه الغرض في الكلام ورابعها ان يكون او
بمعنى بل كما قال الله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون معناه بل يزيدون
وروي عن ابن عباس في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال كانوا
مائة الف وبضعا واربعين الفا وانشد الفراء
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح
وقد تجي او في الاستفهام ايضا بمعنى بل كقول القائل اضربت عبد الله او انت

[illegible] باطلقها ... في اربع مسهن الارض تحليل
يقول هو خفيف سريع فقوائمه لا تثبت بالارض الا كتحليل اليمين وقال ذو الرمة
على طنية فوق الكثيب خفي عنه على رهبات من جنان المحاذر
قليلا كتحليل الالى ثم قلصت به شيمة روعاء تقليص طائر
اي لم يجمع النوم وطي اليمين قال ومعنى الحديث على هذا انه لا يلج النار الا تمسه
٣٥٢ الا قليلا كتحليل اليمين ثم ينجيه الله تعالى منها وقال ابو بكر
محمد بن القسم الانباري الصواب قول ابي عبيد بحجج ثلث منها ان جماعة من كبار
اهل العلم فسروا على تفسير ابي عبيد وفيهم خالفه ادعى ان الله يمس النار من عظمت
منزلته عند الله تعالى جليلة لكن مسا قليلا والقليل من النار يقع به الالم العظيم
وليس صفة الابرار والاولياء صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيرا ومنها
ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار وانما حكم عليه بالورود والورود
لا يوجب ان لا يحرز من لهبها لان الا معناها الاستثناء المنقطع كانه قال فتمسه
النار لكن تحلة اليمين اي لكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب
سار الناس الا الاثقال وارتحل العسكر الا الخيام وانشد الفراء
وبهجة المشي تهلال قطعت بها ارضا تكاد بها الهداة تهوما
مهامها وحزونا لا انيس بها الا الصوابح والاصداء والبوما
وانشد الفراء ايضا
ليس عليك عطش ولا جوع الا الرقاد والرقاد ممنوع
فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة القسم
لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس وقال ابو بكر
وقد يسنح لي قول اخر وهو ان يكون الا زايدة دخلت للتاكيد وتحلة اليمين
منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم وان الا
زايدة قال الفرزدق شاهدا لهذا

بهم القوم اذ حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم
معناه بهم القوم حيث سلوا سيوفهم وانه من كثرة ... وقال الاخطل
يقطعن الا من فروع بردها بمرحة محمود نثاه ونائله
معناه يقطعن الابل من فروع بردها والفروع الواسعة من الارض
قال السيد رضي الله عنه والوجوه المذكورة في
تاويل الخبر متقاربة الا ان الوجه الذي اختص به ابن الانباري فيه
ادنى تعسف وبعد من حيث جعل الا زائدة وذلك لا يستضعف عند
جماعة من اهل العربية وقد بقي في الخبر مسألة التشاغل بالجواب
عنها اولى مما تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه التي ذكروها ٣٥٣
في تاويله وهو ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه السلام بان من مات له ثلثة من الاولاد
لم تمسه النار اما جملة او بمقدار تحلة القسم وهو النهاية في القلة
اوليس ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان
يموت له هذا العدد من الاولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح ان يؤمن
من العقاب والجواب عن ذلك انا قد علمنا ان مخرج هذا
الخبر مخرج المدحة لمن هذه صفته والتخصيص له والتمييز والمدحة
في مجرد موت الاولاد دون ذلك لا يرجع الى فعله فلا بد من ان يكون
تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذي يموت له ثلثة من الاولاد اذا
احسن صبره واحتسابه وعزاءه ورضاه بما جرى به القضاء لانه
بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه
لم يكن في القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذي اذا
وقع عليه يفضل الله تعالى بغفران ما لعله ان يستحقه من العقاب في المستقبل غير معلوم
واذا لم يكن معلوما فلا وجه للاغراء والاكثر ما في هذا ان يكون القول بعثا
في حسن الصبر وحاثا عليه رغبة في الثواب فقد جاء الغفران لما لعله ان يستحق

واشد من الحجارة في حال اخرى فصح المعنى ولا تنافي وهذا قريب وتحقيق
هذا الجواب ان قلوبهم هو لا في بعض الاحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق
والفكر فيه ربما لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغي الى الحق
فتكون في هذه الحالة كالحجارة التي ربما لانت وفي حال اخرى تكون في نهاية
البعد عن الحق والنفور منه فتكون في هذه الحال اشد قسوة من الحجارة على انه
يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم معناه في بعض كلامنا
وهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان يكون فيها قسوة الحجارة لان ٣٥٤
القائل اذا قال فلان اعلم من فلان فقد اخبر انه زائد عليه في العلم الذي
اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس يجب هاهنا تناف على ظاهر المعترض
من اثبات الصفة ونفيها وكل هذا واضح بحمد الله
قال السيد رضي الله عنه واني لاستحسن من الشعر قول
ابي حفص محمد الضبي

ومولى سخيف الرأي رخو تزيده اناتي وعفوي جهله عند ما
دملت ولولا غيره لاصبته بشنعاء باق عارها تقر العظما
طوى حسدا ضغنا علي كانما اداوي به في كل مجمعة كلما
يجمل احيانا فلا يستخفني ولا اجهل العتبى اذا رجع الحلما
يصد ويناى في الرخاء بوده ويدنو ويدعوني اذا خشي الهضما
فيفرج عنه ازمة الخصم مشهدي وادفع عنه عند عثرته الظلما
اراد به الدهماء واراد به العقل وكلا المعنيين محتمل لفظة البيت
وكنت امرءا عود الفعال تزيني مآثر مجد تالد لم تكن زعما
ولست بلا وصيد اساكر مالكا فتنسبه الا ابا لي او عما
وكنت وشتمي في ارومة مالك بسبي كالكلب اذ ينبح النجما
ستعلم ان عاديتني فتح قولي اما اذا افدت لا ابا لك او عدما

لقد ابقت الايام مني وحسبها عدا بنا ثكلا وحسادنا رغما
وكانت عروق السوء اذ دب قصرت به ان ينال الحمد فالتمس الذما

ومن مختار قوله

اني اذا اخفى اللئام رايتني كالشمس لا تخفى بكل مكان
ما من مصيبة نكبة امنى بها الا تشرفني وتعظم شاني
وتزول حين تزول عن متخمط تخشى بوادره لدى الاقران

ومن جيد قوله

خليلان باحا بالهوى فتشاحنت اقاربها في وصله واقاربه
الا ان اهوى الناس فيما وروه وحجا اذا ما الليل غارت كواكبه 355
ضجيع دنا مني جلابيب ثوبه فبات يمنيني وبت اعاتبه
واخبره ما السر بيني وبينه بان ليس شيء عند نفس تقاربه

وقد غبر في وصف المضاجعة امرؤ القيس بقوله

تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع اتلعا
وجدك لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا تذود الوحش عنا كاننا قتيلان لم يعرف لنا الناس مصرعا
اذا اخذتها هزة الروع امسكت بمنكب مقدام على الهول اروعا

وقال علي بن الجهم في وصف شدة الالتزام

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب

ولعبد الصمد المعذل في هذا المعنى

كانني عانقت ريحانة تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحد

ولبشار

رجل متعب معناه بل انت وقال الشاعر

فوالله ما ادري اسلمى تغولت ام النوم ام كل الي حبيب

معناه بل كل وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز ان يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشيء لانها للاستدراك فان اريد بها استفادة او التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لان احدنا يقول ما اعطيته الفا بل الفين وقصده دفعة 356
بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما اخبر به في الثاني ولم يتجدد له به علم وان اريد بها الاضراب في كلام غير الماضي واستيناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فاما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع يستعمل فيه لفظة بل لان القائل اذا قال اعطيته الفا بل الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه وهو داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حمارا واعطيته درهما بل ثوبا لان الاول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول لانها لا تزيد في القسوة على الحجارة الا بعد ان تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان تكون او بمعنى الواو كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباءكم معناه وبيوت اباءكم وقال جرير

نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر

وقال ايضا

اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا

اراد ورياحا وقال توبة بن الحمير

وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي تقاها او عليها فجورها

وقال اخر

فلو كان البكاء رد ميتا بكيت على بجير أو عفاق
على المرءين إذ هلكا جميعا لشأنهما بشجو واشتياق
أراد على بجير وعفاق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن
عليه بأن قال ليس شيء نعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشك عليه وإنما
يصح ذلك في قولهم أطعمتك تمرا أو أحلى منه لأن الأحلى منه معلوم واختار
المفضل الوجه الذي يتضمن أن أو بمعنى بل وهذا الذي طعن عليه المفضل ليس بشيء لأنهم
وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة
معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما كان الزائد عليها لا بد أن
قدرا أما إذا عرف فصح أن يعرف ما هو زائد عليه وأنقص لأن الزيادة والانفصال ٣٥٧
إنما يضافان إلى معلوم معروف على أن الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى
وصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة أنها قد انتهت إلى حد لا
تلين معه للخير على وجه من الوجوه وإن كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها
فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها فقول المفضل
ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة لا معنى له إذا كان القول على طريق المثل
وبعد فإن الذي طعن به على هذا الجواب يعترض على الوجه الذي
اختاره لأنه إذا اختار أن أو في الآية بمعنى بل فكيف جاز أن يخبرهم
بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة وإذا
جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل
ذلك بالواو فيقول بل قلوبهم كالحجارة التي يعرفونها في القسوة ومع
ذلك تزيد عليها فإن قيل كيف يكون أو في الآية بمعنى
الواو والواو للجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة وأشد من الحجارة في
حال واحدة لأن الشيء إذا كان على صفة لم يجب أن يكون على خلافها قلنا
قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بأن قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حال

إنني أشتهي لقاك والله فماذا عليك أن تلقاني
تتلاقى الرياح غصنا من البان وإلا مثله فيلتقيان
ومثل هذا للبحتري
ولم أنس ليلتنا في العناق لف الصبا بقضيب قضيبا
كما اقتنت الريح في مرها فطورا خضوعا وطورا هبوبا
٣٥٨ وله في هذا المعنى بعينه ولسنا ندري هل سبق البحتري أو أخذ عنه
وضم لا ينهنهه واعتناق كما التف القضيب على القضيب
ولعلي بن الجهم
وقفنا على رغم الحسود كأننا خليطان من ماء الغمامة والخمر
وهذا وإن جعله في العناق فمأخوذ من قول بشار
وإذ نلتقي خلف العيون كأننا سلاف عقار بالقراح مشوب
والأصل في هذا المعنى قول الأخطل والناس في لعل على أثر
من الكرنبات الجود مطلب شربها كبيض لمهنوق المستكنة في الوكر
وإني وإياها إذا ما لقيتها لكالماء من صوب الغمامة والخمر
وقد أخذه أيضا ابن أبي عيينة فقال
ذاك إذ روحها وروحي من الكأس كما صفي خمر بأعذب ماء
وأخذ العباس بن الأحنف فقال
ما أسرع الأنس بيننا كأنما معطفة على فؤادي وبشرتها على راسي
وياليته تغرب على جسدي أو ليتني كنت سربالا لعباس
أو ليته كان لي خمرا وكنت له من ماء مزن فكنا الدهر في كاس
ومثله للبحتري
وجدت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح
ولقد أحسن بشار في قوله

٣٥٩

لقد كان ما بيني زمانًا وبينها لما من ريح المسك والعنبر الوردِ

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء قال حدثني العتبي عن ابيه قال سيّر الوليد بن عبد الملك الاحوص الى دهلك فكتب الاحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وكيف ترى للنوم طعمًا ولذةً وخالك امسى موثقًا في الحبائل
ومن يك امسى سائلًا عن شماتةٍ ليشمت بي او شامتًا غير سائل
فقد عجمت مني الحوادث ماجدًا صبورًا على عضّاء تلك البلابل
اذا سرّ لم يفرح وليس لنكبةٍ المّت به بالخاشع المتضائل

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان يشهد عليه وقال ما يمنعني في هذا البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك حمل الاحوص وسيّر عراكًا

قال السيد رضي الله عنه وانما كان الاحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان ام عمر هي ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وامها انصارية فاما قوله اذا سرّ لم يفرح البيت فمأخوذ من قول لقيط بن زرارة

لا مترف ان رخاء العيش ساعده وليس ان عضّ مكروه به خشعا

وللاحوص

وبيض مكة لا ابوح به قرشية غلبت على قلبي
ولو انها اذ مر موكبها يوم الكديد اطاعني صحبي
قلنا لها حييت من سربٍ ولركبها حييت من ركب
والشوق اقتله برؤيتها قتل الظما بالبارد العذب
والناس ان حلّوا باجمعهم شعبًا سواهم وانت في شعب
لحللت شعبك دون شعبهم ولكان قربك منهم حسبي

١٧٤

قوله والشوق اقتله برؤيتها نظير لقول جميل

فاما التي للحين القيت العصا ومات الهوى لما اصيبت مقاتله

مجلس آخر ٧٤ تاويل آية

٣٦٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقال كيف يأمرهم ان يخبروا بما لا يعلمون وليس ذلك الا قبيح وتكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي لا تجوزون ان يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة الجواب قد ذكر في هذه الآية وجهان اصحهما ان ظاهر الآية ان كان امرًا يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين وعالمين بانهم اذا اخبروا عن ذلك صدقوا فكانه قال تعالى لهم خبّروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم ويجري هذا مجرى ان يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه او ان كنت تعلم انك صادق فيما تخبر به عنه فان قيل اوليس قد قال المفسرون في قوله تعالى ان كنتم صادقين ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من اجلها جعلت خليفة في الارض او ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما يقوم به الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون له قلنا قد قيل كل ذلك وقيل ايضًا ما ذكرناه واذا كان القول يحتمل الامرين جاز ان نبني الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم لمن ذهب الى ان الله تعالى لا يصح ان يأمر العبد بشرط قد علم انه لا يحصل ولا يحسن ان يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح ان يعتمد على هذا الجواب فان قيل فاي فائدة في ان يأمرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط ان يكونوا صادقين وهو عالم انهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به قلنا اما من ذهب

الى الفصل الذي ذكرناه ان يقول لا يمتنع ان يكون الغرض في ذلك ان يمنعوا من الشك
باقرارهم وامتناعهم من الاحاطة بالاسماء وما اراد تعالى بيانه من استثنائه
بعلم الغيب وتفرده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين فان قيل
فهذا يرجع الى الجواب الذي يذكرونه من بعد قلنا سنبين وان رجع
في هذا المعنى اليه فبينهما فرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم ان الاية تضمنت
الامر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني
لا يسلم فيه ان القول امر على الحقيقة فمن هاهنا افترقا والجواب الثالث
ان يكون الامر وان كان ظاهره ظاهر الامر فغير امر على الحقيقة بل المراد به التقرير
والتنبيه على مكان الحجة وقد ترد صورة الامر بما ليس بامر في القرآن والشعر
واخبار العرب مملوءة بذلك ويخص هذا الجواب ان الله تعالى لما ٣٦١
قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون اي اطلع
من مصالحكم وما هو انفع لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم اراد التنبيه على انه
لا يمتنع ان يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي اولى بالاستخلاف
في الارض وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم عليه السلم
اسماء جميع الاجناس او اكثرها ثم قال تعالى للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء مقررا
لهم ومنبها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه السلم بما لم يختصوا
به فلما اجابوا بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا تعلمونه فقال
تعالى لهم الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون منبها على انه تعالى المنفرد بعلم المصالح في الدين وان
الواجب على كل مكلف ان يسلم لامره تعالى ويعلم انه لا يختار لعباده الا
ما هو اصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب يكون
قوله تعالى ان كنتم صادقين محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة

في نصب الخليفة او في ظنهم انهم يقومون مقامه ويعملون له فلولا ان الامر على ما ذكرناه
وان القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم الم
اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى
لان التكليف اذا لم يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه السلم بالاسماء
والتعجيز قوله تعالى اني اعلم غيب السموات والارض مطابقا لما ذكرناه من المعنى
٣٦٢ دون معنى التكليف وكانه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون هذه الاسماء
فانتم عن علم الغيب اعجز وبان تسلموا الامر لمن يعلمه ويدبركم
بحسبه اولى فان قيل فكيف علمت الملائكة بان في ذريته
آدم عليه السلم من يفسد في الارض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك
فان كانت غير عالمة فكيف يحسن ان تخبر عنهم بغير علم قلنا
قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت وكانها قالت متعرفة اتجعل فيها من يفعل
كذا وكذا وقد قيل ان الله تعالى اخبرها بانه سيكون من ذريته هذا
المستخلف من يعصي ويفسد في الارض فقالت على وجه التعرف لما في ذلك
التدبير من المصلحة او الاستفادة لوجه الحكمة فيه اتجعل فيها من يفعل
كذا وكذا وهذا الجواب الاخير يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف
ويكون التقدير واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة واني عالم
بانه سيكون من ذريته من يفسد ويسفك الدماء فاكتفى عن ايراد هذا
المحذوف بقوله تعالى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان في ذلك دلالة
على الامر وانما حذفه اختصارا وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه
تعالى بما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك كان في ضمن هذا الكلام فنبه على نطقه وعلى ما نطق به
لا من اطاعه وفي ذلك لانا نطيع وغيرنا يعصي وقوله
تعالى اني اعلم ما لا تعلمون بعض اقسامه اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمون

وما يجوز مخالفتها لما يظنونه على ظواهرها لامور وفي القرآن من الحذوفات العجيبة
والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى في قصة
يوسف عليه السلم والناجي من صاحبيه في السجن عند رؤيا الملك البقر السمان
والعجاف انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا ولو بسط
الكلام فاورد جميعه لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون فارسلوا
الى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق ومثله قوله تعالى في الانعام
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله عز وجل
في قصة سليمان عليه السلم ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا
له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا ٣٦٢
نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب
الى قوله اعملوا آل داود شكرا اي وقيل لهم اعملوا آل داود شكرا وقال
جرير

وردتم على قيس بخور مجاشع ... فبؤتم على ساق بطيء جبورها

اراد فبؤتم على ساق مكسورة بطيء جبورها لكنه لما كان في قوله بطيء
جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه وقال عنترة

هل تبلغني دارها شدنية ... لعنت بمحروم الشراب مصرم

يعني ناقته ومعنى لعنت اي دعي عليها بانقطاع لبنها فجف ضرعها
فصارت كذلك وهذا كله والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها
على السير وقال تابط شرا ويروى للشنفرى

فلا تدفنوني ان دفني محرم ... عليكم ولكن ابشري ام عامر

اراد لا تدفنوني بل دعوني تاكلني التي يقال لها خامري ام عامر
وهي الضبع وقال اوس بن حجر

حتى اذا الكلاب قال لها ... كاليوم مطلوبا ولا طلبا

اراد لم ار كاليوم فحذف ∴ وقال ابو دواد الايادي

ان من شيمتي لبذل تلادي ... دون عرضي فان رضيت فكوني

اراد فكوني معي على ما انا عليه وان تسخطت فبيني فحذف ذلك كله وقال آخر

اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها ... جرى دون ليلى مائل القرن اعضب

٣٦٤ اراد لعلها قربت وهذا باب يتسع وهو اكثر وان تخطئه قول والحذف
غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد وليس كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ
وهو ان يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود
دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلبا للاختصار والاختصار يرجع الى
المعاني وهو ان يأتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى
اكثر من ذلك اللفظ فلا حذف اذا وهو اختصار وليس كل اختصار
حذفا فمثال الحذف قوله ولكن خامري ام عامر ونظائره مما تقدم
لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاما آخر غير انه لما كان فيه دلالة
على ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

اولاد جفنة حول قبر ابيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

اراد انهم اعزاء مقيمون بدار مملكتهم لا ينتجعون كالاعراب فاختصر هذا
المبسوط كله في قوله حول قبر ابيهم ومثله قول عدي بن زيد

عالم بالذي يريد نقي الصدر ... عف على جناه نجد

وفي معنى الاختصار قول اوس بن حجر

وفتيان صدق لا تخم لحامهم ... اذا شبه النجم الصوار النوافرا

فقوله لا تخم لحامهم لفظ مختصر ولو بسطه لقال انهم لا يدخرون اللحم
ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه الاضياف والطراق ومعنى
قوله اذا شبه النجم الصوار النوافرا يعني في شدة البرد وكلب
الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كانها

صواد مقفرة ومدا ايضا اكثر من ان يحصى وانما فضل الكلام الفصيح
بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني الكثيرة بالالفاظ المختصرة فاما
قوله تعالى ثم عرضهم على الملئكة بعد ذكر الاسماء التي لا يليق بها هذه
الكناية والمراد انه عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالاسماء ولا بد
من ان يكون في تلك المسميات او فيها من يجوز ان يكنى عنه بهذه الكناية لانها
لا تستعمل الا في العقلاء او من جرى مجراهم وقيل ان في قراءة ابي ثم
عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين
يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء قال السيد وبعد بقي
في هذه الاية سؤال لم نجد احدا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ٣٤٥
ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسال عنه وذلك ان يقال من اين علمت
الملئكة لما اخبرها آدم عليه السلم بتلك الاسماء صحة قوله
ومطابقة الاسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت عالمة
لو خبرت بالاسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضي انهم لما انباهم
ادم بالاسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله
تعالى الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض معنى ولا كانوا ايضا
مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان
كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره والجواب
انه غير ممتنع ان تكون الملئكة في الاول غير عارفين بتلك الاسماء فلما
انباهم ادم عليه السلم بها فعل الله تعالى لهم في الحال العلم الضروري
بصحتها ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق
فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لاحد ان يقول ان ذلك
يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطرارا وفي هذا منافاة لطريقة
التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما

يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال
عليها ويجري ذلك مجرى ان يخبر احدنا نبي بما فعله على سبيل التفصيل على وجه
يخرق العادة فهو وان كان عالما بصدق خبره ضرورة فلا بد له من
الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم
بنبوته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب ووجه آخر وهو انه لا ٣٤٦
يمتنع ان تكون للملئكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف اسماء الاشياء في
لغته دون لغة غيره وان تكون احاطة عالم واحد باسماء الاشياء في جميع
لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة ادم عليه السلم
علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به
من الاسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقة
ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثرة وخبروا
بشيء يجري هذا المجرى علم بخبرهم فاذا اخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك
لغة غيره ما علمه من لغته وهذا الجواب يقتضي ان يكون قوله تعالى انبئوني باسماء
هؤلاء اي لينبئني كل قبيل منكم بجميع الاسماء وهذان الجوابان جميعا مبنيان على
ان ادم عليه السلم لم يتقدم لهم العلم بنبوته وان اخباره بالاسماء كان افتتاح
معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزاته
على يديه لم يحتج الى هذين الجوابين معا لانهم يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة
الاسماء للمسميات بعد ان يعلموا ذلك بقوله الذي قد امنوا فيه غير الصدق
وهذا بين لمن تامله

قال السيد رضي الله عنه رايت قوما ممن تكلم على معاني
الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت

لم تفتها شمس النهار بشيء غير ان الشباب ليس يدوم

ان المراد به انه عندها من كبرها وعلو سنها وكانه قال لم تفتها شمس

النهار دنت غير انها كبيرة طاعنة في السن وعندها ان هذا ان الشباب والحسن ما يقيم
لامثالها ومعنا الذي ذكروه ليس بشيء لا شك والاولى ان يكون المراد حسان
ان شمس النهار لم تعنها بشيء غير ان شبابها تام لا يدوم ولا بد من ان يلحقها
الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يردانها في الحال كذلك وكيف يريد ما
توهموه مع قوله

يا لقوم هل يقتل المرء مثلي واهي البطش والعظام سؤوم
شأنها العطر والفراش ويعلوها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذر عليها لاندبتها الكلوم

وهذه من الاوصاف لا تليق بمن طعن في السن من النساء ولا توصف بمثلها ٣٦٧
الا الصبيان والاحداث ومن العجائب ان هذا البيت متى خرج
على وجه كناية مسندا الى الاصمعي وما اولى من خرج نسجه تغلغله وتمسك
توصله مثل هذا لثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها
ومما فسره من اصحاب المعاني على وجه ومعناه غيره اشبه واقل الاحوال
ان يكون محتملا للامرين فلا يقتصر على احدهما قول الخنساء

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره اهل الموارد ما في ورده عار

ثم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار ويظنون انه متى لم
يحمل على ذلك لم يكن له فائدة وهذه منه ويجرونه مجرى قول المرقش

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

وليس الامر كما ظنوه لانه يحتمل ان يريد انه لا عار في وروده على ظاهر
ادراكهم والغاية فيه ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر وروده الماء
فهو كناية عن ركوب الامور العظيمة الصعاب التي يحجم عنها الا ذو
الغلبة والقهر فكانها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس
وتركب امرا صعبا قد تخلى عنه الخلق فلذلك لا عار لك لحظ البسالة والشجاعة

ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لانه متى فعله الانسان فعلا يحوز به الاكثر
الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم او نكث عهد
او ما يجري هذا المجرى وكانها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري ذلك
مجرى قول المرقش
ليس على طول الحياة ندم ... لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به ليس
٣٦٨ على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئا ومعنى بيت الخنساء
اذا كان المراد ما ذكرناه

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون الجواب
قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون المعنى واسأل
اتباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم
والشعر زهير ويريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير
فاقاموا حاتما مقام السخاء المضاف اليه ومثله قوله تعالى ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر ومثله قول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المعنى لامته
لانه عليه السلام لا يحتاج الى السؤال لانه خوطب خطاب امته كما قال تعالى
المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه فافرد الله تعالى
بالمخاطبة ثم رجع الى الخطاب لامته فقال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
وفي موضع آخر يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فخاطبه
عليه السلام والمعنى لامته لانه بين ذلك بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا

وقال يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فوحّد وجمع في موضع واحد للمعنى الذي
ذكرناه وقال الكميت

إلى السراج المنير أحمد لا يعدلني رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع الناس إليّ العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت أو قصدت ولو عنّفني القائلون أو ثلبوا
لجّ بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللجب
أنت المصفّى المحض المهذب في النسبة إن نصّ قومك النسب

فظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمقصود به أهل بيته عليهم السلم
لأن أحدا من المسلمين لا يمنع من تفضيله عليه السلم والإطناب في وصف فضائله ٢٦٩
ومناقبه ولا يعنف في ذلك أحدا وإنما أراد الكميت أن أكثر في مدح
أهل بيته وذريته عليهم السلم الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف
فوجه القول إليه عليه السلم والمراد به غيره ولهذا وجه صحيح وهو أن المراد
بموالاتهم الانحياز إليهم والانقطاع إلى حبهم لما كان رسول الله صلى الله
عليه هو الأصل المقصود الجامع لذلك كان أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج
ويضعه هذا الموضع وقيل إن المراد باتباع الأنبياء الذين أمر
بمسألتهم من آمن من أهل الكتاب بعبد الله بن سلام ونظرائه وليس يمتنع
على هذا الجواب أن يكون صلى الله عليه السلم المأمور بالمسألة على الحقيقة فقصد به
الخطاب وإن لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير
أهل الكتاب وإقامة الحجة عليهم باعترافهم أو أن بعض مشركي
العرب أراد أن يكون كتب الله تعالى المتقدمة وأنبياؤه قد
دعوا إلى التوحيد كما دعا عليه السلم ليقر بذلك أهل الكتاب فلذلك لتزول
الشبهة عن اعتقاده والجواب الرابع
أن يكون السؤال متوجها إليه عليه السلم خاصة دون أمته والمعنى

للقيت النبيين في السماء فسلم عليهم وسلهم عن ذلك لأن الرواية قد وردت بأنه
صلى الله عليه وسلم لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمّهم ولم يأمره تعالى
بالسؤال لأنه كان شاكا لأن مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض
المصالح الراجعة إلى المكلفين إما التي تخصه عليه السلم أو تتعلق ببعض الملائكة
الذين يسمعون ما يجري بينه وبين النبيين عليهم السلم من سؤال وجواب ٢٧٠
والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو أن يكون المعنى
وسل من أرسلنا إليه قبلك رسلا من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا
الجواب وإن كان يوافق في المعنى الجواب الأول فبينهما خلاف في تقدير
الكلام وكيفية تأويله فلهذا صارا مفترقين وقد ورد على ابن قتيبة هذا
الجواب وقيل إنه أخطأ في الإعراب لأن لفظة إليه لا يصح إضمارها في
مثل هذا الموضع لأنهم لا يجيزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست
إليه عبد الله لأن إليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان
القائل إذا قال الذي أكرمنا أباه عبد الله لم يجز أن يضمر أباه لانفصاله
من الفعل كانت لفظة إليه بمنزلته وكذلك لا يجيزون الذي رغبت محمد بمعنى
الذي رغبت فيه محمد لأن الإضمار إنما يحسن في الهاء المتصلة بالفعل كقولهم
الذي أكلت طعامك والذي لقيت صديقك ومعناهما أكلته ولقيته وقال
الفراء إنما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها وقال غيره في صلتها غير ذلك
وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح أن جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد
على ما تقدم

مجلس آخر تأويل خبر

إن سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه كل مولود يولد
على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه الجواب
قلنا أما أبو عبيد القسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره

قال كان هذا في اول الاسلام قبل ان تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد قال
ابو عبيد كأنه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل ان يهوّده
ابواه وينصّرانه ما ورثاه وكذلك لو ماتا قبله ما ورثهما لانه مسلم و
هما كافران وما كان ايضا يجوز ان يسبى فلما نزلت الفرائض وجرت
السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دين ابويه قال
ابو عبيد واما عبد الله بن المبارك فانه قال يفسره الحديث الآخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يذهب الى انهم يولدون
على ما يصيرون اليه من اسلام او كفر فمن كان في علم الله تعالى انه يصير مسلما
٣٧١ فانه يولد على الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافرا ولد على ذلك قال
ابو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله تعالى اني خلقت
عبادي جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما احللت لهم
حراما قال ابو عبيد يريد بذلك البحائر والسيّب وغير ذلك مما احله الله
تعالى فجعلوه حراما واما ابن قتيبة فانه قال وقد حكى ما ذكرناه عن ابي عبيد
لست ارى ما حكاه ابو عبيد عن عبد الله بن المبارك وعن الحسن مقنعا لمن اراد
ان يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على ان ردّا على من قال من اهل القدر
وتعلّقا بحجة الحسن يدل على ان الحديث عنده منسوخ والنسخ لا يكون في الاخبار
وانما يكون في الامر والنهي قال ولا يجوز ان يراد به على قول ابن المبارك ان بعض
المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج العموم قال والذي ارى معنى الحديث
ان ما ذكره حماد بن سلمة فانه قال فيه هذا عندنا حيث اخذ
العهد عليهم في اصلاب آبائهم بقوله حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاخرج
منه ذريته الى يوم القيامة امثال الذر واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى فاراد عليه السلام ان كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد
وعلى ذلك الاقرار الاول وهي الفطرة قال السيد

على معناه وهذا كله خبط وتخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويله ان
قوله عليه السلام يولد على الفطرة يحتمل امرين احدهما ان تكون الفطرة ههنا الدين
ويكون على بمعنى اللام فكأنه عليه السلام قال كل مولود يولد للدين ومن اجل
الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين الا ليعبده فينتفع بعبادته
ويشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والدليل على ان
على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن ابي يزيد عن العرب انهم ٣٧٢
يقولون صف علي كذا وكذا حتى اعرفه بمعنى صفه لي ويقولون ما اغيظك
علي يريدون ما اغيظك لي وما اعمك علي يريدون لي والعرب تقيم بعض
الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه قال الطرماح
كان مخواها على ثفناتها معرّس خمس وقعت للجناجن
اراد على الجناجن وقال عنترة
شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم
معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وهما ماءان يقال لاحدهما وسيع وللآخر
دحرض فغلب لاشهرهما وهو الدحرض وانما ساغ ان يريد عليه السلام
بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد
يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هذا
يتأول قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها اراد دين الله تعالى الذي
خلق الخلق له وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله المراد به ان ما خلق العباد له من
العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق تعالى قوما للطاعة وآخرين
للمعصية ويجوز ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر الخبر فكأنه تعالى
قال لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بان تعصوا وتخالفوا
والوجه الآخر في قوله عليه السلام يولد على الفطرة ان يكون المراد به
الخلقة وتكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل

مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والايمان به لانه
جل وعز قد صوّر الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايمان
به وان لم ينظروا ولم يعرفوا فكانه عليه السلم قال كل مخلوق ومولود
فهو بالخلقة وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهوديا او نصرانيا
وهذا الوجه يحتمله ايضا قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها واذا ثبت ما
ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه السلم حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه
يحتمل وجهين احدهما ان من كان يهوديا او نصرانيا ممن خلقته لعبادتي وديني فانما
جعله ابواه كذلك ومن جرى مجراهما ممن اوقع له الشبهة وقلده الضلال
عن الدين وانما خص الابوين لان الاولاد في الاكثر ينشاون على مذاهب
آبائهم ويالفون اديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى
عن ضلالة للعباد وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فصدهم عنه آباؤهم
او من يجري مجراهم والوجه الآخر ان يكون معنى يهودانه
وينصرانه اي يلحقانه باحكامهما لان اطفال اهل الذمة قد الحق الشرع
احكامهم باحكامهم فكانه عليه السلم قال لا تتوهموا من حيث
لحقت احكام اليهود والنصارى اطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا
الا للايمان والدين الصحيح لكن آباءهم هم الذين ادخلوهم في احكامهم
وعبر عليه السلم عن ادخالهم في احكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا
واضح بحمد الله فاما الجواب الذي حكاه عن
محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه لا يقتضي النسخ لم نحتج الى
غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم
آبائهم وذلك غير ممتنع واما الجواب الذي حكاه عن ابن
المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز ان يخلق احدا للكفر وكيف يخلقه للكفر
وهو يامره بالايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه فاما ما روى عنه ٣٧٣

١٨

عليه السلم وقد سئل عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا يعملون فانه يحتمل
ان يكون عليه السلم انما سئل عمن يبلغ من اطفال المشركين كيف تكون صورته والى
اي شيء تنتهي عاقبته فقال عليه السلم الله اعلم بما كانوا عاملين واراد ان ذلك مستور
عني ولو كانت المسألة عمن اخترم طفلا لم يجز ان يكون الجواب ذلك
٣٧٤ واما ابن قتيبة فانه رد على ابي عبيد من غير وجه يقتضي الرد
واعترض على جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وترك ان يفسده
من الوجه الذي يفسد به وهو الذي ذكرناه وكيف ينبه على فساده
من هذه الجهة وقد اختار في تاويل الخبر ما يجري الى الفساد دون الجواب الذي
يحكى تاويل ابن المبارك فاما النسخ في الاخبار فجائز
اذا تضمنت معنى الامر والنهي وكيف ما دل على جواز النسخ في الاوامر
دال على ذلك فيها وهذا مثل ان يقول عليه السلم الصلاة واجبة عليكم
ثم يقول بعد زمان ليست واجبة فيستدل الثاني على نسخ الحكم الاول
كما لو قال عليه السلم صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسخا للاول
فاما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم
من امالينا عند تاويلنا لقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذرياتهم وافسدنا قول من اعتقد انه مسح ظهر آدم عليه السلم واستخرج
منه الذرية واشهدها على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من
الكلام فلا طائل في اعادة ذلك

مجلس آخر تاويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان

ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض
إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى هذا الاستثناء ههنا والمراد
الدوام والتأبيد ثم ما معنى التمثيل بمدة السماوات والأرض التي تفنى وتنقطع
الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أولها أن تكون إلا
وإن كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكأنه تعالى قال خالدين
فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك من الزيادة لهم على هذا المقدار
كما يقول الرجل لغيره لي عليك ألف دينار إلا الألفين اللذين أقرضتكهما وقت كذا
وكذا فالألفان زائدان على الألف بغير شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل ٣٧٥
وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين والوجه
الثاني أن يكون المعنى إلا ما شاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا
وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك
ولأنه تعالى لو قال خالدين فيها أبدا ولم يستثن لتوهم متوهم أنهم يكونون في الجنة
أو النار من لدن نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه
وفائدة معقولة والوجه الثالث أن تكون إلا بمعنى الواو
والتأويل خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض وما شاء ربك من الزيادة
واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

معناه والفرقدان وبقول الآخر

وأرى لها دارا بأغدرة السيدان لم يدرس لها رسم
إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

والمراد بإلا ههنا الواو وإلا كان الكلام متناقضا
والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الأول متصلا

قال السيد رضي الله عنه وللبحتري بيت ما اعتذر من وصفه أحد بما
أن يكون الكلام خرج مخرج النفي وكأنه قال لو عنف وعذل لمن أصل ذلك
عن الكرم وإن كان من حق العذل والتعنيف أن يصدا أو يحجزا عن الشيء وهذا له نظائر
في القرآن وفي كلام العرب وقد مضى فيما أمليناه شيء من ذلك والوجه
الآخر أن العذل والتعنيف وإن لم يتوجها إليه في نفسه فإنهما موجودان في
٣٧٦ الجملة على المسرف في البذل والجود بنفائس الأموال ولم يقل البحتري إن عذله
يردعه أو تعنيفه يصده وإنما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده
وكأنه أخبر بأن ما يسمعه من عذل العذال على الكرم وتعنيفهم
على الجود وإن كان متوجها إلى غيره كأنه غير صاد له لقوة عزيمته وشدة
بصيرته ومما خطأ الآمدي فيه البحتري وإن كان له فيه عذر
صحيح يسند إليه قوله

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل

قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لأن ذنب الفرس إذا مس الأرض
كان عيبا فكيف إذا سحبه وإنما الممدوح من الأذناب ما قرب من الأرض ولم يمسها
كما قال امرؤ القيس بضاف فويق الأرض ليس بأعزل قال وقد
عيب امرؤ القيس بقوله

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

قال وما أدري العيب يلحق امرأ القيس لأن العروس وإن كان يسحب أذيالها وكان
ذنب الفرس إذا مس الأرض عيبا فليس ينكر أن يشبه به الذنب وإن لم
يبلغ إلى أن يمس الأرض لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قاربه أو داناه
معناه فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه وإن قاربه
وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وإنما
أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا ترى أنه قال تسد به فرجها من دبر

وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا فلا يستر فرج الفرس فلما
قال تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا اشبه
الذنب الذيل من هذه الجهة وكان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك
بموجب للعيب وانما العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء
فافصح بان الفرس تسحب ذنبها ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير
لها ذنب مثل ذيل الهدي الى جؤجؤ أيد الزافر
والهدي العروس التي تهدى الى زوجها وايد الشديد والزافر
الصوت لانها تزفر منه قال فشبه الذنب لطوله السابغ بذيل الهدي
وان لم يبلغ في الطول الى ان يمس الارض قال السيد
رضي الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل
ذيل العروس غير ان الآمدي لم يفطن له ولا كان يقوله ان الشاعر يجب ان
يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر
بطل جميعه وكلام القوم مبني على التجوز والتجوز والاشارات الخفية
والايماء الى المعاني تارة من بعد واخرى من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم
الفلاسفة واصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف اوضاعهم ويفهم
اغراضهم وانما اراد البحتري بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة
في وصفه بالطول والسبوغ وانه قد قارب ان يسحب ويكاد يمس الارض
ومن شأن العرب ان تجري على الشيء الوصف الذي قد كان يستحقه وقد
قرب منه القرب الشديد فيقولون قد قتل فلانا هوى فلانة وولّه عقله
وازال تمييزه واخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما ارادوا المبالغة
والافادة بالمقاربة والمشارفة ونظائر ذلك اكثر من ان يحصى ومن
شأنهم ايضا اذا ارادوا المبالغة التامة ان يستعملوا مثل هذا فيشبهون
الكفل بالكثيب والدعص وبالتل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور

وبمقدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية المدح واحسن الوصف ونحن نعلم ان لو رأينا
من خصره بمقدار الزنبور وكفله كالكثيب العظيم لاشتد عناه واستقبحنا
صورته لتفاوتها وقبحها وانما اتوا بالفاظ المبالغة لا لتحمل على ظواهرها تحديدا
وتحقيقا بل ليفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة فيترك ما وراء
ذلك وكأنا نفهم من قولهم ان خصرها كخصر الزنبور انه في نهاية الرقة المستحسنة ومن قولهم
ماوراء ذلك ومن قولهم كفلها كالكثيب انه في نهاية الوفارة المطلوبة المحمودة
الا انه لا يدل على التحقيق فكذا لا ينكر ان يريد البحتري بقوله سحب
الرداء انه في غاية الطول الممدوح المحمود لا انه يجر في الارض على الحقيقة
ووكلنا في تخليص معناه وتفصيله الى العادة كما جاءت نظائره من الشعر الى شعرهم
مثل اللفظ الذي استعمله وقال بعضهم في ثقل العجيزة
تمشي فيثقلها روادفها فكانما تمشي الى خلف
وقال المتوكل
من ذا مثل حبي تشبه البدر اذ بدا
ترحل اليوم ثم ترحل اردافها غدا
وقال ذو الرمة
ورمل كاوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس
وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به في نهاية
القبح لان من يمشي الى خلف ومن يخلف كفله بعده الى غد غير مستحسن وقال بكر
بن النطاح
فرعاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جثل اسحم
وكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم
فوصف شعرها بانه يسحب مع قيامها ونحن نعلم ان الطويل من الشعر وان
كان مستحسنا فليس الى هذا الحد وانما اراد بقوله تسحب شعرها المنعم
ما اراده البحتري بقوله كما سحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود

مجلس آخر — تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين فقال ما تأويل هذه الآية وإن كان المراد به التعجب من قوة
أسماعهم ونفاذ أبصارهم فكيف يطابق ما أخبر به عنهم في مواضع كثيرة من
الكتاب بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وأن على أسماعهم وأبصارهم غشاوة
وما معنى قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأي يوم هو اليوم المشار إليه
وما المراد بالضلال المذكور الجواب — قلنا أما قوله تعالى أسمع
بهم وأبصر فهو على مذهب العرب في التعجب ويجري مجرى قولهم ما أسمعهم وأبصرهم
٣٧٩ والمراد بذلك أنه اضطرار قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وأنهم عارفون
به على وجه لا اعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على أن أهل الآخرة
عارفون الله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي
أخبر تعالى عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وأن على أبصارهم غشاوة
لأن تلك الآيات تناولت أحوال التكليف وهي الأحوال التي كان الكفار فيها
ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الآية تتناول يوم القيامة
وهو المعني بقوله تعالى يوم يأتوننا وأحوال القيامة لابد فيها من المعرفة
الضرورية وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فأما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في
ضلال مبين فيحتمل أن يريد بقوله اليوم الدنيا وأحوال التكليف ويكون الضلال المذكور
إنما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الحق فأراد تعالى أنهم في الدنيا جاهلون
وفي الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل أن يريد باليوم يوم
القيامة ويعني بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب إلى دار
العقاب فكأنه تعالى قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا غير أنهم مع معرفتهم
هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم إلى العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب

وقد روي معنى هذا التأويل بعينه عن جماعة من المفسرين وروي عن الحسن في قوله تعالى أسمع
بهم وأبصر يوم يأتوننا قال يقول تعالى إنهم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون
اليوم في الدنيا ليسوا سمعاء ولا بصراء ولكنهم في ضلال عن الدين وقال قتادة
وابن زيد ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم ينفع السمع وأبصروا حين لم
ينفعهم البصر وقال أبو مسلم بن بحر في تأويل هذه الآية كلاما جيدا قال
معنى أسمع بهم وأبصر ما أسمعهم وما أبصرهم وهذا على طريق المبالغة في
الوصف يقول فهم يوم يأتوننا يوم القيامة سمعاء بصراء أي عالمون وهم اليوم ٣٨٠
في دار الدنيا في ضلال مبين أي جهل واضح قال — وهذه الآية تدل على
أن قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة في الأذن والعين
والجوارح بل هو أنهم لا يسمعون عن قلب ولا يتدبرون ما يسمعونه ولا يعتبرون
بما يرون بل هم عن ذلك غافلون قال يبين ذلك أنه تعالى جعل قوله لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم
وأبصرهم فأقام تعالى السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله بإزاء الضلال المبين
وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي فإنه اختار في تأويل هذه الآية
غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه على وجهه قال وعنى تعالى بقوله أسمع بهم
وأبصر أي أسمعهم وبصرهم وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء
سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون والظالمون الذين
ذكرهم الله تعالى هم هؤلاء الذين توعدهم الله بالعذاب في ذلك اليوم ويجوز
أيضا أن يكون عنى بقوله أسمع بهم وأبصر أي أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم
بهم ليعرفوهم وليعرفوا أخبارهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا بأعمالهم فأراد تعالى
بقوله لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيامة
في ضلال عن الجنة وعن سبيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع
التي استدركت على أبي علي ونسب فيها إلى الزلل لأن الكلام وإن كان

محتملاً لما ذكرناه بعض الاحتمال لبعد فان الذي قلناه اولى وهو اظهر في معناه مما تقدم
ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدم
لا يليق الا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم على ان المراد به
يوم القيامة على ان ابا علي جعل قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
من صلة قوله اسمع بهم وابصر ثم قال ويدل على ان المعنى ما اعلمهم وابصرهم بانهم
يوم القيامة في ضلال عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة
الاول وان قوله تعالى لكن استئناف والكلام كاف وما يحتاج ابو علي
الى هذا الا لو قال على ما اختاره من التأويل انه اراد اسمعهم وابصرهم
يوم يأتوننا اي ذكرهم باهواله واعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفا لكن ٣٨١
الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج الى ما ذكره وكان هذا اشبه
بالصواب فاما الوجه الثاني الذي ذكره فباطل لان قوله تعالى
اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم بقي قوله يوم يأتوننا بلا عامل
ومحال ان يكون ظرف لا عامل له فان قيل ان يكون على الوجه الاول مفعولا
ووجدت بعض من اعترض على ابي علي في قوله رادا عليه لو كان
الامر على ما ذهب اليه ابو علي لوجب ان يقول تعالى ابصرهم واسمعهم بغير باء
وهذا الرد غير صحيح لان الباء في مثل هذا الموضع غير منكور زيادتها
وذلك موجود كثير في القرآن والشعر قال الله تعالى اقرأ باسم ربك الذي
خلق وعينا يشرب بها عباد الله وهزي اليك بجذع النخلة ويلقون اليهم
بالمودة وقال الهذلي   ضمنت برزق عيالنا ارماحنا
وقال امرؤ القيس   هصرت بغصن ذي شماريخ ميال   واظن ابا علي
انما انس بهذا الجواب انه وجد تاليا للآية لفظ امر وهو قوله تعالى وانذرهم
يوم الحسرة فحمل الاول على الثاني والكلام لا تشتبه معانيه من حيث المجاورة
بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه قال السيد

رتج الباب اغلقه كارتجه والصبي رتجانا درج وكفرح استغلق عليه الكلام كارتج عليه ق

رضي الله عنه ووجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على
انسان في خطبة او كلام قصد له فينبعث منه في تلك الحال كلام هو احسن
مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان النسيان لا يكون الا عن
حيرة وضلالة فكيف يجتمع معها البراعة الفائقة والبلاغة المانعة مع
حاجتها الى اجتماع الفكرة وحضور الذكر وتتبع جميع ما على الكلام
٣٨٢ مستحسن واللفظ مستغرب عمن حصر في خطبة او منطق الا انه موضوع
مصنوع وليس الذي استبعدوه وانكروه ببعيد ولا منكر لان النسيان قد
يخص شيئا بعد شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعالم متعارف
فلا يمتنع ان ينسى الانسان شيئا قصده وعول على الكلام فيه ويكون مع ذلك
ذاكرا لغيره متكلما فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر
والنسيان عن المقصد يحميان القريحة وبعد ان الفكر يبعثان على احسن الكلام
وابلغه ليكون ذلك كالعوض من العي وانتفاء من اللكنة ومن احسن ما روي
وابرعه من الكلام في حال الحصر والانقطاع عن المقصود من الكلام
ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا
ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى وقال
حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله
القسري يوما المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال ايها الناس ان الكلام
وقال ابو حاتم ان هذا القول يجيء احيانا ويعزب احيانا فيتسبب
عند مجيئه سببه ويتعذر عند عزوبه طلبه وربما كوبر فأبى وعولج
فأبطأ وقال ابن الكلبي ربما طلب فأبى وعولج فقسا فالتأني لمجيئه
اصوب من التعاطي لأبيه ثم نزل فما رئي حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم
والترك لأبيه افضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره اولى من
طلبه عند تنزحه وقد يختلج من الجريء جنانه ويرتج على البليغ

لسانه ثم نزل ؛؛ واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني على وجه
آخر قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد الله القسري من
ولاه هشام بن عبد الملك كثير الخطب والتبالغ فقدم واسط فصعد المنبر
يحاول الخطبة فارتج عليه فقال يا ايها الناس ان هذا الكلام يجي احيانا
ويعزب احيانا فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيه سببه وربما كوثر
فابى وعوسر فقسا والتاني لمجيه اسهل من التعاطي لابيه وتركه عند تعذره
احمد من طلبه عند تنكره وقد يرتج على البسيط لسانه فلا ينطلق القول
اذا اتسع ولا ينبسط اذا امتنع وقد لم يمكن للمطلوق لخليق ان تعود له النوبة ٣٨٣
واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم بن محمد بن عرفة قال
حدثنا ابو العباس المنصوري قال صعد ابو العباس السفاح المنبر فارتج
عليه فقال يا ايها الناس انما اللسان بضعة من الانسان يكل اذا كل
وينفسح بانفساحه اذا انفسح ونحن امرا الكلام منا تفرعت فروعه
وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت الا
معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر
لكان من اخطب الناس ؛؛ وهذا الكلام يروى لداود بن علي
وبهذا الاسناد عن محمد الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال
اراد ابو العباس السفاح يوما ان يتكلم في امر لم(؟) بعد ما افضت
الخلافة اليه وكان فيه حياء مفرط وارتج عليه فقال داود بن
علي بعد ان حمد الله واثنى عليه ايها الناس ان امير المومنين الذي قلده
الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما يعهد من بيانه ولكل موقف
بعده حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في صلاح دنياكم
ورغد معيشتكم ؛؛ واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا
ابرهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال صعد عثمان

عثمان المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد
عي نطقا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال ؛؛
وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن يزيد بن ابي سفيان وقد خطب
على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال هن مخرجاتي
من الشام استحسانا لكلامه ؛؛
وروى محمد بن يزيد النحوي قال بلغني ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد وكان
واليا على قوم فقال ايها الناس اني الا اكن فارسا طبا بهذا القران
٣٨٤ فان معي من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفا منه وما اسا اخو
البراجم حيث قال

وما عاجلات الطير يدنين للفتى رشادا ولا عن ريثهن يخيب
ورب امور لا يضيرك ضيرها وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ويخطي الفتى في حدسه ويصيب

فقال له رجل كلبي هذا المنبر لم ينصب للشعر بل لحمد
الله تعالى عليه ويصلى على النبي صلى الله عليه وآله وللقران فقال له اما
لو انشدتكم شعر رجل من كلب لسركم فكتب الى يزيد بذلك فعزله
وقال قد كنت ارى انك جاهل ولم احسب ان الحمق بلغ بك هذا كله
فقال له احمق مني من ولاني ؛؛ وكان يزيد بن المهلب ولى
ثابت بن قطنة بعض قرى خراسان فلما صعد المنبر حصر فنزل وهو
يقول

فان لا اكن فيكم خطيبا فانني بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس فمنع ذلك حاجب
العنبري فقال

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق
أما القرآن فما تهدي لمحكمه ولم تسدد من الدنيا بتوفيق
لما رمتك عيون الناس هيبتهم وكدت تشرق لما قمت بالريق
تلوي اللسان إذا رمت الكلام به كما هوى زلق من جانب النيق
وروي أن بعض خلفاء بني العباس وأظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت
ذبابة على وجهه فطردها فعادت فحصر فأرتج عليه فقال أعوذ بالله
السميع العليم يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب إن الله ثم نزل فاستحسن ذلك منه ومما يشاكل
هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاص ٣١٥
يقال له عبد الله سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا ولا ركينا ولا
وقورا ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك كان يصلي
الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا
يتكئ ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته
ولا يحول رجلا عن رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني
أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر
ثم يعود إلى مجلسه فلا يزال حتى يقوم إلى العصر ثم يرجع إلى
مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد إلى
مجلسه بل كثيرا ما يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط
والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف ولم يقم في طول تلك الولاية مرة
واحدة إلى الوضوء ولا احتاج إليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب كذلك
كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع
ذلك لا يحرك يدا ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ

بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه
وفي السماطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال السقوط والمكث
ثم تحول إلى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ
خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته
ويغضن وجهه أو يذب بإصبعه فلما طال ذلك من الذباب وأوجعه وأحرقه
وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل عنه أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل
٣٨٦ فلم ينهض فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق فتنحى ريثما سكن جفنه ثم
عاد إلى موقه ثانية أشد من مرته الأولى فغمس خرطومه في مكان قد كان
أوهاه قبل ذلك فكان احتماله له أضعف وعجزه عن الصبر في الثانية
أقوى فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي تتابع الفتح والإطباق
فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال يلح عليه
حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بدا من أن يذب عن عينيه
بيده ففعل وعيون القوم إليه ترمقه كأنهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر
ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فألجأه إلى أن ذب
عن وجهه بطرف كمه ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك
كله بعين من حضر من أمنائه وجلسائه فلما نظروا إليه قال أشهد
أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر
من أعجبته نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا
وقد علمت أني كنت عند الناس من أزهد الناس وقد غلبني وفضحني أضعف
خلق الله ثم تلا قول الله تعالى ضعف الطالب والمطلوب والله أعلم

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب

يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فقال ما تنكرون ان
يكون في هذه الاية دلالة على اضافة الافعال التي تظهر من العباد الى الله تعالى
من وجهين احدهما انه قال تعالى بعد ذكر ما تقدم من افعالهم ومعاصيهم وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه تعالى والثاني انه اضاف نجاتهم
من آل فرعون اليه فقال تعالى واذ انجيناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى
نجوا فيجب ان يكون ذلك الشيء فعل على الحقيقة حتى تصح له الاضافة
الجواب قلنا اما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة الى ما
تقدم ذكره من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف
على ما تقدم من قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين والبلاء هاهنا الاحسان والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم
من ضروب المكروه التي عددها تعالى نعمة عليهم واحسان اليهم ٤١٧
والبلاء عند العرب قد يكون حسنا ويكون سيئا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا ويقول الناس في الرجل اذا احسن القتال والثبات في الحرب
قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل في الخير والشر الا ان اكثر
ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة في السوء والشر
وقال قوم اصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير
والشر جميعا كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات يعني اختبرناهم
وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير
ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء
وبلاء وقال زهير في البلاء الذي هو الخير
جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلاء الذي يبلو
فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده
وكيف يجوز ان يضيف تعالى ما ذكر عن آل فرعون من ذبحهم الابناء وغيره الى

بقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام لهم في النار زفير وشهيق
مما شاء ربك من اجناس العذاب الخارج عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء
بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا ممكن في الاستثناء
الاول كيف يمكن في الثاني قلنا يحمل الثاني على الاستثناء والمكث في المحاسبة
والموقف او غير ذلك مما تقدم ذكره والوجه
الخامس ان يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وانما الغرض فيه انه
لو شاء ان يخرجهم لاخرجهم ولكنه لا يفعل وان التخليد انما يكون بمشية الله تعالى ٣٨٨
وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وهو لا ينوي
الا ضربه ومعنى استثنائه اي لو شئت ان لا اضربك لفعلت وكنت غير
مجبر على ضربك والوجه السادس ان يكون تعليق ذلك
بالمشية على سبيل التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء
الا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك مجرى قول العرب والله
لا اهجرك الا ان يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك اني لا اهجرك
ابدا من حيث علق بشرط معلوم انه لا يحصل وكذلك معنى الاية والمراد
بها انهم خالدون ابدا اذ الله تعالى لا يشاء ان يقطع خلودهم
والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا من ادخل
النار من اهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم المعاصي فقال تعالى
انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال
ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ايضا ان يريد باهل الشقاء
جميع الداخلين الى النار ثم استثنى تعالى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات
منهم ومن يستحق ثوابا لا بد ان يوصل اليه فقال الا ما شاء ربك من اخراج
بعض منهم وهم اهل الثواب واما الذين سعدوا فانما استثنى تعالى من خلودهم
ايضا لما ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لا بد

وليس يخبار عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدّم وكأنه تعالى قال انهم مخلّدون في الجنّة
ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربّك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل ان نقلهم
الى الجنّة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانّما اجرى عليهم كل لفظ في
الحال التي تليق به فهم اذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها من اهل الشقاء واذا نقلوا الى
الجنة من اهل السعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة
والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال
الذين شقوا ليس فيهم كافر وانّما هم قوم من اهل التوحيد يخلون النار بذنوبهم
ثم يتفضّل الله تعالى عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء
في حال اخرى . فاما تعليق الخلود بدوام السموات
والارض فقد قيل فيه ان ذلك لم يجعل شرطاً في الدوام وانما علّق على طريق
التبعيد والتأكيد للدوام لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة
خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء
الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بلّ بحر صوفة وما تغنّت حمامة ونحو
ذلك ومرادهم التأبيد والدوام ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا
ابداً لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغيّر وعاداتهم انّما
يجرونها بحسب اعتقادهم لا بحسب ما عليه الشيء في نفسه الا ترى ان بعضهم لما
اعتقد في الاصنام ان العبادة تحقّ لها سمّاها آلهة بحسب اعتقاده وان لم
تكن في الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول ابي الجويرية

ذهب الجود والجنيد جميعاً فعلى الجود والجنيد السلام
اصبحا ثاويين في قعر مرو ما تغنّى على الغصون الحمام

وقال الاعشى

ألستَ منتهياً عن نحت اثلتنا ولستَ ضائرها ما اطّت الابل

وقال الآخر

ذات الغرّ ابيهم باربعة ما اجترّت النيب او حنّت الى بلد

وقال زهير منبّهاً على اعتقاد دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغيّر

الا لا ارى على الحوادث باقياً ولا خالداً الا الجبال الرواسيا

فهذا وجه وقيل ايضاً في ذلك انه اراد تعالى به الشرط وعنى به دوام السموات
والارض المبدلتين لانه تعالى قال يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات فاعلمنا
تعالى انهما تبدّلان وقد يجوز ان يديمهما بعد التغيير ابداً بلا انقطاع وانما المنقطع
هو دوام السموات والارض قبل التبديل والفناء ويجوز ايضاً ان يكون المراد
انهم خالدون بمقدار مدّة السموات والارض التي يعلم الله انقطاعهما ثم يزيدهم
الله عزّ وجلّ على ذلك ويخلّدهم ويؤبّد مقامهم فهذا الوجه يليق بالاجوبة
التي تتضمّن ان الاستثناء اريد به الزيادة على المقدار المتقدّم لا النقصان
قال السيد رضي الله عنه ووجدنا ابا القاسم الآمدي قد ظلم
البحتري في تفسير بيت له مضافاً الى ظلمه له في اشياء كثيرة تأوّلها على خلاف
مراد البحتري حكى قوله

كالبدر الا انها لا تجتلى والشمس الا انها لا تغرب

ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قال كالبدر الا انها لا تجتلى فالمعنى ان عيون
الناس كلهم ترى البدر وتجتليه وهي لا تراها العيون ولا تجتلى ثم قال والشمس
الا انها لا تغرب فانما قال لا تغرب لانها محجوبة واذا كانت في حجاب فهي في غروب
لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت حجاب وظاهر المعنى كالبدر الا ان العيون
لا تفقدها قال فهذا القول متناقض كما تراه واظنّه اراد انها وان كانت في
حجاب فانه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت
بعدت واغتربت وغربت اذا توجّهت نحو المغرب وقد يقال لمن اغرب عنّا اي
ابعد ولو استعار لها اسم الغروب على الارض التي تحلّ فيها اذا ظعنت عنها
الى ارض اخرى كان ذلك حسناً جداً لانه سمّاها وقد جعلها شمساً كما قال ابراهيم بن

العباس وزالت ذوال الشمس عن مستقرها فهم مختبئ في أي أرض حل وبها
قال وقد يجوز أن يقول قائل إنما أراد لا تغرب بحيث لا يدركها كما تغرب الشمس
وهذه معاذير ضعيفة لأبي عبادة فإنه لما أخطأ فقد أساء

قال السيد رضي الله عنه وما المخطئ غير الآمدي
ومراد البحتري بقوله أوضح من أن يذهب على متأمل لأنه أراد بقوله
والشمس أنها لا تغرب أي لا تصير بحيث تتعذر رؤيتها وتمتنع كما
تتعذر رؤية الشمس على من غربت عن أفق بلده والمرأة وإن احتجبت
باختيارها فإن ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لأنها إذا شاءت
ظهرت وبرزت للعيون والشمس إذا غربت فرؤيتها غير ممكنة
ولهذا لا يصح أن يقال فيمن استظل بدار أو جدار عن الشمس أنها قد غربت
عنه وإن كان غير راء لها لأن رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك القول
في احتجاب المرأة فلا تناقض في بيت البحتري على ما ظنه الآمدي وبعضهم
في هذا المعنى

ثم قلت للبدر واستعبرت حين بدا ... ما فيك يا بدر لي عن وجهها خلف
تهدي لنا كلما شبينا محاسنها ... وأنت تنقص أحيانا وتنكسف

فمعنى قوله وأنت تنقص وتنكسف جار مجرى غروب الشمس لأنه فضلها على
البدر من حيث كان بروزها للمبصر لها موقوفا على اختيارها والبدر تنقص
وتنكسف وتغيب على وجه لا تمكن رؤيته فلما فضلها البحتري بأنها لا
تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك، وقد ظلم الآمدي
البحتري في قوله

لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

قال الآمدي وهذا عندي من الهجو ما يمدح به خليفة لأن فيه قبحه وفي هذا العنف
للخليفة على الكرم وقصده أن هذا بالهجو أولى منه بالمدح

نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو تعالى قد حث
تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا أن يكون إنما نجاهم من فعله تعالى
بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على أنه يمكن أن يرد قوله ذلكم إلى
ما حكاه عن آل فرعون من الأفعال القبيحة ويكون المعنى أن في تخليصه من هذه الأمور
وتنجيتكم وتكريمه منعهم من إيقاع مثل هذه الأفعال بكم بلاء من ربكم عظيم أي محنة
واختبار لكم والوجه الأول أقوى وأولى وعليه جماعة المفسرين وروى أبو بكر
الهذلي عن الحسن في قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة إذ
أنجاكم من ذلك. وقد روي مثل ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم
فأما إضافة النجاة إليه وإن كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب
إذا قلنا إن الرسول عليه السلام أنقذنا من الشرك وأخرجنا من الضلالة
إلى الهدى ونجانا من الكفران يكون فاعلا لأفعالنا ولذلك يقول أحدنا لغيره
أنا نجيتك من كذا وكذا وأنا انتشلتك وخلصتك ولا يريد أنه فعل بنفسه فعله
والمعنى في ذلك ظاهر لأن ما وقع منهم فبتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته
وألطافه فقد يصح إضافته إليه فعلى هذا صحت إضافة النجاة إليه تعالى ولا يمتنع أيضا
أن يكون مضيفا لها إليه تعالى من حيث ثبط عنهم الأعداء وشغلهم عن طلبهم وكل
هذا يرجع إلى المعونة فتارة يكون بأمر يرجع إليهم وتارة بأمر يرجع
إلى أعدائهم فإن قيل كيف يصح أن يقول وإذ نجيناكم فيخاطب بذلك
من لم يدرك فرعون ولا نجي من شره قلنا ذلك معروف مشهور
في كلام العرب وله نظائر كثيرة ولأن العربي قد يقول مفتخرا على غيره
قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وإنما يريد أن قومي فعلوا ذلك بقومك وقال
لقد فضل بجود جد عطية

ولقيتم لكم الهذيل فنالكم ... بإيراق حيث يقسم الأنفال
في فيلق يدعو [illegible] راقم ... لم تكن في صانه عزله وإلا أكفال

ومن عوج حسن الهذيل ولا ادرك اليوم الذي ذكره غيره لانه لما كان من مآثر
ايام قومه فضل على قوم حسن ايضا في الخطاب اليه والى قومه فلذلك خاطب
الله تعالى بآيه انما توجه الى ابنا من نجى من آل فرعون وانما القوم والمعنى واذ نجينا
آباءكم واسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف :: قال السيد
رضي الله عنه ومن حسن الشعر في تعود الضيافة والانس بها والاستمرار عليها

قول حاتم بن عبد الله الطائي

اذا ما بخيل الناس هرّت كلابه وشق على الضيف الغريب عقورها

فاني جبان الكلب بيتي موطا جواد اذا ما النفس شح ضميرها

وان كلابي قد اقرت وعودت قليل على من يعتريها هريرها

اراد بقوله قليل على من يعتريها هريرها انها لا تهر جملة ولذلك نظاير كثيرة ٣٩٣
ومثله قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ومثل قوله فاني جبان الكلب معنى
ولفظا قول الشاعر

وما يك فيّ من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل

وانما اراد اني اوثر الضيف بالالبان فصالي مهازيل ومثل اللفظ والمعنى
قول ابي وجزة

آل الزبير بنو حرة مروا بالسيوف الصدور الجنافا
يموتون والقتل من دابهم ويغشون يوم السيوف السيافا
واجبن من صافر كلبهم وان قذفته حصاة اصافا

يقول ادركوا بسيوفهم ثاراتهم وكانهم شفوا وغر قلوبهم واذا الوا ما كان
فيها من احقاد ومعنى مروا الى استخرجوا كما تمرى الناقة اذا اريد ان
تحلب ليدرّ والجنف المايل ثم قال وان مات بعضهم على فراشه فان اكثرهم
يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دابهم ثم جعل كلبهم
جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والاضياف فقد الفتهم

كلابهم وانست بهم فهي لا تنبحهم وقيل ايضا انها لا تهر عليهم لانها تصيب مما
تنحر لهم وتشاركهم فيه ومعنى وان قذفته حصاة اصافا اي اشفق
وهذا تاكيد للجبن ويقال اصاف الرجل عن الامر اذا اشفق منه ومعنى اجبن من صافر
كلبهم قد تقدم ذكره في قوله مالي ومثله في المعنى يغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسالون عن السواد المقبل وقال المرار بن منقذ العدوي

اعرف الحق ولا انكره وكلابي انس غير عقر

لا ترى كلبي الا انسا ان اتى خابط ليل لم يهر

٣٩٤ كثر الناس فما ينكرهم من اسيف يبتغي الخير وحر

لا سيف العبد هاهنا وقال آخر

الى ماجد لا ينبح الكلب ضيفه ولا يتاداه احتمال المغارم

معنى يتاداه يثقله واراد ان يقول يتاوده فقلب وقال ابن هرمة

واذا اتانا طارق متنور نبحت فدلته على كلابي

وفرحن اذ ابصرنه فلقينه يضربنه بشراشر الاذناب

وانما تفرح به لانها قد تعودت اذا نزل الضيوف ان ينحر لهم فيصيب
من قراهم ومثله له

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب او ليفزع نوم

فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له مع اتيان المهبين مطعم

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم

اراد بقوله فجاوبه مستسمع الصوت انه جاوبه كلب والمهبون الموطول
له وهم اهله وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لانه ينحر لهم ما
يصيب منه واراد بقوله يكلمه من حبه وهو اعجم بصبصته وتحريكه
ذنبه واما قوله ليفزع نوم فانما اراد ليفزع نوما يقال فزعت اذا

اذا اغنته ومعنى عوى في سواد الليل ان العرب تزعم ان ساري الليل اذا اظلم عليه
واذلهم فلم يستبن محجة ولم يدر اين الحلة وضع وجهه على الارض وعوى عواء
الكلب ليسمع ذلك الصوت الكلاب ان كان الحي قريبا منه فتجيبه فيقصد
الابيات وهذا معنى قوله ايضا ومستنبح اي نبح نباح الكلاب وقال
الفرزدق في مثله

وداع بلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجفا ظلمة وغيومها
دعا وهو يرجو ان ينبه اذ دعا فتى كابن ليلى حين غارت نجومها
بعثت له دهماء ليست بلقحة تدر اذا ما هبت نحسا عقيمها

معنى بعثت له دهماء اي رفعتها على اثافيها ويعني بالدهماء قدرا واللقحة
الناقة واراد ان قدره تدر اذا ما هبت الريح عقيما لا مطر فيها ٣٩٥

كان المحال الغر في حجراتها عذارى بدت لما اصيب حميمها

اراد اقطاع اللحم فيها لا تستتر شيئا منها كما لا تستتر العذارى اللواتي
اصيب حميمهن فظهرن حواسر

عفوا بما كهرف النعامة احمشت باجواز خشب زال عنها هشيمها

الاجواز الاوساط واوساط الخشب اصلبه نارا

محضرة لا يجعل الستر دونها اذا المرضع العوجاء جال بريمها

البريم الخضاب وانما عولها الهزال والجهد والطوى والعوجاء التي قد اعوجت
من الطوى وقال الاخطل في الضيف

دعاني بصوت واحد فاجابه مناد بلا صوت وآخر صيت

ذكر ضيفا عوى بالبلد والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوت واحد
وقوله فاجابه مناد بلا صوت يعني نارا رفعها له فراى سناها فقصدها
وآخر الصيت الكلب لانه اجاب عواءه ومثله

وساري ظلام مقعفل وهبوة دعوت لضوء ساطع فاتى لها

يعني نارا رفعها ليقصده طراق الليل والمقعفل المستقفض وشدة البرد وانشد
لمزرد

ومستنبح تهوي مساقط راسه الى كل شخص فهو للصوت اصور
حبيب الى كلب الكريم مناخه بغيض الى الكوماء والكلب اعذر
دعته بغير اسم هلم الى القرى فاسرى يبوع الارض شقرا يزهر

معنى اصور اي مائل اراد انه يميل راسه الى كل شخص يخيل له يظنه
انسانا ومعنى حبيب الى كلب الكريم المعنى الذي تقدم ومعنى بغيض الى الكوما ٣٩٤
الى الناقة انها تنحر له وقوله دعته شقراء بغير اسم يعني نارا اي ضوءها
فقصدها فكانها دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف

فقلت لقينتي ارفعاها وحركا لعل سنا نادى با اخي سفر

وفي معنى قوله بغيض الى الكوما قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم

وابيك خير ان ابل محمد عزل تناوح ان تهب شمال
واذا رات بين الفناء غريبة ذرفت لهن من الدموع سجال
وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخما وما يحيا لهن فصال

اراد وابيك لخير فلما اطرح اللام الف والام نصب والعزل التي لا سلاح
معها وسلاحها لم يقل سمنها واولادها وانما جعلوا ذلك لها كالسلاح
لها من حيث كان صاحبها اذا راى سمنها وحسن اجسامها واولادها
تتبعها نفس بها على ان يضيفا فامتنع من نحرها فلما كان
ذلك صار داعا للذبح ومانعا منه حسن مجمل السلاح لها فكانه يقول
هذه الابل وان كانت ذوات سلاح من حيث كانت شحيمة سمينة
فهي كالعزل اذ كان سلاحها لا يغني عنها شيئا ولا يمنع من عقرها
ومعنى تناوح يقابل بعضها بعضا اي هن مذفات با سنمتها

وأوبارها لا تبالي بهبوب الشمال ولا من خلل بعضها في بعض من البرد وقوله
وإذا أبو لبلى الفناء غريبة أي إذا نزل ضيف فعقل ناقته التي جاء عليها
وسمى الغريبة علمت أنه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن وقوله
وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخما فقد قيل فيه أنه أراد به أن يهب
فصالهن فيبقى اللبان على الأرض كهيئة الرخم وحكي عن أبي العباس ثعلب
أنه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندي أن المعنى غير هذين جميعا وأنه إنما
أراد أنها تنحر وتعقر فتسقط الرخم على مواضع عقرها وبقايا
دمائها وأشلائها فهذا معنى قوله لا ما تقدم وقال الحرثي في معنى سلاح
الإبل يمدح بني عوف بن غالب من عبس
جزى الله عني غالبا خير ما جزى إذا حان من الدهر نابت نوائبه ٣٩٧
إذا اخذت بزل المخاض سلاحها تجرد فيها متلف المال كاسبه
أراد أن سمنها وحسنها وتمامها لا يمنعني من عقرها للأضياف ومثله
إذا البقل في أصلاب شول ابن مسهر نمى لم ترد البقل إلا لحوما
إذا أخذت شول البخيل رماحها أكابر ما حاز السوام حتى تحطما
وقوله أخذت رماحها مثل المعنى المتقدم وقال مسكين الدارمي
فقمت ولم تأخذ إلي رماحها عشاري ولم أرجب عراقيبها عقرا
لم أرجب لم أكبر ذلك ولم يعظم علي ومنه سمي رجب رجبا لأنه كان
شهرا معظما وقالت ليلى الأخيلية
ولا تأخذ الكوم الجلاد سلاحها لتوبة في قر الشتاء الصنابر
ومثله
لا أخون الصديق في حفظ العهد ولا تأخذ السلاح لقاحي
وقال النمر بن تولب
أزمان لم تأخذ إلي سلاحها إبلي بجلتها ولا أبكارها

ابتز منها ألبانها ونحرتها فأهين ذاك لضيفها ولجارها
وقال مضرس بن ربعي الأسدي
وما لمعن الأرضنا فإن نزلوا بنا ولا تمنع الكوم منا نصيبها
ومعنى المعنم لا نعدمهم واللعين البعيد ونصيبها هاهنا ما يمنع من عقرها
من حسن وتمام وولد وما جرى ذلك المجرى والنصيب والسلاح في المعنى واحد

مجلس آخر تأويل آية

٣٩٨ إن سأل سائل عن قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله فقال
ما تنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضي أن يكون جميع ما نفعله بمشيئته و
ويريده لأنه تعالى لم يخص شيئا من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم أن تقولوا
إنه خطاب للرسول عليه السلام خاصة وهو لا يفعل إلا ما يشاء الله تعالى لأنه
قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغائر عند كثير منكم فلا بد من أن يكون في
أفعاله تعالى ما لا يشاؤه عندكم ولأنه أيضا تأديب لنا كما أنه تعليم له عليه السلام
ولذلك لا يحسن منا أن نقول ذلك فيما نفعله الجواب قلنا
في هذه الآية مبنية على وجهين أحدهما أن يجعل حرف الشرط الذي هو
إن متعلقا بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف
ويكون التقدير ولا تقولن إنك تفعل إلا ما يريد الله وهذا الجواب ذكره
الفراء وما رأيته إلا له وقد يجب تفعله إلى مثل هذا مع أنه لم يكن متظاهرا
بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لا شبهة في الآية ولا سؤال القوم علينا
وفي هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر
محذوفا وكل جواب طابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان أولى
والجواب الآخر أن يجعل إن متعلقة بمحذوف ويكون التقدير
ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله لأن من عادة الحكيم

اختيار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا طال وكان في الموجود
منه دلالة على المقصود وعلى هذا الوجه يحتاج الى الجواب عما سالنا عنه
فنقول هذا تاديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه
اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في ان ذلك يختص بالطاعات
وان الافعال القبيحة خارجة عنه لان احدا من المسلمين لا يستجيز ان يقول
اني ازني غدا ان شاء الله وكلهم يمنع من ذلك اشد المنع فعلم سقوط شبهة
من ظن ان الاية عامة في جميع الافعال واما ابو علي
محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر في تاويل هذه الاية ما نحن ذاكروه بعينه قال انما عنى
بذلك انه من كان لا يعلم انه يبقى الى غد حيا فلا يجوز ان يقول اني
سافعل غدا كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت ولا
يفعل ما اخبر به لان هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ما اخبر به المخبر فهو ٣٩٩
كذب واذا كان المخبر لا يامن ان يوجد مخبره لحدوث امر من فعل
الله تعالى نحو الموت او العجز او بعض الامراض او لا يحدث ذلك ولا يبدو له
في ذلك فهو لا يامن من ان يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل واذا لم يامن
ذلك لم يجز ان يخبر به ولا يسلم خبره هذا من الكذب الا بالاستثناء الذي
ذكره الله تعالى واذا قال اني صائر غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى في
مصيره بمشية الله جل عز امن من ان يكون خبره في هذا كذبا لان الله تعالى
ان شاء ان يلجئه الى المصير الى المسجد غدا الجاه الى ذلك وكان المصير
منه لا محالة واذا كان ذلك على ما وصفناه لم يكن خبره هذا كذبا وان لم
يوجد منه المصير الى المسجد لانه لا يوجد ما استثناه في ذلك من مشية الله
تعالى قال وينبغي ان لا يستثني مشية دون مشية لانه ان استثنى في ذلك
مشية الله تعالى بمصيره الى المسجد على وجه التعبد فهو ايضا لا يامن ان
يكون خبره كذبا لان الانسان قد يترك كثيرا مما يشاء الله تعالى منه

ويتمكن به ولو كان استثنى مشية الله لان يفعله ويقدر ويرفع عنه الموانع
كان ايضا لا يامن ان يكون خبره كذبا لانه قد يجوز ان لا يصير الى المسجد مع
تبقية الله تعالى له قادرا مخلى فلا يامن من الكذب في هذا الخبر دون ان
يستثني المشية العامة التي ذكرناها فاذا دخلت هذه المشية في الاستثناء
فقد امن ان يكون خبره كذبا لانه اذا كانت هذه المشية متى وجدت وجب ان
يدخل المسجد لا محالة قال وبمثل هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف
فقال والله لاصيرن غدا الى المسجد ان شاء الله لانه اذا استثنى على سبيل ما بينا ٤٠٠
لم يجز ان يحنث في يمينه ولو خص استثناؤه بمشية الله تعالى بها ثم كانت ولم يصر
معها الى المسجد يحنث في يمينه وما اعتبره ابو علي من ان المشية المستثناة ههنا
هي مشية المنع والحيلولة وكانه قال ان الله خلاني ولا يمنعني وفي الناس من
قال المقصود بذلك ان يوقف الكلام عن جهة القطع وان لا يلزم به ما كان
يلزم لولا الاستثناء ولا ينوي في ذلك الجاء ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن
الحسن البصري واعلم ان الاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد
يدخل في الايمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار
وانه اذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به
وازالة الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كانه لا حكم له ولذلك يصح
على هذا الوجه ان يستثني في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا
الاستثناء من ان يكون كلامه خبرا قاطعا ويلزم به حكم وانما لم يصح دخوله في
المعاصي على هذا الوجه لان فيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح
ذلك فيها وهذا الوجه احد ما يحتمله تاويل الاية وقد يدخل الاستثناء في
الكلام فيراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص الطاعات ولهذا
جرى قول القائل لاقضين غدا ان شاء الله مجرى ان يقول اني افعل ذلك وان

لطف الله تعالى فيه وسهّله فعلم ان المقصد واحد وهو انه متى فعل الحالف فيه هذا
الوجه لم يجب اذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثاً او كاذباً لانه اذا لم يقع علمنا
انه لم يلطف فيه لانه لا لطف له ∴ وليس لاحد ان يعترض هذا بان يقول
الطاعات لا بد فيها من لطف وكذلك لا بد فيها مما لا لطف فيه جملة فان وقع
ما هو من سبيله كشف عن انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح ان يقال في
الآية لانه يختص الطاعات ولا يتناول كل ما لم يكن قبيحاً بدلالة اجماع
المسلمين على حسن استثناء ما تضمنته في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل
الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما
هو عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات فهذا الوجه يمكن
في الآية الا انه يعترضه ما ذكره ابو علي مما حكيناه من كلامه وقد يدخل
استثناء المشية ايضاً في الكلام وان لم يرد به شيء مما تقدم بل يكون الغرض ٤٠١
اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير ان يقصد به الى شيء من الوجوه المتقدمة
ويكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذباً او صادقاً لانه في الحكم كانه
قال لافعلن كذا ان وصلت الى مرادي مع انقطاعي الى الله تعالى واظهاري
الحاجة اليه وهذا الوجه ايضاً مما يمكن في تاويل الآية ومتى تأمل جملة
ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل
عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال
دون المعاصي لوجب اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله لاعطينك
حقك غداً ان شاء الله ان يكون كاذباً او حانثاً اذا لم يفعل لان الله
قد شاء منه ذلك عندكم وان لم يقع وكان يجب ان تلزمه الكفارة وان لا
يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثاً كما انه لو
قال والله لاعطينك حقك غداً ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون

حانثاً وفي التزام هذا الحنث خروج عن اجماع المسلمين فصار ما اوردناه
بحمد الله بياناً لتاويل الآية والجواب عن هذه المسألة ونظائرها
من المسائل والحمد لله ∴

قال السيد رضي الله عنه تأملت ما اشتملت عليه اشعار
الشعراء فوجدت اكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد او الشيئين بالشيئين
وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة واربعة باربعة وهو قليل ولم اجد
٤٠٢ من تجاوز هذا القدر الا قطعة مرثية لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه
ستة اشياء بستة اشياء فاما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة
في صفة الذباب

هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم

ومثل قول عدي بن الرقاع

تزجي اغن كان ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها

ومثله قول امرئ القيس

كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله

اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل

ولذي الرمة

وردت اعتسافاً والثريا كانها على قمة الراس ابن ماء محلق

وهذا الباب اكثر من ان يحصى فاما تشبيه شيئين بشيئين فمثل
قول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذلل

ولبشار
كأن مثار النقع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
وقول الآخر
كأن سموّ النقع والبيض حوله سماوة ليل أسفرت عن كواكب
وقول أبي نواس
كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درّ على أرض من الذهب
وللآخر
إن الشمول التي جمعت أهل الودّ شمله
شبهتها وحبابها بشقائق يحملن طله
وللآخر
أبصرته والكأس بين فم منه وبين أنامل خمس ٤٠٣
وكأنها وكأن شاربها قمر يقبّل عارض الشمس
وللآخر
حتى إذا طيبت والكأس طلت بها عقيقة خلقت في قشر بلور
فلي إذا مزجت في كأسها حببا كأنه عرق في خدّ مخمور
وقال البحتري
شقائق يحملن الندى فكأنه دموع التصابي في خدود الخرائد
وقال الآخر
فكأن الربيع يجلو عروسا وكأنا من قطره في نثار
ولأبي العباس الناشي
كأن الدموع على خدها بقية طلّ على جلنار
وقال ابن الرومي وأحسن
لو كنت يوم الفراق حاضرنا وهنّ يطفين غلة الوجد
لم تر إلا الدموع سافحة تسفح من مقلة على خدّ

كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
وقال جران العود
أبيت كأن الليل أفنان سدرة عليها سقيط من ندى الطلّ ينطف
ولابن المعتز
سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى وشمسين من راح ووجه حبيب
وقال المتنبي
٤٠٤ نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا
فأما تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة فمثل قول أبي الموسوس
نشرت غدائر شعرها لتظلني خوف العيون من الوشاة الرمّق
فكأنه وكأنها وكأنني صبحان باتا تحت ليل مطبق
ولبعضهم
روض ورد خلاله نرجس غض فحقا أن نحو أنا نظيرا
ذا يباهي لنا خدودا وذا على عيونا وذا أيضا يباهي ثغورا
وللآخر في النرجس
مداهن تبر بين أوراق فضة لها عمد مخروطة من زبرجد
وللبحتري في صفة ضمر المطايا ونحولها
كالقسيّ المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار
ولبعض الطالبيين
وإنا لمعتلج البطاح إذا انهل غيمها وراح على بطون ضوامر
بفتية عني ركبها وخطيها كالجفن يفتح عن سواد الناظر
لجبالها شرفي ومثل سهولها خلقي ومثل ظبائهن مجاور
فأما تشبيه أربعة بأربعة فمثل قول امرئ القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل ولآخر
كف تناول راحها بزجاجة خضراء تقذف بالحباب وتزبد
فالكف عاج والحباب لآلئ والراح تبر والإناء زبرجد
ولبعضهم وقد أهدى إليه نرجس والحوان وشقائق وآس فكتب إلى المهدي

لله ما أظرف أخلاقك يا بدر الكرم
أهديت ما أشبهها حسنا وطيبا ومشم
فما رأينا مهديا قبلك في كل الأمم
أهدى العيون والخدود والثغور واللمم ولآخر

أفدي حبيبا له بدائع أوصاف تعالت عن كل ما أصف
٤٠٥ كالبدر يعلو والشمس تشرق والغزال يعطو والغصن ينعطف وللمتنبي

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا
ومثله
سفرن بدورا وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الوأواء الدمشقي
وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد
فأما تشبيه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز في قوله
بدر وليل وغصن وجه وشعر وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا فقال كيف يجوز أن يأمرنا على
سبيل العبادة لنا بالدعاء بذلك وعندكم أن النسيان من فعله تعالى فلا تكليف على
الناسي في حال نسيانه وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون النسيان من فعل العباد

على ما يقوله كثير من الناس لكنا متعبدين بمسألته تعالى ما نعلم أنه واقع
حاصل من مؤاخذة الناسي مأمونة منه تعالى والقول في الخطأ إذا
أريد به ما وقع سهوا أو عن غير عمد يجري هذا المجرى الجواب
قلنا قد قيل في تأويل هذه الآية أن المراد بنسينا تركنا قال أبو علي قطرب بن
المستنير معنى النسيان هاهنا الترك كما قال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم
من قبل فنسي أي فترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى ٤٠٤
نسوا الله فنسيهم أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل
لصاحبه لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها وأنشد ابن عرفة

ولم أك عند الجود للجود قاليا ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

أي تاركا ومما يمكن أن يكون شاهدا على ذلك قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون
أنفسكم أي تتركون أنفسكم ويمكن في الآية وجه آخر على أن يحمل النسيان على
السهو وفقد العلوم ويجوز قصد الدعاء بذلك كما قد بيناه فيما تقدم من أنه تعالى ما نعلم أنه
على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى وإظهار الفقر إلى مسألته والاستعانة
به وإن كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى في
تعليمنا وتأديبنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله رب احكم
بالحق وقوله تعالى ولا تخزني يوم يبعثون وقوله تعالى حاكيا عن الملائكة فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا الوجه يمكن أيضا في قوله
تعالى أو أخطأنا إذا كان الخطأ ما وقع سهوا أو عن غير عمد فأما على ما يطابق
الوجه الأول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيء
وعن جهل بأنها معاص لأن من قصد شيئا على اعتقاد أنه بصفة فوقع ما هو
بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستعيذوا من تركه
متعمدين من غير سهو ولا تأويل وقوما أقدموا عليه مخطئين منا ولكن ويمكن
أيضا أن يريد بأخطأنا هاهنا أذنبنا أي فعلنا قبيحا وإن كانوا له متعمدين

ويه عالمين لان جميع معاصينا لله تعالى قد وصف بانها خطايا حيث قال وقال الصواب
وان كان فاعلها متعمدا لان الله تعالى امرهم بان يستغفروا مما تركوه من الواجبات
ومما فعلوه من المقبحات فيشتمل الكلام على جميع الذنوب والله اعلم بمراده
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس قال قال رجل
يوما لابي العباس محمد بن يزيد النحوي ما اعرف ضادية احسن من ضادية ابي الشيص
فقال له كم ضادية حسنة لا تعرفها ثم انشده لبشار

غمض الجديد بصاحبيك فغمضا ° وبقيت تطلب في الجهالة منهضا
وكان قلبي عند كل مصيبة ° عظم تكرر صدعه فتهيضا
واخ سلوت له فاذكر اخا ° فمضى وتذكر الحوادث ما مضى
فاشرب على تلف الاحبة اننا ° جزر المنية ظاعنين وخفضا ٤٠٧
ولقد جريت مع الصبي طلق الصبي ° ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا
وعلمت ما علم امرؤ في دهره ° فاطعت عذالي واعطيت الرضا
وصحوت من سكر وكنت موكلا ° ارعى الحمامة والغراب الابيضا

الحمامة المراة والغراب الابيض الشعر الشاب فيقول كنت كثير التعهد
لنفسي بالنظر في المراة وترطيل الشعر وقوله والغراب الابيض لان الشعر
كان غرابا اسود من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب

ما كل بارقة تجود بمائها ° وكذاك لو صدق الربيع لروضا

هكذا انشده المبرد ويحيى وانشد ابن المهلبي

ما كل بارقة تجود بمائها ° ولربما صدق الربيع فروضا
قد ذقت الفته وذقت فراقه ° فوجدت ذا عسلا وذا جمر الغضا
ابليت شعري فيهم كان صدوده ° ابان ثم رعد السحاب فاومضا
وعنيت من ذكرنا بروحه ° ام اجم الخلال فاحمضا
ولي عليه معولتي من بينه ° كان الذي قد كان حلما فانقضى

سحائب كتب الشقا للمنى ما كان له كالخضاب فقد نضا
قال المبرد ومن طويلة وذكر يوسف بن يحيى عن ابيه ان ابا نواس اخذ
قوله   جريت مع الصبي طلق الجموح   من قول بشار
ولقد جريت مع الصبي طلق الصبي   قال السيد رضي الله عنه
ولابي تمام والبحتري على هذا الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان
لم يزيدا على ضادية بشار التي استحسنها المبرد لم تقصرا عنها واول
قصيدة ابي تمام

٤٠٨

اهلوك اضحوا شاخصا ومقوضا ° ومزمما يصف النوى ومعرضا
ان يدج عيشك انهم امنوا الدجى ° فبهم اضا وبهم على ذات الاضا
بدلت من برق الثغور وبردها ° برقا اذا ظعن الاحبة اومضا
ما انصف الشجن الذي بعث الهوى ° فقضى عليك بلوعة ثم انقضى

يقول فيها

عتبي من الايام ما لو انه ° اضحى بشارب مرقد ما غمضا
لا تطلبن الرزق بعد شماسه ° فترومه سبعا اذا ما غيضا
ما عوض الصبر امرؤ الا راى ° ما فاته دون الذي قد عوضا
يا احمد ابن ابي دواد دعوة ° ذلت بذكرك لي وكانت ريضا
لما انتضيتك للخطوب كفيتها ° والسيف لا يرضيك حتى ينتضى

يقول فيها

قد كان صوح نبت كل قرارة ° حتى تروح في نداك فروضا
اوردتني العد الخسيف وقد ارى ° اني سارض الثمد البكي مبرضا

واما قصيدة البحتري فاولها

ترك السواد للابسيه وبيضا ° ونضا من الستين عنه ما نضا
وشآه اغيد في تصرف لحظه ° مرض اعل به القلوب وامرضا

وكأنه وجد الصبى وجديد دنياه تامسفا فانه ان تقتضبا
اشبان اترى من رجوى وصبابة واساف من وصل الحسان وانقضا
كلف يكفكف عبرة مهراقة اسفا على عهد الشباب وما انقضا
عدد تكامل للشباب مجيه واذا مضى الشى كان فقد مضا

يقول فيها

فقعقعت للبخلاء ذعر جاشهم ونذيره من قاصل ان ينتضا
وكفاك من حنش الصريم تهددا ان مد فضل لسانه او نضنضا

وفيها

لا تنكرن من جانب يبنك ان طوى اطناب جانب بيته او قوضا ٢٠٩
فالارض واسعة لنقلة راغب عمن تنقل وده وتقوضا
لا تهتبل اغضاى اما كنت قد اغضيت مشتملا على جمر الغضا
لست الذى ان عارضته ملمة اصغى الى حكم الزمان وفوضا
لا يستقر بى الطفيف ولا ارى تبع البارق خلب ان او مضا
انا من احب تحريا وكانني فيما اعاين منك ممن ابغضا
اغمدت سيفك كى تجم وانما غمد الحسام المشرفى لينتضا
وسكت الا ان اعارض قايلا نزرا او صرح جهرة من عرضا

واخبرنى ابو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى يوسف بن يحيى على عن ابيه قال من مختار شعر بشار قوله فى وصف الزمان

عتبت على الزمان واى حى من الاحياء اعتبه الزمان
وآمنه من الحدثان تردى عليه وليس من حدث امان
وليس بنائل بر منى فيرى معان مرة او مستعان
متى تاب الكرامة من كريم فما لك عنده الا الهوان

وله فى نحو

يا خليلى اصببا او ذرا يبكى البرق بهذى المطرا
لا تكونا كامرى صاحبة يترك العين ويبغى الاثرا
ذهب المعروف الا ذكره انما يبقى الفتى ما ذكرا
وبقينا فى زمان معضل يشرب الصفو ويبقى الكدرا

وله

قد ادرك الحاجة ممنوعة وتولع الفتى بما لا ينال
والهم ما امسكته فى الحشا داء وبعض الراى لا يستقال
٢١٠ فاحتمل الهم على عاتق ان لم تساعفك العلنبى الجلال

قال يحيى قوله عاتق يعنى الخمر وهذا مثل قوله

لما رايت الحظ حظ الجاهل ولم ار المغبون غير العاقل
رحلت عنسا من شراب بابل فبت من عقلى على مراحل

قال السيد رضى الله عنه هذا الذى ذكره يحتمل البيت على استكراه ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم باثقالك ويخفف عنك فتحمل انت ذلك بنفسك واصبر عليه وكانه يامر نفسه بالجلد والصبر عند النائبات وهذا البيت له نظاير كثيرة فى الشعر . واخبرنا المرزبانى قال حدثنا على بن هرون قال حدثنى ابى قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال على وما سمع الناس بشى لقديم ولا لمحدث من منثور ولا منظوم فى صفة الغنا واستحسانه مثل هذه الابيات

وراحة للعين فيها مخيلة اذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات الهموم على الفتى خفا برق فيها غمهم وعقود
حسدت عليها كل شى يمسها وما كنت لولا حبها بحسود
واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفرا الترايب رود
كان اميرا جالسا فى ثيابها تؤمل رؤياه عيون وفود

من البيض لم تسرح على اهل ثلة سواما ولم ترفع حداج قعود
تميت بها البابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود
اذا نطقت صحنا وصاح لنا الصدى صياح جنود وجهت لجنود
ظللنا بذاك الديدن اليوم كله كانا من الفردوس تحت خلود
ولا باس الا اننا عند اهلها شهود وما البابنا بشهود

قال وانشدني له في وصف مغنية

لعمر ابي زوارها الصيد انهم لفي منظر منها وحسن سماع
تصلي لها اذاننا وعيوننا اذا ما التقينا والقلوب دواع
وصفرا مثل الخيزرانة لم تعش ببؤس ولم تركب مطية راع
جنى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها لزوارها من مزهر وبراع
اذا قلدت اطرافها العود زلزلت قلوبا دعاها للوساوس داع
كانهم في جنة قد تلاحقت محاسنها من روضة وبقاع
يروحون من تغريدها وحديثها نشاوى وما تسقيهم بصواع
لعوب بالباب الرجال وان دنت اطيع التقى والغي غير مطاع

قال علي بن هرون الصواع المكيال يقول اذا غنت شربوا اجزافا بلا كيل ولا مقدار من حسن ما يسمعون

قال الشريف رضي الله عنه هذا خطا منه وانما اراد ان غناها لفرط حسنه وشدة اطرابه ينشيان نشوة الخمر وان لم يجر هناك شرب بصواع وهذا المعنى يجري مجرى قول الشاعر

ويوم ظللنا عند ام محلم نشاوى ولم نشرب طلاء ولا خمرا

وما كان عندي ان احدا [illegible] في معنى هذا البيت ما ظننته هذا الرجل واما قوله في القطعة الاولى

واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود

411

فيحتمل وجوها ثلثة اولها ان يكون اراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها ونضحها وان ترائبها تصفر لذلك ولهذا قال الاعشي

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعراره

والعرارة بهار البر وانما اراد انها تضمخ بالعشي بالطيب فيصفر لها ومثله لذي الرمة

413

بيضاء في دعج صفراء في برج كانها فضة قد مسها ذهب

وقيل في بيت قيس بن الخطيم

فرايت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن او كدنوها لغروب

وجهان احدهما انه اراد انها تطيب بالعشي فتصفر لان الشمس تغيب صفرا

والوجه الاخر انه اراد انها بالغداة في الحمرة كالشمس احسن ما تكون في وقتيها هذين ومن ذلك ايضا قول قيس صفراء اعجلها الشباب لداتها ومثله للاعشي

اذا جردت يوما حسبت خميصة عليها وجريال النضير الدلامصا

الخميصة ثوب ناعم شبه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كل صبغ احمر وانما يعني لون الطيب عليها والدلامص البراق فهذا وجه

والوجه الثاني ان يكون اراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المراة اذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالعشي الى الصفرة قال محمد بن علي بن مهدي الاصفهاني قال لي ابي قال لي الجاحظ زعموا ان المراة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض وبالعشي الى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز قد علمت بيضاء صفراء الاصيل

وزعم ان بيت ذي الرمة الذي انشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشي الذي انشدناه وهذه الابيات محتملة للمعنيين فاما الذي لا يحتمل الا وجها واحدا فهو قول الشاعر

وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدها حمر وفي نحرها صفر
لأنها تكون صفراء في نحرها لأجل الطيب وأما قوله على خدها حمر فلأنها إنما تصبغ بلون خدها والوجه الثالث أن يكون المراد بأنه صفراء على الحقيقة فإن نساء كثيرا يشبب بامرأة صفراء كقوله

صفراء لا أنسى هواك ولا ودي ولا ما مضى بيني وبينك من عهد
لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد
وقوله
أصفراء كان الود منك مباحا ليالي كان الهجر منك مزاحا
وكان جواري الحي إذ كنت فيهم قباحا فلما غبت صرن ملاحا

ويروى ملاحا فلما غبت صرن قباحا يشبه قول السيد بن محمد الحميري
وإذا حضرن مع الملاح بمجلس بصرتهن وما قبحن قباحا

413 فأما قوله من البيض لم تسرح بسوامها فإنه لا يكون مناقضا لقوله صفراء وإن أراد بالصفرة لونها لأن البياض هاهنا ليس بعبارة عن اللون وإنما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الأدناس والعرب لا تكاد تستعمل البياض لونا في هذا المعنى دون اللون لأن البياض عندهم البرص ويقولون إنه أبيض لأحمر ومنه قول الشاعر

جاءت به بيضا تخلج من عبد شمس صلتة الخد

ومثله بيض الوجوه فأما قول بشار في القطعة الثانية وصفراء مثل الخيزرانة فإنها تحتمل ما تقدم من الوجوه وإن كان باللون أو بالحقيقي أخص لقوله كالخيزرانة لأن الخيزران يضرب إلى الصفرة وتحتمل أيضا أن يريد بصفرة النور النابت وبقوله كالخيزرانة أنها مثلها في التثني والعطف ولقد أحسن جران العود في قوله في المعنى الذي تقدم

كأن سبيكة صفراء صبت عليها ثم ليث بها الإزار
يرود العائذات كأن فاها بعيد النوم مسك مستثار

مجلس آخر ٢٠ تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فقال كيف أضاف الاستهزاء إليه تعالى وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر أنه يمدهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم الجواب

414 قلنا في قوله الله يستهزئ بهم وجوه أولها أن يكون معنى الاستهزاء الذي أضافه تعالى إلى نفسه تجهيله لهم وتخطئته إياهم في إقامتهم على الكفر وإصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازا واتساعا كما يقول القائل إن فلانا يستهزأ به منذ اليوم إذا فعل فعلا عابه الناس به وخطؤوه فيه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل وإزراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به وإنما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لأن الاستهزاء الحقيقي هو ما يقصد به إلى عيب المستهزأ به والإزراء عليه إذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبليد هذا المعنى جاز أن يجرى اسم الاستهزاء عليه ويشهد بذلك قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ونحن نعلم أن الآيات لا يصح عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية وإنما المعنى إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام ما قاربه في معناه فتجري عليه اسمه قال الشاعر

كم أناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى فبسق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

وإن كان السكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان على الدهر وإنما شبه تركه الحال على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وأنشد الفراء

إن دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالإحسان

ومثل ذلك قوله في الاستعارة لتقارب المعنى

سائر الناس بان هلكوا اشرب الدهر عليهم واكل
وانما اراد ان الاكل والشرب له بفنائهم والتغيير احوالهم ومثله قول الشاعر
يقول بعينيه الذي بات جارها وان كان باب الدار يحسبني جلدا
والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى
ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون وروي عن ابن عباس
قال في معنى استدراجه اياهم انهم كانوا كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة
وانما سمي هذا الفعل استهزاء من حيث غيب عنهم ما به استدراجهم الى الهلاك
غير ما اظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع لغيره يظهر امرا ويضمر
غيره فان قيل على هذا الجواب فالمسألة قائمة واي وجه لان يستدرجهم ٤١٥
الى الهلاك قلنا ليس الهلاك هاهنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي
يستحق بها العقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى ان يعاقب
المستحق بما شاء اي وقت شاء وكانه تعالى لما كفروا وبدلوا نعمة الله وعاندوا
رسله لم يغير نعمه عليهم في الدنيا بل ابقاها لهم حتى يدعها عنهم وانزلهم
بها فيما تكون الحسرة منهم اعظم والضرر عليهم اكثر فان قيل
فهذا يودي الى تجويز ان يكون بعض ما ظاهره النعمة على الكفار مما لا يستحق
لله تعالى به الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق للعقاب وانما
المنكر ان تكون النعم المبتداة بهذه الصفة على ما يذهب اليه مخالفينا الا
ترى ان الحياة وما جرى مجراها حفظ التركيب والصحة لا يعد على اهل
النار نعمة وان كان على اهل الجنة نعمة من حيث ان الغرض فيه ايصال العقاب
اليهم والجواب الثالث ان يكون معنى استهزائه تعالى
بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر
احكامهم من نصره ومناكحته وموارثته ومبايعته وغير ذلك من الاحكام
وان كان تعالى معدا لهم في الاخرة اليم العقاب لما ابطنوه من النفاق

واستسروا به من الكفر فكانه تعالى قال ايها المنافقون لما تظهرونه للمؤمنين
من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم
اذا خلوتم بهم تظنون انكم مستهزئون فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث
جعل لكم احكام المؤمنين ظاهرا حتى ظننتم ان ما لكم ما لهم وهو تعالى
قد ميز بينكم في الاخرة ودار الجزاء من حيث اثاب المخلصين الذين توافق ظواهرهم
بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثاني وان ٤١٦
كان بينهما خلاف في بعض الوجوه والجواب
الرابع ان يكون معنى ذلك ان الله تعالى يقول للنبي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وان
ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا
اراد ان يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر
خداعه ومكره عاد اليه ولم يضرني به والجواب
الخامس ان يكون المعنى انه يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب
والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدا ليس بعقوبة وقال الشاعر
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ومن شان العرب ان تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه
باختصاصه وتعلقه به اذا انكشف المعنى وامن الايهام وربما غلبوا
ايضا اسم احد الشيئين على الاخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص
بينهما فمن ذلك قولهم للبعير الذي يحمل المزاد راوية والمراد
المحمولة على البعير راوية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه قال الشاعر
وما زال الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول
والكاس هي ظرف الشراب والفعل الذي اضافوه اليها انما هو مضاف

في الشراب الذي يحصل فيها اثرها الى الغير يقول لها كأس لانها بما فيه من الشراب
وكان الاناء الفارغ لا يسمى كأسا وعلى هذا القول يكون اضافة الجلاس
العقل والتصريع وما يجري مجرى ذلك الى الكاس على وجه الحقيقة
لان الكاس على هذا القول اسم للاناء وما حله من الشراب ومثال
الوجه الثاني الذي ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر
على الشمس قال الشاعر
اخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع
اراد لنا شمسها وقمرها فغلب ومنه قول الآخر
فقولا لاهل المكتين تحاشدوا وسيروا الى آطام يثرب والنخل 417
اراد بالمكتين مكة والمدينة فغلب وقال الآخر
فبصرة الازد منا والعراق لنا والموصلان ومنا المصر والحرم
اراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الآخر
نحن سبينا امكم مقربا يوم صبحنا الحيرتين المنون
اراد الحيرة والكوفة وقال الآخر
اذا اجتمع العمران عمرو بن عامر وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا
والقوا مقاليد الامور اليهم جميعا قماء كارهين وطوعا
اراد بالعمرين رجلين يقال لاحدهما عمرو وللآخر بدر وقد فسره الشاعر
في البيت ومثله
جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامه
اراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما زهدم وللآخر كردم فغلب
وكل الذي ذكرناه يقوي هذا الجواب من جواز تسمية الجزاء على
الذنب باسمه وتغليبه عليه بالمقاربة والاختصاص التام بين الذنب
والجزاء عليه والجواب السادس وهو ما روي عن

ابن عباس انه قال يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون اليه مسرعين حتى
اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح لهم باب آخر في موضع آخر فيقبلون من النار
اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم اذا
رأوا الابواب قد اغلقت دونهم فلذلك قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون على الارائك ينظرون فان قيل فاي فائدة في هذا
الفعل وما وجه الحكمة فيه قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر 418
لان ذلك اغلظ في نفوسهم واعظم في مكروههم وهو ضرب من العقاب
الذي يستحقونه بافعالهم القبيحة لان من طمع في النجاة والخلاص من
المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه
يكون عذابه اصعب واغلظ من عذاب من لا يطمع عليه فان
قيل فعلى هذا الجواب ما الفعل الذي هو استهزاء قلنا
ما تردده لهم من باب الى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان
اظهار التردد والمراد خلافه وان لم يكن فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضي
قبحه من اللهو والعبث وما يجري مجرى ذلك والجواب
السابع ان يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك
ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها
والشواهد عليه مذكورة مشهورة وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن
ان تذكر في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وفي قوله عز وجل
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فلينا نحو ذلك فاما قوله تعالى ويمدهم
في طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين احدهما ان يريد اني املي لهم في العمر
وامهلهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم
والوجه الآخر ان يريد انه يتركهم من فوائده
ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا كشرح

لصدورهم وشوّبوه لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله

قال السيد رضي الله عنه واني لاستحسن لبعض الاعراب قوله

خليلي هل يشفي من الشوق والجوى بروق ذرى الاوطان لا بل يشوقها
فتزداد من قرب اليها صبابة ويبعد من فرط اشتياق طريقها
وما ينفع الحران ذا اللوح ان يرى حياض القرى مملوءة لا يذوقها

ولآخر في تذكر الاوطان والحنين اليها

الا قل للدار بين اكثبة الحمى وذات الغضا جادت عليك الهواضب
اجدك لا آتيك الا تقلبت دموع اضاعت ما حفظت سواكب
ديار تنا سمت الهوى نحوها وطا وعنى فيها الهوى والحبائب ٤١٩
ليالي لا الهجران يحكم بيننا على وصلكم امري ولا الظن كاذب

وانشد ابو نصر صاحب الاصمعي لاعرابي

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة باكناف نجد وهي خضر متونها
وهل اشربن الدهر من ماء مزنة بحزة ليلى حيث فاض معينها
بلاد بها كنا نحل فاصبحت خلاء ترعاها مع الادم عينها
تقيات فيها بالشباب مع الصبى نميل بما نهوى على غصونها

وانشد الاصمعي لصعتر نافع العنبري

الا ليت شعري هل تحنن ناقتي بيضاء نجد حيث كان مسيرها
فتلك بلاد حبب الله اهلها اليك وان لم يعط نصفا اميرها
بلاد بها انضيت راحلة الصبى وكانت لنا ايامها وشهورها
فقدنا بها الهم الملتذ شربه ودار علينا بالنعيم سرورها

وانشد ابو محلم لسوار بن المضرب

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كارواح الغواني
وجو زاهر للريح فيه نسيم لا يروع الترب وان

بما سقت الشباب الى مشيب يعج عند احسن الزمان

وانشد اسحق الموصلي

الا يا حبذا اجناب سلمى وجاد بارضها جون السحاب
خلعت بها العذار وقلت فيها اماني بطاعة او باغتصاب
اسوم بباطلي طلبا لهوى ويعذرني بها عصر الشباب

وكل هؤلاء على ما ترى قد افصحوا بان سبب حنينهم الى الاوطان ما لبسوه
٤٣ فيها من نوب الشباب واستظلوه من ظله واقتطفوه من زهره وانه كان يعذرهم
ويحسن قبائحهم لهم اي شيء يعلو الناس في قول ابن الرومي

وحبب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا

ويزعمون انه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا او وسم غفلا
وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على من تقدمه ولا ابدع بل
اتبع ولكن الجيد اذا ورد ممن يعهد منه الردي كثر استحسانه وزاد استطرافه
ولقد احسن البحتري في قوله من هذا المعنى

سقى الغضا والنازليه وان هم شبوه بين جوانح وقلوب
وقصار ايام به سرقت لنا حسناتها من كاشح ورقيب
خضر تساقطها الصبى فكانها ورق تساقطه اهتزاز قضيب
كانت فنون بطالة فتقطعت عن هجر غانية ووصل نسيب

واحسن في قوله

سقى الله اخلاف الدهر رطبة سقتنا الجوى اذ ابرق الحزن ابرق
ليال سرقنا كاس الدهر بعد ما اضاء باصباح من الشيب مفرق
اذا ونيت ليلى مثلي فما اشتفى بماء الثنى حرانا بالماء يشرق

ولابي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسان وهو

وتحفزني بحشا منه على الحسن وهب والعراق
على البلد الحبيبين غورا ونجدا والأجاج العذب المذاق
ليالي وسنان عيش كان الدهر عنها في وثاق
وأيام سواء لا أن غيبنا في حواشيها الرقاق
كأن العهد عن عفر لدينا وإن كان التلاقي عن تلاق

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في
الأرض مستقر ومتاع إلى حين فقال كيف خاطب تعالى آدم وحواء عليهما السلم ٤٣١
بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب إليهما العداوة وأي عداوة كانت بينهما
الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أولها أن يكون
الخطاب متوجها إلى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية
ويتعلقان بها ويقوي ذلك قوله تعالى حاكيا عن إبرهيم وإسمعيل عليهما السلم
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا
وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلم ولإبليس اللعين
وأن يكون الجميع مشتركين في الأمر بالهبوط وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب
من حيث لم يتقدم لإبليس ذكر في قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك
الجنة لأنه وإن لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فأزلهما
الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه فجاز أن يعود الخطاب على الجميع
وثالثها أن يكون الخطاب متوجها إلى آدم وحواء والحية
التي كانت معهما على ما روي عن كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد
من قبل أن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من أن يكون قبيحا
اللهم إلا أن يقال إنه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وإنما

كنى تعالى عن إهباطه لهم بالقول كما يقول القائل قلت فلقيت الأمير وقلت
فضربت زيدا وإنما تخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وإن كان
مستعملا وفي هذا الوجه بعد وجه آخر وهو أنه لم يتقدم للحية ذكر في
القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن إلا حيث لا يقع لبس ولا يسبق وهم إلى
تعليق الكناية بغير المكنى عنه حتى يجري ذكره كقوله تعالى كثرة ذكره في البيان عن المعنى
المقصود ومثل قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وكل من عليها فان ومثل قول
الشاعر
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
فأما حيث لا تكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها ٤٣٢
أن يكون الخطاب يختص آدم وحواء عليهما السلم وخاطب الاثنين بخطاب الجمع على عادة العرب
في ذلك لأن التثنية أول الجمع قال الله تعالى إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين أراد تعالى لحكم داود وسليمان عليهما السلم وكان بعض أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى فإن كان له إخوة على
معنى فإن كان له أخوان وقال الراعي
أخليد إن أباك ضاف وساده همان باتا جنبة ودخيلا
طرقا فتلك هماهمي أقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا
فعبر بالهماهم وهي جمع عن همين وهما اثنان فإن قيل
فما معنى الهبوط الذي أمروا به قلنا أكثر المفسرين على أن الهبوط
هو النزول من العلو إلى السفل وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لأن الهبوط
كما يكون النزول من علو إلى سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول
به قال الله تعالى اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم ويقول القائل من العرب هبطنا
بلد كذا وكذا يريد حللنا قال زهير
ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت أيدي المطي بهم من راكس فلقا

فقد يجوز على هذا ان يريد تعالى بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل
ايضا ان يريد بالهبوط معنى غير المسافة بل الانحطاط من منزلة الى دونها كما يقولون
قد هبط فلان عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها
فان قيل فما معنى قوله بعضكم لبعض عدو قلنا اما عداوة ابليس لادم
وذريته فمعروفة مشهورة واما عداوة ادم عليه السلام والمؤمنين من ذريته
لابليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار المارقين عن طاعة الله
تعالى المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن ذكرها
في الخطاب لبني ادم معروفة ولذلك نحذرهم منها ونجنبهم فاما الوجه للنهي عن ان
الخطاب خص ادم وحوا عليهما السلام دون غيرهما فيجب ان يحمل قوله تعالى بعضكم لبعض
عدو على ان المراد به الذرية كانه قال تعالى اهبطوا وقد علمت من حال ذريتكم ٤٢٣
ان بعضهم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين اصلها
فان قيل اليس ظاهر القران اهبطوا بعضكم لبعض عدو يقتضي انه امر
بالمعاداة كما انه امر بالهبوط وهذا يوجب ان يكون تعالى امرا بالقبيح على قولكم لان
معاداة ابليس لادم عليه السلام قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك
قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وانما يقتضي انه امرهما بالهبوط
في حال عداوة بعضهم بعضا فاما الامر فمختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا
له نظاير كثيرة في كلام العرب تجري مجرى هذه الاية في ان المراد بها الحال كقوله
تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم كما اراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل اراد
ان تزهق انفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في الامر بالهبوط وهذا بين
قال السيد رضي الله عنه وقد سئلت في مجلس من السادة الكرام
قول الشاعر
وليل ام قوم غندوا عند طبتهم لا يكتنون غداة العل والنهل

في السرابيل لا ترى مقانبهم عجر البطون ولا تطوى على الفضل
قوله وليل ام فمن الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل قاتل الله فلانا
ما اشجعه وترحة لله ما اسمحه ونظير ذلك في قول
رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من انيابها بالقوادح
انما اراد هذا المعنى بعينه وقيل ايضا انه دعا لها بالهرم وعلو السن لان
الكبير يكثر قذى عينيه وتتهتم اسنانه وقيل انه اراد بعينيها عينيها
وبغر انيابها سادات قومها ووجوههم وهذا اولى واشبه بطريقة القوم و
٤٢٤ كان القول محتملا للكل واما قوله لا يكتنون غداة العل
والنهل فانما اراد انهم لا يلبسوا بعار يلحقهم بل لهم من يخلفهم ويكفيهم
ويرعى ابلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السفلة والرعاة وقيل
وضع اخر قيل انهم يسامحون شريبهم ويوثرونه بالسقي قبل اموالهم ولا
يصولون عليه ولا يلبسون وهذا من الكرم والفضل لا من الضعف وقيل
ايضا بل معنى انهم لعزة ذوي ومنعة اذا وردت ابلهم ماء افرج الناس لها
عنه لانها قد عرفت فليس يحتاج اربابها الى الاكتناء والتعريف وقد قال
قوم في قوله لا يكتنون انه من قولهم اكتنت يده اذا خشنت من العمل
فيقول ليسوا اهل مهنة فتلتن ايديهم وتخشن من العمل بل لهم عبيد يكفونهم
ذلك وقوله صدى السرابيل فانما اراد به طول حمل
السلاح ولبسهم له والمقانب جمع مقنب وهي الخريطة التي يكون فيها الزاد وكانه يقول
اذا سافروا لم يبتذوا الاوعية على ما فيها واطعموا اهل الرفقة ومثله
كناية عن الاطعام وبذل الزاد كثيرة وعجر البطون من صفات
المقانب اراد انها لا توكا ولبعض بني اسد واحسن غاية الاحسان
وان صرمة لابني عبيد تمنعت من الخوف لم تورك نحوى افالها
فقالت الا تحدوا فصالك هكذا فقلت ابن ضيفا بها وعيا لها

لم احلبنا الا اللبنة والتي ولا قبلت الا في ربا مقالها ۝
حدابير من كراء اكانها انا صي سفر حل عنها جلالها ۝
شكا ... الشاعر امراته وحكى عنها انها رأت اهل الجيران لم يعط منها في حمالة
ولم تعقد في حق ولم تحلب لضيف ولا جار وهي سمان وقوله لم توزل فالها فان افال
الصغار وتوزل من الازل وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصال من الا
سمان لم تكن بوسا من الباز امهاتها موفرة عليها وحكى عن امراته انها تقول له
حتى انت فصالك هكذا فقال لها اي ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والصيفان
ثم اخبر انه لم ينتفع الحلوبها وان الابل ما حلبت الا بعد مقالتها الا
من تين او ثلثا ولا قبلت من القابلة الا بفرار السوق حتى تجرها وتهبها
والحدابير المهازيل وانما تعني فصاله وهزالها من اجل انه لا يسقى البانها لا لان ٤٣٥
تعقر امهاتها والانا صي جمع نضو فشبه فصاله من هزالها بانضاء
خيل سفر وقوله حدابير من كل العيال فيه معنى حسن لانه اراد انها من بين
جميع العيال هازيل وهذا تاكيد ان سبب هزالها مواساته بالبانها
فاختصت بالهزال من بين العيال وانها هاهنا بنم الجيران والصيفان
وانها جعلهم عياله لكرمه وان جودته قد الزمته مؤونتهم فصاروا كاخص
عياله ومثل ذلك قول الشاعر
تعيرني الحظلان ام محلم فقلت لها لا تقذفيني بدا بيا ۝
فاني رأيت الضامرين متاعهم يذم ويفنى فارضخي من وعائيا ۝
فلم تجديني في المعيشة عاجزا ولا حصرا ماخبا شديدا وكابيا ۝
الحظلان الممسكون البخلاء والحظل الامساك وام محلم امراته ومعنى قوله
تعيرني الحظلان اي بالحظلان يقول لك لا تكون مثل هولاء الذين يحفظون
اموالهم والضامرون ايضا البخلاء فقال لها رأيت البخلاء يضنون بما عندهم
وهو يفنى ويبقى الذم فارضخي من وعائي وهذا مثل اي اعطي الناس مما عندي

وهو من قوله فارضخ له بشيء من عطيته والحصر البخيل تقول العرب حصر فهو حصر
اي شديد ... وقوله فلم تجديني في المعيشة عاجزا اي انا صاحب غارات
افيد واستفيد واتلف واطلب ... في الفقر
اصبحت عاذلتي معتلة قرما ام هي وحمى للصخب ۝
اصبحت تتفل في شحم الذرى وتظن اللوم درا ينتهب ۝
لا تلمها انها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب ۝
يقول انها تكثر لومي وكانها قرمة الى اللوم كقرم الانسان الى اللحم ام هي حمى
تشتهي الصخب والوحم شدة شهوة الطعام عند الحمل وشحم الذرى الاسنمة
٤٣٣ واراد بتتفل فيها انها تعود ابلي لئلا تزينها في عيني وتعظم قدرها فلا اهب
منها ولا انحر ثم اخبر ان اصلها من الزنج والملح الشحم وشحم الزنج يكون على
اوراكهم واكفالهم وانشد ابو العباس محمد بن يزيد
ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد ۝
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي ۝
قصيا كريما او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعد ۝
واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما من خلالي غيرها شيمة العبد ۝
قال ابو العباس استثنى الكرم في القصي البعيد ولم يستثنه في القريب لان اهله جميعا
عنده كرام واراد بقوله عبد الضيف انه يخدم الضيف بنفسه لا يرضى
ان يخدمه غيره قال ـــــ السيد رضي الله عنه ويشبه ذلك قول
المقنع الكندي
واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما في سواها خلة تشبه العبدا ۝
وانما اشترط في كونه عبدا للضيف في البيت له وقال الثاني ... وقوله ليعلم
ان الخدمة لم تك لضعة وصغر قدر بل لما يوجبه الكرم من حق الاضياف
وانه لم يخرج عن ان يكون مجدوما ... من ان يكون ضيفا ولو قال واني لعبد الضيف

وان يشترط لم يحصل هذا المعنى

مجلس آخر تأويل آية

ان سال سـ[ائل] ... بم يعول من خالفكم في الاستطاعة وزعم ان المكلف
يومر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق بقوله تعالى انظر كيف ضربوا
لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وان الظاهر من هذه الاية توجب
انهم غير مستطيعين للامر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل
واذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلم انك لن تستطيع معي صبرا
وانه نفى كونه قادرا على الصبر في حال لم يوجد فيها غير صابر وهذا يوجب
ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون الجواب قيل له اول ما نقوله للمخالف
لنا في هذا الباب من الاستطاعة انه لا يصح له فيه التعلق بالسمع لان مذهبه لا يسلم ٤٢٧
معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع ولا دلالته
وانما قلنا ذلك لان من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان وهو لا يقدر عليه
لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله تعالى واذا لم يمكنه ذلك فلا يأمن ان يكون
يجوز القبائح في افعاله تعالى واخباره ولا يامن من ان يرسل كاذبا او ان يخبر
هو بالكذب تعالى عن ذلك فلا يثق بالسمع ان كان كلامه فيقع في حجته تجويز الكذب عليه
وان كان كلام رسوله فقد فيه كل ما يلزمه في تجويز تصديق الكذابين وانما طرق
تجويز بعض القبائح عليه وليس لهم ان يقولوا ان امره تعالى للكافر بالايمان وان
لم يقدر عليه يحسن من حيث ان الكافر اتي من قبل نفسه لانه تشاغل بالكفر
وترك الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو اضفنا ذلك اليه تعالى وكان
على وجه يقبح وذلك لان ما قالوه اذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا
لما لا يطاق لم يؤثر في نفي ما الزمناه عنهم لانه يلزم على ذلك ان يفعل
الكذب وسائر القبائح ويكون حسنة منه بان يفعلها من وجه لا يقبح منه وليس

توهمهم انه لم يضفه اليه من وجه يقبح يثبت بعينه كل ما يحتمي قول من جوز
عليه تعالى الكذب وجعل الكذب منه تعالى حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة
السمع بان يقول انني لم اضف اليه تعالى قبيحا فليس ... السمع
فيمن كان من ذكرناه عذر علينا في هذا الكلام لم يخل خلافه في الاستطاعة
عذره بمثله ؛ ونعود الى تاويل الاية اما قوله انظر كيف ضربوا
لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدرون عليه
ولا بيان له وانما كان يصح ما قالوه لو بين تعالى انهم لا يستطيعون سبيلا الى
٤٢٨ امر معين فاما ولم يبين ذلك فلا متعلق لهم فان قيل
فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب ان يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا
الى مفارقة الضلال قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر
ضرب المثل منهم فيجب ان يريد انهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه
من الامثال والكلام غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع والظاهر بهذا
الوصف اولى لانه تعالى حكى عنهم انهم ضربوا الامثال وجعل ضلالهم
وانهم لا يستطيعون السبيل متعلقا بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب
رجوع الامرين جميعا اليه وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لا يستطيعون سبيلا
الى تحقيق ما ضربوه من المثل على انه تعالى اخبر بانهم ضلوا وظاهر
ذلك انه اخبار عن ماض فعلهم فان كان قوله تعالى فلا يستطيعون سبيلا
يرجع اليه فيجب ان يدل على انهم لا يقدرون على ترك المعاصي وهذا
مما لا خلاف فيه وليس فيه ما يدل على انهم لا يقدرون في المستقبل
او في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وبعد تركه وبعد
فاذا لم يكن للاية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على امر
كلفوه باولى منا اذا حملنا ذلك على انهم لم يكلفوه او على
انه اراد ذلك الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم وقد جرت

عادة أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً إنه لا يستطيعه ولا يقدر
عليه ولا يتمكن منه ألا ترى أنهم يقولون فلان لا يستطيع أن يكلم فلاناً
ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك وإنما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة
والمشقة فإن قيل فإذا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب
المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر أبو علي أن المراد أنهم
لا يستطيعون إلى الإيمان بك سبيلاً لأنهم ضربوا لك الأمثال ظناً منهم
أن ذلك يبين كذبك فأخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع لأن تكذيب
صادق وإبطال حق مما لا يتعلق به قدرة ولا تتناوله استطاعة وقد
ذكر أبو هاشم أن المراد بالآية أنهم لأجل ضلالهم بضرب الأمثال وتكذيبهم
لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب
وليس يمكن على هذا أن يقال كيف لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى وهم
قادرون عندكم على الإيمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب ٣١
لأن المراد أنهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم إلى خير
وهدى وإنما يكون لهم سبيل إلى ذلك بأن يفارقوا ما هم عليه فنفى الاستطاعة
عنهم لأنهم مستثقلون للإيمان وقد يخبر عمن استثقل شيئاً بأنه لا
يستطيعه على ما تقدم ذكره فأما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام
إنك لن تستطيع معي صبراً فظاهره يقتضي أنك لا تستطيع ذلك في
المستقبل ولا يدل على أنه غير مستطيع للصبر في الحال أن يفعله
في الثاني وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال
مستطيع له غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك لأنه قد صبر عن المسألة
أوقاتاً وإنما لم يصبر عنها في جميعها وفي المستقبل على أن المراد بذلك
والوجه أنه تعالى أخبر عن استثقال الصبر عن المسألة عما لا يعرف و
يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا نجد أحدنا

إذا جرى بحضرته ما يكرهه ويستبدعه ينازعه نفسه إلى المسألة عنه والبحث
عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن أمره فلما جرى من صاحب موسى
عليه السلام ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه
قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً فبين تعالى أن العلة في قلة
صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان على ما ظنوه لوجب أن يقول وكيف
تصبر وأنت غير مطيق للصبر ∴ فأما قوله تعالى وما كانوا
يستطيعون السمع فلا تعلق لهم بظاهره لأن السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً
لأنه إدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت أنه معنى على ما يقوله
٤٣٠ أبو علي لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة
عليه هذا إن أريد بالسمع الإدراك وإن أريد به نفس الحاسة وهي أيضاً
غير مقدورة للعباد لأن الجوارح وما يختص به الحواس من البنية
والمعاني التي يصح بها الإدراك مما ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه
فالظاهر لا حجة لهم فيه فإن قالوا فلعل المراد
بالسمع كونهم سامعين لأنه تعالى نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا قلنا
هذا خلاف الظاهر ولو ثبت أن المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة
هاهنا على ما قدمنا ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل
فلان لا يستطيع أن يراني ولا يقدر على أن يكلمني وما أشبه ذلك وهذا
بين لمن تأمله

مجلس آخر تأويل خبر

إن سأل سائل فقال ما تأويل ما رواه يسار عن معوية بن الحكم قال قلت يا
رسول الله كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد فعدا الذئب
بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني [illegible]

فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه قال قلت يا رسول الله
افلا اعتقها قال ائتني بها فاتيته بها فقال لها اين الله فقالت في السماء
قال من انا قالت انت رسول الله فقال عليه السلام اعتقها فانها مؤمنة

الجواب — اما قوله انا رجل من بني ادم اسف
كما ياسفون فمعناه اي اغضب كما يغضبون قال محمد حبيب الاسف
الغضب وانشد للراعي

فما لحقتني العيس حتى وجدتني اسيفا على حاكيهم المتجرد

والاسف ايضا الحزن قال الاصمعي اي لا اسف الحزن والاسف
الغضب قال كعب بن زهير

في كل يوم ارى فيه مبينة تكاد تسقط مني منة اسفا

وقوله ولكني غضبت فصككتها اراد لطمتها يقال صك وجهه
اذا لطمه بيده وقال تعالى فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها
وقالت عجوز عقيم وقال بشر بن ابي خازم يصف حمار وحش واتانا

فتصك محجره اذا ما ساقها وجبينه بحوافر لم تنكب

ساقها اي شمتها وقوله في السماء فالسماء يعني الارتفاع والعلو
فمعنى ذلك انه تعالى عال في قدرته عزيز في سلطانه لا يبلغ
ولا يدرك ويقال سما فلان يسمو سموا اذا ارتفع شانه وعلا امره
وقال الله تعالى ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم
من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير فاخبر بنفوذ
سلطانه وعلو شانه ونفاذ امره وقد قيل في قوله تعالى ءامنتم
من في السماء غير هذا وان المراد امنتم من في السماء امره واياته وقدرته وما
جرى مجرى ذلك وقال امية بن ابي الصلت شاهدا لما قلناه

واشهد ان الله لا شيء فوقه عليا وامسى ذكره متعاليا

وقال سليمان بن يزيد العدوي

لك الحمد يا ذا الطول والملك والغنى تعاليت محمودا الهي وماجدا
علوت على قرب بعز وقدرة وكنت قريبا في دنوك عاليا

والسماء ايضا سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا
والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
وقال ابن الاعرابي يقال لما على البيت سماء البيت وسماوته وسراته وصهوته
والسماء ايضا المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء عليهم
مدرارا ومنه الحديث الذي رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر على صبرة طعام فادخل عليه السلام يده فيها فنالت اصابعه بللا
فقال له ما هذا يا صاحب البر قال اصابته السماء يا رسول الله
قال عليه السلام افلا جعلته فوق الطعام يراه الناس من غش فليس منا
وقال المثقب العبدي

فلما اتاني والسماء تبله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

ويقال ايضا لظهر الفرس سماء كما يقال لحوافره ارض وانشد بعضهم في فرس

واحمر كالديباج اما سماؤه فريا واما ارضه فمحول

وانما اراد انه سمين لحمه على ظهره وان قوائمه ممشوقة وكل معاني السماء التي
تصرف فيها ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو وان اختلفت
المواضع التي تجري هذه اللفظة فيها واولى المعاني بالخبر الذي سئلنا
عنه ما قدمناه من معنى العزة وعلو الشان والسلطان وما عدا ذلك
من المعاني لا يليق به تعالى لان العلو بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى
الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حال فيهما ولان الخبر والاية التي تضمنت
ايضا ذكر السماء خرجا مخرج المدحة ولا مدح في العلو بالمسافة وانما
المدح بالعلو في الشان والسلطان ونفاذ الامر وهذا لا اشكال [illegible]

العرب مدح غيره في شعره ونثره بمثل هذه اللفظة واراد بها علو المسافة
بل لا يريدون الا ما ذكرناه من معنى العلو في الشأن وانما تظن في هذه
المواضع خلاف هذا من لا فطنة عنده ولا بصيرة له والحمد لله رب العالمين

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه
الا قليل الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر
في معناه وجوه اولها انه تعالى اراد بالتنور وجه الارض
وان الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار وهذا قول عكرمة وقال ابن
عباس مثله قال والعرب تسمي وجه الارض تنورا وثانيها ٤٣٣
ان يكون المعنى ان الماء نبع من اعالي الارض ومن الاماكن المرتفعة
منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله تعالى وفار التنور قال ذكر لنا انه ارفع
الارض واشرفها وثالثها ان يكون المراد بفار التنور
اي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت امارات دخول النهار وتقضي الليل وهذا
القول يروى عن امير المؤمنين علي عليه السلام ورابعها ان يكون
المراد بالتنور الذي يختبز فيه على الحقيقة وانه تنور كانت لآدم عليه السلام
وقال قوم ان التنور كان لنوح عليه السلام بعين وردة من ارض الشام وقال
آخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة والذي روي عنهم ان التنور هو
تنور الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وخامسها
ان يكون معنى ذلك واشتد غضب الله عليهم وحل وقوع نقمته بهم فذكر
التنور مثلا لحضور العذاب كقولهم حمي الوطيس اذا اشتدت الحرب
وعظم الخطب والوطيس هو التنور ويقول العرب ايضا قد فارت قدر

القوم اذا اشتدت حربهم قال الشاعر
تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثؤها عنا اذا حميها غلا
اراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث المروي
عن النبي صلى الله عليه وآله انه نهى عن البول في الماء الدائم يعني الساكن ويقال
تدوم الطائر في الهواء اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما
ونفثؤها معناه نسكنها يقال فثأت غضبه عني وفثأت القدر
بالماء البارد اذا كسرته به وسادسها ان يكون التنور
الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على
الارض علما على ما انذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروى عن الحسن ٤٣٤
واولى الاقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لانه الحقيقة وما
سواه مجاز ولان الروايات الظاهرة تشهد له واضعفها وابعدها من
شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتدام الامر
تمثيلا وتشبيها لان حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية
اولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية واي المعاني اريد بالتنور
فان الله تعالى جعل فوران الماء منه علما لنبيه عليه السلام وآية تدل على نزول
العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين فاما قوله تعالى من كل
زوجين اثنين فقد قيل ان المراد به احمل من كل ذكر وانثى اثنين وانه يقال لكل
واحد من الذكر والانثى زوج وقال آخرون الزوجان ها هنا الضربان وقال
آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجا واستشهدوا
ببيت الاعشى
وكل زوج من الديباج يلبسه ابو قدامة محبورا بذاك معا
ومعنى من سبق عليه القول اي من اخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك
به والله عز وجل اعلم بمراده

مجلس آخر [...] خبر

ان سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه شريك عن عمار الدهني
عن ابي صالح الحنفي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال رأيت النبي صلى الله عليه
في المنام وانا اشكو اليه ما لقيت من امته من الاود واللدد الجواب
يقال له ان الاود هو الميل تقول العرب قد قيس ميلك وحنفك واودك
ودرأك وضلعك وصعرك وصدعك وظلعك بالظاء وصعوك
وصدغك كل هذا بمعنى ولصدعك وقال ثعلب الاود اذا كان من الانسان في
كلامه وما به فهو عوج واذا كان من الشيء المنتصب مثل عصا وما اشبهها
فهو عوج هذا قول الناس كلهم الا ابا عمرو الشيباني فانه قال العوج بالكسر
الاسم والعوج بالفتح المصدر وقال ثعلب كانه مصدر عوج يعوج عوجا
ويقال عصا معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج فاما
اللدد فقيل من الخصومات وقال ثعلب يقال الكل الد وقوم لد
اذا كانوا شديدي الخصومة ومنه قول الله تعالى وهو الد الخصام وقال ابن الاعرابي
اللدد الاعوجاج ولهذا قيل للخصومة للذي ليس بمستقيم اي من العوج الخصومة
يميل فلا يقوى عليه ولا يمكن منه ... لد ... وانما بلد
في شق منه وليس يلد مستقيما فهو يرجع الى معنى الميل والاعوجاج وقد فسر
لنا الحكم بن ظهير قال الد الخصام اي اعوج الخصام وانشد ابو السمح بن
مقبل

لقد طال عن دهماء لدي وعذرتي ... وكتمانها اكني بام فلان
فقلت لجهال الرجال مخاصمة ... ولو شئت قد بينتها ببيان

اللدد الجدال والخصومة وقال ابو عمرو ... الذي لا يقبل الحق ويطلب
الظلم وقولهم ... مخاصمة بعقولهم ... في شعر فيطلبون معانيه
فلا يقفون عليها وانشد ابو السمح

لا تفتري الكذب القبيح فانه للمرء ... وباب لئام
واصدق بقولك حين نطق انه ... للصدق فضل فوق كل كلام
واذا صدقت على الرجال خصمتهم ... والصدق مقطعة على الظلام
واذا رمال غشوم قوم فارمه ... بالد مستعر المدى حسام
لا تعرض على العدو وسيلة ... واحذر عدوك عند كل مقام
واعلم بانه ليس يوما نافعا ... عند اللئيم وسائل الارحام
ما لم تخف ويلوا عندك جانبا ... خشنا وتصبحه كاس حمام
٤٢٦ واذا طلبت بمارق فاكرمه ... حتى يفرح حلمه الاحلام
واصبر على كرب البلاء فانه ... ليس البلاء على الفتى بلزام
واعلم بانك ميت ومحاسب ... عما فعلت معاشر الاقوام

معنى قوله مستعر المدى اي بعيد المدى ومعنى قوله لا تعرض على العدو
وسيلة اي لا تعاديه ولا تصانعه ولا يكن الا صدق العداوة وانشد
ايضا شاهدا لما تقدم

يا وهننا اشبه باطلي وهدى ... اشبهتها ظالعي فاشبه جنتي
وجدلي عند الخصوم اللدد

قال السيد رضي الله عنه ومن حسن ما وصف به الثغر
قول فضالة بن وكيع ...

يبتسم عن جسم اللثات كانه ... حصا برد او اقحوان كئيب
اذا ما تنفعت من موقد علاته ... من البائع العودي فرع قضيب
قضيب نحاه الركب اما غروا لها ... من ذي بلال النبات خضيب

يعني ... ومعنى نحاه اي قطعه ومثله استنحاه ايضا وقال
النبات اي ناعمه وحسنه يقال عشب ... وهاد سواء اي متباد
ناعم ومعنى اما غرفوا اي اختبوا من عرفات وذكر انه حضيب

بالطيب التي يجدها ولا دماً بها استعار اليه وقال الاخطل يصف ثغراً
شتيتا يروي الظمان منه اذا الجوزا اتحرت الصبا با
الشتيت هو المتفرق المفلج التي ليس بمتراكب ومعنى قوله اذا الجوزا
اتحرت الصبا بافيه وجهان احدهما انه اراد عند سقوط
الجوزا وذلك في شدة البرد وطول الليل اذا التحى بالصباب
من البرد وتغيرت الافواه لطول ليل الشتاء يقول فمعها حينئذ
عذب غير متغير والوجه الاخر انه اراد عند طلوع
الجوزا في شدة الحر اذا اتحرت الصبا من شدة القيظ فالظمان
حينئذ اشد عطشا واحر غلة فريقها يرويه ويبرد غلته وقال
اخر

فويل بها لمن تكون ضجيعه اذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب ٤٣٧
قوله فويل بها من ويح المحمود مثل قوله ويل امه ما اشجعه فكانه
يقول نعم الضجيع هي عند السحر اذا تحادرت النجوم للمغيب كما قال ذو الرمة
وابدى الثريا حسن يحي للمغارب ومثله ايضا قول الاخر
لعم شعار الفتى اذا ركد الليل سحيرا وقفقف الصرد
وانما يعني انها في ذلك الوقت التي تتغير فيه الافواه طيبة ماء الريق
عذبة وانشد ابو العباس المبرد لام الهيثم
وعارض كجانب العراق ابيت براقا من البراق
مفلجا مثل العسل المذاق
قال ابو العباس في هذا قولان احدهما انها وصفت ثغرا وعارضا
وجانبا العراق ما يثنى من الجراب والقربة فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج
ولا تراكب ولا نقص وقولها ابيت براقا من البراق يعني الثغر
نفسه اي انه بريق من صفايه ورقته وشبهت الريق بالعسل لعذوبته

والقول الاخر قال بعضهم العارض هاهنا الغيم وقولها كجانب العراق يعني من البلاد
اي هو ضخم متكاثف قد سد ما بين الافق وقولها ابيت براقا من البراق اي ما ابيته البرق
اذا مطرت من النور قال المبرد والقول الاول عندنا اصح لذكرها العسل وانشد
ابو العباس احمد بن يحيى لابن قطن شرا
وشعب كشك الثوب شكس طرقه لجامع ضوجيه نطاف مخاصر
تعسفته بالليل لم يبن له دليل ولم يحس له النعت جابر
قال يعني بالشعب فم جاريته كشك الثوب يعني كف الثوب اذا خاطه الخياط والشكس
٤٣٨ الضيق يصفها بصغر الفم وحسنه ورقة الشفتين وضوحاه جانباه وضح
الوادي جانبه والمخاصر البارد من الخصر ويعني بالنطاف الريق وقوله لم يبن له دليل
اي لم يهتد اليه غيري ثم قال
الا رب يوم قد شربت بمشرب شفا الغيم لم يشرب به احد قبلي
الغيم والغين العطش وانما يعني ريق جاريته قال ابو العباس وقال اخرون بل يعني شعبا
من الشعاب مخوفا صعبا مسلكه وقال ابو العباس انما كنى بالشعب عن فم الجارية ثم اخذ
في وصف الشعب ليلغز كما امر اشد الناس قال السيد رضي الله عنه والاشبه
ان يكون اراد شعبا حقيقيا لانه تابط شرا كان لصا وصافا للاهوال التي تمضي وعانيه
في مقصده وكان كثيرا ما يصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز
واشباه ذلك والقطعة التي فيها البيتان كلها تشهد بان الوصف للشعب لا
لفم جاريته لانه يقول بعد قوله كشك الثوب
لدن مطلع الشعرى قليلا انيسه كان الظلي في جانبيه معاجر
به من نجاء الدلو بيض كانها شبا رصيم الصخر فيه قراقر
وقرز حتى كان لما منتهى وغادر من السيل فيما تغادر
به نطف زرق قليل قذاتها جلاء الماء عن ارجائها فهو حاسر
وهذه الاوصاف كلها لا تليق الا بالشعب دون غيره ثم اثر ذلك على الفم تعسف

بعيد ولقد احسن البحتري في قوله يصف الثغر

ويوم تخيل قد سفرت وكفت ردآء العصب عن رتل براد
وعن نجلاء تدمع في بياض اذا دمعت وتنظر في سواد
وعن متكاوس في العقص جثل اثيث النبت ذي غدر جعاد

وقال ابو تمام في هذا المعنى

وعلى العيس خرد يتبسمن عن الاشنب الشتيت البراد
كان شوك السيال حسنا فاضحى دونه للفراق شوك القتاد

وقال البحتري

وان تناجد ابراح لذا الورد خدا اشبه من جنى التفاح
وشتيتا يغض من لولو النظم ويزري على شتيت الاقاحي
فاضاءت تحت الدجنة للشرب وكادت تضيء للمصباح 439

وله ايضا

سفرت كما سفر الربيع الطلق عن ورد ترقرقه الضحى مصقول
وتبسمت عن لولو في رصفه برد يرد حشاشة المتبول

وقد جمع بين كل ما يوصف به الثغر في قوله

كانما تضحك عن لولو منظم او برد او اقاح

مجلس اخر تاويل اية

ان سال سايل عن قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اوليك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فقال ما انكرتم ان يكون هذه الاية دالة على انه تعالى جعل الكافر كافرا لانه اخبر بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس يجعله كافرا الا بان يخلق كفره الجواب يقال له قبل ان نتكلم في تاويل الاية وما تحتمله من المعاني كيف يجوز ان يخبر تعالى

انه يجعلهم كفارا ويخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في لومهم والازراء عليهم واي مذهب لكونه خالقا لكفرهم في باب ذمهم واي نسبة بينه وبين ذلك بل لا شي ابلغ في عذرهم وبرآتهم من ان يكون خالقا لما ذمهم من اجله وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام لا يقول له اخبركم بشر الناس واحقهم بالذم واللوم من فعل كذا وصنع كذا او كان على كذا وكذا ويعدد من الاحوال والافعال قبايحها ولا يجوز ان يدخل في جملتها ما ليس بقبيح ولا هو من
440 فعل الذم او من جهته حتى يقول في جملة ذلك من يتشاغل بالصنعة الفلانية التي يدعوا سلمه اليها وحمله عليها وان عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد ذمهم في الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم في ذلك فلا لا يجوز ان يذمهم بان جعلهم عابدين الطاغوت وان كان من فعله قلنا انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم واستخفافهم فجرى ذلك مجرى افعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى بافعالهم وعبادتهم للطاغوت وان كان من خلقه فلا وجه لذمهم بها لانه ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم باللعن والمسخ ثم نعود الى تاويل هذه الاية فنقول ان ظاهر الاية يقتضي ما ظنوه والذي ما تضمنته الاضداد انه خلق وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى هو خالق الكافر وانه لا خالق له سواه غير ان الكافر لا يوصف انه خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا انا نستفيد من قوله تعالى جعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك هكذا لنستفيد من قوله جعل منهم عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا للطاغوت وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه في الاول لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعله تعالى

وليس ما يجوز الكافر كافرا به مقصورا على فعله تعالى بل قد دل الدليل على انه تعالى
عن فعل ذلك وخلقه فاتفق لفظ القرآن وفي الآية وجه آخر وهو ان
لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على
لعنه الله وغضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير
وهذا هو الوجه لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على
القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلا على اسم وفي عطفه على ما تقدم من الافعال
وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت معطوفا على الهاء والميم في
منهم فكأنه تعالى جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من في
الكلام قال الشاعر

امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ٤٤١

اراد ومن يمدحه وينصره فان قيل فهل هذا التأويل سائغ في قراءة من قرأ
وعبد بالفتح اين انتم من قراءة من قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وكسر
التاء من الطاغوت ومن قرأ عبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ وعبد
الطاغوت بالضم والتشديد ومن قرأ وعباد الطاغوت قلنا
المختار من هذه القراءات عند اهل العربية كلها القراءة بالفتح وعليها جميع القراء
السبعة الا حمزة فانه قرأ عبد بفتح العين وضم الباء وباقي القراءات شاذة
غير مأخوذ بها قال ابو اسحاق الزجاج في كتابه في معاني القرآن
وعبد الطاغوت نسق على لعنه الله قال وقد قرئت وعبد الطاغوت وعبد
الطاغوت والذي اختار وعبد الطاغوت وروي عن ابن مسعود رحمه الله وعبدوا
الطاغوت فهذا يقوي وعبد الطاغوت ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم الباء
وخفض الطاغوت فانه عند بعض اهل العربية ليس بالوجه من جهتين احدهما
ان عبد على وزن فعل وليس هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه وخدم الطاغوت
والثاني ان يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرج على قوله عبد

وجاء فعالان الاسم بني على فعل كما تقول رجل حذر اي مبالغ في الحذر فتأويل عبد
انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان هذا كلام الزجاج وقال ابو علي الحسن بن عبد الغفار
الفارسي يحتج لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع الا ترى انه ليس في ابنية الجموع
شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفردة
المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وكذلك قوله تعالى عبد الطاغوت جاء على فعل لان هذا البناء يراد
به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ وندس فهذا كأنه قد ذهب في عبادة
الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لان عبدا في الاصل صفة
٤٤٢ وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياها استعمال الاسماء لا يزيل عنه كونه
صفة الا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسرا
هذا التكسير عندهم من التكسير في قولهم اباريق واباطح فلم يزل عنه حكم الصفة
يدلك على ذلك تركهم صرفه كما ترك صرف احمر ولم يجعلوه بذلك كافكل
وايدع فكذلك عبد وان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرجه ذلك عن ان يكون
صفة واذا لم يخرج عن ان يكون صفة لم يمتنع ان يبنى بناء الصفات على فعل
وهذا كله كلام مفيد في الاحتجاج لحمزة فاذا صحت قراءة حمزة
وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح ايضا سائر ما روي من القراءات
التي حكاها السائل كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الآية يزيل الشبهة
فيها ويمكن في الآية وجه آخر على جميع القراءات المختلفة في عبد الطاغوت
وهو ان يكون المراد ان يجعل منهم عبد الطاغوت اي نسبه اليهم وشهد عليه
بكونه من جملتهم والجعل مواضع قد يكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل
الظلمات والنور وكقوله تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وقد يكون ههنا
متعديا الى مفعول واحد وقد يكون ايضا بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكقول القائل جعلت البصرة بغداد

جعلني كافرا او جعلت حسني قبحا وما اشبه ذلك فهي هاهنا تعدى الى مفعولين والجعل
مواضع اخر لا حاجة الى ذكرها فكانه تعالى قال و[illegible] الطاغوت اليه وقصد
انهم من جملتهم فان قيل لو كانت جعل هاهنا على ما ذكرتم لوجب ان تكون متعدية
الى مفعولين لانها اذا لم تتعدا الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق
قلنا هذا غلط من متوهمه لان جعل هاهنا متعدية الى مفعولين وقوله
تعالى منهم يقع مقام المفعول الثاني عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع في خبر
المبتدا فهي تحسن ان تقع في موضع المفعول الثاني لجعلت وظننت وما اشبههما

وقال الشاعر

ابالاراجيز يا ابن اللوم توعدني … وفي الاراجيز خلت اللوم والخور

وقد نسب هذا على وجهين احدهما على الالغاء لخلت من حيث توسطت الكلام فلم تعمل
في الاراجيز على هذا في موضع رفع لانه خبر المبتدا والوجه
الثاني على اعمال خلت فيكون في الاراجيز في موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول ٤٤٣
الثاني وهذا بين لمن تدبره

قال السيد رضي الله عنه [illegible]

اما وابي الصبر في كل خلة … اقر بعيني من غنى في مذلة
واني لاختار الظما مواطنا … على بارد عذب واغنى بعلة
واستر ذنب الدهر حتى كانه … صديق ولا اغتابه عند زلة
ولست كمن كان الزمان مقترا … فلما افاد المال عاد ابن علة
فداينته حتى تقضى الود بيننا … ولم انطلق من نداه ببلة
وكنت له عند الملمات عدة … اسد بما دونه كل خلة

الخلة الحاجة والخلة ايضا الخصلة والخلة بالضم المودة والخلة ايضا بالضم
ما كان حلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الاسنان بالخلال والخليل
الحبيب من المودة والمحبة والخليل الفقير ايضا وكلا الوجهين قد ذكر في قوله

تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومنه حديث ابن مسعود تعلموا العلم فانه
لا يدري احدكم متى يختل اليه وقال ابو العباس ثعلب تكون من شيئين احدهما من
الخلة التي هي الحاجة اي متى يحتاج اليه والآخر من الخلة وهي الشباب الخلو ويكون معناه متى
يشتهي ما عنده تشبيها بالابل لانها ترعى الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا
ملت الحمض شهت الخلة فقول العرب جاؤا والخلين فلاقوا حمضا اي جاؤا مشتهين
لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة ايضا ضد الحامض والذكر الحلو ويقال جيشهم
خلو اذا كان بهم ولا قال الشاعر

٤٤٤ فاسقنيها يا سواد بن عمرو … ان جسمي بعد خالي لخل

ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال الخلة فهو خليل
ومخلول ومثله اجررته قال الشاعر

فلو ان قومي انطقتني رماحهم … نطقت ولكن الرماح اجرت

اي لم يعملوا في الحرب شيئا فلكنت افتخر بهم وقوله

اقر بعيني من غنى في مذلة … يقول اختيار الصيانة مع الفقر احب
الي من الغنى مع الذل ومثله

اذا كان باب الذل من جانب الغنى … سموت الى العلياء من جانب الفقر
صبرت وكان الصبر مني سجية … وحسبك ان الله اثنى على الصبر

وقوله واستر ذنب الدهر حتى كانه صديق اراد اني لا اشكو ما يمسني
الدهر من خصاصة بل استر ذلك واظهر التجمل حتى [illegible] الصديق
واستر العدو وهذا المعنى اراد بقوله ولا اغتابه عند زلة وقوله
فلما افاد المال عاد ابن علة فالعرب تقول هم بنو اعيان اذا كان
ابوهم واحدا وامهم واحدة فاذا كان ابوهم واحدا وامهاتهم شتى قيل
اولاد علات ومنه الحديث الماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الانبياء اولاد علات اي امهاتهم شتى وابوهم واحد وقال الشاعر [illegible]

عدو التقالي والتقاطع لأنا أكثر من في العلاقات ما ذكرناه وقوله ذا أي قاطعة وقوله ولم أنطق من ... بهلة فالمنطوق عن الشغبي والنطق باللسان وكنى بذلك عن أنه لم يصب من خيره شيئا وصان نفسه عنه

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وما الذي أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم هاهنا بالعلم لوصفهم بالجهل في قوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون

الجواب قلنا هذه الآية معناها متعلق بما قبلها لأنه تعالى 445
أمرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست إلا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وأن العبادة إنما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا إلى آخر الآية ونبه في آخرها على وجوب توحيده وإخلاص العبادة له وأن لا يشرك به شيء بقوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ومعنى قوله تعالى جعل لكم الأرض فراشا أي مكنكم من أن تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل أبو علي بذلك وبقوله تعالى جعل لكم الأرض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من أن الأرض كروية الشكل وهذا القدر لا يدل لأنه يكفي في النعمة علينا أن يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مبسوطا مسطوحا وإن كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون أن يكون في الأرض بسائط وسطوح

يتصرف عليها ويستقر فيها وإنما يذهبون إلى أن جملتها كروية الشكل ولو قيل له يقول قوله تعالى جعل لكم الأرض فراشا يقتضي الإشارة إلى جميع الأرض لا إلى المواضع منها لأن ذلك ترفعه الضرورة وحينئذ نعلم بالمشاهدة أن فيها ما ليس ببساط ولا فراش ولا شبهة في أن جعله تعالى السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا وأما إنزاله تعالى منها الماء الذي هو المطر الذي تظهر به الثمرات فينتفع بنيلها والاغتذاء بها فظاهر فأما قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون فإن الند هو المثل والعدل قال حسان بن ثابت

446 أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء

وأما قوله تعالى وأنتم تعلمون فيحتمل وجوها أولها أن يريد وأنتم تعلمون أن الأنداد التي هي الأصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله تعالى لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بأمثالها وأنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ومعلوم أن المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ما كانوا يدعون ولا يعتقدون أن الأصنام خلقت السماء والأرض من دون الله تعالى ولا معه تعالى وإنما وصفهم بالعلم إنما هو لتأكيد الحجة عليهم وليصح توبيخهم لأنهم مع العلم بما ذكرناه يكونون أضيق عذرا والوجه الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى وأنتم تعلمون أي تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلونه وتأتونه وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر وإصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى إنما يتذكر أولو الألباب وإنما يخشى الله من عباده العلماء والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين مجاهد وغيره أن المراد بذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل خاصة ومعنى تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل فعلى الوجهين الأولين لا تنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى قل أفغير الله

تامروني اعيدها انما يليق بمن علمهم تعلق بشي وجعله بغيره على الاصل الثالث
اذا جعلت الاية التي سئل عنها مختصة باهل الكتاب امكن ان يجعل الاية التي
وصفوا فيها بالجهل بنا ولغيرها والا مرفي حق ذا الكتاب يجد فيه بيان التوحيد
وكل معنا للمصحح بحمد الله

قال السيد رضي الله عنه ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول
محتمل للكل قول امرى القيس

وقد اغتدي ومعي القانصان ° وكل بمرباة مقتفر
فيدركنا فغم داجن ° سميع بصير طلوب نكر
الص الضروس حني الضلوع ° تبوع اريب نشيط اشر
فانشب اظفاره في النسا ° فقلت هبلت الا تنتصر
فكر اليه بمبراته ° كما خل ظهر اللسان المجر
فظل يرنح في غيطل ° كما يستدير الحمار النعر ٤٤٧

قال ابن السكيت القانصان الصائدان والمرباة الموضع
المرتفع يربا فيه والمقتفر الذي يقتفر اثار الوحش ويتبعها وقال غيره
القانصان البازي والصقر والفغم الكلب الحريص على الصيد يقال ما اشد
فغمه اي ما اشد حرصه قال الاعشى

تؤم ديار بني عامر ° وانت بآل عقيل فغم

اي مولع والداجن الذي يألف الصيد والسميع الذي اذا سمع حسا لم يفته
والبصير الذي اذا راى شيئا من بعد لم يكذبه بصره والتبوع الذي اذا تبع
الصيد ادركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر المنكر الحاذق بالصيد ويروى
نكر بالضم وقال ابن السكيت وغيره في قوله فانشب اظفاره في النسا اي فانشب
الكلب اظفاره في نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف فقلت هبلت
اي فقلت للثور هبلت الا تنتصر من الكلب قالوا وهذا تهكم منه بالثور

واستهزاء به وتوبيخ واصل التهبل الوقوع على الشي يقال تهكم البيت اذا وقع بعضه
على بعض ومعنى فكر اليه بمبراته قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور الى الكلب
بمبراته اي بقرنه ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر اي طعنه به كما يجر الرجل
لسان الفصيل وهو ان يقطع طرف لسانه او يشقه حتى لا يقدر على الشرب
من خلف امه وكذلك اذا كبر واستغنى عن الشرب ومعنى فظل يرنح في
غيطل اي ظل الكلب يرنح ومعنى يرنح اي يميل ويتمايل كالسكران والغيطل
الشجر الملتف ويجوز ايضا الجلبة والصياح وقوله كما يستدير الحمار النعر
فالنعر الذي يدخل في انفه ذباب ازرق واخضر فيطمح براسه ويدور
٤٤٨ فشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النعر وقال ابن مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانه ° احاد ومثنى اصعقتها صواهله

وقال غيره القانصان الفرس وصاحبه والحجة على ان الفرس
تسمى قانصا قول عدي بن زيد

تقنصك الخيل وتصطادك الطير ولا تنكع لهو القنيص

اي لا تمنع منه يقال وقوله فانشب اظفاره في النسا معناه فانشب الكلب
اظفاره في نسا الثور فقلت لصاحب الفرس او للغلام الممسك للفرس هبلت
الا تدنو الى الثور فتطعنه فقد امسكه عليك الكلب قال ويحتمل ان يكون
امرؤ القيس اغرى الثور بقتل كلبه لان امرأ القيس يبخل بالصيد ويصفه
اكثر شعره بانه مرزوق منه مظفر فيه كقوله

اذا ما ركبنا قال ولدان اهلنا ° تعالوا الى ان ياتنا الصيد نحطب

وكقوله

مطعم للصيد ليس له ° غيره كسب على كبره

فحمل على هذا ان يغري الثور بقتل كلبه قال وقال ويدل انه لا منتصر اراد تدنو
من الثور والدليل على ان تنتصر بمعنى تدنو قول الراعي

واقر عيني وادي حال العبد ينعلها على البيد ساقي القيظة المناصير

الى المواني وقال مضرس بن ربعي

فاني امرؤ حظي كثيره ولا تهلك الشق الذي العيش باصري

ترى ما طوى اي كان منه ومعنى الصق القرو اي بعض اسنانه ملتصق بعض وحنى الضلوع اي مشرف الضلوع اعاليها ويروى حنى الضلوع بالنون اي منحنيها ويقال ان الضلوع اذا انقوست كان اوسع لجوفه واقوى له ويروى ايضا خفي الضلوع اي ضلوعه خفية داينة داخله في جنبه ومعنى قطل يرتحي مثل اعطل اي قطل الثور يرتحي من عطلها طعنة صاحب الفرس وقد يحتمل ايضا ان يكون يرتحي الثور لطعن الكلب به ولانه انشب اظفاره فيه وكل الكلب يحتمل كله ويحتمل ايضا على وجه يخلفه قول امرئ القيس ايضا

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل 449

فالمعنى معنا انه لم يدرس لنسج هاتين الريحين فقط بل درست لتتابع الرياح ولكثرة الامطار والدليل على هذا قوله في البيت الاخير فهل عند رسم دارس من معول وقال اخرون معنى لم يعف رسمها اي لم يدرس فالمتم على هذا القول هو باق غير دارس ومعنى قوله في البيت الاخير فهل عند رسم دارس من معول اي فهل عند رسم سيدرس في المستقبل وان كان الساعة موجودا غير دارس وقال اخرون معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني اي انه لم يدرس اثرها لما نسجتها بل هو باق ونحن نحزن لها ونجزع عند رؤيتنا ولو عفت لاسترحنا وهذا مثل قول الاخر

الا ليت المنازل قد بلينا فلا يرمين عن شزر حزينا

ومثل قول الاخر

ليت الديار التي تبقى لتحزننا كانت تبين اذا ما اهلها بانوا

وليس قوله فهل عند دارس معول نقضا لهذا انما هو كقولك درس كذا

اي ذهب بعضه وبقي بعض وقال ابو جعفر العبسي معناه لم يعف رسمها من قبلي وهو دارس في الموضع فلم يتناقض قوله لم يعف رسمها ما يتناقض وله هو عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام وقال اخرون اراد بقوله لم يعف رسمها اي لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم

وكما قال الاخر

450 فلا تبعدن يا خير عمرو بن مالك بلى ان من زار القبور ليبعدا

اراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف ومن زهير لا عجب فيه لما توهم من المناقضة والتفسير يمكن ان يحمل على ما ذكرناه من احد الوجوه المتقدمة من انما اراد ان رسمها لم يعف ويبطل كله وان كان قد غيرت الديم والارواح بعضه واثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة فيه جملة لانه لم يتضمن اثباتا ونفيا وانما دعا له بان لا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يرجى له غير واجب وانما ثبت فيبقى ما في البيت الثاني وقد يكون في البيت وجه اخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اي لم يدرس فيذهب فيظهر حتى يعرفه المتوسم ويتبينه المتأمل بل يبقى وغيرها لاح وظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس فلم يتناقض لانه قال لانه قد مضى لدروسه في كل المواضع واشبهه في ان عفا من حروف الاضداد التي تستعمل تارة في الدروس واخرى في النماء والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفا الشعر اذا كثر وقال الشاعر

ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم

اراد كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال اعفيته

الشعر وعفونه اذا كثرته ووددت فيه وامر رسول الله صلى الله عليه وآله
بان تحفى الشوارب وتعفى اللحى اى توفر وهذا الوجه عندي اشبه مما تقدم ٥

مجلس آخر تأويل آية

ان سال سائل عن قوله تعالى يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت
امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فقال من هرون
الذى نسبت مريم عليها السلم الى انها اخته ومعلوم انها لم تكن اخت هرون
اخى موسى عليهما السلم وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على المضى
وعيسى عليه السلم في حال قولهم ذلك كان في المهد الجواب
قلنا اما هرون الذى نسبت اليه مريم عليها السلم ففيه اقوال منها ان
هرون المذكور في الاية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر ٤٥١
وفساد الطريقة فلما انكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي عليها السلم
منزهة منه نسبوها الى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا وكان تقدير
الكلام يا شبيهة هرون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن
جبير ومنها ان هرون هذا كان اخاها لابيها وامها وكان رجلا
معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتاله وقيل
انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من قومها وانه لما مات شيع
جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون من بني اسرائيل فلما انكروا ما
ظهر من امرها قالوا لها يا اخت هرون يا شبيهته في الصلاح ما كان هذا
معروفا منك ولا كان اهلك ممن يفعل القبيح ويتطرق عليه الريب وعلى
قول من قال انه كان اخاها يكون معنى قولهم لها لم يكن اهلك بيت الصلاح والسداد
ولا ابوك امرأ سوء ولا كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت هرون
المعروف بالصلاح والعفة فكيف اتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك

ويقوى هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال لما ارسلني رسول الله صلى الله عليه
الى اهل نجران قال اهلها اليس نبيكم يزعم ان هرون اخو موسى وقد علم الله
ما كان بين عيسى وموسى من السنين فلم ادر ما ارد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى
الله عليه فذكرت له ذلك فقال لي هلا قلت انهم كانوا يدعون باسماء
الصالحين قبلهم ومنها ان يكون معنى يا اخت هرون يا من
هي من نسل هرون اخي موسى عليه السلم كما يقال للتميمي يا اخا تميم ويا اخا بني تميم
وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى يا اخت هرون قال روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال هرون هذا الذى ذكروه هو هرون اخو موسى عليهما السلم
٤٥٢ قال مقاتل وتاويل يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون كما قال تعالى
والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا يعني باخيهم انه من نسلهم
وجنسهم وكل قول من هذه الاقوال قد اختاره قوم من المفسرين فاما قوله تعالى
من كان في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط والجزاء مقصود به اليهما
والمعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل
لان الشرط والجزاء انما يكونان فيما يستقبل فيقول القائل ان زرتني زرتك يريد
ان تزرني ازرك قال الله تعالى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك يعني ان شاء
يجعل وقال قطرب معنى من كان في المهد معنى صار
فكان المعنى وكيف نكلم من صار في المهد صبيا ويستشهد بقول زهير
اجزت اليه حرة ارحبية وقد كان لون الليل مثل الارندج
وقال غيره كان هاهنا بمعنى خلق ووجد كما قال الفرزدق وكان الحر وكان
البرد اى وجدا وحدثا وقال بعضهم لفظة كان وان دخلها الماضي فقد يراد
بها الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اى انتم كذلك
وقوله تعالى حكاية هل كنت الا بشرا رسولا وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وان
كان تحقيق هذه الاية لا نحتاج الى غير هذا قبل ان ... ممن شاهد وامن

لأن علمه تعالى وحكمته ما شاهدوا فاخبر تعالى انه لم يزل عليما حكيما اي فلا
تظنوا انه استفاد علما وحكمة لم تكن عليها ومما اتفق من
من وضع لفظة الماضي في موضع الحال او الاستقبال قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم وقوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة وقولهم في الدعاء غفر الله لك
واطال بقاءك وما جرى مجرى ذلك ومعنى الكل يغفر الله لك لانه لما امن اللبس
وضع لفظ هذا المعنى في موضع المستقبل وقال الشاعر

فادركت من قد كان قبلي ولم ادع ... لمن كان بعدي في القصائد مصعدا

اراد لمن يكون بعدي ومما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي قول
الصلتان العبدي يرثي المغيرة بن المهلب

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا ... والباكرين وللمجد الرائح
٤٥٢ ان الشجاعة والسماحة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم المطي وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون اخا دم وذبائح

ومعناه فلقد كان كذلك

مجلس آخر تاويل خبر

ان سال سائل فقال كيف تطابق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وانه قيل له عليه السلم ان النقبة تقع بمشفر
البعير فيجرب لذلك الابل فقال عليه السلم فما اعدى الاول وما روي عنه عليه السلم
من قوله فر من المجذوم فرارك من الاسد وان رجلا مجذوما اتاه ليبايعه
بيعة الاسلام فارسل اليه بالبيعة وامره بالانصراف ولم ياذن له عليه السلم
وروي عنه عليه السلم انه قال الشوم في المراة والدار والدابة وظواهر
هذه الاخبار متناقضة فبينوا وجه الجمع بينها الجواب

قلنا ان ابن قتيبة سال نفسه عن اختلاف هذه الاخبار واجاب عن ذلك بما لا
على وجهه ونذكر ما عندنا فيه فانه خلط واتى بما ليس بمرضي قال ابن قتيبة لكل هذه
الاخبار معنى وموضعا فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال والعدوى
جنسان احدهما عدوى الجذام فان المجذوم تشتد رائحته حتى تسقم من اطال
مجالسته ومواكلته وكذلك المراة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار
واحد فيوصل اليها الاذى وربما جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر
اليه وكذلك من كان به سل ودق ونقب والاطباء تامر بان لا يجالس المسلول والمجذوم
ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغير الرائحة وانها قد تسقم
من اطال اشتمامها والاطباء ابعد الناس من الايمان بيمن او شوم وكذلك النقبة
٤٥٤ تكون بالبعير وهي جرب رطب فاذا خالطه الابل وحاكها واوى في مباركها وصل اليها بالماء
الذي يسيل منه نحو ما به فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يورد ذو عاهة على مصح قال وقد ذهب قوم الى انه اراد عليه السلم
بذلك ان لا يظن ان الذي نال ابله من ذوات العاهة فياثم وليس لهذا عندي وجه
لانا نجد الذي خبرتك به عيانا قال واما الجنس الآخر من العدوى
فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون وحكي عن الاصمعي
عن بعض البصريين انه هرب من الطاعون فركب حمارا ومضى باهله نحو سفوان
فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول

لن يسبق الله على حمار ... ولا على ذي منعة مطار
او ياتي الحتف على مقدار ... قد يصبح الله امام الساري

وقد قال رسول الله صلى الله عليه اذا كان بالبلد الذي انتم فيه فلا تخرجوا منه وقال عليه السلم
ايضا اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كانكم
تظنون ان الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد بقوله عليه السلم اذا كان ببلد فلا تدخلوه
ان مقامكم بالموضع الذي لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم قال ومن ذلك

المرأة تعرف بالشؤم والدار فينال الرجل مكروه بها أو جائحة فيقول أعدتني بشؤمها
قال فهذا هو المنفي الذي نفاه النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى فأما الحديث في
الشؤم رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشؤم في المرأة والدابة والدار
فهذا أبو هريرة يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة وأنه سمع فيه شيئا من الرسول عليه السلام
فلم يعه وروى ابن قتيبة خبرا رفعه إلى حسان بن عطية عن رجلين
دخلا على عائشة فقالا إن أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما
الطيرة في المرأة والدابة والدار فطارت شقفا ثم قالت كذب والذي أنزل
الفرقان على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كان أهل
الجاهلية يقولون إن الطيرة في المرأة والدابة والدار ثم قرأت ما أصاب
من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها وروى خبرا
يرفعه إلى أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا نزلنا دارا
فكثر فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا ثم تحولنا منها إلى أخرى فقلت فيها
أموالنا وقل عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروها وهي ذميمة
قال ابن قتيبة هذا ليس ينقض الحديث الأول وإنما أمرهم بالتحول منها
لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال لظلها واستيحاش لما نالهم فيها فأمرهم
عليه السلام بالتحول وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم
السوء فيه وإن كان لا سبب له في ذلك وحب من جرى على يده الخير لهم وإن
لم يردهم به

قال المصنف رضي الله عنه ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئا أكثر
من أنه لما عجز عن تأويل الأضداد التي سأل نفسه عنها والمطابقة بينها وبين
قوله عليه السلام لا عدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص
العدوى بشيء دون آخر وكلاهما سواء فيه وأورد تأويلا يدفعه النص
قول النبي صلى الله عليه وسلم إنه عليه السلام لما سئل عن النقبة تقع بمشفر البعير

فتجرب لها الإبل كلها قال عليه السلام فما أعدى الأول ولم يخص بالعدوى شيئا دون النقبة وقطع بها
فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم أن الجرب يعدي ويورث في المخالطة والمؤاكلة
وعول في ذلك على قول الأطباء وترك قول الرسول صلى الله عليه وسلم ولم
يكن من طرائف أمره أنه قال إن الأطباء ينهون عن مجالسة المسلول والمجذوم ولا
يريدون بذلك معنى العدوى وإنما يريدون تغير الرائحة وأنها تسقم من أطال
اشتمامها فهذا أغلط منه لأن الأطباء إنما نهوا عن ذلك خوفا من العدوى وسبب
العدوى عندهم هو استشمام الرائحة وانفصال أجزاء من السقيم إلى الصحيح وليس
إذا كان غير هذا العدوى عندهم ما يجب أن يكون هذا أيضا من العدوى
ولما حكى عن غيره ما ولا صحيحا في قوله عليه السلام لا يوردن ذو عاهة
على مصح ادعى أن العيان يدفعه وأي عيان معه ونحن نجد كثيرا ممن خالط الجرب فلا
يجرب ونجد إبلا صحاحا خالطت ذوات العاهات فلا يصيبها شيء مما أرادوا فكأنه إنما يدعي
العيان لدفع قول النبي صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول والصحيح عندنا في قوله
عليه السلام لا يوردن ذو عاهة على مصح أنه عليه السلام إنما نهى عن ذلك وإن لم يكن مؤثرا
على الحقيقة لأن فاعله كالمدخل الضرر على غيره لأن من اعتقد أن ذلك يعدي
ويؤثر فأورد على إبله فلا بد من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا
بد من أن يلومه من عامله بذلك فكأنه عليه السلام نهى عن أذى الناس والتعرض للتهم
وقد يجوز أيضا فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره ثم لم يرتضه من أنهم
متى ظنوا ذلك أثموا فنهى عليه السلام عن التعرض لما يؤثمهم ولو نقل
ابن قتيبة ما قاله عليه السلام في الطاعون إذا كان ببلد فلا تدخلوه وأمره لمن شكى إليه
ما لحقه في الدار بالتحول عنها إلى ما ههنا لكان منا صوابا لأنه حمل ذلك على أن
تجنب البلد أسكن للنفس وأطيب للعيش وكذلك في الدار فهذا أصح في قوله
عليه السلام لا يوردن ذو عاهة على مصح بعينه فأما
قوله عليه السلام فر من المجذوم فرارك من الأسد فليس فيه أن ذلك لأجل العدوى

وقد يمكن أن يكون جعل نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس منه إن ذكرنا
دعا إلى تجنبه والإزراء عليه وامتناعه عليه السلام من إدخال المجذوم ليبايعه
يجوز أيضا أن يكون الغرض فيه غير العدوى بل بعض الأسباب المانعة التي ذكرنا
بعضها وأما حديث الطاعون فالقول فيه على ما
قاله وقد كان سبيله لما قال في عدوى الجذام والجرب على قول الأطباء
أن يرجع أيضا إلى قولهم في الطاعون لأنهم يقولون أن الطاعون الذي يعرض
من تغير الأهوية وما يجري مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام
والعيان الذي ادعاه ليس هو أكثر من وجود من يجرب أو
يجذم بمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون وأما
نهي عمر من لم يسكن البلد الذي يكون فيه ونظرائه إليه فأما
الخبر الذي يتضمن أن الشؤم في المرأة والدار والدابة فالذي ذكره من الرواية في ٤٥٧
معناه يزيل الشبهة به على أنه لو لم يكن هاهنا رواية في تأويله جاز
أن يحمل على أن الذي يتطير به المتطيرون ويدعون أن الشؤم فيه هو المرأة
والدابة والدار ولا يجوز ذلك إثباتا للطيرة والشؤم في هذه
الأشياء بل على طريق الإخبار أن الطيرة الثابتة إنما هي فيها لقوة
أمرها عند أصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك في الدار وأمره عليه السلام
بانتقاله عنها تأويل قريب وقد كان يجب أن نشير إليه فيما تقدم وما التوفيق
إلا من عند الله

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم
أوليس ظاهر الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وأنتم تمنعون من ذلك

الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها
أنه حجاب له تعالى أو لمحل كلامه أو لمن يكلمه وإذا لم يكن في الظاهر
شيء من ذلك جاز صرف الحجاب إلى غيره تعالى مما يجوز أن يكون محجوبا وقد يجوز أن
يريد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاما في جسم محتجب عن
المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا
يعرف محله على طريق التفصيل فيقال على هذا هو مكلم من وراء حجاب
وروي عن مجاهد في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا قال هو
داود عليه السلام أوحي في صدره فزبر الزبور أو من وراء حجاب ٤٥٨
وهو موسى عليه السلام أو يرسل رسولا وهو جبرئيل عليه السلام أرسل إلى محمد
صلى الله عليه فأما أبو علي الجبائي فإنه ذكر أن المراد بالآية
ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أنه يمثل ما يكلم به عباده من أمرهم بطاعته ونهيهم عن
معاصيه وتنبيهه إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام أو ما أشبه
ذلك على سبيل الوحي قال وإنما سمى الله تعالى ذلك وحيا لأنه خاطر وتنبيه
وليس هو كلاما لهم على سبيل الإفصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه
إذا خاطبه والوحي في اللغة إنما هو ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على شيء
من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية قال وعنى
بقوله تعالى أو من وراء حجاب أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا
من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع
الخلق إلا موسى عليه السلام وحده في كلامه إياه أولا وأما كلامه له في المرة
الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى عليه السلام والسبعين الذين كانوا معه
وحجب عنه جميع الخلق سواهم وهذا هو معنى قوله أو من وراء حجاب لأن الكلام
هو الذي كان محجوبا عن الناس وقد يقال إنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذي أقامه
فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأن الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم

ولا يجوز أن يكون أراد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أن الله تعالى كان من وراء
حجاب يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة قال
وعنى بقوله تعالى أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إرسال الملائكة
عليهم السلام بكتبه وكلامه إلى الأنبياء عليهم السلام ليبلغوا عنه ذلك عباده على سبيل
إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وعلى آله الذي يكلم الله تعالى به عباده
ويأمرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به
موسى عليه السلام وهذا الكلام يدل على أن الوحي الذي ذكر تعالى في أول الآية أنه
قد أفصح تعالى لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره
في أول الآية إنما هو تنبيه وخاطر وليس فيه إفصاح وهذا الذي ذكره أبو علي
أيضا سديد والكلام محتمل لما ذكره ويحتمل الآية وجها آخر وهو أن يكون المراد
بالحجاب البعد والخفاء ونفي الظهور وقد تستعمل العرب لفظة الحجاب فيما ذكرناه ٤٥٩
يقول أحدهم لغيره إذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته بيني وبينك حجاب
ويقول لما لا يفهمه من الأمر الذي تستبعده وتستصعد طريقه بيني وبين هذا الأمر حجب
وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية أنه تعالى لا يكلم
البشر إلا وحيا بأن يخطر في قلوبهم أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم
على ما يريده أو يكرهه منهم فيكون من حيث نصبها للدلالة على ذلك والإرشاد
إليه مخاطبا ومكلما للعباد بما يدل عليه وجعل تعالى هذا الخطاب من وراء
حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهرا
معلوما كالكلام الذي ذكرناه ثم ذكر أن أقوال الرسل المؤدين عنه تعالى والملائكة
عليهم السلام بين الصفات فصار الحجاب هاهنا كناية عن الخفاء وعبارة عما
تدل عليه الدلالة وليس الصواب بقول أن الذي تدل عليه الأجسام فهو من
صفاته تعالى ولا حوله ولا ... إلا أنه تعالى متكلم بالآلة وفي كلامه عبر

ممتنع على سبيل التجوز أن يقال فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليدل
على مراده ويرشد إليه أنه مكلم لنا ومخاطب به ولهذا لا يمتنع المسلمون من أن
يقولوا إن الله تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بمجانبة
ما كرهه منا وفعل ما أراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على من
مراده قد خاطبنا فلان بما فعله بكذا وكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا
وما أشبه ذلك من الألفاظ التي تجري بها على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال أكثر
وأظهر من أن نورد أمثلته ونظائره

قال السيد رضي الله عنه ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول
أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري

٤٦٠ ولقد ألم بنا لنقريه بادي الشقاء محارف الكسب
يدعو الغنى أن نال علقته من مطعم غبا إلى غب
وطوى ثميلته وألحقها بالصلب بعد لدونة الصلب
يا ضل سعيك ما صنعت بما جمعت من شت إلى دأب
لو كنت ذا لب تعيش به لفعلت فعل المرء ذي اللب
وجعلت صالح ما اخترفت وما جمعت من نهب إلى نهب
ووطنته شغبا نزلت به فلقد منيت بغاية الشغب
إذ كان غيرهم فناصل تعصى بها متحول وركائب الركب
فاعمد إلى أهل الوقير فما يخشاك غير مقرمص الزرب
أكسبتنا ممن تطيف به فاحتثنا للأكل والجنب
وبغير معرفة ولا سبب إني وشعبك ليس من شعب
لما رأيت أن ليس نافعه جد تهاون صادق الإرب
والحر إن كان أخا جنة شكوى الضرير ومزجر الكلب
بادي الكلح يشتكي سغبا وأنا ابن قاتل شدة السغب

فرأيت أن قد نلته بأذى من بعد مثلمة ومن سبّ
ورأيت حقاً أن أضيّفه إذ رام سلمي واتقى حربي
فوقفت مقتعداً أراذلها بمهنّد ذي رونق عضب
فعرضته في ساق أسمنها فاجتاز بين الحاذ والكعب
فتركتها لعياله جزراً عمداً وعلّق رحلها صحبي

ذكر ذئباً طرقه ليلاً وقوله محارف للكسب مثل ضربه أي لا يبقى له نشب إلا شيء يكسبه وقوله بيّ عن الغنى إن نال علقته أي إن وجد ما يتعلق به من مطعم عيّاً أي لم يعرف بذلك إلى عيب الغنى والثميلة ما يبقى في البطن من طعام أو علف ومعنى طوى ثميلته ذهب بها وأراد أنه لم يبق في بطنه ما يمسكه واللدونة اللين واللدن اللين فأراد أنه لحق بقية طعامه بصلبه بعد أن كان ما صلبه منها ثم أقبل على الذئب كالعاذل له فقال ما صنعت بما جمعت من شبّ
461
إلى دبّ وهذان اسمان للشباب والهرم لا يفردان ولا يلفظ بهما إلا هكذا والمعنى فيهما مذ كنت شاباً حتى دببت على العصا ثم قال له لو كنت ذا لبّ لجمعت ما تصيبه ومعنى أحترف أكتسب ومعنى من نهب إلى نهب أي من عدوتك على الغنم إلى العدوة الأخرى ثم قال إن كان تعرّضك لما شغباً علينا فقد منيت بغاية الشغب أي أتيتنا فوافقك وهنالك واللبس هاهنا ما تغيّر عليه وإنما معنى معاصل أي سيوفاً مشحوذة وركابنا التي نمتطيها فاعمد إلى أهل الوقير والوقير القطيع من الغنم ولا تسمّى وقيراً إلا إذا كان فيه حمار يقول فعليك بموضع الغنم فإنما تخشى الراعي والمقرمص التي تتخذ القرموصة وأصله المكان الضيق وهو هاهنا حفيرة يحتفرها الراعي في الرمل من شدة الحر للشاة الكبير من الصقيع حتى إذا بركت كان ضرعها في القرموصة ومعنى شعبك ليس شعبي أي لست من جنسي ولا شكلي لأنه أدب الخديعة عند الحاجة وشكلي

وتسعى الضريب الذي قد مسّه الضرّ ومزجر الكلب أي بموضع قريب المكان تقدر مزجر الكلب لدى جنابه والسغب الجوع وأراد بقوله وإني قاتل السغب أي أنا ممن كان يقري ويطعم ثم رجع إلى كرمه فقال وإني بعد أن سببته وعضضته بالأذى والعدم أضيفه وأقريه لأنه ضيف وإن كان ذئباً فوقفت أنظر في ركابي واعتام أسمنها لأنه غيبان لا اختيار وأراذلها الأتبها والحاذان حذاء المنحنى اللذان يكتنفان الذنب وحيزان رحل المطية التي عقرها علّقه بعض أصحابه على مطية أخرى وقال النجاشي يذكر ذئباً

وماء كلون الغسل قد عاد آجناً قليل به الأصوات في بلد محل
462
وجدت عليه الذئب يعوي كأنه خليع خلا من كل مال ومن أهل
فقلت له يا ذئب هل لك في فتى يواسي بلا منّ عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد إنما دعوت لما لم يأته سبع قبلي
فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل
فقلت عليك الحوض إني تركته وفي صفوه فضل القلوص من السجل
فطرّب يستعوي ذئاباً كثيرة وعدّيت كلّ من هواه على شغل

وروي أن الفرزدق نزل الغريين فعرا على ناره ذئب فأبصره مقعياً ومع الفرزدق مسلوخة فرمى إليه بيد فأكلها فرمى إليه بما بقي فأكله فلما شبع ولّى عنه فقال

وليلة بتنا بالغريين ضافنا على الزاد ممشوق الذراعين أطلس
تلمّسنا حتى أتانا ولم يزل لدن فطمته أمه يتلمّس
فلو أنه إذ جاءنا كان دانياً لألبسته لو أنه كان يلبس
ولكن تنحّى جنبة بعدما دنا فكان كقاب القوس أو هو أنفس
فقاسمته نصفين بيني وبينه بقية زادي والركائب نعّس
وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب زاده على طارق الظلماء لا يتعبّس

ويروى عن عنقاء الفزاري واسمه قيس بن بجرة بالضم الأبيات المشهورة

في الذئب

واعوج من آل الصريح كأنه ... بذي الشث سيد آخر الليل جائع

بغى كسبه أطراف ليل كأنه ... وليس به ظلع من الخمص ظالع

فلما أتاه الرزق من كل وجهة ... جنوب الملا وأيأسته المطامع

طوى نفسه طي الحرير كأنه ... حوى حية في ربوة وهو هاجع

فلما أصابت متنه الشمس حله ... بأعصل في أنيابه السم ناقع

وفكك لحييه فلما تعاديا ... صأى ثم أقعى والبلاد بلاقع

وهم بأمر ثم أزمع غيره ... وإن ضاق رزق مرة فهو واسع

وعارض أطراف الصبا وكأنه ... رجاع غدير هزه الريح رائع

ويروى في الذئب

فقلت تعلم أنني غير نائم ... إلى مستقل بالخيانة أنيبا ٤٦٣

بعيد المطاف يستفيد على الغنى ... ولا يأتلي ما استطاع أن يتكسبا

ومعنى أنيب غليظ الناب، لا أنام إليه أي لا أثق به، ومن ذلك استنمت إلى فلان أي اطمأننت إليه، ومعنى لا يفيد على الغنى أي لا يلتمس مطعما وهو شبعان. ولحميد بن ثور في الذئب

وظل يراعي الجيش حتى تغيبت ... حبائش وحالت دونهن الأجارع

إذا ما غدا يوما رأيت غياية ... من الطير ينظرن الذي هو صانع

خفيف المعى إلا مصيرا يبله ... دم الجوف أو سؤر من الحوض ناقع

هو البعل الداني من الناس كالذي ... له صحبة وهو العدو المنازع

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وصف بأنه يتبع الجيش طمعا في أن يخلف فضل يثب عليه لأنه من بين السباع لا يرغب في القتل والكياد بل يأكل ما فضله

وحبائش اسم هضبة وقال بعضهم وليس بمعروف أن حبائش اسم من أسماء الشمس وأخبر أن الطير تتبعه لتصيب مما يقتل، والمصير المعى والبعل الشخص

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت

٤٦٤ إليك وأنا أول المؤمنين﴾ فقال ما تنكرون من أن تكون هذه الآية دالة على جواز الرؤية عليه تعالى لأنها لو لم تجز لم يجز أن يسألها موسى عليه السلام كما لا يجوز أن يسأله اتخاذ الصاحبة والولد، ولو كانت أيضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل، فإذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه فيجب أن تكون الرؤية أيضا صحيحة في حكم ما علقت به، وقوله تعالى ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى لأن التجلي والظهور لا يكون إلا بعد احتجاب واستتار. الجواب

قلنا أول ما نقوله أنه ليس في مسألة الشيء دلالة على صحته ووقوعه ولا جوازه لأن السائل قد يسأل عن الصحيح والمحال مع العلم ومع فقد العلم لأغراض تختلف فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها، ولأصحابنا عن هذه المسألة أجوبة أولها وهو أقواها وأولاها بأن نقول إن موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سألها لقومه، فقد روي أنهم طلبوا ذلك منه والتمسوه فأجابهم بأنها لا تجوز عليه تبارك وتعالى فلم يقنعوا بجوابه وأرادوا أن يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم بذلك وغلب في ظنه أن الجواب إذا ورد من جهته تعالى كان أحسم للشبهة وأبلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا

الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسأل واجيب بما يدل
على ان الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوي هذا الجواب اشياء منها قوله تعالى يسألك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا
الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها قوله تعالى واذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ومنها
قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما
فعل السفهاء منا لان اضافة ذلك الى السفهاء يدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم
ومن اجل انهم سألوا ما لا يجوز عليه تعالى ومنها ذكر الجهرة في الرؤية
وهو لا يليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضروري
على ما سنذكره في الجواب الثاني ومنها قوله تعالى انظر اليك ٤٦٥
لانا اذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه امكن ان نحمل قوله تعالى انظر اليك على
حقيقته واذا حملت الآية على طلب العلم الضروري احتيج الى حذف في الكلام
ويصير تقديره ارني انظر الى الآيات التي عندها اعرفك ضرورة وهذا في
هذا الوجه لا يجري خاصة انه تعالى اذا كان المذهب الصحيح عندكم سؤال النظر
عن الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالى انظر اليك على حقيقته في جواب من حمل
الآية على طلب الرؤية لقومه فان قيل فلم لا يمتنع ان يكونوا التمسوا
الرؤية التي يكون معها النظر والتحديق الى الجهة فسأل عليه السلام على حسب ما التمسوا قيل
لكم هذا ينتقض في قولكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل
عليه من الصاحبة والولد وما يقتضي الجسمية بان تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من صحة
معرفة السمع والشك في ان جميع ما ذكر يمنع ذلك لان الشك الذي لا يمنع
من معرفة السمع انما يحمل ذكر النظر فيه على ان المراد به نفس الرؤية على سبيل
المجاز لان من عادة العرب ان يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه
قلنا انما كان يلزم علينا من مجاز الى المجاز في القوة في هذا الوجه

والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدمة اولى وليس لاحد ان يقول لو كان
عليه السلام انما سأل الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول ارني انظر اليك
ولا كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى لن تراني وذلك انه غير ممتنع وقوع
الاضافة على هذا الوجه مع ان المسألة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك
دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة فلهذا يقول احدنا اذا شفع في حاجة
غيره للمشفوع اليه اسألك ان تفعل بي كذا وتجيبني الى كذا ويحسن ان
يقول المشفوع اليه قد اجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما يحسن ذلك
٤٦٦ لان للسائل في المسألة غرضا وان رجعت الى الغير بتحقيقه وتكلفه
كتكلفه اذا اختصته ولم تتعده فان قيل كيف يجوز منه
عليه السلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى ان يسأل فيها لقومه ولئن جاز
ذلك ليجوزن ان يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسما وما
اشبهه متى شكوا فيه قلنا انما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم
يصح فيما سألت عنه لان مع الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما
يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح ان يعرفوا الجواب
الوارد من جهته تعالى باستحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك
في كونه جسما لا تصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع وقد
قال بعض من تكلم في هذه الآية قد كان جائزا ان يسأل موسى عليه السلام
لقومه ما يعلم استحالته وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى
كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلف في الدين وان ورود الجواب يكون لطفا
لهم في النظر لدلالة واصابة الحق منها غير ان من اجاب بذلك شرط ان يبين
النبي عليه السلام في مسألته علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود
الجواب ليكون لطفا والجواب الثاني في الآية ان يكون
موسى عليه السلام انما سأل ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة

التي تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن
الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سأل ابرهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف
يحيي الموتى طلباً لتخفيف المحنة عليه بذلك وان كان قد عرف ذلك قبل أن
يراه والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك
بالبصر وذلك أظهر من أن يدل عليه أو يستشهد له فقال له تعالى لن تراني ذلك
أي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته مني ثم أكد تعالى بأن أظهر
في الجبل من آياته وعجائبه ما دل به على أن اظهار ما تقع به المعرفة الضرورية
في الدنيا مع التكليف وبقائه لا يجوز وان الحكمة تمنع منه والوجه
الاول أولى لما ذكرناه من الوجوه ولانه لا يخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكاً
في أن المعرفة الضرورية لا يصح حصولها في الدنيا أو عالماً بذلك فان كان
شاكاً فهذا مما لا يجوز على النبي عليه السلام لأن الشك فيما يرجع الى أصول ٤٦٧
الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم سلام الله عليهم لا سيما وقد يجوز أن يعلم
الله ذلك على الحقيقة بعض أممهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا أبلغ في
التنفير عنهم من كل شيء يمنع منه فيهم وان كان عالماً فلا وجه لسؤاله الا
أن يقال أنه سأل لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول والجواب
الثالث في الآية ما حكي عن بعض من تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو
أن قال لا يجوز أن يكون موسى عليه السلام في وقت مسألته ذلك كان شاكاً
في جواز الرؤية على الله تعالى فسأل عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا
قال وليس شكه في ذلك مما يمنع من أن يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري
مجرى شكه في جواز الرؤية على العرض مما لا يرى من الاعراض في أنه
غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى قال ولا يمتنع أن يكون
غلطه في ذلك ذنباً صغيراً ويكون التوبة الواقعة منه لأجل
ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل أن الشك في جواز الرؤية التي لا

تقتضي تشبيهاً وان كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فان الشك في ذلك لا
يجوز على الانبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من يبعثون اليه أن يعرفوا
على حقيقته فيكون النبي عليه السلام شاكاً فيه وغيره عارفاً به مع
رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وبما يجوز عليه أو لا يجوز عليه وهذا
أقوى في التنفير وأزيد على كل ما وجب تنزيه الانبياء عليهم السلام عنه
فان قيل فمن أي شيء كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين
٤٦٨ المتقدمين قلنا أما من ذهب الى أن المسألة كانت لقومه فانه يقول
انما تاب لانه أقدم على أن سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه وليس
للانبياء عليهم السلام ذلك لانه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك
اجابتهم اليه منفراً عنهم ومن ذهب الى أنه سأل المعرفة
الضرورية يقول انه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف وعلى
جميع الاقوال لا تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب
ولا الذم والاولى أن يقال في توبته عليه السلام أنه ليس في الآية ما يقتضي أن
تكون التوبة وقعت من المسألة أو من أمر يرجع اليها وقد يجوز أن يكون الامر
اما لذنب صغير تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة فلا يرجع الى المسألة
وقد يجوز أيضاً أن يكون ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع الى الله تعالى
واظهار الانقطاع اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف
وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض في ذلك مضافاً الى ما قلناه تعليمنا
وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند الشدائد ونزول الاهوال
وتنبيه القوم المخاطبين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية
المستحيلة عليه تعالى فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح
عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في رفع ذلك عنه الى التوبة منه
والاستقالة فاما قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله

دكّا فان التجلي ها هنا هو التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضي المعرفة
كقولهم هذا كلام جلي اي واضح ظاهر وكقول الشاعر
تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائيا
اراد ان تدبيره دل عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائيا عن وقع
الاسنة فاقام ما ظهر من دلالة فعله عليه مقام مشاهدته وعبر عنه
بانه تجلى منه وفي قوله تعالى للجبل وجهان احدهما ان يكون المراد لاهل
الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى واسأل القرية وما بكت عليهم السماء
والارض وقد علمنا انه اظهر من آياته لمن كان عند الجبل على ان رؤيته
غير جائزة والوجه الآخر ان يكون معنى للجبل اي بالجبل فاقام اللام
مقام الباء كما قال تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم اي به وكما يقولون اخذتك لجرمك 469
اي بجرمك ولما كانت الآية الدالة على منع ما سئل فيه انما حلت الجبل وظهرت
فيه جاز ان يضاف التجلي اليه وقد استدل بهذه الآية كثير من علماء الموحدين
على انه تعالى لا يرى بالابصار من حيث نفى الرؤية نفيا عاما بقوله تعالى لن تراني
ثم اكده بان علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر
وهذه طريقة معروفة للعرب في تبعيد الشيء لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون
كقولهم لا كلمتك ما اضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر
اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب
ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط وليس لاحد ان يقول اذا علق الرؤية باستقرار الجبل
وذلك في مقدوره تعالى فيجب ان تكون الرؤية المعلقة به ايضا في مقدوره
ولانه لو كان الغرض بذكر التبعيد لعلقه بامر يستحيل كما علق دخولهم
الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط وذلك ان تبعيد الشيء بغيره
لا يجب ان يكون من جميع الوجوه وانما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل فاذا

علم انه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية مستحيلة
وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها خارج عما هو الغرض في التشبيه على
انه انما علق تعالى جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله
فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى مجرى جواز
الرؤية في الاستحالة وليس يجب في كل ما علق بغيره ان يجري مجراه
في سائر وجوهه حتى اذا كان احدهما مع انتفائه مستحيلا كان الآخر
بمثابته لان تعليق دخول الكفار الجنة بولوج الجمل في سم الخياط
لم يكن مستحيلا بل معلوم ان الاول في المقدور وان كان لا يحسن والثاني 470
ليس في المقدور وهذه جملة كافية في تأويل هذه الآية وبيان ما فيها
والحمد لله

قال السيد رضي الله عنه اني لاستجيد قول ابي العيص بن
حزلم بن عبد الله بن قنان المازني

وكم من صاحب قد بان عني رميت بفقده وهو الحبيب
فلم ابد الذي تحنو ضلوعي عليه وانني لانا الكئيب
مخافة ان يراني مستكينا عدو او يساء به قريب
فيشمت كاشح ويظن اني جزوع عند نائبة تنوب
فبعدك شدت الاعداء طرفا اليّ ورابني دهر مريب

معنى شدت الاعداء طرفا اي نظروا اليّ نظرا شديدا وظهر الغضب في عيونها

وانكرت الزمان وذل اهلي وهرتني لغيبتك الكليب

يقال كلب وكليب مثل عبد وعبيد

وكنت تقطع الابصار دوني وان وغرت من الغيظ القلوب
وتمنعني من الاعداء اني وان رغموا لمحتشم مهيب

فلم ار مثل يومك كان يوما بدت فيه النجوم في المغيب
بليل ما انام به طويل كاني للنجوم به رقيب
وما يك جائيا لا بد منه اليك فسوف تجلبه الجلوب

مجلس اخر تأويل اية

ان سال سائل عن قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج
ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته
لعلكم تعقلون فقال كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكر البقرة والامر
بذبحها وقد كان ينبغي ان يتقدمه لانه انما امر تعالى بذبح البقرة ليكشف امر
القاتل فكيف اخر تعالى ذكر السبب عن المسبب وهذا الكلام هنا يقتضي
انه كان بعده ثم قال تعالى واذ قتلتم نفسا والرواية وردت بان القاتل 471
كان واحدا فكيف يجوز ان تخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من بينها واحد والى اي
شيء وقعت الاشارة بقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى الجواب
قلنا اما قوله تعالى واذ قتلتم نفسا ففيه وجهان اولهما ان تكون هذه الاية
وان كانت مؤخرة في التلاوة فهي مقدمة في المعنى على الاية التي ذكرت فيها البقرة ويكون
التاويل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسالتم موسى فقال لكم ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة فاخر المقدم وقدم المؤخر ومثل هذا في القران وكلام
العرب كثير ومثله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
قيما وقال الشاعر
ان الفرزدق صخرة عادية طالت فليس تنالها الاوعالا
اي طالت الاوعال فليس تنالها ومثله
طاف الخيال واين منك لماما فارجع لزورك بالسلام سلاما
اراد طاف الخيال لماما واين هو منك والوجه الثاني ان

يكون وجه تاخير قوله تعالى واذ قتلتم نفسا انه متعلق بما هو متاخر في الحقيقة
وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
لان الامر بضرب المقتول ببعض البقرة انما هو بعد الذبح فكانه تعالى قال فذبحوها وما
كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها ليكشف
امره فاما اخراج الخطاب مخرج ما يتوجه الى الجميع مع ان القاتل واحد فعلى
عادة العرب في خطابها لانها تخاطب الجماعة بما يكون من الواحد وتضيف الى العشيرة ما يكون
473 من احدها فيقول احدهم فعلت بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلانا وان كان
الفاعل والقاتل واحدا من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ فيقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون بتقديم المفعول على الفاعل وهو اختيار الكسائي وابي العباس ثعلب والمعنى
فيقتل بعضهم ويقتلون وهو ابلغ في وصفهم وامدح لهم لانهم اذا قاتلوا وقتلوا
بعد ان يقتل بعضهم كان ذلك ادل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم وقد
قيل انه كان القاتل اثنين قتلا ابن عم لهما وان الخطاب جرى عليهما
بلفظ الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه
الاول اولى لان المعنى يشهد له لان استعمال الظاهر له وان اكثر
اهل العلم على ان القاتل كان واحدا ومعنى فادارأتم فيها فتدارأتم اي تدافعتم
والقى بعضكم القتل على بعض يقال دارأت فلانا اذا دافعته وداريته اذا
لاينته ودريته اذا ختلته ويقال ادارأ القوم اذا تدافعوا والهاء
في قوله فادارأتم فيها تعود الى النفس وقيل انها تعود على القتلة اي اختلفتم
في القتلة لان قتلتم تدل على المصدر والقتلة من المصادر التي تدل
عليها الافعال ورجوع الهاء الى النفس اولى واشبه بالظاهر فاما
قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى فلا شك في انه اراد به احياء المقتول عند
ضربه ببعض اعضاء البقرة لانه روي انه قام حيا واوداجه
تشخب دما فقال قتلني فلان ونبه الله تعالى بهذا الكلام ونحو هذه

القصة على جواز ما أنكره مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام
الأموات لأنهم قالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا
جديدا فأخبرهم الله تعالى بأن الذي أنكروه واستبعدوه هين عليه غير
متعذر في اتساع قدرته وكان مما ضرب تعالى لهم من الأمثال ونبههم عليه
من دلالة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حيا وأراد تعالى
انني إذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة ويأس قومه
من عوده وانطوا خبر كيفية قتله عنهم ورددته حيا مخاطبا باسم
قاتله فكذلك فاعلموا أن إحياء جميع الأموات عند البعث لا يعجزني ولا
يتعذر علي وهذا بين لمن تأمله ٤٧٣

قال السيد المرتضى رضي الله عنه ومن الشعر المشهور بالجودة
في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها ونوائبها قول نهشل بن حري يرثي
أخاه مالكا

ذكرت أخي المحمود بعد تأيس فهاج علي ذكراه اشتياقي
فلا أنسى أخي ما دمت حيا وإخواني بأفرقة العناق
يجرون الفضال إلى الندامى بروض الحزن من كنفي أباق
ويغلون السباء إذا أتوه بضمر الخيل والشول العتاق
إذا اتصلوا وقالوا يال عوف وراحوا في المحبرة الرقاق
أجابك كل أروع شمري رخي البال منطلق الخناق
أناس صالحون نشأت فيهم فأودوا بعد إلف واتساق
مضوا لسبيلهم ولبثت عنهم ولكن لا محالة من لحاق
كذي الهلف الذي أدلجن عنه فحن ولا يتوق إلى مناق
أرى الدنيا ونحن نعيش فيها مولية تهيأ لانطلاق
أعاذل قد بقيت بقاء قيس وما حي على الدنيا بباق

كأن الشيب وله حولك تجبي إلى نفس الفتى فرسا سباق
فإما الشيب يدركه وإما بلاحقه حتفه فيما يلاقي
فلا يغررك الشباب بست شمط اللون واضحية المشاق
فهذا غد وبراجه أراني بها المتطلعات من الرواق
إلى كانت طبيبا فقد برهني أو بأعجمية عناق
يرامقن الجمال لعين وصل ولبس وصال حبلي بالرماق
وعهد الغانيات كعهد قين ونت عنه الجعائل مستذاق
القين الحداد والجعائل جمع جعالة وهي الخرقة وأراد أن القين إذا
عدم الجعالة رحل ولم يستقر في مكانه ٤٧٤
كجلب السوء يعجب من رآه ولا يشفي الحوائم من لماق
الجلب الغيم الذي لا مطر معه والحوائم العطاش واللماق الشيء
فلا يبعد مضاي في الموامي وإشرافي العلاية وانصفاقي
وعبر الغنام لطول عتق بمجلي الطرف سالمة المآقي
وقد طوفت للآفاق حتى سئمت النفس بالقلص العتاق
وكم قاسيت من سنة جماد تعض اللحم ما دون العراق
إذا أفنيتها بدلت أخرى أعد شهورها عدد الأواقي
فما أفنى الشهور وليس تفني وتعداد الأهلة والمحاق
وما سبق الحوادث ليث غاب يجر لعرسه جزر الرفاق
ولا بطل بعادي الكر منه فرار الطير من برد نعاق
وأحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله
يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا إلا وللموت في آثارهم حادي
يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت إلا تقرب آجالا لميعاد
ولأبي العتاهية في هذا المعنى

إذا انقطعت عني من العيش مدتي فإن غناء الباكيات قليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل
أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غني في العيون جليل
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى عشية يقري أو غداة ينيل
ولم يفتقر يوما وإن كان معدما جواد ولم يستغن قط بخيل
إذا مالت الدنيا إلى المرء رغبت إليه ومال الناس حيث يميل
أرى علل الدنيا علي كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
وإني وإن أصبحت بالموت موقنا فلي أمل دون اليقين طويل
وقد أحسن البحتري في قوله في هذا المعنى
أخي متى خاصمت نفسك فاحتشدها ومتى حدثت نفسك فاصدق

أرى علل الأشياء شتى ولا أرى التجمع إلا علة للتفرق
أرى العيش ظلا يوشك الشمس نقله فكيف في ابتغاء العيش كسبك أو حمق
أرى الدهر غولا للنفوس وإنما يقي الله في بعض المواطن من يقي
فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى وعرج على الباقي فسائله لم بقي
ولم أر كالدنيا حليلة صاحب محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عيانا وهي صنعة واحد فتحسبها صنعي لطيف وأخرق
وقيل إن سبب خروج البحتري عن بغداد إلى منبج في آخر أيامه كان من
أبيات له في بعض أغراضه تشنع عليه بالمعنى حين قال
فتحسبها صنعي لطيف وأخرق. وكانت العامة تجيبه غالبة
على الكلام فخاف على نفسه فقال لابنه أبي الغوث قم يا بني حتى نطفي عنا
هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود إلى منبج ولم يعد وللبحتري غاية
الإحسان أيضا في قوله
تغشى الخطوب فما أدري بما دهتني فيها أسيرا أو أظلمني نائبات

إن يتمنى تم أخلاق الخطوب وإن يشيع الدهر تسمع بالأعاجيب
وفي قوله
متى تستزد فضلا من العمر تغترف بسجليك من شهد الخطوب وصابها
تشذ بنا الدنيا بأخفض سعيها وغول الأفاعي بلة من لعابها
يسر بعمران الديار مضلل وعمرانها مستأنف من خرابها
ولم أرض الدنيا أوان مجيئها فكيف ارتضائيها أوان ذهابها
أقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن تخير آراء الحجى وانتخابها

سيردي دريء أو يبيرك أنه محبس إلى شقة يبليك بعد مآبها
وهل أنت في مرموسة طال لبثها ليعرض إلا حفنة من ترابها
ووجدت لبعضهم في هذا البيت أنك محبس بالباء
وتفسير ذلك أن المعنى أنك موقوف إلى أن تصير إلى هذا من قولك أحبست فرسا
في سبيل الله وأحبست داري أي وقفتها والرواية المشهورة أنك محلس
باللام والمعنى متهيئ للرحيل ومتخذ حلسا والحلس هو الكساء الذي يوضع
تحت الرحل وهذا أشبه بالمعنى الذي قصده البحتري وأولى أن يختاره
مع رقة طبعه وسلامة ألفاظه

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله
ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا
فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي جواز
الشرك على الأنبياء عليهم السلام لأنه لم يتقدم إلا ذكر آدم وحواء عليهما السلام

فيجب ان يكون قوله تعالى جعلا له شركا فيما اتيهما يرجع اليهما **الجواب**
قلنا كان ذكر ادم وحوا عليهما السلم قد تقدم فقد تقدم ايضا ذكر غيرهما في قوله تعالى
هو الذي خلقكم ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد ادم عليه السلم وقد تقدم ايضا ذكر ولد
ادم عليه السلم في قوله تعالى فلما اتيهما صالحا والمعنى فلما اتيهما ولدا صالحا
والمراد بهذا الجنس دون الواحد وان كان اللفظ لفظ واحدة والمعنى فلما
اتيهما جنسا من الاولاد الصالحين واذا كان الامر على ما ذكرناه جاز ان يرجع
قوله تعالى جعلا له شركا الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم **فان قيل** انما يجب
رده الى ادم وحوا عليهما السلم لان الاصل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الا
ذكرهما **قلنا** ان جعل هذا ترجيحا في رجوعه اليهما جاز ايضا
ان يجعل قوله تعالى في اخر الاية فتعالى الله عما يشركون وجها مقويا لان يرجع
اول الكلام الى جملة الاولاد ويجوز ان يكون المشير في التثنية الى الذكور ٤٧٧
والاناث من ولد ادم عليه السلم او الى الجنسين منهم فحسنت التثنية لذلك على انه
اذا تقدم في الكلام امران ثم تلاهما حكم من الاحكام وعلم بالدليل استحالة
تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الاخر واذا علمنا ان ادم عليه السلم
لا يجوز عليه الشرك لم يجز عود الكلام اليه ووجب عوده الى المذكورين من ولد
ادم عليه السلم **وذكر** ابو علي الجبائي في هذا ما نحن نورده
على وجهه قال انما عنى بهذا ان الله تعالى خلق بني ادم من نفس واحدة
لان الاضمار في قوله تعالى خلقكم انما عنى به بني ادم والنفس الواحدة التي خلقهم
منها هي ادم لانه خلق حوا من ادم ويقال انه تعالى خلقها من ضلع من
اضلاعه فرجعوا جميعا الى انهم خلقوا من ادم وبين ذلك بقوله وخلق منها
زوجها لانه عنى به انه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو
حوا عليها السلم وعنى بقوله تعالى فلما تغشيها حملت حملا خفيفا
وحملها هو حبلها منه في ابتدا الحمل لانه في ذلك الوقت خفيف عليها

بقوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة كما ذكرناه في اول الاية اخبر عن جملة امر البشر
وانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما ادم وحوا عليهما السلم ثم عاد
الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه ادعى الشركا في
عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين
خصوصا اذا كان كل بني ادم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ويجب ان يكون
المعنى في قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة
وهذا قد يجي كثيرا في القران وفي كلام العرب قال الله تعالى والذين
٤٧٨ يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة والمعنى
فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة وقال تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا لتسكنوا اليها فلكل نفس زوج هو منها اي من جنسها فلما تغشيها
اي تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ما الفحل فمرت به اي مارت
والمور التردد والمراد تردد هذا الما في رحم هذه الحامل فلما اثقلت
اي ثقل حملها فصير ذلك الما لحما ودما وعظما دعوا الله اي الرجل
والمراة لما استبان حمل المراة فقالا لين اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين
فلما اتيهما صالحا اي اعطاهما ما سالا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركا
معه فتعالى الله عما يشركون **وقال قوم** معنى جعلا له
شركا اي طلبا من الله تعالى امثالا للولد الصالح فاشركا بين الطلبتين ويجري هذا
في قوله له راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجري مجرى قول القائل
طلبت مني درهما فلما اعطيتك اشركته باخر اي طلبت اخر مضافا
اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان يكون قوله تعالى جعلا والخطاب كله
متوجها الى ادم وحوا عليهما السلم

مجلس آخر تأويل آية

ان حكمه ... بقوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون
أنه مطابق لهذا القول تقع أنه خالق أعمال العباد لأن ما ها هنا بمعنى الذي
فهذا ... فإن خلقكم وخلق أعمالكم فالجواب
قلنا قد حمل أهل الحق هذه الآية على أن المراد بقوله تعالى وما تعملون أي ما
تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما التي كانوا يتخذونها أصناما ما يعبدونها
قالوا وهذا غير منكر أن يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك كما أنه قد أراد بما
ذكرناه بقوله تعالى تعبدون ما تنحتون الذي لم يرد تعالى أنكم تعبدون
نحتكم الذي هو فعلكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت وكما قال تعالى في عصا
موسى عليه السلام تلقف ما يأفكون وتلقف ما صنعوا وإنما أراد تعالى أن العصا
تلقفت الحبال التي أظهروا السحر فيها وهي التي حلت بها صنعتهم وإفكهم ٢٧٩
فقال تعالى ما صنعوا وما يأفكون وأراد تعالى ما صنعوا فيه وما يأفكون فيه
ومثله قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وإنما أراد تعالى المعمول
فيه دون العمل وهذا في الاستعمال أيضا سائغ شائع لأنهم يقولون هذا
الباب عمل النجار وفي الخلخال هذا عمل الصائغ وإن كانت الأجسام
التي أشير إليها ليست أعمالا لهم وإنما عملوا فيها فحسن إجراء هذه
العبارة فإن قيل كل الذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى
وجه المجاز والاتساع لأن العمل في الحقيقة لا يجري إلا على فعل
الفاعل دون ما يفعل فيه وإن استعير في بعض المواضع قلنا
ليس نسلم لكم أن الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم
الذي لا يستفاد سواه لأن القائل إذا قال هذا الثوب عمل فلان لم
يفهم منه إلا أنه عمل فيه وما رأينا أحدا قط يقول في الثوب ... إن
قوله هذا من عمل فلان إنما هذا أقام جملة عمل فلان فأولى
بأن يكون حقيقة وليس ينكر أن يكون له أصل في الحقيقة ما ذكروه

ومعنى قوله فمرت به أنها مرددها بهذا الحمل وتصرفها به كما كانت عليه من قبل لخفته فلما
كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها وهو معنى قوله تعالى فلما أثقلت فثقل عليها
عند ذلك المشي والحركة وعنى بقوله تعالى دعوا الله ربهما أنهما دعوا
عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتيتنا يا رب نسلا صالحا لنكونن
من الشاكرين لنعمك علينا لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد يؤنسونهما في
الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين وإذا غاب
أحدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا بلا مؤنس فلما آتاهما نسلا
٢٨٠ صالحا معافى وهو اسم للأولاد الذين كانوا يولدون لهما لأن حواء عليها السلام
كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى فيقال إنها ولدت خمسمائة بطن في ألف
ولد وعنى بقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما
أي أن هذا النسل الصالح الذي هم ذكر وأنثى جعلا له شركاء فيما آتاهما
من نعمه وأضافا بعض تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهة مع الله عز وجل
من الأصنام والأوثان ولم يعن بقوله تعالى جعلا آدم وحواء عليهما السلام
لأن آدم لا يجوز عليه الشرك بالله تعالى لأنه نبي من أنبياء الله عليهم السلام
ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن نثق أحدا بما يؤديه
النبي عن الله تعالى لأن من جاز عليه الكفر كما جاز عليه الكذب ومن جاز
عليه الكذب لا يوثق بأخباره فصح بهذا أن المراد في قوله تعالى
جعلا إنما عنى بها النسل وإنما ذكر ذلك على سبيل التثنية لأنهم كانوا
ذكرا وأنثى فلما كانوا صنفين جاز أن يجعل تعالى إخباره عنهم كالإخبار
عن اثنين إذ كانا صنفين فقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في
آخر الآية فتعالى الله عما يشركون فبين تعالى أن الذين جعلوا لله شركاء هم
جماعة وهذا جعل الأصنام ثم أضاف إلى الجماعة فقال تعالى يشركون
مضى كلامه أي علي وقد قيل في قوله تعالى فلما آتاهما صالحا

مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انهما ارادا ان الصالح استوا في الخلقة
بعيد [illegible] وانه لو اراد الصالح
في الدين لكان الكلام ايضا مستقيما لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر بعد
صلاحه فيكون في حال الصلاح [illegible] مشركا وهذا لا ينافي وقد
استشهد في جواز الانتقال من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور
الى غير مذكور بما يصحح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحوا عليهما السلم
الى ولدهما بقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله
فانصرف عن مخاطبة الرسول عليه السلم الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال وتعزروه
وتوقروه يعني الرسول عليه السلم ثم قال وتسبحوه يعني مرسل الرسول فالكلام
واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقول الهذلي

يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر

ولم يقل بياض وجهه وقال كثير

اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

فخاطبها ثم ترك الخطاب وقال الآخر

فدى لك ناقتي وجميع رحلي وما لي انه منه اتاني

ولم يقل منك اتاني وقصد ابا مسلم
ان يحمل هذه الاية على ان الخطاب في جميعها غير متعلق بآدم وحوا عليهما السلم
ويجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا الله ربهما واتاهما صالحا راجعة
الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحوا الا قوله خلقكم من نفس واحدة
الى الخلق عامة وكذلك قوله تعالى وجعل منها زوجها ثم خص منها بعضهم
كما قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص راكب البحر

الو اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد
به الماضي وكانه تعالى [illegible] قلنا هذا عدول
منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به وليس انتم بان تعدلوا عنه باولى
منا بل نحن احق لانا نعدل عنه بدلالة وانتم تعدلون لغير حجة فان قالوا
فانتم ايضا تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تاويلكم وتحملون لفظ الاستقبال
على الماضي قلنا لا نحتاج نحن في تاويلنا الى ذلك لانا اذا
حملنا قوله تعالى وما تعملون على الاصنام المعمول فيها ومعلوم ان الاصنام
موجودة قبل عملهم فيها فجاز ان يقول تعالى اني خلقتها ولا يجوز ان يقول اني
خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل على انه لو اراد تعالى بذلك اعمالهم لما
عملوا فيه على ما ادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لان الخلق
هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا لفعل غيره
اذا قدره ودبره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا
لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى خلقه لافعال العباد انه مقدر لها ومعرف لنا
مقاديرها ومراتبها وما يستحق عليها من الجزا وليس يمتنع ان يقال انه
خالق للاعمال على هذا المعنى اذا لم تقع للايهام وفهم المراد بهذا كله
يقتضيه الاية ولو لم يكن في الاية شي مما ذكرناه مما اوجب العدول
عن حمل قوله تعالى وما تعملون على خلق نفس الاعمال لوجب ان نعدل بها
عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه بالادلة العقلية الدالة على انه تعالى
لا يجوز ان يكون خالقا لاعمالنا وان تصرفنا محدث بنا ولا فاعل له سوانا
وكل هذا بين واضح والمنة لله ۝

قال السيد رضي الله عنه واني لاستحسن لبعض نساء بني اسد
قولها

الم تر انا غبطنا ما ونا زمانا فظلنا نكد الابارا ۝

فلما ... كلاهما وخفا لهما ذ ... حوارا

وضجت الى ... في السماء ... تبعضها في ... اسرارا

فتحت ... اهلها عجيج الجمار ورذاذ ... جفارا

لبسنا الى عظم ليلة على الياسر اتانا بها والخمارا

وقلنا اعبروا ان المنى حقه وصبر الحفاظ وموتوا احرارا

فان الذي لعسى مرة يرد الى اهله ما استعارا

فبينا نوطن احشاءنا اضاء لنا عارض فاستطارا

واقبل زحف يحف الاسير سباقا والرعاء ابطا العشارا

يغني ويضحك حافاته خلال الغمام وتبكي مرارا

كانا يضيء لنا حقه تشد ازارا وتلقي ازارا

فلما خشينا بان لا نجاء وان لا يكون قرار قرارا

اشار له امر فوقه هلم فاوم الى ما اشارا

وانشد ابو هفان لولادة المهزومية

ابو ... اتقاه الله ... يبلغ الثقلان فيه مقامي

بابوة في الجاهلية سادت بدا والعلى امرا في الاسلام

جادوا وافسدوا وما فيهن اذا ... بذل على الاقوام

قد انجبوا في السودد من انجبوا بنجابة الاخوال والاعمام

قوم اذا سكتوا تكلم مجدهم عنهم باحسن من كلامهم

وقالت امرأة من بني سعد بن بكر

ابا اخوي الملزمي ملامة اعيذكما بالله من مثل ما بيا

سالتكما بالله انهما جعلتما مكان الاذى واللوم ان تاويا ليا

ابا ... صاحب الهلال لي ... شطون النوى ... عرضا بما نبا

٤١٣

٤٨٤

ثم استعير بعد ذلك الاستعمال الى ما ذكرناه ... اخص ... من الكلام سواه ثم استقلت الفاظ كثيرة على ... الاعداد ... من الالفاظ التي بما يستقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه ... ان يعبر المفهوم والظاهر من الابنية ما ذكرنا على انا لو تكلمنا ان ذلك حسب المصير اليه من وجوه منها ما يشهد به ظاهر اللغة ولا يسوغ سواه ومنها ما تقتضيه الادلة القاطعة الخارجة عن اللغة فمن ذلك انه تعالى اخرج الكلام مخرج التبجح لهم والتوبيخ لافعالهم ولهذا زراء على مذاهبهم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون المراد ومتى لم يكن قوله تعالى وما تعملون تعملون فيه ليصير تقدير الكلام اتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق ما تعملون التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا يطابق باب التوبيخ وتصير على ... الحالف كانه تعالى قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عبادتكم فاي وجه للتقريع وهذا الى ان يكون عذرا اقرب من ان يكون لوما وتوبيخا واذا خلق عبادتهم للاصنام فاي وجه للومهم عليها وتقريعهم بها على ان قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون بعد قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره فلا بد ان يكون متعلقا بما تقدم وقوله تعالى اتعبدون ما تنحتون ومعنى ... المنع من عبادة غيره فلو اراد بقوله تعالى وما تعملون نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما كانوا يعبدون محل النحت ولانه كان الاحفظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام فكذلك لو حمل قوله تعالى ما تعملون على الاعمال والنحت لبستر حجتهم والتي ما عملوا فيه لكان اظهر في باب التعنيف والتوبيخ والبعد عن التعلق بما تقدم انه اراد تعالى به خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف

٤٨٥

تعبدون مخلوقا مثلكم فان قيل ليس يخرج ما ذكرتموه ... على ...
القول الذي حكيناه في باب المنع من عبادة الاصنام وما تدعون ان حمل ما ذكرتموه
يقتضي المنع من ذلك وان كان ما ذكرتموه ايضا لو اريد لكان وجها وهو ان
من خلقنا وخلق افعالنا فينا لا يجوز الا ان يكون الاله القديم الذي تحق له العبادة
وحده القديم تعالى لا يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا الافعال على الوجه
الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تاثير قلنا معلوم ان الذي
اذا كان كذلك لا تعلق له في المؤثر في المنع من العبادة فلان يجب انكم مخلوقون
وما تعبدونه اولى من ان يصرف الى ما ذكرتموه لانه يقتضي الكراهة لخلقهم
دون خلق ما عبدوه وانه اشد ادل على المنع من عبادة الاصنام من كونها
مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر
اتشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون
فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة الالهة دونه انها مخلوقة لا تخلق شيئا
ولا تدفع عن نفسها ضررا ولا عن غيرها وهذا واضح على انه لو سلم ما ذكروه
على ما ذكرناه في التعلق بالآية لم يسغ حمله على ما ادعوه لان فيه عذرا
لهم في الفعل الذي عنفوا به وقرعوا من اجله ومحال ان يوبخهم بما يعذرهم
ويقرعهم بما يبرئهم على ما تقدم على انا لا نسلم ان من يفعل افعال العباد
ويخلقها يستحق العبادة لان من جملة افعالهم القبائح ومن فعل القبائح
لا يكون الها ولا يستحق له العبادة فخرج ما ذكروه من ان يكون مؤثرا في انفراده
في العبادة على ان اضافة العمل اليهم بقوله تعالى ما تعملون يبطل تاويلهم
هذه المقالة لانه لو كان تعالى خالقا لها لم يكن عملا لهم لان العمل انما
يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون عملا لهم والله خلقه وهذه
مناقضة فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا ايضا على ان قوله تعالى وما
تعملون يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول

٢٣٥

أتم تغصن البان ... شغفت به لو كان شيئا مدانيا ...
فان لم أوسد ساعدي بعد ... ما ... فسل ...
ثكلتك ان ... لشيء ولا ما العمامة غاديا

ولصاحبة الهلالية

ألم تر كثيرا ... جلة يطلبني برقا يمانيا
ألا ليتنا والنفس تشكو للمنى يكون أمسي حبيب يمانيا

٤٨٦

ولها

وإني لأهوى القصد ثم يردني عن القصد ميلات الهوى فأميل
وما وجد مشغوف بصعب ... بساقه من حبله ... كبول
وما إبل مولى مسلم لجريرة له بعدما نام العيون عويل
بأكثر مني لوعة يوم راعني فراق حبيب ما إليه سبيل

ولعمرة بنت العجلان أخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي ترثي أخاها عمرا وكان في بعض غاراته نائما فوثب عليه نمران فأكلاه فوجدت فهم سلاحه فادعت قتله

سألت بعمرو أخي صحبه فأفظعني حين ردوا السؤالا
فقالوا أتيح له نائما أعز السباع عليه أحالا
أتيح له نمرا أجبل فنالا لعمرك منه منالا
فأقسمت يا عمرو لو نبهاك إذا نبها منك أمرا عضالا
إذا نبها ليث عريسة مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
هزبرا فروسا لأعدائه هصورا إذا لقي القرن صالا
هما مع تصرف ريب المنون من الأرض ركنا ثبيرا أمالا
هما يوم حم له يومه وقال أخو فهم بطلا وفالا

معي نفر الحل حسبهم بقال جرى واولي الرأي
وقالوا ... غانم ما آية ما ان ورثتنا النبالا
فقط ... لعلامة ان ورثتم النبالا
متى ما اقبل ريب المنون فقد كان رجلة وكنتم رجالا
علمت فهم يوم اللقاء بانهم لذاك كانوا ثقالا
بعاد رجل ورجل والثقال العمائم
كأنهم لم يحسوا به فيخلوا النساء له والحجالا
ولم ينزلوا بمحول السنين به فيكونوا عليه عيالا ٤٨٧
وقد علم الضيف والمجتدون اذا اغبر افق وهبت شمالا
وظلت عراه لديها المرضعات ولم ترعين لمزن بلالا
بانك كنت الربيع المغيث لمن يعتريك وكنت الثمالا
وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا
وخيل سمت لك فرسانها فولوا ولم يستقلوا قبالا
وكل قتيل وان لم تكن اردتهم منك باتوا وجالا

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فقال اليس ظاهر هذه الآية يقتضي ان نصح النبي عليه السلام لا ينفع الكفار الذين اراد الله تعالى بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم الجواب قلنا ليس في ظاهر

الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية او ارادها وانما اخبر ان نصح النبي عليه السلام لا ينفع ان كان الله تعالى يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك او جوازه ووقوعها لا دلالة عليه في الظاهر على ان الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر

٤٨٨ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

فكانه تعالى قال ان كان الله تعالى يريد ان يعاقبكم لسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان تقلعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال تعالى فسوف يلقون غيا وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم الآية فاخبر ان نصحه لا ينفع من يريد الله تعالى ان ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا وقال جعفر بن حرب ان الآية تتعلق بقوم كانوا في قوم نوح عليه السلام طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان كان القول على ما تقولون من ان الله تعالى يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحا وانتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد وروي عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو انه قال المعنى فيها ان كان الله تعالى يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه وآمنتم به لان من حكم الله تعالى ان لا يقبل الايمان عند نزول العذاب وكل هذا واضح في زوال الشبهة في الآية قال السيد رضي الله عنه ومن مستحسن ما قيل في صفة

المصلوب قول أبي تمام الطائي في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الأفشين وصلبه وحرقه

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى
نارا يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شق إزار
طارت لها شعل يهدم لفحها أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لأعظم مشرك ما كان يرفع ضوءها للسار
٤١٩ صلى لها حيا وكان وقودها ميتا ويدخلها مع الفجار
وكذاك أهل النار في الدنيا هم يوم القيامة جل أهل النار
يا مشهدا صدرت بفرحته إلى أمصارها القصوى بنو الأمصار
رمقوا أعالي جذعه فكأنما رمقوا الهلال عشية الإفطار
واستنشقوا منه قتارا نشره من عنبر ذفر ومسك دار
وتحدثوا عن هلكه كحديث من بالبدو عن متتابع الأمطار
قد كان بوأه الخليفة جانبا من قلبه حرما على الأقدار
فسقاه ماء الخفض غير مصرد وأنامه في الأمن غير غرار
ولقد شفى الأحشاء من برحائها أن صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان إذ هما في الغار
وكأنما انتبذا لكيما يطويا عن ناطس خبرا من الأخبار
سود اللباس كأنما نسجت لهم أيدي السموم مدارعا من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن يراهم خالهم أبدا على سفر من الأسفار
كادوا النبوة والهدى فتقطعت أعناقهم في ذلك المضمار

وله يذكر صلب بابك

لما قضى رمضان منه قضاءه شالت به الأيام في شوال
ما زال مغلول العزيمة سادرا حتى غدا في القيد والأغلال
متلبسا بالبأس طوقا فادحا لما استبان فظاظة الخلخال
أهدى لمتن الجذع متنيه كذا من عاف متن الأسمر العسال
٤٩٠ لا كعب أسفل موضعا من كعبه مع أنه عن كل كعب عال
سام كأن العز يجذب ضبعه وسموه من ذلة وسفال
متفرغ أبدا وليس بفارغ من لا سبيل له إلى الأشغال

قال السيد المرتضى رحمه الله ومن عجيب الأمور أن أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار ينشد مثل هذه الأبيات المفرطة في الحسن في جملة مقابح أبي تمام وما خرجه من غلطه وسقطه ويقول في عقبها ولم يسمع بشعر فيه صفة مصلوب بأغث من هذا الوصف وأين كان عن مثل قول إبراهيم بن المهدي يصف أمر بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم

ما زال يعنف بالنعمى فنفرها عنه الغموط ووافته الأراصيد
حتى علا حيث لا يحط مجتمعا جمعا له أبدا ما أورق العود
يا بقعة ضربت فيها علاويه وعنقه وذوت أغصانه الميد
بوركت أرضا وأوطانا مباركة ما عاد في الأرض للتقديس تعديد
لو تقدر الأرض جنت للبلاد فلا يبقى على الأرض إلا [illegible] جلمود
لم يبك إبليس إذ يجبى البصرة في زيه وهو فوق الفيل مصفود
كناقة الحجر تهوي تحت ذنبها وحد شفرتها للنحر محدود
ما كان أحسن قول الناس يومئذ أنعم بابك هذا أم هو العيد
صيرت جثته جيدا لباسقة جرداء والرأس منه ما له جيد
فاض يلعب هوج العاصفات به على الطريق صليبا طرفه عود

كأنه شلو كبش والهواء له تنور شاوية والجذع سفود
وهكذا ينبغي أن يطلع على أبيات أبي تمام من يستجيد مثل هذه الأبيات ويفرط في
تقريظها وليت من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أستر
عليه وأولى به وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني
والألفاظ وسلامة السبك واطراد النسج وأبيات ابن
المعتز مضطربة الألفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شيء يحسن
أن يوضع عليه البداية قوله
حتى علا حين حط البيت وبعد البيت الأخير وإن كان بارد اللفظ ٤٩١
وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله

ما زال يعنف بالنعمى ويغمطها حتى استقل به عود على عود
نصبته حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه أضبع البيد

وللبحتري في هذا المعنى قصيدة يمدح فيها أبا سعيد أولها

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل يرد قولا على ذي لوعة يسل
إن عز دمع في الرسول فلم يصب عليها فعندي أدمع ذلل
هل أنت يوما مغيري نظرة فترى في دجلة بين عيرا سيرها رمل
حنو النوى بحذاة ما لها نظر غير العمى وجماد ما لها عقل

يقول فيها

تحمله البرد من أقصى الثغور إلى ذي العراق سراعا عادتها عجل
بسر من رأى منكوسا تجاذبه أيدي الشمال فضول كلها فضل
أمسى بزحزحة الشمس جانبه عن مالك فهي في آل قبيل تشتعل
تفاوتوا بين مرفوع ومنخفض على مراتب ما نالوا وما فعلوا
ذا الهجير لحاهم بعد شعلهم سودا فعادوا أشابا بعد ما كهلوا

سماله حالين أنه ساد في لمة من المنايا فأمسى وهو محتفل
حالي المدارع في السابقين لو صدقته المنى لتمنى أنه عطل
من بعد مطبوع بالشام في نفر أمسى بودون ود لو أنهم قتلوا
عام لعله أبعض أدنى غبه فيهم فيها فلا وصلت إليه الكتب والرسل

وله في هذا المعنى

٤٩٢ ما زلت تقرع باب بابك بالقنا وتزوره في غارة شعواء
حتى أخذت بنصل سيفك عنوة منه الذي أعيا على الأمراء
أخليت منه البذ وهي قراره ونصبته علما بسامراء
لم يبق منه خوف بأسك مطمعا للطير في عود ولا إبداء
فتراه مطردا على أعواده مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفا للشمس منتصبا لها في أخريات الجذع كالحرباء

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال كيف أخبر تعالى أنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية والظاهر يقتضي أنه أنزل الجميع فيه وما المعنى في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل أراد بذلك الإقامة والحضور اللذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والإدراك بالحواس قلنا أما قوله تعالى أنزل فيه القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق بإنزاله بعد ذلك على نبيه صلى الله عليه وسلم بحسب ما يدعو الحاجة إليه وقال آخرون المراد بقوله تعالى أنزل فيه القرآن أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وأنزل الله في

... مكلفة ... ظن انه
لما عرفنا ... وهو بعد ثابت على ما كان عليه لان قوله تعالى القرآن لا ان
يقتضي كل شيء انزل جميع القرآن فيجب على هذا الجواب ان يكون قد انزل
في فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم ان كثيرا من القرآن نزل بعد
تحريم شهر رمضان وان كثيره خال من ذلك فان قيل المراد بذلك
انه انزل في فرضه شيئا من القرآن وبعضا منه قيل فالا اقتصر
على هذا او حمل الكلام على انه تعالى انزل شيئا من القرآن في شهر رمضان
فلم يحتج الى ان يجعل اللفظة فيه بمعنى في فرض صومه وايجاب صومه والجواب
الصحيح ان قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق
وانما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكانه تعالى قال شهر رمضان الذي ٤٩٣
انزل فيه هذا الجنس من الكلام فاي شيء نزل منه في الشهر فقد
طابق الظاهر وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام ها هنا لا يكونان
الا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم
والصورة المقتضية لاستغراق الجميع لم يجب ان نحملها ها هنا على
الصفة لان هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة من الكلام
ولا يراد بها اكثر من الاشارة الى الجنس والطبقة من غير استغراق
وعموم حتى يجري حمل كلام المتكلم بها على خصوص او عموم كالمناقض
لغرضه والمنافي لمراده الا ترى ان القائل اذا قال فلان ياكل اللحم ويشرب
الخمر وضرب الامير اللصوص وخاطب الجند لم يفهم من كلامه
الا محض الجنس والطبقة من غير خصوص ولا عموم حتى لو قيل له
فلان ياكل جميع اللحم او يشرب جميع الخمر او بعضهما لكان جوابه
انني لم ارد عموما ولا خصوصا وانما اردت انه ياكل هذا الجنس من الطعام
ويشرب هذا الجنس من الشراب فمن قدم في كلامه معنى العموم او الخصوص

اليه باصبعها من وداعه عند الرحيل مع ذلك ان اصابعها بالعنم والعنم نبت
اغصانه غضة دقاق تشبه بالبنان وقيل ان العنم واحدته عنمة وهي
العظاية الصغيرة البيضاء وهي اشبه شيء بالاصبع البيضاء الغضة وهذا
حكاه صاحب كتاب العين وقيل ان العنم نبت له نور احمر تشبه به
الاصابع المخضوبة فوجه حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصابع
٤٩٤ التي تشبه العنم فجمع بينهما لذلك والحاجة به الى ذكر الانامل المخضوبة
على ما ظن ابو العباس بل ذكر المشبه به افصح واحسن من ان يقول
التوديع والانامل التي تشبه العنم فاما قوله ان التوديع لا
يستقبح وان يستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة الشاعر بما لا يطالب بمثله
الشعراء لان التوديع اذا كان منذرا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب فلا
محالة انه مكروه مستقبح فقول من يستقبح عاقبته صحيح لان ما
يعقبه ويثمره لما كان عند صاحبه متيقنا مذكورا عاد له استكراهه
واستقباحه ونحن نعلم ان الناس يكرهون ويستقبحون تناول الاشياء
الملذة من اغذية وغيرها اذا علموا ان في عواقبها من المكروه فان من قدم اليه
طعام مسموم وعلم بذلك يكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء
عاقبته ولو كان ملذا في الحال ولم يزل الشعراء يذكرون لعينها الوداع
ويصفونها بما يتصور فيه من الم الفرقة وغصص الوحشة وهذا مشهور معروف
وقد قال ابو تمام

الفة النحيب كم افتراق اظل فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا لموقوف على ترح الوداع

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الاياب وهذا صحيح فاما قول احمد
اتنسى اذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام
وانه دعا للبشام وهو يتحسر بالسقيا لانها ودعته عنده فسر بتوديعها

وقول الشاعر

من يكن يكره الفراق فإني أشتهيه لموضع التسليم

إن فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقة لقدوم

فمن شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم ومقاصدهم فإذا أراد أحدهم
مدح شيء قصد إلى محاسنه وأوصافه فذكرها وأشاد بها حتى كأنه لا وصف
له إلا ذلك الوصف الحسن وإذا أراد ذمه قصد إلى القبيح من أحواله فذكره
حتى كأنه لا شيء فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا أتى أحدهم
يقصد إلى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وأن العمر معه أطول وما
أشبه ذلك ويقصد إلى ذمه فيصف ما فيه من الدنو إلى الأجل وأنه آخر الأول
وأبغضها إلى النساء وما أشبه ذلك وعلى هذا سبيلهم في كل شيء وصفوه
فلمدحهم موضعه ولذمهم موضعه فمن ذم الوداع لما فيه من الإنذار ٤٩٥
بالفراق وبعد الدار فقد أصاب مذهبا صحيحا كما أن من مدحه لما فيه من القرب
من المحبوب والسرور بالنظر إليه وإن كان يسيرا فقد أصاب أيضا مذهبا
وقد غلط ابن عمار القبيح قوله بعد أن أنشد شعر المجنون وهذا من الصالح
استعاره الناس بعد فقال الشاعر

النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف عنم

وهذا البيت للمرقش الأكبر وهو والمرقش الأصغر جميعا كانا على عهد
مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الأكبر بعد قول
المجنون لولا الغفلة

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون
فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى عليه السلام القرآن

في الرقيق بعده

وكل ... إلى الجنس ... للعموم
عموا أو لكم فالأدق للجنس في كل موضع على الله
بظنه أنهما أن العموم والخصوص مفهومان في بعض المواضع
ملكا لكم يشار بها إلى الجنس والطبقة من غير أن يراد عموم ولا خصوص
متميز وقد ذكرنا أمثلة لذلك فأما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر ٤٩٤
فأكثر المفسرين حملوه على أن المراد من شهده كان مقيما
مسافرا ولو عمل على حمله على أن المراد به من أدرك الشهر وشاهده
وهو متكامل الشروط فليصمه لجاز لأن معنى شهد إلى معنى الإدراك
والمشاهدة ويقطع قوله على أنا وبه على وقالوا ليس يحتمل الكلام إلا
الوجه الأول وليس الأمر على ما ظنوه لأن الكلام يحتمل الوجهين معا وإن كان
القول الأول يترجح ويقوى على القول الثاني من حيث يحتاج في الثاني من
الإضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه في القول الأول لأن على القول الأول يحتاج
إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر لأن قوله تعالى شهد يقتضي الإقامة
وإنما يحتاج إلى إضمار ما في الشروط من الإمكان والبلوغ وغير ذلك وفي القول
الثاني يحتاج مع كل ما أضمرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة ويقوى
القول فمن شهد الشهر وهو مقيم مطيق بالغ إلى سائر الشروط فهذا الوجه
كان القول أقوى وليس لأحد أن يقول إن شهد بنفسه من غير محذوف ابتدل
على الإقامة وذلك أن الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد إذا أطلق ولم
يضف فإن ذلك الإقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب والمسافر وإن كانوا
أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولم يقيدوا هذا المعنى
وفي الإطلاق شهد ذلك على الإقامة من غير تقدير محذوف وهو فعلن
كافية ه قال السيد رضي الله عنه

وعِيبَ أبا العباس عيّابٌ على أبي تمام قوله
لما استحرّ الوداعُ المحضُ وانصرمت ... أواخرُ الصبر إلا كاظمًا وجما
رأيتُ أحسنَ مرئيٍّ وأقبحَه ... مستجمعَين لي التوديعَ والعَنَما
قال أبو العباس وهذا أفرط ثم مثّله على شاعر متقدم وهو
أن جمع بين كلمتين إحداهما لا تناسب الأخرى وهو قول الكميت
وقد رأينا بها حُورًا منعّمةً ... بيضًا تكامل فيها الدلّ والشنبُ
فقيل له أخطأت وباعدت بقولك الدل والشنب ألا قلت
كقول ذي الرمة
بيضاء في شفتيها حوّة لعسٌ ... وفي اللثات وفي أنيابها شنبُ
قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنما فجعل المنظر القبيح للتوديع
والتوديع لا يستقبح وإنما تستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر
الحسن للخضاب فشبّهه بالعنم ولم يذكر الأنامل المخضّبة قالوا وإنما
يتبع قول المجنون
ويُبدي الحصى منها إذا قذفت به ... من البُرد أطراف البنان المخضّب
قال وهذا الأصل استعاره الناس بعده فقال الشاعر
النشر مسكٌ والوجوه دنانيرُ وأطراف الأكف عنم
وأغرب أبو نواس في قوله
تبكي فتذري الدرّ من نرجسٍ ... وتلطم الورد بعنّاب
قال فلم يحسن هذا العلج أن يتبع شيئًا من محاسن القائلين
قال السيد رضي الله عنه ومن الغلط ابن عمار وسفه
على أبي تمام أن الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل لأن الدل من الحركة
وحسن الهيئة والشنب وهو برد الأسنان فيطلق عليه بعض العجب
وأبو تمام جمع بين شيئين غير متفقين لأن التوديع إنما أشار به إلى ما أشار ٤٦٧

علينا ثم نذمّها قال تراه كأن الله يجدع أنفه وكان معنى يجدع هو يفسد العضو
والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه وكأنه قال تراه كأن الله يجدع أنفه
أي يفسده ويشوّهه ثم قال وعينيه وكذلك لما كان السامع للفظ ... حسناء
عالمًا به عطف على المعنى فقال ولبسن حسناء وبردًا أي إنه يعلم هذا
وذاك معًا وكذلك لما كان في قوله علفتها معنى غذيت عطف عليه الماء الذي
ثم تغتذي به وكذلك لما قال المتقلد للسيف حاملًا له جاز أن يعطف عليه
٤٩٨ الرمح المحمول وهذا أولى في القطع على أنه تشهد بتلك الأبيات ثم ذكر
ابن الأنباري
قال السيد المرتضى رضي الله عنه أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد
الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال أخبرنا
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال دخل خالد بن صفوان التميمي
على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري قال فألفيته
جالسًا على كرسي له في بركة ماء ونحو الكعبين فدعا بكرسي فجلست عليه فقال
يا خالد رب خالد جلس مجلسك كان ألوط بقلبي وأحب إليّ منك فقلت يا أمير المؤمنين
إن حلمك لا يضيق عنه ولو صفحت عن جرمه فقال يا خالد إن خالدًا أدلّ فأملّ
وأوجف فأعجف ولم يدع لراجع مرجعًا ولا للعودة موضعًا ثم قال ألا أخبرك
عنه يا ابن صفوان قلت نعم قال إنه ما بدأني بسؤال حاجة منذ قدم العراق
حتى أكون أنا الذي أبدأه بها قال خالد فقلت فذلك أحرى أن تعود إليه
فقال متمثلًا
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل
ثم قال ما حاجتك يا ابن صفوان فقلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير فأطرق
ثم قال ولِمَ وفيمَ ولأية علة أحسنتها فنعينك عليها أم لبلاء حسن أبليته عند
أمير المؤمنين أم لماذا يا ابن صفوان إذًا يكثر السؤال ولا يحتمل ذلك بيت

٤٩٩

الطف [illegible] يا امير المومنين وفضلك [illegible] كما انك والله كما قال الاعشى

[illegible]

[illegible]

اخا المالكم يوجد عليه عطاه قراه [illegible] وصديق توامقه

منعت ولبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلذك المالكم حين تلاقه

فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على بيتي الاعشى له

قال احببت ان يمنع غيري كما منعني فيلتمس من يلومه قال

السيد المرتضى رضي الله عنه وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة

ومن اسناد المقتبع للمدايني قال قال حفص معوية بن عمرو الغلابي

قلت لخالد يا با صفوان اني لاكره ان تموت وانت من ايسر اهل

البصرة فلا يبكيك [illegible] قال فما يعني امراة قلت صفها

اطلبها لك قال اريدها بكرا كثيب او ثيبا كبكر لا ضرعا صغيرة

ولا مسنة كبيرة لم تقرا فتحبن ولم تعنت فتمجن من نشات في نعمة

وادركتها خصاصة فادبها الغنى واذلها الفقر حسبي من جمالها

ان تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسنها ان تكون واسطة

في قومها ترضى مني باليسير ان عشت اكرمتها وان مت ورثتها لا ترفع

راسها الى السماء بطرا ولا تضعه الى الارض سقوطا فقلت يا با صفوان

ان الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها وكان يقول

ان المروة لو خف محملها وقلت موونتها ما ترك اللئام فيها للكرام مبيت

ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت موونتها فاجتنبها الكرام وحاد عنها اللئام

وكان خالد من اشح الناس والامهم كان اذا اخذ جائزة او غيرها قال

للدرهم لطالما والله لطالما غرت في البلاد وانجدت والله لاطيلن ضجعتك

ولاديمن صرعتك قال وساله رجل من تميم فاعطاه دانقا فقال يا سبحان

الله اتعطي مثلي دانقا فقال انه لو اعطاه كل رجل من بني تميم مثل ما

٢٤٢٥٠٠

دينها اختص به محمد صلى الله عليه وآله الجواب ــــــ قلنا قد ذكر

في ذلك وجوه منها ان يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التورية والعطف

ههنا انما للقران المنزل على نبينا صلى الله عليه وآله وحسن نسقه على الكتاب

لمخالفته للفظه كما قال تعالى الكتاب والحكمة وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب

وكتب الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وشهد

على هذا الوجه بقول طرفة

فما لي اراني وابن عمي مالكا متى ادن منه ينا عني ويبعد

فنسق يبعد على ينا وهو بمعنيه وحسن ذلك اختلاف اللفظين وقال

عدي بن زيد

وقددت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا

والمين الكذب وثانيها ان يكون الكتاب عبارة عن التورية والفرقان

انفراق البحر الذي اوتيه موسى عليه السلم وثالثها ان يراد بالفرقان

الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى عليه السلم واصحابه المومنين وبين فرعون

واصحابه الكافرين لان الله تعالى فرق بينهم في امور كثيرة منها انه نجى هولاء

وغرق اولئك ورابعها ان يعنى بالفرقان المراد به القران

المنزل على نبينا صلى الله عليه وآله ويكون المعنى في ذلك ولقد اتينا موسى التورية

والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القران لان موسى عليه السلم كان مومنا بمحمد

صلى الله عليه وآله مصدقا بما جاء به ومبشرا ببعثته وساغ حذف القبول والايمان

والتصديق وما جرى مجراه واقامة الفرقان مقامه كما قال الشاعر

ساغ في قوله تعالى وسئل القرية وهو يريد اهل القرية وخامسها

ان يكون المراد بالفرقان القران ويكون تقدير الكلام واذ اتينا موسى الكتاب

الذي هو التورية واتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام

كما حذف الشاعر في قوله



كأن الله يجدع أنفه وعينيه إن مولاه كان له وفر
أراد ويفقأ عينيه لأن الجدع لا يكون بالعينين فاستغنى بيجدع عن يفقأ
وقال آخر

تسمع للأحشاء منه لغطاً ولليدين جسأة وبددا

أي وترى لليدين لأن الجسأة والبدد لا يسمعان وإنما يريان وقال آخر

علفتها تبناً وماءً بارداً حتى شتت همالة عيناها

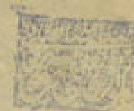
أراد وسقيتها ماءً بارداً فدل علفت على سقيت وقال آخر ٥٠١



يا ليت بعلك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا

أراد وحاملاً رمحا

قال السيد رضي الله عنه ووجدنا بعض أهل اللغة يقول إن
لا يشبه تشبيه هذه الأبيات على هذا الوجه لا يجوز لأن الأبيات اكتفي فيها
بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفي فيها باسم دون اسم لأن الأمر وإن كان
على ما قاله في الاسم والفعل فإن موضع الاستشهاد صحيح لأنه لما اكتفى
في الأبيات بفعل عن فعل لأن الحسن حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر
واقتضاه فحذف تعويلاً على أن المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا
المعنى قائم في الآية وإن كان المحذوف اسماً لأن اللبس قد زال والشبهة
قد أمنت في المراد بها فحسن الحذف لأن الغرض إذا كان اسماً للقرآن
وكان من المعلوم أن القرآن إنما أنزل على نبينا صلى الله عليه وآله دون
موسى عليه السلام استغنى عن أن يقال وآتينا محمداً صلى الله عليه القرآن كما
استغنى الشاعر عن أن يقول ويفقأ عينيه وترى لليدين جسأة وبددا
وما شاكل ذلك لأنه يمكن أن يقال فيما استشهد به جميع الأبيات
ما أمكن أن يقال مثله في الآية وهو أن يقال إنه لا محذوف فيها ولا
تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى معطوف



تعلم فليس المرء يولد عالمًا وليس اخا علم كمن هو جاهل